الموسوعة الدعوية

وصايا للدعاة إلى الله

المائــة الأولــى

إعــداد /
أمير محمد المدري

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات ٦
المقدمة ١١
١ - الإيمان بالدعوة :... ١٤
٢ - سلامة الدعوة :.. ١٦
٣ - الوضوح : ١٨
٤ - العلم بالدعوة : ١٨
٥ - كمال شخصية القائم بالدعوة:... ١٩
٦ -همم الدعاة.. لا وقت للاسترخاء:.. ٢١
٧ -هل تريد أن تكون داعية؟: ٢٢
٨ -زوجة الداعية.. جندي مجهول في طريق الدعوة:................................ ٢٤
٩ -رسالة الداعية:.. ٢٧
١٠ -الدعوة بالصمت والسمت والقدوة: ٢٨
١١ -التشويق في الدعوة: ٣١
١٢ -حيل أهل الباطل لفتنة الدعاة:.. ٣٦
١٣ -لا مناصب في الدعوة:.. ٤٠
١٤ -الدعاة.. والحرص على هداية الخلق: ٤٢
١٥ -الدعاة دلالون على الله:... ٤٣
١٦ -العزلة دفن للنفس: ٤٤
١٧ -التربية.. طريق التمكين: ٤٦
١٨ -الدعوة إلى رعاية المسنين:.. ٥١
١٩ -الإمام والدعوة:.. ٥٤

٢٠-خطر الوقوع في العلماء:..٥٨
٢١-الدعاة.. وتفجير الطاقات الكامنة:....................................٦٢
٢٢-الدعاة بين القول والعمل:..٦٧
٢٣-أفكار دعوية (١): ٧١
٢٤-أفكار دعوية (٢): ٧٦
٢٥-الدعوة ومواجهة مؤامرات الأعداء:....................................٨٠
٢٦-دور الترجمة في الدعوة إلى الله: ٨٥
٢٧-خدمة الدين: ٩١
٢٨-ولكُنَّ في أسماء.. عبرة: ٩٤
٢٩-الحركة في قاموس الدعاة:..٩٩
٣٠-الدعاة وحمل هم الأمة:..١٠٦
٣١-كاد أن يبيع الإسلام بعشرين بنساً..!!....................................١٠٩
٣٢-مقولات في فقه الموقف: ١١٢
٣٣-أنواع الدعوات والدعاة:..١١٦
٣٤-الملأ:..١٢٠
٣٥-العصاة: ١٢٦
٣٦-مصادر الدعوة في أساليبها ووسائلها: ١٢٨
٣٧-أهداف الدعوة إلى الله تعالى:..١٣١
٣٨-أهمية إعداد الدعاة:..١٣٥
٣٩-عدة الداعي.. الإيمان العميق: ١٣٨
٤٠-عدة الداعي.. الاتصال الوثيق: ١٤٠
٤١-عدة الداعي.. الشجاعة والإقدام:..١٤٣
٤٢-عدة الداعي.. الفهم الدقيق: ١٤٦

٤٤-عدة الداعي.. الصبر والتحمل:.. ١٤٨
٤٥-من أخلاق الدعاة،، (١) الإخلاص والصدق: ١٥٢
٤٦-من أخلاق الدعاة.. (٢) التعالي على متع الحياة:................................ ١٥٤
٤٧-من أخلاق الدعاة.. (٣) التواضع وهضم النفس: ١٥٦
٤٨-من أخلاق الدعاة.. (٤) الطموح وعلو الهمة:.................................. ١٥٩
٤٩-من أخلاق الدعاة.. (٦) الثبات على المبادئ: ١٦١
٥٠-الدعاة بين رجل ورويجل:... ١٦٤
٥١-الثقافة اللغوية والأدبية للدعاة:.. ١٦٧
٥٢-الثقافة التاريخية للدعاة: ١٧١
٥٣-من هؤلاء..؟!! ١٧٨
٥٤-دور المسجد في بناء الشباب:.. ١٧٩
٥٥-الدعاة.. ورعاية مقتضى حال المدعوين: ١٨٣
٥٦-الاستبداد الدعوي..!!.. ١٨٧
٥٧- أيها الدعاة!! الإصلاح.. الإصلاح ٢/١.. ١٩٠
٥٨-أيها الدعاة!! الإصلاح.. الإصلاح ٢/٢ .... ١٩٣
٥٩-آداب الداعي مع السامعين:.. ١٩٥
٦٠-لا تكن يائسا: ٢٠٠
٦١- لا تكن متفرجًا: ٢٠٦
٦٢-تبجيل العلماء والدعاة والتأدب معهم:.. ٢٠٧
٦٣-موضوع الدعوة.. هو دين الإسلام: ٢١١
٦٤-معنى الدعوة إلى الله تعالى: ٢١٥
٦٥-وجوب العمل للدين: ٢٢٠
٦٦-بين همم الحيوان وهمم بني الإنسان: ٢٢٤

٦٧-«الجوال”تكنولوجيا إعلامية ووسيلة دعوية: ٢٣٠
٦٨-الفتور.. مظاهره وأسبابه، وطرق العلاج: ٢٣٣
٦٩--القدوة الحسنة: ٢٤١
٧٠-اكتساب مهارات الدعوة: ٢٤٥
٧١-كيف نخاطب الجماهير..؟! ٢٥٢
٧٢-الكتابة.. أسلوب دعوي ناجح: ٢٥٩
٧٣-صفات وأخلاق الدعاة: ٢٦٢
٧٤-الداعي ومؤهلاته العلمية والخلقية: ٢٦٥
٧٥-أفق الداعية بين الضيق والسعة: ٢٧١
٧٦-ضوابط الدعوة إلى الله: ٢٧٥
٧٧-كلنا دعاة: ٢٧٩
٧٨-الأساليب المثلى في الدعوة: ٢٨٣
٧٩-ضيق أفق الداعية: ٢٨٦
٨٠-الدعوة إلى الله في مجال الأخلاق: ٢٩٣
٨١-الكتمان والخصوصية في الدعوة: ٢٩٧
٨٢-حتى لا يتوقف عطاء الدعاة: ٣٠٣
٨٣-لماذا تذبل مواهب الدعاة؟ ٣١٣
٨٤-المحنة في حياة الدعوة والداعية: ٣٢٠
٨٥-إحدى عشرة وسيلة للتأثير على القلوب: ٣٢٧
٨٦-الدعوة ميدان واسع: ٣٣٠
٨٧-المرأة الداعية.. والمرحلة الصعبة: ٣٣٣
٨٨-من صفات المرأة الداعية: ٣٣٥
٨٩-وقفات مع إمام المسجد في رمضان!! ٣٤٠

٩٠-توصيل الخير للغير: ٣٤٤
٩١-الرسائل الدعوية الفردية:.. ٣٤٩
٩٢-هل أنت حريص على تعلم دينك؟.. ٣٥٦
٩٣- الدعوة إلى الله في البيوت:.. ٣٦٤
٩٤-عشر همسات للدعاة: ٣٧٦
٩٥-الشبكة العالمية"الانترنت" ٣٧٨
٩٦- حتى يكون المسار سليماً والعمل مثمراً: ٣٨٠
٩٧- أفكار دعوية مع الزوج: ٣٨٦
٩٨- أسلوب الرسول - صلى الله عليه وسلم - في دعوته أهل الكتاب: ٣٨٩
٩٩- كيف تدعو الفتاة المسلمة إلى الله ؟ ٤٠٩
١٠٠- صور من عداء المشركين للدعوة: ٤١١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يهدون ويرشدون ويدعون إلى الله جل وعلا، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون به أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من تائه ضال قد هدوه، فما أحسن أثرهم عل الناس، وما أسوأ أثر الناس عليهم، ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرا.

أما بعد:

فإن الدعاة إلى الله هم الشموع ، التي تحترق لتضيء للناس طريق الهدى والحق والضيا ، وهم وعي الأمة المستنير ، وفكر الأمة الحر ، وهم قلب الأمة النابض ، وأطباء القلوب المريضة ، والنفوس الجريحة ، بل هم قادة سفينة النجاة في وسط الرياح الهوجاء ، والأمواج المتلاطمة.

والداعي إلى الله هو المبلغ للإسلام ، والمعلم له ، والساعي إلى تطبيقه ، وهو الذي يدل الناس على ربهم ، ويحدو بهم لتطبيق مبادئ الإسلام ، التي هي ـــ في خلاصتها ـــ دعوة إلى مكارم الأخلاق ، وإقامة العدل بين الناس .. ومن ثم كانت الدعوة من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله ، ولذلك اختار الله للقيام بها صفوة الخلق وأحبهم إليه وهم الأنبياء والمرسلون ، وأقربُ الناس إليه تعالى بعدهم أمثلُهم بهم طريقة وأشبههم بهم سلوكًا في العلم والعمل .

ومكانة الداعي في الإسلام مكانة عظيمة ، وقوله في الدعوة أحسن الأقوال في ميزان الله الذي هو أصدق وأعدل الموازين، قال سبحانه: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (فصلت/٣٣) .

و الدعاة إلى الله هم أتباع النبي ^ على الحقيقة، فقد أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا إليه ودالا عليه إلى الأولين والآخرين، وأمره بالدعوة وبالبشارة والنذارة، والقيام بأمر هذه الدعوة وهذا الدين، فشمر (صلى الله عليه وسلم) عن ساق الجد، وقام بالدعوة إلى الله أتم قيام، وجاهد في ذلك أعظم الجهاد، ودعا إلى الله ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، وصدع بأمر الله لا تأخذه فيه لومة لائم، فدعا إلى الله الصغير والكبير، والحر والعبد، والذكر والأنثى، والأحمر والأسود، والجن والإنس، ولما صدع بأمر الله، وصدع لقومه بالدعوة وناداهم بسب آلهتهم، وعيب دينهم، اشتد أذاهم له، ولمن استجاب له من أصحابه، ونالوهم بأنواع الأذى، وابتلي أعظم البلاء فصبر أعظم صبر عرفته الإنسانية حتى قال عليه الصلاة والسلام: [لقد أُخِفْتُ في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين ليلة ويوم ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال] .(الترمذي في الشمائل المحمدية وابن ماجه).

وقد ورث الدعاة إلى الله ـــ من علماء وغيرهم ـــ هذا الأمر كله عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وسلكوا هذا الطريق فكانوا هم بحق أتباعه ، وحملة رسالته ، وأصحاب دعوته ، والسالكين في سبيله كما قال عنهم في كتاب الله : ((قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)) (يوسف:)

ولأهمية الدعوة والدعاة كانت هذه الوصايا لدعاة الإسلام لا لغيرهم، إلى الذين يمنحون للحياة جمالها ومعناها ومغزاها.

هم الثقل الذي يمنع الأرض أن تميد.ستعوج الحياة وتغيب المروءة بغيابهم ففي غياب دعاة الإسلام اليوم عن الصدارة صار غير الأعزة فيها، فترى تبعية للدول الكبرى، وخوفا من يهود، وترقيعا فكريا، وانهزامية نفسية.

ومن هنا كانت هذه الوصايا.

وصايا...تبصرهم بفقه الدعوة وتجارب العمل الإسلامي..

وصايا ترفع من مستواهم الإيماني.

وصايا تفقهم في دينهم ودنياهم.

وصايا لتكتمل شخصية الداعي وتكتمل الدعوة.

وصايا جمعتها من بين ثنايا الكتب الدعوية وكتب فقه الدعوة،ومواقع الانترنت الإسلامية.

وصايا قد تطول بعضها وقد تقصر ،وبين أيدينا المائة الأولى من هذه الوصايا .

أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن سخرهم لنشر دين الله جل جلاله ولرفع راية الإسلام ولتكثير الخير ولتقليل الشر، إنه سبحانه أكرم مسؤول كما أسأله جل وعلا أن يوفقنا جميعا إلى التعاون على البر والتقوى، وأن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر نستن بسنة محمد صَلَّى الله عليه وسلم، ونتعاون على نشرها، وندعوا الناس إلى الله جل وعلا دعوة خالصة من الشبهات والشهوات.

كما أسأل الله أن ينفع بهذه الوصايا وان يجعلها صالحة ولوجهه خالصة،إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفقير إلى عفو ربه
أمير بن محمد المدري
إمام وخطيب مسجد الإيمان-اليمن -عمران
Almadari_1@hotmail.com

١- الإيمان بالدعوة[١] :

لا بد لمن يعتزم القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى أن يكون مؤمنًا بها، ومعتقدًا خيرية دعوته الإسلامية وصلاحيتها وحاجة الناس الملحّة لها.

ومما يوفر هذا الإيمان للمسلم الداعية علمه بالأمور التالية:

١- استحالة سعادة البشر عامة والمسلمين خاصة في الدنيا وفي الآخرة ما لم تكن من طريق الإسلام.

قال الله تعالى:]... فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى(١٢٣)وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(١٢٤)[سورة طه.

وقال تعالى:] وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٨٥)[سورة آل عمران.

٢- الإسلام رحمة إلهية، والواجب فيها أن تعرض على كل فرد وفي أي مكان، ولهذا حمّل الله تعالى رسوله r مسئولية إبلاغها إلى الناس، ونشرها بينهم فقال:] ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...(١٢٥)[سورة النحل، وقال تعالى:] قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...(١٠٨)[سورة يوسف،] قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...(١٥٨)[سورة الأعراف،] وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(١٠٧)[سورة الأنبياء.

كما ألزم أتباعه المؤمنين بأن يقوموا بنشرها، ودعوة الناس إليها] وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٠٤)[سورة آل عمران.

---

[١] أسس الدعوة/ الشيخ/ أبو بكر الجزائري.

٣- حاجة العالم إلى الإسلام اليوم لا تقل عن حاجته إليه يوم حمل المسلمون دعوته إلى الأمم والشعوب؛ إذ أن شعورًا عالمياً كبيرًا اليوم بحاجة إلى نظام عالمي سليم خاصة بعد أن جرب كل من النظامين الرأسمالي والشيوعي الاشتراكي، وفشل كل منهما في تحقيق ما كان يرجى منه.

غير أن عرضه الجديد يجب أن لا يكون عن طريق أمة لم ترتفع بمبادئه وتعليمه إلى قمة مجد عالية؛ لأن الناس عادة ينظرون إلى المبادئ والتعليم من خلال حال صاحبها.

ومن هنا ــ وبكل صراحة ــ كان لزامًا على الدعاة المسلمين أن يبدءوا بدعوتهم الأمم والشعوب الإسلامية قبل غيرها؛ حتى إذا نجحوا تقدموا بدعوتهم يعرضونها على أمم العالم وشعوبه المحرومة من هداية الله.

٢- سلامة الدعوة [1]:

الدعوة السليمة هي التي تتوفر فيها أمور:

١- لا يهدف صاحبها من ورائها إلى تحقيق أي هدف مادي أو كسب شخصي، وإنما تقوم على أساس التجرد فيها لله، كما هو أن كل المرسلين في دعوتهم، [وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٢٧)][سورة الشعراء. وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْكِتَابَ وَالْقُرْآنَ فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا فَقُلْتُ لَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَآتِيَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَأَسْأَلَنَّهُ فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ أَهْدَى إِلَيَّ قَوْسًا مِمَّنْ كُنْتُ أُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْقُرْآنَ وَلَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ: [إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تُطَوَّقَ طَوْقًا مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا] رواه أبو داود وأحمد.

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ الْأَزْدِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ يُدْعَى ابْنَ الْأُتْبِيَّةِ فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا ثُمَّ خَطَبَنَا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ فَيَأْتِي فَيَقُولُ هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا] أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد.

٢- الدعوة السليمة هي التي لا يكون من أغراضها نشر الشر أو إظهار الفساد، وإنما تكون أغراضها مقصورة على الخير والإصلاح، شعار صاحبها دائمًا:] إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ(٨٨)][سورة هود.

---

[1] المرجع السابق

٣- الدعوة السليمة هيا لتي لا يكون من طبيعتها العنف أو الشدة، ولا تقود معتنقيها إلى المشقة أو الحرج، وإنما يكون من طبيعته السهولة واليسر.

كما أنها دعوة خير؛ تهدف دائمًا إلى الخير.. وصفها الله بالخيرية في قوله تعالى:] وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٠٤)][سورة آل عمران، وبالرحمة في قوله تعالى:] وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ(١٧)][سورة البلد، وعلى لسان رسوله r في قوله: [الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ] أخرجه أبو داود والترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وهي خالية من العنف والحرج، وهاهي ذي نصوص تصرح بنفي العنف عنها والحرج؛ لذلك فالله تعالى يقول:]...وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ.....(٧٨)][سورة الحج، ويقول:] مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ...(٦)][سورة المائدة، وقوله:]...يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...(١٨٥)][سورة البقرة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا] أخرجه الشيخان، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ]رواه مسلم وأبو داود وأحمد، وعن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ] رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد.

٣- الوضوح [١]:

ينبغي للداعي مراعاة وضوح دعوة الإسلام، وسلامتها من الغموض والتعقيد في عقائدها وفي عبادتها ومعاملاتها، فيعرضها على الناس كما هي واضحة سليمة، وليحذر إدخال عناصر غريبة عنها نتيجة تشدده أو تزمته وغلوه، فيفقدها أكبر عوامل قبول الناس لها واعتناقهم إياها، وهو الوضوح والسلامة.

٤- العلم بالدعوة [٢]:

العلم بالدعوة يقوم على ثلاثة أمور:

أ- المعرفة بأصول الدعوة وفروعها وأهدافها وغاياتها شرط أساسي في نجاح الداعي، وفوزه في دعوته.

والعلم بالدعوة المطلوب من الداعي هو البصيرة التي ذكر الله تعالى في قوله:] قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...(١٠٨)[سورة يوسف: ١٠٨].

و يتعين على الداعي أن يتضلع من علوم الشريعة الإسلامية كالتفسير والحديث والتوحيد والفقه، ومن علوم الآلة كاللغة وقواعدها وآدابها، والبيان وفنونه، والمنطق ومبادئه..

ومن المسلَّم به أن من كمال الداعي أن يكون مزوّدًا بشتى العلوم والمعارف زيادة على ما يتعلق بدعوته وأصولها، وذلك كعلم النفس وعلم النبات والحيوان وخصائصها والفلسفة، وعلم تقويم البلدان (الجغرافيا)، والكيمياء.

---

[١] أسس الدعوة/ أبو بكر الجزائري.
[٢] مرجع سابق.

ومما يدل على فائدة ذلك في الدعوة أن الله تبارك وتعالى أبطل دعوة اليهود والنصارى في كون إبراهيم الخليل يهوديًا أو نصرانيًا كما زعم كل من اليهود والنصارى؛ أبطلها بحجة التاريخ فقال تعالى:] يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(٦٥)[سورة آل عمران.

ب- على الداعي أن يكون عالمًا بأحوال وظروف ونفسيات من يدعوهم ويتصدى لهم.

ج- أن يختار الطريقة الصحيحة لدعوتهم؛ فيعطي كل داء ما يحتاج من دواء، ويلبس كل حالة لبوسها الخاص بها، وإلى هذه أشار r في قوله لمعاذ رضي الله عنه: [إنك تأتي قومًا أهل كتاب].

٥- كمال شخصية القائم بالدعوة:

إن كمال شخصية الداعية من أهم الأسس التي تقوم عليها الدعوات، حيث عليه أن يعمل على تكميل شخصيته وتقويتها؛ حتى تبلغ الممكن من الكمال البشري.

ومن أهم العناصر التي تتكون منها الشخصية القوية ما يلي:

١-اليقين: وهو أن يكون الداعي على يقين تام بصلاحية دعوته وخيريتها.

٢- الروحانية: وذلك بالتجافي عن الدنيا والإقبال على النفس تطهيرًا لها وتزكية، وذلك بذكر الله وفعل الطاعات من فرض ونفل؛ حتى يبلغ حالاً تعظم فيها فراسته؛ كما روي عن عمر بن الخطاب في هذا الشأن؛ فقد قال عنه ولده عبد الله: ما قال أبي في شيء أظنه كذا إلا كان كما ظن، وقال فيه رسول الله r : [عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَسْأَلْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ تَبَادَرْنَ الْحِجَابَ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ فَقَالَ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَقَالَ:[عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي لَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ

تَبَادَرْنَ الْحِجَابَ] فَقَالَ: أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِنَّ فَقَالَ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلَمْ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَ: إِنَّكَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِيهٍ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ] رواه الشيخان وأحمد.

٣-- الشجاعة: بنوعيها شجاعة القلب وشجاعة العقل:

فالأولى تحمله على أن لا يخاف غير الله تعالى، فيمضي في حزم لا يضعف ولا ينهزم مهما لاقى من الأهوال:] وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ(١٤٦)[سورة آل عمران،وقال:] الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ(١٧٣)[سورة آل عمران.

والثانية تدفعه إلى أن يجاهر برأيه، ويصرح بعقيدته.

٤-الثقافة العامة الواسعة الآفاق: والتي يكون معها ملمًا بأكبر ما يمكن من العلوم البشرية الخاصة والعامة ما كان منها وما يستجد في الحياة في حدود طاقة الداعي.

٦-همم الدعاة.. لا وقت للاسترخاء[١]:

قيمة المرء على قدر همته، وإذا علت الهمة لم ترض بالدون، ولا تقف همة إلا لخساستها، ولابد للسالك من همة تسيره وترقيه، وعلم يبصره ويهديه، والدعاة إلى الله أكثر السالكين حاجة إلى علو الهمم مع وجود البصيرة، وإذا جاز لهمة أي أحد أن يصيبها العجز والكسل أو الوقوف والسكون أو حتى قليل الملل والفتور فإن الداعية لا ينبغي له أن يدع لهمته الفرصة لذلك، إذ كيف يلتذ داعية براحة وهم قد لقنوه من أول يوم أن ينشد:

في ضميري دائماً صوت النبي * آمراً: جاهد و كابد و اتعب

صائحاً: غالب و طالب و ادأب * صارخاً: كن أبداً حراً أبي

و كيف يميل إلى استرخاء، و أصحابه يهتفون:

نَبني، ولا نتكل * نفني، ولا ننخذل

لنا يد والعمل * لنا غد والأمل

إن حرية الداعية، والأمل الذي يستيقنه: يدفعان به دفعاً إلى البذل السخي.

علو في الحياة:

حرية.... و أمل

حرية تكسر قيود الشهوات.. و أمل بالأجر، وثقة بالنصر

---

(١) http://www.islamweb.net

كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في ميزان التصارع العقائدي، كانتا دوماً في تاريخ التوحيد الطويل، تأخذان التعب من أجيال الدعاة من النبيين والصديقين والراشدين و التابعين و من لحقهم بإحسان على مر القرون، فكلهم بالتعب كانوا يفرحون يأبون إلا العلو في الحياة ونحن إن شاء الله بهم لمقتدون.

كان تعبهم يتمثل أحياناً بحركة يومية دائبة في الإنذار والتبشير، والتجميع والتبصير، أو سهراً على رعاية مصالح المسلمين. و يتمثل أحياناً في انكباب على التعلم واجتياز المفاوز لحيازة حديث أو كلمات فقه.

ويتجسد في أخرى قتالاً، وتحفيزاً دائماً لجهاد وعلو موت. وفي أخرى إشغالاً للفكر في التخطيط. فإن أخذوا راحة، واستلقوا على ظهورهم: لبث ذهنهم يصطاد الخاطر. وكل ذلك حكى التاريخ، ليتعلم الدعاة اليوم.

٧-هل تريد أن تكون داعية؟[١]:

الهدهد من أهدى الطيور وأبصرها بمواضع الماء تحت الأرض بل لا يراه غيره... ويلقب بملك الطيور. وكان لهذا الهدهد موقف عجيب مع نبي الله سليمان - عليه السلام - أظهر فيه عبوديته لله - تعالى -، فقد جاء إلى سليمان - عليه السلام - بخبر ملكة سبأ وبما جرى فيها من عبادة هؤلاء القوم للشمس، وقد أنكر بشدة عبادتهم لغير الله - تعالى -مع استحقاقه - سبحانه - للعبادة دون ما سواه. وبين الهدهد ذلك بكلام يدل على توحيده لله - تعالى - وعبوديته له فقال - تعالى -: {وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبنّه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين * فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين * إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم

---

[١] إبراهيم بن مبارك بوبشيت-http://www.saaid.net

فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبأ في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم}

قال القرطبي: إن الله - تعالى - خصّه أي الهدهد من المعرفة بتوحيده ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافته للشيطان وتزينه لهم، ما خص به غيره من الطيور وسائر الحيوانات من المعارف اللطيفة التي لا تكاد العقول الراجحة تهتدي إليها.

ومن عجيب أمر الهدهد:

أنه إذا مرض يأكل العقارب الجبلية وعند ذلك يزول مرضه. ذكره القزويني٣٨٢

والهدهد يعلمنا المبادرة الذاتية في الدعوة إلى الله - تعالى -: إذ قال الله - تعالى -عنه: {فمكث غير بعيد}.. أي إن الهدد فقد ولكنه أتى لسليمان بخبر أعجزه فيه عندما قال: {وجئتك من سبأ بنبأ يقين} فيا سبحان الله من الذي ألهمه وللصواب وفقه.

قال صاحب الإيجابية في حياة الداعية:

إذ يبرز مفهوم الإيجابية واضحاً... إذ صار الهدد بمفرده دون تكيفٍ مسبق أو تنفيذ لأمر صادر وجلب خبراً للقيادة المؤمنة أدى إلى دخول أمة كاملة في الإسلام. ثم قال: فالداعية أولى من الهدهد بالعمل الإيجابي والسعي وراء المصالح والبحث عن الخير نعم...

فالداعية لا ينتظر الأوامر بالدعوة أيدعو فلاناً أم فلاناً.... بل إن الذي أدى لفشل الكثير منا هو انتظاره للأوامر، حتى أنك قل أن من الشباب خصوصاً من يحمل هم الدعوة إلى الله - تعالى - ببذل الوقت والجهد والمال من أجل ين الله - تعالى -، إن المتأمل لحياة الهدهد يرى كيف تكون الهمة العالية!

فكم ممن يتوسل بغير الله ويدعو غير الله ويذبح لغير الله للقبور والأضرحة والجن وممن يذهب إذا نزل به البلاء لقبر النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعوه، ويزور البقيع. و لم يجد هؤلاء

كلهم في كثير من الأحيان من ينصحهم ويدعوهم... فيا من ضعفت عنده الهمة فلم يدعُ وينصح سواء بلسانه أو قلمه أو أي أسلوب أو طريقة هاهو هدهد نعم هدهد قام بهذا كله فتأمله.

بل أين منا من زار محلات الأغاني فقام بالنصح والتوجيه؟، بل لما سئل بعض الشباب عن المنكرات التي يفعلونها هل وجدتم من نصحكم؟، قالوا وبكل صراحة: لا حتى من آبائنا وأمهاتنا.

حتى قال لي بعض من منّ الله - تعالى -عليه بالهداية لم يدعوني أحد يوماً من الأيام للاستقامة.

فهذا هدهد قدم لدين الله ونصح أمة من الأمم فظهرت آثار هذه الدعوة المباركة فكن ممن يحل هم الإسلام لا لا لا ممن يحل الإسلام همه

إذاً فهل تريد أن تكون داعية إلى الله - تعالى -؟

ولا تنس لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم جعلنا الله وإياك من الهداة المهتدين آمين...آمين.

٨-زوجة الداعية.. جندي مجهول في طريق الدعوة:

الداعية إلى الله ليس كباقي الرجال الذين هم بعيدون عن أعباء الدعوة. ومن الصعب أن يكون مثلهم في كل شيء، إنه صاحب همّ ورسالة، هم على ضياع أمته، وانتشار الفساد، وزيادة شوكة أهله، وهمّ لما يصيب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من مؤامرات وظلم وجوع وإذلال، وما يصيب الدعاة منهم من تشريد وتضييق وتنكيل، وبعد ذلك هو صاحب رسالة واجب عليه تبليغها للآخرين، حيث إن هذا الوجوب على الجميع، ولكن الفرق بينه وبين الآخرين أنه هو الذي بادر من بينهم لحمل هذه الأمانة، وقبِل أن يتحمل تبعاتها ومشاقها.

ولا شك أن واجب الدعوة إلى الله يتطلب وقتًا طويلاً قد يأخذ عليه أوقات نومه وراحته، وأوقات زوجته وأبنائه، ويتطلب تضحية بالمال والوقت والدنيا بأسرها، ما دام ذلك في سبيل مرضاة الله سبحانه وتعالى.

ورجل مثل هذا لا تصلح له أي زوجة، وإن أوتيت من الأخلاق والتقوى والجمال والحسب ما أوتيت، إنه يحتاج إلى زوجة تدرك واجب الدعوة وأهميتها، وتدرك تمامًا ما يقوم به الزوج، وما يتحمله من أعباء، وما يعانيه من مشاق، فتقف إلى جانبه تيسر له مهمته وتعينه فيها، لا أن تقف عائقًا وشوكة وحجر عثرة في طريقه.

وقد رأينا في طريق الدعوة أناسا كانوا ذوي نشاط وهمة قبل زواجهم فانقسموا بعد الزواج إلى فريقين فريق ازداد نشاطا وعملا وهمة، وفريق خبت عزيمته وضعفت همته وانشغل عن الدعوة وأهلها وإنما سبب ذلك الأول هو فهم الزوجة وفكرها وهمها.

والناظر في تاريخ كبار الدعاة يجد أنهم ــ في معظم أحوالهم ــ قد حباهم الله بزوجات واعيات كان لهن أكبر الأثر في اشتهار أزواجهم وزيوع صيتهم وانتشار دعوتهم، وذلك بدعم الزوج وتحفيزه وتهيئة الجو العائلي المناسب وإعانته في أمور دعوته وعدم شغله بتوافه المتطلبات أو بسفاسف الأمور.

إن من أعظم نعم الله تعالى على من سلك سبيل الدعوة إلى الله أن يُرزق زوجة معينة تحمل معه همومه وتعيش معه آماله وآلامه وطموحه، بل وتحمل معه أعباء دعوته، ومن نظر في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في أول أمر دعوته وموقف أم المؤمنين الأولى السيدة خديجة رضي الله عنها يعلم تمام العلم ما يمكن أن تؤديه زوجة الداعية.. لقد كانت أمنا خديجة مدرسة بحق تتعلم فيها زوجات هذا الزمان كيف تكون الزوجة الحقة.

إن مواقف خديجة رضي الله عنها كلها خالدة ويكفي موقفها من زوجها"النبي الجديد" حينما أتاها خائفا بعد أول نزول للوحي ليقول زملوني زملوني فتزمله، ثم يقول لقد خشيت على نفسي. فتطمئنه بل وتشجعه وتحفزه إن مثلك لا ينبغي أن يخاف بل أنت لها وإن لم تكن أنت

فمن؟"والله لا يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق"، لقد آمنت به فكانت أول المؤمنين والمؤمنات، وواسته بمالها وأعانته بحسن تبعلها وكريم معشرها وحسن مشورتها وكانت هي الصدر الحنون الذي يلقي عنده كل الهموم والغموم وينفس فيه عن نفسه مما يلقاه من أذى المشركين وما سمع منها يوما كلمة تضجر أو تبرم بل الرضا كل الرضا والمعونة الصادقة بكل ما تحمل كلمة الصدق من معان.

لقد كانت خديجة أكبر من أن تعد مآثرها أو أن تحاط مفاخرها.. فلا غرو أن أحبها المصطفى حبا لم يحبه أحدًا سواها، وما زال يذكرها بعد موتها بالحسنى حتى غارت أحب زوجاته إليه بعدها عائشة الصديقة بنت الصديق من كثرة ما يذكرها بالخير. وعلى خطا خديجة كانت زوجات رسولنا الكريم رضي الله عنهن أجمعين.

ولتعلم قيمة تلك النعمة تذكر نوحا ولوطا عليهما السلام وموقف زوجتيهما لقد وقفتا في طريق دعوتيهما وكانتا حجرا عثرة ورداءً للأعداء عليهما.. ومن يعش مع ما كانت تفعله هذه الزوجة وتلك ــ خصوصا زوجة لوط عليه السلام ــ يعلم يقينا أن مثل هذه الزوجة عدمها خير من وجودها، بل عدمها نعمة.. وشتان بين امرأة تكون هي النعمة في وجودها وأخرى يكون فقدالها نعمة.

وهكذا زوجات الدعاة على مر العصور ينتقلن بين القمة في المواساة كخديجة رضي الله عنها وبين القاع الذي تبوأته زوجتا نوح ولوط.. وقد خلد التاريخ لكل دورها وعند الله الملتقى ويومها((تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء))، وحينها((توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)).

٩-رسالة الداعية:

رسالة الداعية أسمى رسالة، وأي عمل ــ مهما بلغت قيمته ــ لا يرقى إلى مستوى عمل الدعوة، وهداية الناس إلى الله.

ومما يؤكد على هذا المعنى أن الله تعالى حين تحدث عن الدعوة والقيام بها صدَّرها بأسلوب الاستفهام المفيد للنفي، فقال تعالى: ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ))(فصلت:٣٣)، أي: لا أحد أحسن ممن يفعل ذلك.

ومعلوم أن عمل الداعية ليس مجرد الكلام والوعظ، فما أيسر أن يعتاد الإنسان ــ بكثرة المران ــ على الألفاظ الجذلة، والعبارات الرصينة، بحيث يطلب منه الحديث في أي موطن، فيفيض به كأحسن ما يكون.

إن رسالة الداعية في الحقيقة هي رسالة الإسلام، بكل ما تحتويه هذه الكلمة من شمول وعموم.

فإن قلنا إن الإسلام يهتم بالفرد: تربية لنفسه، وتهذيبًا لسلوكه، وتوطيدًا لعلاقته بربه، كان الداعية هو القائم ببيان هذه الحقائق، والأخذ بيد الناس إليها.

وإذا قلنا إن الإسلام ينظم شؤون المجتمع، ابتداء بالأسرة، وانتهاء بالأمم فيما بينها وبين بعضها، كان الداعية ــ أيضًا ــ هو صاحب الدعوة لهذا الشمول، وهو القوى المحركة التي تحث الناس على أن تأخذ هذه المبادئ صورتها العملية في واقع المجتمع.

وباختصار فإن رسالة الداعية هي رسالة الخير للفرد والمجموع على السواء.

ولا يتأتى للداعية القيام بهذا الواجب الضخم حتى يكون ــ في نفسه وأهله ــ أحرص الناس عليه، وأقوى الناس التزامًا به. وصدق الله إذ يقول: (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) (الشورى/١٥)

يقول ابن جماعة الكناني:"إن العلماء هم القدوة، وإليهم المرجع في الأحكام، وهم حجة الله تعالى على العوام، وقد يراقبهم للأخذ عنهم من لا ينظرون، ويقتدى بهديهم من لا يعلمون، وإذا لم ينتفع العالم بعلمه فغيره أبعد عن الانتفاع به".

ويقول الشاعر محمود بن الحسن الوراق:

إذا أنت لم ينفعك علمك لم تجد...لعلمك مخلوقًا من الناس يقبله

وإن زانك العلم الذي قد حملته... وجدت له من يجتنيه ويحمله

١٠-الدعوة بالصمت والسمت والقدوة:

هكذا تبدو أهمية الجانب الخلقي في حياة الدعاة، ذلك الجانب الذي بدونه تصبح الدعوة قليلة الفائدة، ضعيفة الأثر.

ولمزيد التأكيد على أهمية هذا الجانب في حياة الدعاة نسوق هذه الحقائق:

١- إن تعلق الناس بأحوال الداعية أقوى من تعلقهم بكلامه، بل إن الداعية قد لا يتكلم كثيرًا، ولكن أخلاقه وسيرته الحسنة تجعل الدعوة تسري بأقل مجهود يُبذل.

يقول لقمان الحكيم:"إن العالم يدعو الناس إلى علمه بالصمت والوقار".

وقيل:"من لم تهذبك رؤيته، فاعلم أنه غير مهذب، ومن لم ينعشك عبيره على بُعد فاعلم أنه لا طيب فيه، ولا تتكلف لشمه".

وقال الإمام الشافعي:"من وعظ أخاه بفعله كان هاديًا".

وقيل أيضًا:"من لم ينفعك لحظه لم ينفعك لفظه".

هذا ويزخر التاريخ بالكثير من القدوات الصالحة ــ لأفراد وجماعات ــ تدل بشكل قطعي على تأثير الداعية بالقدوة فيمن حوله بصورة أبلغ من الكلام.

قال ابن وهب:"ما تعلمت من أدب مالك أفضل من علمه".

وقال يونس بن عبيد:"كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم ير عمله، ولم يسمع كلامه".

هذا على مستوى الأفراد. وكذلك على مستوى المجموع رأينا القدوة الصالحة قد راعت نظر كثير من الأمم في مطلع الدعوة من خلال سلوك السلف الصالح، مما نتج عنه إسلام الكثيرين. يقول الإمام مالك:"بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام قالوا: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا".

٢- إن تخلق الداعية بالأخلاق الإسلامية التي يدعو الناس إليها يجعل في دعوته حرارة وحيوية؛ لأنها تخرج من قلب منفعل بها، ويعبر عنها لسان صادق اللهجة، وبذا تتأثر بكلامه القلوب، وتنفعل بصدق حديثه النفوس، بعكس ما لو عرى عن هذه الأخلاق، وجاء يدعو الناس إليها، فإن دعوته ـــ مهما كان فصيح اللسان، بليغ العبارات ـــ لا تعدو أن تكون حرثًا في ماء، أو نفخًا في رماد، وبذا يزول أثرها، ولا يدوم نفعها.

يقول مالك بن دينار:"إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا".

وقال شهر بن حوشب:"إذا حدث الرجل القوم، فإن حديثه يقع في قلوبهم موقعه من قلبه"

وسئل الحسن البصري رحمه الله: ما بالنا نعظ الناس فنبكيهم، وأنت تعظ الناس فتبكي؟ فقال: ليست النائحة كالثكلى.

٣- إن صلاح الفرد في ذاته دافعه ما يتمسك به من أخلاق.

يقول أبو حامد الغزالي:"كل من أراد النجاة لا نجاة له إلا بالعمل الصالح، ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة".

ويقول أحمد شوقي:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوِّم النفس بالأخلاق تستقم

ونستنتج من هذه المقدمة أن صلاح الداعية في خلقه طريق إلى إصلاح نفسه، وإن فساده في خلقه طريق إلى فساده في كله. فلو حدث ــ لا قدر الله ــ أن تولت فئة من الدعاة مهمة الإصلاح وهي تفتقد الأخلاق فإنها ــ والحال هكذا ــ سيفشو فسادها، ويعم خطرها ويستبيح الناس الحرمات وهم يجدون من يبرر أخطاءهم، ويبارك فيها خطواتهم. ولذا يعظم خطر علماء السوء في المجتمع.

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه:«ثلاث يهدمن الدين: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون».

وجاء في مأثور الحكم:«زلة العالم كالسفينة، تغرق ويغرق معها خلق كثير».

وقال معاذ رحمه الله:«احذروا زلّة العالم؛ لأن قدره عند الخلق عظيم، فيتبعونه على زلته».

وقال الشاعر:

وكنا نستطب إذا مرضنا فصار هلاكنا بيد الطبيب

وقال غيره:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب؟

فمن نصَّب نفسه للناس إمامًا فليبدأ بتهذيب نفسه قبل تهذيب غيره، وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه، ومعلم نفسه ومهذبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم". وقال الفراء:"أدب النفس ثم أدب الدرس".

وقال الليث وقد أشرف على أصحاب الحديث فرأى منهم شيئًا:"أنتم إلى يسير من الأدب أحوج منكم إلى كثير من العلم".

وعن مالك بن أنس قال: قال ابن سيرين:"كانوا يتعلمون الهدى، كما يتعلمون العلم".

قال: وبعث ابن سيرين رجلاً فنظر كيف هديُ القاسم وحاله".

ونخلص من هذه النقاط الثلاث إلى أهمية الأخلاق في حياة الداعية، فهي حجر الزاوية في نجاحه في دعوته، وبقدر اهتمامه بها، وحرصه عليها، يكون توفيق الله له.

((ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب)).

١١-التشويق في الدعوة:

يبحث الداعية الموفق دائمًا عن كل سبيل ووسيلة يستهوي بها قلوب المدعوين، ويستميل بها عقولهم وعواطفهم، ويجتذب بها انتباههم؛ نصرة لدعوته، ورغبة في استقطاب أكبر عدد إليها.

ومن أهم وسائل الداعية في استمالة عقول وقلوب وعواطف المستمعين إخراج الحديث عن الجفاف، وتجنيب مجلسه الجمود، والبعد بموعظته عن أن تكون باهتة مملة مما يضعف ــ بل يقتل ــ حيوية المتلقي وفعالية التأثر، ويؤدي في النهاية إلى انفضاض الناس عنه وعن دعوته.

ومن هنا تظهر أهمية قدرة الداعية على إضفاء روح التشويق والتحبيب والحيوية على حديثه وأسلوبه لامتلاك نواصي المدعوين.

وللوصول إلى ذلك يلزم أن يتوفر عدة شروط في الموضوع وفي الأداء أيضًا منها:

أولاً: ربط الموضوع بواقع المدعوين:

فعند اختيار الداعية لموضوع يعالجه، أو مشكلة يبحث لها عن حل، أو فكرة يطرحها، أو فضيلة يدعو إليها ينبغي أن يكون ذلك مستوحى من واقع الناس المعاش، ومستمدًا من روح بيئتهم وصميم حياتهم، خصوصًا عند ضرب الأمثال وسرد القصص، وكذا عند اختيار الكلمات والجمل بالبعد عن غريب اللفظ وعالي الأساليب، مع اعتبار تفاوت المستوى العلمي والثقافي والاجتماعي للمستمعين.

وتعتبر معالجة المشكلات الطارئة والحوادث المستجدة في حياة الناس ومناقشة أسبابها وبيان عواقبها وذكر طرق علاجها من أهم أسباب التشويق والانتباه وتحصيل الفائدة والثمرة المرجوة والأثر الطيب لدى المستمع.

في حين أن تجاهل أحداث المجتمع والتغافل عن حل مشكلات الناس يوقع الداعية فيما يسمى"بالعزلة الفكرية"ويضرب بينه وبين الناس بسور ليس له أبواب، ويتسبب في فض الناس عنه ورفضهم دعوته، وهي أكبر خسارة للداعية على الإطلاق.

ثانيًا: تجديد وتنويع الأساليب:

إذا دخل الملل على السامع أو المتلقي خرج بقلبه عن مجلس الوعظ وسبح في أحلام اليقظة، أو استسلم لخفقات النعاس.. ورشاقة الداعية وتنقُّله بين أساليب الدعوة واختراع أساليب جديدة والتنويع في ذلك في اللقاء الواحد يثير شهية المدعوين إلى الاستماع وينفي عنهم الملل الذي يفقد المجلس حلاوته ويعدم فائدته.

فالداعية الموفق كالفراشة التي تنتقل من شجرة إلى شجرة، وكالنحلة التي تستقي من كل زهرة أطايبها، فهو يتنقل بين بساتين الوعظ وطرقه يرشف من كل منها ليكوّن في النهاية خليطًا مختلفًا ألوانه فيه شفاء لقلوب السامعين.

فينبغي على الداعية أن يتنقل بين أسلوب القصة المسلية التي يحرك بها العاطفة ويسلي بها النفوس، ويأخذ مواطن العبر والعظة، ثم ينتقل إلى ضرب الأمثال تقريبًا للمفاهيم، وتيسيرًا على السامعين، وتجسيدًا للوقائع، وتصويرًا للمَشاهِد، وإلباسًا للخيال لباس المحسوس المشاهَد، فيكون أقرب للفهم وأيسر في استخراج الفوائد، وهو من أساليب القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ ففي القرآن في الحث على النفقة: ((مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ...))[البقرة:٢٦١].

وفي فضل الإخلاص: ((وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ))[البقرة:٢٦٥].

وفي بيان أعمال المشركين: ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ))[النور:٣٩].

وفي التخويف من الرياء: ((أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ))[البقرة:٢٦٦].

وكذا السنة فيها بيان فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:"مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة... الحديث"(رواه البخاري عن النعمان بن بشير).

وفي فضل قراءة القرآن:"مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب... إلى آخر الحديث". (رواه البخاري)... وغير هذا في القرآن والسنة كثير.

ومن ضرب الأمثال إلى الحوار إن أمكن لتنبيه الغافل وإيقاظ الوسنان، وتفتيح الأذهان كمثل قول العدنان صلى الله عليه وسلم لأصحابه:"أتدرون ما الإيمان بالله؟"متفق عليه.

وكقوله:"أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقي من درنه قالوا لا يبقى من درنه شيئا..."(متفق عليه). وفي صحيح مسلم:"أتدرون ما المفلس؟".

على ألا يكون الحوار بابًا لإخراج المتحدث عن موضوعه أو لكثرة المداخلات أو الإخلال بنظام المجلس أو الدرس.

ولا مانع من استعمال أسلوب المداعبة أحيانًا لإذهاب الكآبة والسآمة وتنشيط الروح، وإراحة العقل لحظيا، وتفتيح النفوس للتقبل، وقد قال جرير بن عبد الله:"ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم"، وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره.

لكن ليحذر الدعاة المغالاة في الدعابة حتى تصبح عادة، فتسقط المهابة ويضعف التأثير، وإنما كالملح في الطعام لا غنى عن قليله، وكثيره يفسده.

ثالثًا: انتهاز المناسبات والفرص:

وذلك باستغلال المواقف في إصلاح الناس وتوجيههم، فيكون التعليق أبلغ في التأثير، وأقرب للفهم والمعرفة، مع استغلال استعداد المدعوين النفسي وتهيئهم للقبول، كما روى مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسُّوق داخلاً من بعض العاليةِ والناسُ كنفتهُ، فمرَّ بجَدْيٍ أسَكَّ ميِّتٍ فتناولَهُ، فأخذ بأُذُنه، ثم قال: أيكم يُحبُّ أن هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نُحبُّ أنه لنا بشيءٍ، وما نصنع به؟! قال: أتُحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حيًّا كان عيبًا فيه لأنه أسكُّ، فكيف وهو ميت؟! فقال: فوالله للدنيا أهونُ على الله من هذا عليكم".

ومنه قصة المرأة وولدها في السبي، ومناديل سعد في الجنة.

ولا شك أن انتهاز المناسبة له أثره في تربية الأمة وهداية الأفراد، مع وجود عنصر التشويق لدى السامعين.

رابعًا: استعمال وسائل الإيضاح:

وهذه أبلغ ما يكون في تجسيد الفكرة، وترسيخ العلم، والتشويق إلى الموعظة بالتجديد. واستغلال وسائل الإيضاح حسب المتاح طالما لا يخالف الشريعة، وهي تختلف باختلاف الأزمان، وكذلك الأماكن والأفهام، وهي وسيلة نبوية ينبغي للدعاة عدم إغفالها، وقد جاء في صحيح البخاري عن ابن مسعود قال:"خط النبي صلى الله عليه وسلم خطًا مربعًا وخط خطًا في الوسط خارجًا منه وخط خططًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال (هذا الإنسان وهذا أجله محيط به - أو قد أحاط به - وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا".

خامسًا الاقتصاد في الموعظة:

وهذا يكون على قسمين: **الأول: الاقتصاد في الكثرة:** فلا يكثر من المواعظ وإنما يتخول الناس بها بين الفينة والفينة، حتى يشتاق الناس إليه ولا يملون حديثه، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة خشية السآمة.

و **الثاني: الاقتصاد في وقتها:** فتكون الموعظة قصدًا عدلاً، فإن كثرة الكلام ينسي بعضه بعضًا، وقد جاء في صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قوله:"إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه".

فالبعد عن الثرثرة، وتجنب الحشو وتكرر الأفكار، وإطالة المقدمات، والاسترسال في سرد الأدلة والتفاصيل المملة يفقد الموعظة كثيرًا من فوائدها، وإنما القصد القصد.

فبهذه الخصال - وربما هناك غيرها - يملك الداعية زمام القلوب، ويؤثر على النفوس، ويرجى له القبول والانتشار بما يعود بالخير على الدعوة وعلى الناس بالمنفعة، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

١٢-حيل أهل الباطل لفتنة الدعاة:

صراع الحق مع الباطل قديم، قدم هذا الإنسان على هذا الكوكب، بل أقدم من ذلك، فمنذ أن خلق الله الإنسان وأمر الملائكة، ومن ضمنهم إبليس، بالسجود لآدم ((فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ))[البقرة:٣٤]، ومنذ تلك اللحظة حقد إبليس على بني آدم، بسبب تكريم الله لهذا المخلوق على باقي خلقه لما ميزه عنهم بالعقل والعلم، وأقسم الشيطان بالانتقام من هذا المخلوق وتسخير جميع ما أعطاه الله من قدرة لإغواء بني آدم ثم إلقائهم جميعًا في جهنم إلا فئة قليلة منهم وهم"المخلصون"المتبعون لمنهج الحق، فقال بحقد: ((لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً))[الإسراء:٦٢] أي لأستولين على ذريته إلا أولئك القليل.

ومنذ ذلك الوقت أصبح هناك صراع بين هذه القلة التي تتواجد في كل عصر وبين أولئك الكثير الذين أضلهم إبليس وقادهم إلى جهنم، والصراع سببه إصرار إبليس على فتنة معظم بني آدم بكل ما يملك من الوسائل، وإصرار العصبة القليلة من أتباع الحق السائرين على منهج الهداية، على الثبات على هذا المنهج خوفًا من جهنم، وبين هذين الإصرارين ينتج الاحتكاك، ويكون الصراع بين الفريقين متخذا أشكالاً عدة، ومن أبرز أساليب اتباع الباطل والفساد هو إلقاء الشبهات واختلاق الأكاذيب واستعمال الحيل لتشويه نصاعة مسيرة أصحاب الحق حتى ينفر الناس منهم ولا يصدقوهم بما يقولون، لأن الناس جبلوا على كراهية من يخالف قوله فعله، هذا جانب من جوانب الحرب التي لاقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة.

حرب المصطلحات

جاء في السيرة النبوية:"وكان عمه أبو لهب يتبعه فيقول للناس لا تقبلوا قوله"، وكان يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم:"ألا لا ترفعوا برأسه قولاً، فإنه مجنون يهذي من أم رأسه."[انظر البداية والنهاية:٣/١٤١].

فوصف الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسحر والجنون والشعر والكهانة ليفضوا الناس من حوله ويصدوا المدعوين عن دعوته وينفروهم من الجلوس معه أو الاستماع منه.

تكرر الصورة:

هذه الصورة تتكرر في كل عصر يشتد فيه ويعلو صوت الباطل، تتكرر في جميع زواياها، مع اختلاف فقط في الأوصاف والحيل لتلائم العصر المعاش.. فإذا كان أهل الباطل في الماضي يقولون عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه مجانين وسحرة وكهنة، فاليوم لا تتناسب هذه الشبهات مع عصر العلم الحديث، وإنما يقولون:"متعصبون"، والناس يكرهون التعصب، ويقولون:"طائفيون"والناس يكرهون التفرقة. ويقولون:"رجعيون"والناس يحبون التقدم. ويقولون:"إرهابيون، ومتطرفون، وانتحاريون"، ويقولون:"يريدون قلب نظام الحكم"لتخويف الأنظمة فتتسلط عليهم بالتضييق والتذبيح والسجن، ويخوفون الشعوب لأن الناس لا يحبون القلاقل والفوضى، ويحبون الاستقرار والنظام.

أنواع من الحيل

كانت"حرب المصطلحات"إحدى الحيل المستخدمة في ميدان المعركة الدائمة بين أصحاب الحق وزمرة الباطل، وللباطل حيل أخرى كثيرة فهم يدرسون كل فرد، أو كل مجموعة على حدة، دراسة مستفيضة يعرفون نقاط الضعف، ونقاط القوة في كل فرد وفي كل جماعة، ومن خلال هذه الدراسة يبدؤون بحياكة هذه الألاعيب، ونصب هذه الشباك، ليقع فيها من يقع من الدعاة، ومن أهم هذه الألاعيب:

الترغيب في المناصب والأموال

ويكون هذا باتجاهين إما بإعطائه أو منعه:

فالأول: يكون بعرض هذه المناصب العالية والدرجات على الداعية والتلميح له بها من أجل التنازل عن مبادئه، وقد حاول المشركون ذلك مع النبي صلى الله عليه وسلم حين عرضوا

عليه الملك والجاه والمنصب، والمال والثراء، والزواج ممن يحب ويرغب.. فعرضوا عليه كل ما يتمناه المرء في دنياه كل ذلك ليغروه عن دينه ويبعدوه عن دعوته فما اغتر ولا انخدع، ولكنها تبقى حيلة يتصيد بها أهل الباطل أصحاب الدعوات.

فإذا لم تنجح تلك الحيلة في استمالة الداعية أو على الأقل تحييده استبدلوا التلويح بالعطاء بالتلويح بالمنع فتتوقف الدرجات والعلاوات، ويحرم من المناصب التي هو أهل لها، وتعطى لمن هو دونه لإغاظته، وربما عملوا على حرمانه من عمله بالكلية، وضيقوا عليه فيه كما هو الواقع في منع قبول الملتزمين والملتحين في الوظائف، وهو ما يسمونه باستراتيجية تجفيف المنابع.

هذا الوضع يجعل البعض يفكر جديًّا بتغيير هويته الإسلامية، والتنازل عن مبادئه في سبيل الحصول على ما فقده بسبب التزامه، وكم رأينا من أثرت فيه هذه الحيلة وابتعد عن الطريق، ولعمر الحق إن هذه لفتنة عظيمة في صورتيها.. ونسأل الله الثبات.

التخويف والتهديد:

وهي من الحيل التي يتبعها أهل الباطل في مواجهة أهل الحق خصوصا في بداية الدعوات وقد هُدد أصحاب الدعوات من الأنبياء والمرسلين.. فهؤلاء قوم نوح يقولون لنبيهم:"لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين"، وقال قوم لوط له:"لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين"، وقال قوم شعيب:"لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا"، وكذلك قال كل أهل الباطل:"وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أول لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين"، وقال فرعون لموسى:"لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين"وهكذا تسير هذه القافلة المباركة لتتلقى نفس هذه الحيل الإرهابية من أهل الباطل لتخويفهم وردهم عن طريق دعوتهم والله من ورائهم محيط"وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين".

البعثات الخارجية:

ومن حيل أهل الباطل أنهم إذا رأوا نشاطا من بعض الدعاة وأن من وراء عمله ثمرة ظاهرة وأثرا كبيرا أرسلوه للخارج لبعثة دراسية، أو لتمثيل بلده بمؤتمر، أو دورة، أو تمثيلاً دبلوماسيًا، أو لأي غرضٍ من الأغراض، ويتفقون هناك مع بعض من يقوم بإغرائه بشتى المغريات، أو أن الجو هناك يكون بذاته فتنة له، ويبعده عن الجادة التي تربَّى عليها، أو أنهم يرسلون له من يخلصهم منه هناك بحادث ضد مجهول، بعيدًا عن غضبة جمهوره في بلده.

تشويه السمعة وإلصاق التهم

وهذه الوسيلة هي أكثر الوسائل والحيل انتشارًا، خصوصا مع المشهورين من الدعاة والذين التف حولهم الناس، ويراد تفريق الناس عنهم.. فعندئذ تبدأ حملات الاستهزاء والتهكم والاتهام بالباطل من خلال الحملات الصحفية بمناسبة وبغير مناسبة، وافتعال قصص وهمية أشهرها القصص الغرامية والتهم الجنسية لأنها الأسرع في الانتشار بين الناس.. وهذا لا شك يشكل ضغطًا نفسيًا على بعض الدعاة، وربما يؤثر على سيرهم في الدعوة، وثباتهم على طريق الحق.

وقد ضرب لنا المنافقون قديما مثلا في اتهام أشرف الخلق في عرضه الذي هو أطهر عرض وأشرفه وأكرمه.. ومع علمهم بهذا لكنه الحقد على الدعوة وأصحابها وكمد صدورهم وغيظ قلوبهم من انتشارها.

وسار إخوانهم على الدرب وسلكوا نفس السبيل، فكم من داعية في زماننا حورب بهذه الحيلة الدنيئة فاتهموه في نفسه أو في أهل بيته زورا وبهتانا حتى أسقطوه من أعين الناس؛ فانزوى عنهم، أو حملوه على ترك البلاد فرارًا من قذارتهم ودناءتهم.

القتل أو الحبس

فإذا فشل جند إبليس في صد الداعية عن دينه ورده عن دعوته وعمله لنصرتها، أوعز إليهم إمامهم إبليس بآخر الحيل وهي الأذى في البدن أو النفس بالحبس أو التصفية الجسدية

لإيقاف دعوته وإنهاء أثره كما خطط المجرمون لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة ليلة الهجرة بمباركة من الشيطان الرجيم الذي حضر الندوة في صورة شيخ نجدي.

وكانت الخيارات الحبس أو النفي أو القتل وهي الخيارات الموجودة في زماننا وفي كل زمان فيه حق وباطل.. ولكن يذهب دعاة وينبت آخرون ويختفي مجاهدون ويظهر آخرون، ويفوز شهداء وينتظر الدور آخرون..

هذه بعض الحيل التي يستخدمها أهل الباطل لفتنة الدعاة، ولكنها جميعها تتكسر أمام الرجال الذين ربوا أنفسهم على التضحية في سبيل الله، بعد أن قبلوا ببيع النفس والمال ابتغاءً لوجه الكريم وجنته، والابتعاد عن ناره، وعرفوا حقيقة الدنيا وزينتها، فلم تغرهم بعد أن زهدوا فيها، ورغبوا فيما عند الله، ولابد في النهاية أن ينتصر الدين فالله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

١٣-لا مناصب في الدعوة:

يقول ابن إسحاق: حدثني الزهري أنه - أي الرسول صلى الله عليه وسلم - أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم يقال له بحيرة بن فراس: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب. ثم قال له: أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر لله يضعه حيث يشاء. قال: فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بك".[البداية والنهاية ٣/١٣٩، ١٤٠].

وهكذا يجب أن يدرك كل من يريد أن يلتزم بالجماعة التي تدعو إلى الله، ألا يشترط عليها منصبًا أو عرضًا من أعراض الدنيا، لأن هذه الدعوة لله، والأمر لله يضعه حيث يشاء.

والداخل في الدعوة، إنما يريد ابتداءً وجه الله، والعمل من أجل رفع رايته، أما إذا كان المنصب هو همه الشاغل فهذه علامة خطيرة تنبئ عن دخن في نية صاحبه. لذا قال يحيى بن معاذ الرازي:"لا يفلح من شممت منه رائحة الرياسة".

يوسف يطلب الرئاسة:

وربما عللت النفس وشيطانها صاحبها بما فعل يوسف عليه السلام وإنما هذا من تسويل الشيطان، فالرئاسة لا تطلب إلا إذا تعذر وجود البديل أو الأكفأ، عندها يكون لزامًا عليه طلبها، لا لذاتها إنما كي لا يستلمها من هو دونه بالكفاءة فيضيع الأمانة، وهذا يوسف عليه السلام مثالاً لذلك، عندما رأى أنه لا يوجد من هو أكفأ منه، قال للملك: (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)[يوسف:٥٥]. يقول سيد قطب - رحمه الله -:"إنه لم يسجد شكرًا كما يسجد رجال الحاشية المتملقون للطواغيت. ولم يقل له: عشت يا مولاي وأنا عبدك الخاضع أو خادمك الأمين كما يقول المتملقون! كلا إنما طالب بما يعتقد أنه قادر على أن ينهض به من الأعباء في الأزمة القادمة التي أوَّل بها رؤيا الملك، خيرًا مما ينهض بها أحد في البلاد، وبما يعتقد أنه سيصون به أرواحًا من الموت وبلادًا من الخراب، ومجتمعًا من الفتنة - فتنة الجوع".[في ظلال القرآن ٤/٢٠٠٥].

فالذي يلتحق بركب الدعوة، عليه ألا يتوقع رئاسة، أو منصبًا ما، فضلا عن أن يسعى إليه ويفرح به، إنما يجب أن يوطن نفسه من أول يوم يضع فيه قدمه على باب الدعوة، بأن يكون جنديًا لها، فإن كان في الساقة كان في الساقة، وإن كان في المقدمة كان في المقدمة، ليس له هدف سوى مرضاة الله، إنما يحدث التعثر إذا التفت لغير الله، وحدثته نفسه بأمر من حظوظها. ولهذا السبب جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم واضحة وضوح الشمس للذين بايعوا بيعة العقبة الأولى والعقبة الثانية بقوله:"فإن وفيتم فلكم الجنة".[البخاري ١/٥٤].

فلم يعدهم بمنصب ولا بجاه ولا بمال، أو بأي لون من ألوان الدنيا، إنما علقهم بالآخرة، لترتفع نفوسهم وآمالهم، وهممهم من وحل طين الدنيا، إلى السموات العلا.

طوبى لعبد:

ويمدح الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الصنف من الدعاة، الذين ليس لهم سوى رضى الله سبحانه وتعالى، وبالتالي فليس مهمًا لديهم مواقع عملهم سواء كانت في المقدمة أو المؤخرة، وذلك بقوله صلى الله عليه وسلم:"طوبى لعبدٍ آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع".[رواه البخاري في الفتح ٢٨٨٧].

يقول ابن الجوزي:"المعنى أنه خامل الذكر لا يقصد السمو، فإن اتفق له السير سار، فكأنه قال: إن كان في الحراسة استمر فيها، وإن كان في الساقة استمر فيها".[فتح الباري ٨٣/٦].

ويقول ابن حجر:"فيه ترك حب الرئاسة والشهرة، وفضل الخمول والتواضع".[فتح الباري ٨٣/٦].

هذا الصنف من الدعاة هو الذي تنجح الدعوة به، أما المتطلعون للرئاسة والمناصب والشهرة فإنهم من دون شك يكونون أحجار عثرة في طريق نجاح الحركة الإسلامية.

١٤-الدعاة.. والحرص على هداية الخلق:

إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل يترعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقحمون فيه"هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه البخاري ومسلم رحمهما الله. وفي رواية:"أنا آخذ بحجزكم عن النار: هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني، فتقتحمون فيها"صححها الألباني في صحيح الجامع.

لم تكن هذه مجرد كلمات لوصف حال، وإنما زفرات حري، خرجت من أصدق قلب، لبيان أشرف مهنة ومقصد عرفه الوجود.

إنها صورة الدعاة إلى الله حين يرون الناس يقتحمون النار بانصرافهم عن الله وبعدهم عنه، فيتحركون ليمنعوهم عنها ويحجزوهم منها، ضنا منهم على هذه النفوس أن تذهب إلى النار.

ولا يمكن لدعاة الحلق أن يحققوا ذلك إلا بالحركة إلى الخلق، ودعوهم حيث كانوا، وغشيان مجالسهم، وحضور مجتمعاهم، والذهاب إليهم حيث كانوا، لا بالجلوس والخلوة وانتظار مجيء الناس إليهم، فإن أئمة الدعاة من السلف الصالح كانوا يسيحون في الأرض لنشر الدعوة وتبليغها، يبادؤون الناس بالكلام ويحتكون هم احتكاكًا هادفًا ولا ينتظرن مجيء الناس إليهم ليسألوهم.

إن هذه الحركة لدعوة الخلق لا يشمر لها العبد إلا إذا استشعر ابتعاث الله له ـــ هو بعينه ـــ لإنقاذ الناس، وهداية قلوهم، وإنارة بصائرهم، كما قال ربعي بن عامر:''إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة". فاستمع إليه وهو يقول:''ابتعثنا لنخرج''وانظر إلى ما فيها من إحساس بعظم الأمانة على عاتقه وعواتق أصحابه وشعورهم بأنهم هم المكلفون بها دون غيرهم.

ومن دون أن يستشعر الدعاة هذه المسؤولية فالأصل الركود والخمود والعزلة المذمومة. يظن الواحد أنه ينأى بنفسه عن المنكر وهو واقع فيه.. يقول الغزالي رحمه الله:''اعلم أن كل قاعد في بيته أينما كان فليس خاليًا في هذا الزمان عن منكر، من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف. فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد (المدن)، فكيف في القرى والبوادي".

١٥-الدعاة دلالون على اللّه:

إن المسلم الحق والداعية الصدق هو الذي يدل الخلق على الله وهي أعظم وظائف الأنبياء، والدعاة ورثتهم فيها، وهذه الدلالة إنما تكون بالتقدم لإمامة الناس وقيادهم: ((واجعلنا للمتقين إمامًا))[الفرقان:٧٤]، و((وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا))[السجدة: ٢٤].

فالمختفي عن الخلق لا يمكن أن يكون لهم إمامًا، وغير المخالط للمدعوين كيف يكون على الله دلالا، إنما الدلالة والقيادة بالمعرفة ثم البلاغ''فمن كملت معرفته بالله صار دالا عليه، يصير شبكة يصطاد بها الناس من بحر الدنيا".

يقول ابن الجوزي رحمه الله لراغبي القرب من ربهم:''ألست تبغي القرب منه؟ فاشتغل بدلالة عباده عليه، فهي حالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أما علمت أنهم آثروا تعليم الخلق على خلوات التعبد لعلمهم أن ذلك أثر عند حبيبهم، وهل كان شغل الأنبياء إلا معاناة الخلق، وحثهم على الخير ونهيهم عن الشر"؟!

وهذا نوح يقول: ((رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا * فلم يزدهم دعائي إلا فرارا * وإني كلما دعوتهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا * ثم إني دعوتهم جهارا * ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارًا))[نوح:٥ ــ٩]... فهل كان ينتظرهم ليأتوه، أم كان يخرج لمجالسهم ومجامعهم وأسواقهم، بل وبيوتهم فيدعوهم إلى الله. كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم يفعل وكل الأنبياء قبله.

١٦-العزلة دفن للنفس:

إن العزلة والانفراد والزهد في معاناة العباد، إنما هو في الحقيقة دفن للنفس وقطع للنفع، وهي مباحة إذا لم تمنع من خير كحضور جماعة واتباع جنازة وعيادة مريض. ومع هذا فإنها كما يصفها ابن الجوزي:''حالة الجبناء فأما الشجعان فهم يتعلمون ويعلمون، وهذه مقامات الأنبياء".

السلف والنزول إلى الناس:

قال الوزير ابن هبيرة في قوله تعالى: (وجاء من أقصى المدينة رجل) وقوله عز وجل: (وجاء رجل من أقصى المدينة) قال:''تأملت ذكر أقصى المدينة فإذا الرجلان جاءا من بعد للأمر بالمعروف و لم يقعدا لبعد الطريق".

فلا يكون المؤمن عامر القلب إلا متحركًا محركا، وقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم رسله ليسيحوا في البوادي يبلغون الناس دعوة الحق ويعلموهم سنة سيد الخلق، كمعاذ وأبي موسى وغيرهم.

وقد تعلم السلف هذا وفقهوه وعلّموه الناس وحثوهم عليه.. فهذا التابعي الجليل عامر الشعبي يخبر أن"رجالاً خرجوا من الكوفة، ونزلوا قريبًا يتعبدون، فبلغ ذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فأتاهم ففرحوا بمجيئه إليهم، فقال لهم:"ما حملكم على ما صنعتم؟ قالوا: أحببنا أن نخرج من غمار الناس نتعبد. فقال عبد الله: لو أن الناس فعلوا مثل ما فعلتم فمن كان يقاتل العدو؟ وما أنا ببارح حتى ترجعوا".

ومازال أهل الفضل يعملون بهذا ويتعرضون لهداية العباد، ويبذلون الجهد في نقل الدين إليهم، ونشر العلم بينهم، نصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين. فهذا مالك بن دينار يقول:"لو وجدت أعوانًا، لفرقتهم ينادون في سائر الدنيا كلها: يا أيها الناس النارَ.. النارَ".

وعن شجاع بن الوليد قال:"كنت أخرج مع سفيان الثوري، فما يكاد لسانه يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهبًا وراجعًا".

وكان الإمام الزهري يترل إلى الأعراب فيعلمهم.

وفي هذا المعنى يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

إني رأيت وقوف الماء يفسده.......إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب

والأُسد لولا فراق الأرض ما افترست.....والسهم لولا فراق القوس لم يصب

والشمس لو وقفت في الفلك دائمة....... لملها الناس من عجم ومن عرب

وقال آخر:

كن مشعلا في جنح ليل حالك.......يهدئ الأنام إلى الهدى ويبين

وانشط لدينك لا تكن متكاسلاً....... واعمل على تحريك ما هو ساكن

وابدأ بأهلك إن دعوت فإنهم....... أولى الورى بالنصح منك وأقمن

والله يأمر بالعشيرة أولاً....... والأمر من بعد العشيرة هين

فهذا شأن الدعوة التي تريد أن تصل إلى أهدافها، لابد من تحرك ومبادأة وغدو ورواح وتكلم.. وليس القعود والتمني من طرق الوصول، فاقفه سير سلفك وقلدهم تصل وإلا فراوح مكانك فلن تبرحه.

١٧-التربية.. طريق التمكين:

ذكر عبد بن حميد في مسنده، والطبري في تفسيره، وأهل التفسير عند سورة الإسراء: أن أشراف قريش وعظماءها اجتمعوا عند الكعبة يوماً بعد غروب الشمس فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بداء، وكان عليهم حريصًا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا: يامحمد، إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة، فما بقي من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت قد جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رأيا تراه قد غلب عليك (وكانوا يسمون التابع من الجن رأيًّا) بذلنا لك أموالنا في طلب رآه حتى نبرئك منه أو نعذر فيك.

فقال صلى الله عليه وسلم: ما بي ما تقولون، ما جئتكم أطلب أموالكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليَّ كتابًا، وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا، فبلغتكم

رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر حتى يحكم الله بيني وبينكم.

وقد تكرر هذا العرض أو شبهه عندما ذهب إليه عتبة ابن ربيعة مبعوثًا من قريش، ورد عليه بأول سورة فصلت.

لقد كانت فرصة العمر التي فاتت من أجل الإسراع بإقامة دولة الإسلام وتمكين دين الله في الأرض، لقد كان يمكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل الملك والرئاسة ومن موقع القيادة يقيم الأمة ويبلغ الدين ويفعل ما يريد.. أليس كذلك؟!

فلماذا لم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم هذا العرض الفائق وهذا الكرم الزائد؟ ولماذا فوت هذه الفرصة السانحة؟ لماذا ترك عرض صناديد قريش وأشرافها، وذهب يبحث عن بلال وعمار وزيد بن حارثة، ويفتش في الخبايا والزوايا عن مؤمن يؤمن به ويتبعه ويقبل دين الله الذي أرسل به؟

لأن الذي لا ينطق عن الهوى ولا يتصرف إلا بوحي كان يعلم أن هذا الدين لا يقيمه إلا أناسٌ تربوا في محضنه، وتشربوا بعقيدته، وتأدبوا بأخلاقياته، قوم خلت قلوبهم عن كل شيء إلا محبة هذا الدين، محبة خالقهم وعبوديته، محبة نبيهم ورسولهم وتعزيره وتوقيره، وإرخاص نفوسهم قبل أموالهم من أجل هذا الدين. أناسٌ حياتهم بالدين ومماتهم للدين، يصدق فيهم قول الله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام:١٦٢]. وبغير هذه الأمة المرباة على التوحيد الخالص والولاء الكامل لهذا الدين فلا قيام لهذه الأمة التي تسمى بأمة الإسلام.

لزوم التربية الإيمانية:

ومن هنا يعلم كل فرد في هذه الأمة أهمية التربية، والتي يأتي على رأسها التربية العقدية والتربية الإيمانية، إذ هي الركيزة الأساسية في حظيرة الإيمان، وقنطرة الإسلام، وبدونها لا

ينهض العبد بمسؤولية ولا يتصف بأمانة، ولا يعرف لرعاية، ولا يعمل لمثل أعلى أو هدف أو غاية. بل بدونها يعيش عيش البهائم لا هم له إلا أن يسد جوعته ويشبع غريزته، وهل هذه إلا معيشة الأنعام: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ)[محمد:١٢].

وهذه حال كل من أشرك مع الله سواه أو عبد معه غيره أيًّا كان هذا الغير فهو أضل من الأنعام، فهماً وأقلُّ منهم عقلاً، قال الله تعالى عن أهل النار: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) [الملك:١٠].

وهذه التربية العقدية هي أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى، والتي خلاصتها توحيد الرب سبحانه بأفعاله من خلق ورزق وملك وتدبير، وهو ما يسمى بتوحيد الربوبية، ثم توحيده سبحانه بأفعال الخلق من صلاة وصيام وذبح ودعاء ورجاء واستغاثة، وتوكل وخوف واستعانة، وغيرها مما يدخل تحت مفهوم العبادة، إذ لا معبود بحق إلا الله، وهذا ما يسمى بتوحيد الإلهية.

ثم توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته، وأنه موصوف بكل صفات الكمال، ومنعوت بكل نعوت الجلال، لا يشبه أحدًا من خلقه ولا يشبهه أحد من خلقه، إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهو ما يسمى بتوحيد الأسماء والصفات.

ثم قبول كل ما جاء به رسله وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، واتباعه دون غيره، وهذا معنى الشهادة التي هي عنوان الإسلام وأصل التوحيد: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

لا معبود بحق إلا الله، ولا متبوع بحق إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

التربية النبوية للمؤمنين:

روى الإمام الدارمي في سننه عن مجاهد قال: حدثني مولاي أن أهله بعثوا معه بقدح فيه زبد ولبن إلى آلهتهم، قال: فمنعني أن آكل الزبد لمخافتها، قال: فجاء كلب فأكل الزبد وشرب اللبن ثم بال على الصنم وهو أساف ونائلة.

وقال هارون بن معاوية: كان الرجل في الجاهلية إذا سافر يحمل معه أربعة أحجار، ثلاثة لقدره، والرابع يعبده، ويربي كلبه ويقتل ولده.

وعن أبي الرجاء قال: كنا في الجاهلية إذا أصبنا حجرًا حسنا عبدناه، وإن لم نصب حجرًا جمعنا كثبة من رمل ثم جئنا بالناقة الصفي (كثيرة اللبن) فنفاج عليها (نفرج بين رجليها) فنحلبها على الكثبة حتى نرويها ثم نعبد تلك الكثبة ما أقمنا بذلك المكان.(رواه الدارمي)

هذه النوعية من البشر رباها محمد صلى الله عليه وسلم بالإيمان حتى صارت لا تعبد إلا الله ولا تغضب إلا لله، ولا تفعل إلا له وبه، وإلا لدينه ولرسوله.

لقد ظل رسول الله سنوات يدعوهم ويربيهم ما يدع فرصة إلا ويرسخ في أذهانهم أن الأمر كله لله والكون كله لله، من خلال الأقوال والأفعال والمواقف.

فقد روى البخاري ومسلم عن زيد بن خالد الجهني قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية، على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم. قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب.

وفي كتاب السنة لابن أبي عاصم ومشكاة المصابيح:"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى حنين، مر بشجرة للمشركين، يقال لها: ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم، ويعكفون حولها؛ قالوا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي

صلى الله عليه وسلم: سبحان الله وفي رواية: الله أكبر! هذا كما قال قوم موسى: (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة)، والذي نفسي بيده؛ لتركبن سنة من كان قبلكم سنة سنة".

هذه التربية هي التي أخرجت المحبين لله ولرسوله كما ذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى:"لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء"قال:"ودخل أبو بكر الصديق بيت المدراس على يهود فوجد منهم ناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص، وكان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر من أحبارهم يقال له أشيع فقال أبو بكر لفنحاص: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدا لرسول الله قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص لأبي بكر والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وأنه إلينا لفقير وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء وما هو عنا بغني؛ ولو كان عنا غنيا ما استقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا. قال فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا، وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت رأسك، أي عدو الله. قال فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ما حملك على ما صنعت؟ فقال أبو بكر يارسول الله إن عدو الله قال قولا عظيما، إنه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال وضربت وجهه. فجحد ذلك فنحاص وقال ما قلت ذلك. فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردًّا عليه وتصديقا لأبي بكر (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق).

فانظر كيف أن أبا بكر لم يستطع أن يتحمل سماع تنقص الرب تعالى حتى تفاعل لها وغضب لربه تعالى وانظر كم يسب الله علانية في زماننا ولا يتحرك لنا ساكن.

نحن في أشد الحاجة والله لأن نتربى على العقيدة، ونربي عليها أبناءنا؛ لأنهم العدة والمستقبل وعلى حسب تنشئتهم ستكون حال الأمة.

١٨-الدعوة إلى رعاية المسنين[١]:

الإنسان الضعيف سواء في جسمه أو عقله يحتاج إلى عون الآخرين من الأصحاء حتى يقفوا معه ويشدوا من أزره، والإسلام جاء بمبادئه العظيمة في هذا الجانب، ففي الحديث الصحيح: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) رواه مسلم.

والنبي الكريم صلى الله عليه وسلم حث على رحمة الصغير، وتوقير الكبير؛ حيث قال: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقَّر كبيرنا، ويأمر بالمعروف، وينْهَ عن المنكر) (رواه الترمذي وأحمد).

بل خص الكبير بمزيد الرعاية فقال: (إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم) (رواه أبو داود).

ولما أهمل الناس اليوم الكثير من القيم والمبادئ العظيمة الجليلة، ووجد التقاطع وانتشر العقوق، ووجدت دور ومؤسسات لرعاية المسنين، لزم التذكير ببعض الجوانب المهمة، فعقدت المؤتمرات، وأقيمت الندوات، وتحرك الدعاة والمصلحون، والكل ينادي رفقا بالآباء والأمهات والمسنين والمسنات:

ونحن من خلال هذا المقال نتناول بعض الجوانب المتعلقة بهذا الشأن:

أولاً- أهمية الموضوع:

إضافة إلى ما سبق تأتي أهمية تناول هذا الموضوع كونه عبادة من العبادات التي يُتقرب بها إلى الله، فدين الإسلام يحث على احترام الكبير ورعايته والاهتمام به، وخاصة إذا كان من

---

[١] http://www.islamweb.net

ذوي القربى، وهو في حال الكبر التي هي مظنة الإهمال والضجر والغضب، ولذلك جاء التنبيه من عند الخالق سبحانه ملفتا للأنظار، وموجها للأبناء: (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما: أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربِ ارحمهما كما ربياني صغيراً). (الإسراء: ٢٣ - ٢٤).

ومما يزيد الأمر أهمية وجود التفريط لدى بعض المجتمعات نحو رعاية المسنين.

ثانيا - مجالات الاهتمام والرعاية:

١ - الرعاية الدينية: وهي في المقدمة باعتبارها أهم مجالات الرعاية، وذلك أن المسن أقرب من غيره إلى الرحيل من الحياة الدنيا، والانتقال إلى الآخرة التي لا نجاة فيها بغير الدين، والإسلام هو الدين الخاتم الذي ينفع صاحبه، وينجيه من النار إلى الجنة، حيث يعود المسن سليما معافى من كل الأمراض والأسقام.

ومن الرعاية الدينية للمسن أن الإسلام خفف عنه في العبادات، قال تعالى: يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر(١٨٥) ((البقرة: ١٨٥)).

فشرع التيمم بدل الوضوء، والجلوس في الصلاة بدل القيام، وشرع الإطعام بدل الصيام ونحو ذلك.

٢ - الرعاية الصحية:

وهي مطلوبة وخاصة في مثل هذه الفترة؛ حيث يصبح المسن عرضة للأمراض وكثرة الأسقام، مما يتطلب مزيد اهتمام ورعاية، سواء كانت رعاية بدنية أو نفسية.

٣ - الرعاية التعليمية والثقافية:

وذلك من أجل تنمية قدراقم المتبقية، والاستفادة من خبراقم العلمية، وبث الشعور الإيجابي لديهم بأن المجتمع لا يستغني عنهم وعن ثقافتهم.

وقد يكون بعض المسنين فاتهم ركب التعليم فيحتاجون إلى التوجيه والرعاية مع مراعاة ما هم عليه في مثل هذه الفترة.

٤ - الرعاية الترفيهية:

وذلك من أجل إدخال السرور إلى نفوسهم، وإبعاد الهموم والأفكار السلبية التي قد تصيب البعض منهم.

٥ - الرعاية الإعلامية:

فلا بد من تخصيص برامج متنوعة تتعلق بالمسنين، تتناول قضاياهم، وتعالج مشكلاتهم، وتحسس المجتمع بهم، وتهدف إلى رفع معنوياتهم، وخاصة أن الإعلام في تطور مستمر.

٦ - الرعاية الاجتماعية:

وخاصة لمن فقد الابن والقريب الذي قد يرعاه ويعتني به، إضافة إلى استغلال قدرات بعض المسنين والاستفادة منهم، ومن تجاربهم.

والإسلام جاء بالتراحم والتعاون بين أفراد المجتمع الإسلامي، قال تعالى: محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ((الفتح: ٢٩)).

٧ - الرعاية التشريعية:

وذلك بتفعيل التشريعات والقوانين التي تعتني بهذه الفئة، والتجديد في الأنظمة المتبعة من أجل تحسين الأداء، وإتقان التعامل، وإيصال الحقوق إلى أصحابها.

ثالثاً - دور الأبناء:

دين الإسلام قرن بين توحيد الله سبحانه وتعالى وبين بر الوالدين في أكثر من موضع، مما يدل على مكانة ذلك، واعتبر العقوق جريمة وعاقبته مخزية أليمة، فشددت التعاليم

الإسلامية في هذا الجانب حتى لا يقع التفريط من الأبناء نحو الآباء، فالأصل عندنا معشر المسلمين أن يتنافس الأبناء في خدمة الآباء ورعايتهم، والتقرب إلى الله بذلك من أعظم القربات.

١٩-الإمام والدعوة:

من المؤسسات القائمة على الدعوة إلى الله إن لم تكن من أهمها المساجد، تلك التي يرتادها المصلون عدة مرات في اليوم، والإمام هو صاحب الدور الفعال في هذه المؤسسة الدعوية الفعالة. فهل يستشعر الإمام ذلك؟ أم أنه كما يظن البعض غير مطالب بشيء سوى إمامة المصلين لا يتعداها؟ وكيف يقوم الإمام بالدعوة، وما هي المجالات التي يمكن أن يمارسها في الدعوة إلى الله؟ وماهي العقبات التي قد تعترضه؟ وكيف يتغلب عليها؟

هذا ما سنعالجه في هذا المقال.

أولا - أهمية دور الإمام في الدعوة إلى الله:

لا يخفى على كل مسلم دور الإمام في الدعوة وأهميته، فهو محل ثقة عند أغلب الناس، وذلك أدعى لقبوله وسماعه، ألا تراهم يصلون وراءه، ويستفتونه، ويستشيرونه، ويسرون إليه بأمورهم وأحوالهم، ويطلبون منه مساعدتهم وقت الملمات والشدائد بالدعاء وغيره، ويضعون معه أبناءهم وفلذات أكبادهم ليعلمهم الكتاب والسنة والفقه في الدين، إلى جانب الآداب والأخلاق.

ثانياً - مجالات الدعوة لدى إمام المسجد:

وتتوزع مجالات الدعوة لدى الإمام على الآتي:

١- الدعوة إلى الله من خلال التلاوة الطيبة، والصوت الحسن، مما يعين على الخشوع والتأمل والتدبر في كلمات الله، ويترك الأثر البالغ في نفوس المصلين، ومن ثم أولى بالإمام أن ينوّع في قراءته للقرآن، ويتخيَّر ما يرتله بناء على موضوعات محدده بالاستناد إلى معاجم موضوعات القرآن الكريم.

٢- الدعوة إلى الله من خلال التزامه بالمواعيد، وعدم التفريط بمسؤوليته من الاهتمام بالمسجد، وتشويق الناس إلى ارتياده بكل الوسائل المتاحة، والعمل على جعل المسجد كما ينبغي مكان راحة نفسية، وسعادة روحية، وروائح زكية، ونظافة ملموسة، والتعاون مع غيره من القائمين على المسجد وأهل الحي.

٣- الدعوة إلى الله من خلال تقوية علاقته بالمصلين، والبشاشة في وجوههم، والأنس بهم، وإشعارهم بمحبته لهم، والاهتمام بأمورهم، والعمل على حل مشكلاتهم من خلال ربطهم بدينهم وعبادتهم، واللجوء إلى خالقهم سبحانه الذي بيده كل الأمور، إضافة إلى السؤال عن غائبهم، وعيادة مريضهم، وتشييع ميتهم، ومشاركتهم أفراحهم، مع ربط ذلك كله بالهدي النبوي الكريم.

٤- الدعوة إلى الله من خلال دروسه ومواعظه التي يتخول الناس فيها مخافة السآمة والملل، ويوازن بين الأمور من غير إفراط ولا تفريط، ويعمل على التجديد والتنويع، والإتيان بالنافع المفيد، سواء من خلال الإلقاء تارة، أوالقراءة في بعض الكتب تارة أخرى، أودعوة شيخ فاضل أو داعية بعض الأحيان، مع عدم تجاهل المصلين وأهل الحي في المشاركة إن وُجد أهلٌ لذلك.

٥- الدعوة إلى الله من خلال إقامة حلقات القرآن للصغار والكبار، من أجل كسب ما وعد به النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) رواه البخاري، وقوله: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا

نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم.

ولا يخفى ما لتلك الحلقات من أثر عظيم، يعود نفعه على الفرد والجماعة والأمة، فينشأ الجيل تحت كنف الملائكة، وحفظ الله، فلا يستطيع الشيطان إليهم سبيلا، فيأمن الناس والمجتمع الضرر والإجرام والوقوع في الحرام.

٦- الدعوة إلى الله من خلال زيارة أهل الحي بالتعاون مع إخوانه رواد المسجد، والتركيز على غير المصلين من المسلمين وغيرهم، سعياً لهدايتهم، وإيصال الخير لهم، مع مراعاة الظروف والأحوال، واختيار الأوقات المناسبة، والكلمة الطيبة، والعبارة المؤثرة، وقبل ذلك سؤال الله لهم الهداية والصلاح.

٧- الدعوة إلى الله من خلال أنشطته المتعددة في المسجد، فلا يقتصر على الإمامة والموعظة، والتعليم، والتوجيه، بل يسعى إلى إنشاء مكتبة مسموعة ومقروءة - ولو مصغرة -، يستفيد منها رواد المسجد، وغيرهم من أهل الحي، من خلال السماع والقراءة، أو الإهداء والإعارة، وعمل المسابقات في حفظ القرآن، والحديث، وغير ذلك من النافع المفيد.

ثالثا- عقبات تواجه الإمام:

أما العقبات التي قد تعترض الإمام عند قيامه بهذا الواجب الشرعي فهي في الغالب نفسها التي تواجه الدعاة، والتي نذكر منها:

١- جهل الناس وبعدهم عن تعاليم الإسلام وفهمه الصحيح، واختلاط المفاهيم لدى البعض، مما يشكل عقبة أمام الدعوة وقبولها، والتفاعل مع الدعاة.

٢- تعدي بعض المصلين على صلاحيات الإمام، مما يجعلهم يتدخلون في توجيهه حسب رغباتهم وأهوائهم.

٣- قلة المصلين في بعض المساجد، وعجلة البعض في الخروج من المسجد مما لا يشجع بعض الأئمة على القيام بالدعوة بينهم.

٤- كثرة النقد وتتبع المثالب عند البعض مما يجعل بعض الأئمة يحجم عن القيام بجهد خوفا من التجريح والتشويه.

٥- قلة المؤيد والمعين في بعض المساجد.

رابعا- وسائل التغلب على العوائق:

لا بد أن يعرف الدعاة وخاصة الأئمة أن طريق الدعوة إلى الله ليس مفروشا بالورود والرياحين، فقد يواجه الدعاة صعابا متعددة كما واجه الأنبياء والرسل، فعليهم أن يوطنوا أنفسهم على الصبر، واحتساب الأجر عند الله، فهم أصلاً لا يريدون أجرا من الناس، بل يريدون لهم الخير والهداية والصلاح، ومما يوصى به في هذا الموضع:

١- كثرة اللجوء إلى الله، وطلب العون منه.

٢- الإكثار من العبادة بأنواعها من صلاة وذكر وإخلاص وغيره.

٣- الارتباط بالعلماء العاملين، والدعاة الربانيين، والتنافس معهم على الخير والبر.

٤- القراءة في سير السلف الصالحين من الأنبياء والصحابة والتابعين.

٥- عدم التوقف أو الضعف في الدعوة إلى الله.

٦- تنمية مفهوم الاحتساب وترسيخه في النفوس.

وأخيرا نقول إن دور الإمام في الدعوة إلى الله كثير سوى ما ذكرنا، ويعرفه كل صاحب همة ونشاط، وبذل وعطاء، وهم لا شك يتفاوتون في ذلك، حسب قدراتهم وإمكاناتهم العلمية

والعملية، وحسب موقع مساجدهم، ونوعية المصلين عندهم، والمؤمن قوي بإخوانه، سائلين الله العون للجميع، والحمد لله رب العالمين.

٢٠-خطر الوقوع في العلماء:

من علامات تقوى القلب تعظيم شعائر الرب، قال تعالى:"ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب"... ومن أجلِّ من أمر الله بتوقيرهم وإكرامهم وتعظيمهم أهل العلم؛ فهم كما قال الإمام أحمد رحمه الله:"خلفاء الرسول في أمته، وورثة النبي في حكمته، والمحيون لما مات من سنته، فبهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا.. قيضهم الله لحفظ الدين، ولولا ذلك لبطلت الشريعة، وتعطلت أحكامها، وهم في كل زمان الأصل في أهل الحل والعقد، وهم المعنيون مع الأمراء في قوله تعالى: (وَأُولِي الأمر)[النساء:] ولذلك كان الوقوع فيهم من أكبر الذنوب وفاعله لا يفلح أبدًا".

ولما كان للعلماء هذا المقام الرفيع وتلك المنزلة السامية في الدين كانت الوقيعة فيهم ليست كالوقيعة في غيرهم والطعن فيهم أكبر إثما وأعظم ضررا وخطرا عند الله من الطعن في غيرهم من الناس؛ ومن ثم أعلن الله الحرب على منتقصيهم وأهل الوقيعة فيهم كما في الحديث القدسي:"من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب". والوقيعة في أهل العلم والدين مسلك أعداء الرسل والدين وقد سلك المنافقون قديما هذا السبيل وما زال أعداء الله يسلكونه لما له من أثر على الدعوة وأهلها وتنفير الناس عن فرسانها.. وهذا السبيل فيه من المضار ما لا يحوطه حد ولا يأتي عليه عد.. فمن ذلك:

هدم القمم هدم للإسلام:

فمن هدم عالما أو انتقصه فقد أعان على هدم الدين، فلا عجب في أن تجري ألسنة الحاقدين والحانقين بالطعن والسب والسلب في أهل الدين والوجاهة

* فمن ذلك: ما جرى من المنافقين في حادثة الإفك في حق الطاهرة البتول، المبرأة من فوق سبع سموات. وإنما كان الإفك في حقيقته طعنة موجهة لصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، ثم للرجل الثاني رضي الله عنه، ثم لهذه الصديقة رضي الله عنها، التي حمل عنها ربع الشريعة.

* ومن ذلك: محاولة أعداء السنة من المستشرقين وأذنابهم الطعن في أبي هريرة رضي الله عنه راوية الإسلام الأول، ولماذا أبو هريرة؛ لأنه قمة، فإذا انهدم انهدم معه قسم كبير من السنة.

* ومنه طعن الدجاجلة في صحيح البخاري الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله، وطعن الرافضة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لرد ما جاء عنهم إذ إن الطعن في الراوي لا شك طعن في مروياته فيضيع الدين.

تجريح العالم فض للناس عنه:

وإذا انفض الناس عن العلماء فكيف يعيشون وكيف يتعاملون، ومن يدلهم على الحلال والحرام، والخير والشر، وقد قال الأولون: لولا العلماء لكان الناس كالبهائم.

فما أسهل وقوع الناس في الأخطاء والعلل، وما أيسر تعرضهم للأخطار والزلل.

وإذا كان موت العالم ثلمة في الإسلام، فإن جرحه كقتله، ولنحن في أشد الحاجة في هذا الزمان للعلماء الراسخين، فما أكثر الفتن وما أعظم البلايا التي نتعرض لها، ولا يقوم لها إلا أهل العلم.

تصدر غير المتأهلين:

فإن خلو الساحة حقيقة أو حكما من المتأهلين للصدارة المستحقين لها يورث ظهور طائفة من أنصاف المتعلمين أو المتعالمين غير المتأهلين ليحتلوا مكانا ليسوا أهلا له.. وهذا يكفي في بيان خطره حديث النبي صلى الله عليه وسلم"إِنَّ اللَّهَ لا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا

وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ".[رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو].

فلا تسل بعد ذلك عن الحرمات التي تستباح، والأعراض التي تنتهك، والدم المعصوم الذي يهراق، والمال الذي يهدر.. مع الحيرة الشديدة في كل ملمة أو مهمة تتعرض لها الأمة.

جرح العالم رد لعلمه:

سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن هؤلاء الذين يقعون في أهل العلم ويتطاولون عليهم فقال: الذي أرى أن هذا عمل محرّم، فإذا كان لا يجوز لإنسان أن يغتاب أخاه المؤمن وإن لم يكن عالماً فكيف يسوغ له أن يغتاب إخوانه العلماء من المؤمنين؟! والواجب على الإنسان المؤمن أن يكف لسانه عن الغيبة في إخوانه المؤمنين. قال الله تعالى:"ياأيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم". وليعلم هذا الذي ابتلي بهذه البلوى أنه إذا جرّح العالم فسيكون سبباً في رد ما يقوله هذا العالم من الحق، فيكون وبال رد الحق وإثمه على هذا الذي جرّح العالم، لأن جرح العالم في الواقع ليس جرحاً شخصياً بل هو جرح لإرث محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإن العلماء ورثة الأنبياء، فإذا جرح العلماء وقدح فيهم لم يثق الناس بالعلم الذي عندهم وهو موروث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحينئذ لا يثقون بشيء من الشريعة التي يأتي بها هذا العالم الذي جُرح."اهـ.

إن جرح العالم ليس جرحًا شخصيًّا كجرح العامي، ولكنه طعن يصل إلى ما يحمله من العلم، ولذلك كان الطعن في العلماء بابًا من أبواب الزندقة. وقال الإمام أحمد رحمه الله:"إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام، فإنه كان شديدًا على المبتدعة". وقال يحي بن معين:"إذا رأيت الرجل يتكلم في حماد بن سلمة وعكرمة مولى ابن عباس فاتهمه على الإسلام". وقال سفيان بن وكيع:"أحمد عندنا محنة، به يعرف المسلم من الزنديق".

قال بكر أبو زيد: بادرة ملعونة وهي تكفير الأئمة... أو الحط من أقدارهم، أو أهم مبتدعة ضلال، كل هذا من عمل الشيطان، وباب ضلالة وإضلال وفساد وإفساد، وإذا جرح شهود الشرع جرح المشهود به، ولكن الأغرار لا يفقهون.

انزواء العلماء والدعاة:

ومن أضرار الطعن في العلماء والدعاة إنزواؤهم طلبا للسلامة وصيانة لأعراضهم، وحفظًا لحياة قلوبهم. فإذا انزوى هؤلاء خلت الساحة عن الأخيار الذين يجلون الناس ويعلمونهم ويدعونهم إلى الله تعالى.

تمرير مخططات الأعداء:

لأن العلماء هم أول من يهتك ستر الأعداء ويكشف عوارهم، فإذا فقد الناس الثقة في علمائهم فمن يبصرهم بما يحاك لهم ويراد بهم؟ ومن هنا كان فقد العلماء وسيلة لتحقيق الأعداء إلى مرادهم. ونظرة إلى الواقع تنبيك.

إن العلماء هم عقول الأمة ونورها، وكل أمة لا تحترم عقولها لا تستحق الحياة. قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى:"وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخبر والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل".

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

٢١-الدعاة.. وتفجير الطاقات الكامنة:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فيكثر الحديث عن القوة الكامنة في النفس، وعن الشرارة التي تفجر هذه الطاقات، ويُثنى على بعض الأشخاص بأن لديهم القدرة على تفجير الطاقات لدى الجماهير والشعوب. وقد لوحظ في حياة الأفراد والدول والجماعات طفرات في السلوك والتصرف نتيجة ظروف وحوادث تستلفت الأنظار، فمثلا مع مجيئ رمضان تتغير صورة البلاد والعباد؛ فأكثر الناس يحرصون على تلاوة القرآن وسماعه، ويصومون النهار، ويقومون الليل، وتلمس الحرص على النفقة والسؤال عن الحلال والحرام، وتجنب الكثير من المعاصى والذنوب، فهذا يغض بصره عن النساء والأجنبيات، والمتبرجة تعود للحجاب الشرعى خشية أن يخدش الصيام، وتارك الصلاة يواظب على الصلاة، حالة شفافية لا تخطؤها العين في رمضان.. وهؤلاء الأشخاص لو قيل لهم في غير رمضان: صوموا النهار وقوموا الليل وتعاهدوا المصحف لقالوا: لا نستطيع ولا نقدر، وكأن هذا الشهر المبارك هو الذي أطلق هذه الطاقات الكامنة، فالقدرة والقوة موجودة في النفس ولكنها كانت بحاجة لشرارة تفجرها.

وقد وردت الأخبار المتواترة تفيد ظهور المهدي في آخر الزمان وهو من علامات الساعة العشر الكبرى وأنه يصلحه الله في ليلة، يملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما وجورا، نقلة كبيرة تحدث لمحمد بن عبد الله - مهدى هذه الأمة- بين عشية وضحاها.. فالشخص هو هو ينصلح حاله في ليلة فيملأ الأرض عدلا، وربنا قدير يحى العظام وهى رميم ويكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل.

لقد دبت المعاني الإيمانية في نفوس سحرة فرعون فتحولوا من طلاب للدنيا يلهثون وراء الحطام الفاني إلى طلاب للآخرة يتهددهم فرعون: لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل، فيقولون له:"اقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا"،

فخروا لله ساجدين وقالوا:"آمنا برب العالمين". تغير عظيم وإيمان عمره لحظات صنع الأعاجيب.

ويوم بدر خرج الصحابة الأفاضل طلبا للعير فكان النفير، قال تعالى:(ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا) كان عدد المشركين يزيد على ثلاثة أضعاف عدد المسلمين، وقد خرج المشركون في خيلهم وخيلائهم يحاربون الله ورسوله ويواجهون المسلمين العزَّل ـــ تقريباـــ إلا من سلاح الإيمان - وهم يومئذ في قلة عدد وعتاد، وعلى الرغم من ذلك انتصروا على عدو الله وعدوهم، قال تعالى: (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون)، وقال: (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (لأنفال:٢٦).. وكانت المشاهد الإيمانية التي انطلقت شرارتها في هذه المعركة الفاصلة على الرغم من مفاجأة الحدث واستعداد المشركين للقتال واستئصال شأفة المسلمين.

ويحكى أن الخنساء لما مات أخوها صخر رثته وأنشدته معلقات الشعر الباكية وكانت يومئذ شابة، ثم لما أسلمت قتل أولادها الأربعة يوم القادسية وعلمت بمصرعهم فلم تزد على قولها: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو أن يجمعني بهم في دار كرامته.

إنه الإيمان الذي يصنع الأعاجيب ويحول الحياة إلى خيرات وبركات وثبات في مواجهة المحن، واستعلاء كريم لا تقوى زخارف الدنيا وزينتها على زحزحته، ولا يخفى عليك مدى محبة الأم لأولادها، الأمر الذي لا ينهض أمامه محبة الأخ، ثم هي كان قد كبر سنها ورق عظمها حين فجعت في أولادها الأربعة.. قوة وطاقة كامنة في النفوس لا يمكن حسابها بالمعاني المادية ولا يصلح تفسيرها بقوة العضلات والأيادي.

لقد استولى القرامطة على الحجر الأسود وانتزعوه من مكانه أكثر من اثنتين وعشرين سنة، ثم أعيد مكانه مرة ثانية، واستولى التتار على بغداد عاصمة الخلافة ولم يستطع الناس الخروج للمساجد أربعين يوما، وكانت الجبال من الجماجم والضحايا وأشلاء المسلمين لا يتصور

معها كيف ينتهي هذا البلاء والكرب، وعلى يد من يتم الخلاص من هذه الفتنة، وقيض الله لهذه الامة أمثال قطز وبيبرس وتم النصر في عين جالوت وخرج شيخ الإسلام ابن تيمية بنفسه لقتال التتار وكان يستحث الأمراء والخلق على الجهاد في سبيل الله.

ولما داهم الصليبيون البلاد والعباد واستولوا على بيت المقدس، ظهرت معالم النخوة والغيرة الإيمانية على صلاح الدين، وكان قد تولى زمام مصر، فقال لوزيره ابن شداد: أما أسرُّ لك حديثا؟ إني أتمنى إن فتح الله علي بيت المقدس أن أركب البحر أقاتل كل من كفر بالله حتى يظهر دين الله أو أهلك دونه". وقد نصره الله على الصلبيين في موقعة حطين واسترد بيت المقدس بعد أن احتله الصليبيون أكثر من تسعين سنة.

والناظر في الصحوة الإسلامية في الآونة الأخيرة، وهذه الصحوة التي نشاهدها في امتلاء المساجد بالمصلين وكثرة الحجاج والمعتمرين والحرص على ارتداء الحجاب الشرعي، وتعليم العلم الشرعي، والعودة لمثل ما كان النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، يحدث ذلك على مستوى الكبار والصغار والرجال والنساء، ولا يكاد يخلو بيت الآن من ملتزمين متدينين، هذه الصحوة التي أربكت الأعداء وأرهبت الكفار وكأنها لم تكن في الحسبان، فقد رأوا المارد يستيقظ، بعد أن ظنوا أن أمره قد انتهى إلى غير رجعة، فتيقنوا أنها أمةٌ ولادةٌ، لا يدرى أولها خير أم آخرها؟ شأنها كشأن المطر سرعان ما تتفجر فيها الطاقات والقوى الكامنة، ولذلك فكثرة المصائب والأحزان، وفجيعتنا في المسلمين هنا وهناك، وتسلط الأعداء على رقابنا لا يدعو ليأس ولا لقنوط: (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) فنحن نستبشر الخير، والفجر قادم بإذن الله، حتى وإن طال الظلام، وإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرًا. فألم المخاض تعقبه فرحة الولادة، ومقدمات الخير موجودة بكثرة في هذه الأمة، والمستقبل لدين الله بغلبته وظهوره على الأديان كلها، بذلك نطقت نصوص الشريعة، قال تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)، وقد حدث ذلك وسيكون منه ما شاء الله أن يكون، فمن تعجب كيف يفتح بيت المقدس وتنصر الأمة على يهود وعلى الروم، من تعجب لورود النصوص بفتح

القسطنطينية ورومية، قلنا له: الأمور على ما عند ربك، وأخبار الصادق المصدوق لابد أن تتحقق، ولا تغتر بواقع الأمة المؤلم أو بقوة أعدائها، فهذا الواقع سيزول ويتغير بإذن الله، فالأمة لديها طاقات كامنة هائلة، وفضل الله أعظم، فقد قضى سبحانه ألا تهلك الأمة بسنة عامة؛ لأنها أمة دعوة أنيط بها إبلاغ الحق إلى الخلق. والصدمات التي تتعرض لها قد تكون سبب يقظتها وعودتها لدين ربها: (ويؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء). وما يحدث للمهدي في آخر الزمان، وما يحدث للأمة في رمضان من تحول إيماني يقرب لك ما نقول.

واجب الدعاة

والواجب علينا أن نغتنم مواسم الخيرات وكذلك أيام المحن في تفجير الطاقات الكامنة في النفس والأمة عن طريق الاستعانة بالله تعالى في تعلم العلم النافع ومتابعته بالعمل الصالح،والقيام بواجب الدعوة إلى الله والصبر على ذلك كله.

نحن لا نخلق الفرص وأيضا لا نضيعها، فإذا رأينا النفوس تهفو لطاعة ربها والأمة تخطو الخطوات الأولى في طريق العودة لدين الله في وقت تتنزل بها الشدائد والمحن، فلا أقل من أن نتواكب معها حتى تكون الصحوة مستبصرة بمواضع الأقدام ومعالم الطريق، تعرف التوحيد وما ينافيه من الشرك، والفرائض ما تصح به وما تبطل، والحلال والحرام والأمور التي تستصلح بها القلوب، كما تتعرف على الشبهات وطريقة دفعها عن النفس. وقد حكى لنا القرآن دعوة نبي الله يوسف - عليه السلام - لصاحبي السجن لما سألاه عن الرؤى لم يبادر بتعبيرها وقدم لهما بقوله: (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (يوسف:٣٩، في

مواجهة طوفان التدمير:

لابد من ترسيخٍ لمعاني الإيمان واليقين في النفوس، والتركيز على مسائل العقيدة ودعوة التوحيد، فهي دعوة الأنبياء والمرسلين ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين، وهي الدعوة الكفيلة بتفجير طاقات الخير والبركة في هذه الأمة واستعادة المجد والعز المفقود، وردّ البلاد والعباد إلى خالق الأرض والسماء رداً جميلا، لابد من مواجهة طوفان الهدم والتدمير، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

٤.٧مليون زائر يدخلون أحد المواقع الإباحية كل اسبوع، ٨٣.٥٠ % من الصور المتداولة في المجموعات الإخبارية صور إباحية، ٦٣ % من المراهقين الذين يرتادون صفحات ومواقع الدعارة لا يدري آباؤهم

وهذه عينة من صور الهدم، ومن المعلوم أن الهدم سهل يسير والبناء صعب عسير، وما يحدث من إقبال الناس على دين ربهم لا يخضع لحسابات البشر، ومكر الأعداء إلى بوا؛ فتدبيرهم تدميرهم وكيدهم يرتد إلى نحورهم، والخير ينبت ويترعرع وسط عواصف الأهواء والإغراء، والأمة تولد من رحم المحنة، ومسيرة آلاف الأميال تبدأ بخطوة واحدة، لابد من الوصول إلى جميع فئات المجتمع بالدعوة سواء كانوا رجالا أو نساءً، كبارًا أو صغارًا، والتركيز على كل القطاعات: الأطباء والمهندسين والمدرسين والموظفين والعمال والطلبة؛ فالأمة مستهدفة.

ولنتنبه فإن البعض أصبح صورة منفرة للإسلام؛ يصد عن سبيل الله بفعله في الوقت الذي يدعوهم فيه بقوله، فلا بد من جهاد كبير: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه، ولا يزال العبد يتأخر حتى يؤخره الله، ولا يجعل الله عبدًا سارع اليه كعبد أبطأ عنه.

إن الطاقات والقوى الكامنة هائلة فلا بد من علو الهمة، فدعوتك دعوة عالمية، وأنت تتشرف بالانتساب لخير أمة أخرجت للناس، ونبيك صلى الله عليه وسلم هو سيد الأولين والآخرين، دعوتك هي دعوة الحق، والمرجع والمآب إلى الله. والسلوك مرآة الفكر.. فكيف لا تنفجر

الطاقات الكامنة وتكون الاندفاعه الإيمانية التي تبني ولا تهدم، وتصلح ولا تفسد، ولسان حالها ينطق: (وعجلت إليك رب لترضى)؟!.

٢٢-الدعاة بين القول والعمل:

أراد الإسلام من الإنسان المسلم في حياته العامة والخاصة أن يعيش إيمانه ويجسده في كل عمل، كمسلم يعتقد أن الإسلام عقيدة وعمل، كلاهما يرتبط بصاحبه، ولذلك رأينا القرآن الكريم يقرن الإيمان بالعمل الصالح في كل آية يذكر فيها الإيمان كقيمة أخروية كبيرة، للإيحاء باقترانهما في مجال العقيدة والحياة، وقد تردد كثيراً في الآثار أن الإيمان بلا عمل كالشجر بلا ثمر، مما يوحي بأن الإيمان في ديننا يعبر عن مضمون عملي، كما يعبر عن مضمون قلبي كما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:''لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن"متفق عليه.

سيرة الداعية وتجاوب الناس مع فكرته:

هذا بالنسبة للمؤمن بشكل عام.. أما إذا انطلق المسلم في مجال الدعوة إلى الله فإن القضية تأخذ بعداً جديداً، ووضعاً خاصاً، لأن الجانب العملي لا يتمثل ــ فقط ــ في الحياة الخاصة التي تحدد للإنسان مصيره في الدنيا والآخرة، بل ينعكس على حركة الدعوة ومسيرتها الظافرة، لما للسيرة العملية للداعية من تأثير على تجاوب الناس مع الفكرة، وانفعالهم بها وإيمانهم بجديتها وواقعيتها، بينما تعطي السيرة المضادة، تأثيراً عكسياً يوحي بالابتعاد عنها نظراً إلى فقدان الانسجام في حياة الداعية بين النظرية والتطبيق فيولد في نفوس الآخرين انطباعاً بأن هذه النظرية لم تطرح للتطبيق، بل لتبقى فكرة حالمة خيالية، كبقية الأفكار الحالمة الخيالية التي عاشت في إطار المثال و لم تقترب من إطار الواقع، لأنها لم تستطع أن تغير حياة أصحابها، فكيف يمكن أن يطلب منها تغيير حياة الآخرين..

تجسد الإسلام في سلوك النبي صلى الله عليه وسلم:

ولهذا كانت الرسالات السماوية تستمد قوتها في الدعوة من طبيعة الفكرة ومن تجسيدها واقعاً حياً في سلوك النبي وعمله، ليسمع الناس حديث الدعوة من جهة، ويتلمسوا واقعها في حركة الحياة الممتدة من جهة أخرى.

وقد قال بعض الناس: إن الله لو أرسل القرآن في كتاب مجموع مترل، و لم يرتبط بحياة النبي صلى الله عليه وسلم ي وسلوكه لما استطاع الإسلام أن يخطو خطواته الكبيرة في الحياة، ولكن الناس كانوا يستمعون إلى القرآن من النبي عليه الصلاة والسلام من جهة، ويشاهدونه كصورة حية متحركة في حياته من جهة أخرى فتجسدت لهم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وأعماله قرآنا يتحرك على الأرض كما حدثت عنه زوجته"عائشة"رضي الله عنها بقولها:"كان خلقه القرآن".

وقد كان حديث القرآن عن علاقة سلوكه القرآني بنجاحه في الدعوة، صريحاً واضحاً وذلك هو قوله تعالى:(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)(٣:١٥٩) (وإنك لعلى خلق عظيم) (٦٨:٤). (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (٩:١٢٨).

عنصر القدوة وعنصر الدعوة:

وقد ركز الإسلام على القدوة في عنصر الرسالة، كما ركز على عنصر الدعوة. فاعتبر عمله وتقريره سنة.. كما اعتبر قوله سنة. فأوجب اتباع النبي صلوات الله وسلامه عليه في سلوكه كما في قوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر كثيراً) (٣٣:٢١) كما أوجب اتباعه في دعوته كما في قوله تعالى: (يا أيها الذين أمنوا استجيبوا لله وللرسول إذ دعاكم لما يحييكم) (٨:٢٤)

وربما كان هذا التركيز ــ من الإسلام ــ على عنصر القدوة، إلى جانب تأكيده على عنصر الدعوة إيحاء للعاملين بأن من واجبهم أن يقتدوا بالنبي في ذلك. ليكون سلوكهم دعوة، كما يكون كلامهم دعوة، فيرتبط الناس بأشخاصهم من ناحية عملية، كما يرتبطون بأفكارهم من ناحية عقدية..

وقد أنذر الله المؤمنين الذين يقولون ما لا يفعلون إنذاراً صارخاً، بأسلوب حازم وذلك قوله تعالى:(يا أيها الذين أمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) (٦١:٣). وأنكر على أهل الكتاب هذه الازدواجية بين الأمر بالخير وبين العمل بالشر.. وذلك هو قوله تعالى: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) (٢:٤٤).

فعل المستحبات وترك المكروهات:

ربما كان فعل الواجبات وترك المحرمات يمثل قيمة دينية في مجال التقييم الإسلامي الذاتي للإنسان العادي، ولكنه لا يجسد القيمة الكبيرة في حياته كداعية، بل ينبغي أن يضيف إلى ذلك الأخذ بالمستحبات الشرعية، التي تمثل المنهج العملي الإسلامي المرتبط بالجانب الأخلاقي، الذي لا يلزم الإسلام به أتباعه بل يترك لهم أمر ممارسته بشكل اختياري، مع التلويح بالثواب عليه، والسلامة من العقاب في حال الترك؛ لتكون الأخلاق الإسلامية نابعة من صميم الذات لا من طبيعة الإلزام.. ثم قد يلزم الأمر أن يترك الداعية بعض المكروهات، التي هي عكس المستحبات.

وقد تدعو الحاجة إلى أن يترك بعض المباحات إذا كان فعلها غير مألوف في حياة الناس مما يوجب الإضرار بالدعوة وبصاحبها.. وهكذا نجد أن مسؤوليته كداعية تقتضيه أن يجسد المثل الرائع للإنسان المسلم في نظر الناس، فيحبه الناس من خلال سلوكه، ويتحول ذلك الحب، إلى إخلاص لدعوته عندما يجدون الانسجام الكامل بين الدعوة وبين العمل.

ممارسة الداعية لما يقول

إننا نحاول التأكيد على هذا الجانب من الممارسة في حياة الداعية لأن الدعاة حين يستسلمون للحياة استسلام المشغوفين بها، المندفعين إليها، بكل شوق ولهفة، ويعبون منها بلا حساب، ويستترفون رخصها حتى آخر قطرة، ويقتربون من محرماتها حتى تراهم يفتشون عن وجوه الإباحة في كل مجال، ويترخصون للغاية في ترك المستحبات فلا يتعبون أنفسهم بها، لأنها لا تستتبع العقاب في تركها. وأما المكروهات والمباحات فما دامت القضية لا تستتبع عقاباً في الفعل فلماذا يحرمون أنفسهم من الاستمتاع بعنصر الإباحة في الشرع فإن الله يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر.

وتستمر الحياة بهم هكذا... ويستمرون في مواعظهم ونصائحهم وإرشاداتهم، ويتحدثون عن الزهد في الدنيا وما أعد الله للزاهدين، ويقصون على الناس قصص الزهاد الذين يقتصرون على القليل القليل من الطعام، وعلى قدر الضرورة من أغراض الحياة.. ولكنهم لا يزهدون في الدنيا هذا الزهد الذي يحدثون الناس به.. وتسألهم عن تفسير لذلك فيجيبونك بأن هذا الزهد ليس بواجب فلماذا نلزم أنفسنا به، لأن الواجب علينا هو الزهد عن الحرام، وهذا ما نفعله..والرد الطبيعي هو أنه هو نفس الزهد الواجب على المدعوين فلماذا تحدثونهم عن الزهاد الأوائل إذا؟! وهكذا في بقية أبواب الدعوة.

وما أجمل ما صور ابن القيم به هذا الواقع المتضارب، وهذه الانفصالية بين الأقوال والأفعال وأثرها في المدعوين فقال رحمه الله:"علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قال قائلهم للناس هلموا، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طرق".

وهذا عين ما ذكره صاحب حلية الأولياء عن مالك بن دينار:"العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفا.

وقال الشافعي الإمام:"من وعظ أخاه بفعله كان هاديا".

قال عبد الواحد بن زيد:"ما بلغ الحسن في الناس ما بلغ إلا لكونه إذا أمر الناس بشيء كان أسبقهم إليه، وإذا نهاهم عن شيء كان أبعدهم منه".

وكان البر فعلا دون قول.... فصار البر نطقا بالكلام

٢٣-أفكار دعوية (١):

من فضل الله على العباد أن يسر لهم فعل الخيرات، وكسب الحسنات، حتى بمجرد التفكير، والنية في الإسلام لها أجرها العظيم وثوابها الجزيل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى) متفق عليه، وقال صلى الله عليه وسلم: (فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة)متفق عليه، والدعوة إلى الله من أعظم الأعمال الصالحة، ونفعها يتعدى إلى الغير، ومجالاتها وسبلها كثيرة ومتجددة، والأفكار فيها أكثر وأرحب.

ومن بين الأفكار الدعوية التي قد تكون نزلت إلى واقع ملموس، وشئ مشاهد محسوس، أو أنها ما زالت في الأذهان تدور، أو مدونة بين السطور، ما سنتناوله بإذن الله تعالى في هذا المقال:

أولا- أفكار تتعلق بالدعوة في البيت:

البيت هو أول المؤسسات التي ينشأ فيها الدعاة إلى الله منذ نعومة أظفارهم، وفيه ينبغي أن يبدأ الدعاة دعوتهم، فيمارسون الدعوة فيها، سواء كانوا آباء أو أبناء، ومن الأفكار الدعوية في هذا المجال:

١-إقامة حلقة القرآن الكريم في البيت، حيث يجتمع أفراد الأسرة على كتاب الله، مما يكون له الأثر في النفوس، وهو في الوقت نفسه زاد إلى الآخرة.

٢-تدارس بعض الكتب المفيدة، وتدريب الأبناء على القراءة.

٣-نشر الحرص والاهتمام بالصلاة بين أفراد الأسرة، والمحافظة عليها في أوقاتها دون تأخير.

٤-الاهتمام ببقية العبادات كالزكاة والصوم والحج والعمرة وغيرها.

٥-الاهتمام بالأذكار الثابتة، وخاصة أذكار النوم والاستيقاظ، والأكل والشرب، والدخول والخروج، وأذكار الصباح والمساء.

٦- التركيز على زيارة الأرحام، وصلتهم، وبيان فضل ذلك.

٧-حضور الأسرة بكل أفرادها في بعض المحاضرات والندوات الهادفة.

٨-الخروج في بعض الرحلات العائلية الهادفة.

ثانياً- أفكار تتعلق بالدعوة في المسجد:

فالمسجد له دور بارز في مجال الدعوة إلى الله، بل إن البداية الحقيقية تكون من هذا البيت العظيم، فمن أفكار الدعوة المتعلقة بالمسجد:

١-إقامة حلقات للقرآن العظيم، والتي هي مجال رحب للدعوة إلى الله، يتم فيها احتضان الشباب.

٢-عمل لوحات خاصة بالفتاوى والفوائد والإعلانات مثل المحاضرات والدروس العلمية، والمساهمة في برامج المسجد والتبرعات........

٣- قراءة يومية في أحد الكتب المختارة، يراعى فيها عدم الإطالة، ويكون بعد إحدى الصلوات مباشرة وقبل خروج المصلين.

٤- إقامة درس أسبوعي في المسجد، يقوم عليه إمام المسجد، ويتم فيه تبادل الحوار، لتقوية العلاقة بين الشيخ وجماعة المسجد.

٥-عمل برنامج استضافات أسبوعي أو نصف شهري أو شهري، وحث الجماعة على المشاركة والحضور، مع مراعاة التنوع والتجديد فيها، كاستضافة طبيب، مسؤول، طيار، مرشد من مستشفى، أوشعبة مكافحة المخدرات....... وغيرهم.

٦- توزيع مطويات شهرية خلال العام، وخاصة فيما يتصل بالمناسبات الشرعية (رمضان- عاشوراء -الحج) أو المناسبات العادية (نهاية العام - الامتحانات... وغيرها).

٧- تشجيع من عنده قدرة من المصلين على المشاركة في إلقاء الكلمات في المسجد، وذلك بالتنسيق مع إمام المسجد.

٨- عمل برنامج لزيارة جيران المسجد من المسلمين وغيرهم، وترغيب المسلمين في صلاة الجماعة.

ثالثا - أفكار تتعلق بدعوة المعلمين:

وهنا يأتي دور المؤسسة الثالثة بعد البيت والمسجد، حيث يقوم المعلم المسلم بتكملة المشوار، وأداء دوره، نحو من هم أمانة في عنقه، وهناك العديد من الأفكار الدعوية فيما يتعلق به، ومن ذلك:

١-التعاون مع إخوانه المعلمين على إيجاد روح التآلف بينهم، وإبعاد أي بادرة شحناء.

٢-التناصح الودي بين المعلمين بالأسلوب المناسب، وذلك عند وجود أي خطأ سواء في المظهر أو الملبس أو الكلام أو غير ذلك، ووجود النصح يضفي على المدرسة طابع التدين مما يجعل كثيراً من المعلمين يعمل، ويتعاون على ذلك.

٣-الاهتمام بالمدرسة بشكل عام وغرف المعلمين بشكل خاص، وإظهارها بالمظهر الجميل الرائع، وتزويدها بعدد من الوسائل الجيدة والمفيدة.

٤-الارتقاء بفكر وثقافة المعلم وتطلعاته، وذلك من خلال:

أ - تعريف المعلم ببعض أحوال إخوانه المسلمين في العالم الإسلامي في الأحاديث والجلسات بين المعلمين أو اللوحات الحائطية أو النشرات المدرسية.

ب -طرح دورات تعليمية وتدريبية للمعلمين داخل المدرسة، أو المشاركة في الدورات المقامة خارج المدرسة.

٥- طرح مسابقة خاصة بالمعلمين تناسب ومستوى المعلم.

٦- رسالة إلى المعلم وذلك بواسطة ظرف فيه بعض المطويات والكتيبات أو بعض المجلات، أو غير ذلك من الأشياء المناسبة والمفيدة للمعلم، وتكون هذه الرسالة كل شهر مثلا.

٧- استضافة أحد العلماء - أحيانا - عند لقاء المعلمين خارج المدرسة، وإن لم يكن لقاء خارج المدرسة فيستضاف في بعض الاجتماعات المدرسية.

٨- إقامة بعض المحاضرات في المدرسة خاصة بالمعلمين مع استضافة معلمي المدارس الأخرى، وذلك خارج وقت الدوام الرسمي.

٩- عرض فكرة الاشتراك في الشريط الخيري، حيث يوفر للمدرس المشترك شريط كل أسبوعين، أو كل شهر.

١٠- استغلال مجلس الآباء عند اجتماعه كأن تلقى كلمة توجيهية أو توزع بعض النشرات التوجيهية.

١١-عرض المشاريع الخيرية على المعلمين مثل (كفالة الأيتام - بناء المساجد - الاشتراك في المجلات الإسلامية - تفطير الصائمين - دعم المشاريع الخيرية).

رابعاً- أفكار تتعلق بدعوة الطلاب:

١-أن يكون المدرس قدوة حسنة للطالب.

٢-استقطاع بعض الوقت من الحصة لتوجيه خاطرة، أو نصيحة، أوتعليق، كخمس دقائق.

٣-استخدام أسلوب التعزيز اللفظي (ثناء ومدح) من قِبَل المعلم تجاه الطالب.

٤- وضع جوائز للطلاب المتميزين.

٥- وضع لوحة في الفصل ولوحة في مدخل المدرسة بها أسماء الطلاب المميزين.

٦- غرس المعاني الطيبة واستعمال الألفاظ الحسنة والعبارات الصحيحة حتى يعتاد عليها الطالب وترسخ في ذهنه.

٧-جعل الحصص الأولى من العام الدراسي مداً لجسور الثقة والألفة بينه وبين الطالب، والعمل على إدخال السرور إليهم، وتحبيب الدراسة والمدرسة والمعلم في نفوسهم، وخاصة إذا كانوا صغارا في مراحلهم الأولى.

٨-على المدرس بيان أهمية مادته مع التركيز على بيان حاجة الأمة لها.

٩-تفعيل حصة النشاط الثقافي.

١٠-الاعتناء بإقامة معرض دائم في المدرسة، وتدريب الطالب من خلاله على معايشة القضايا المهمة مثل:

أ-المآسي التي تحل ببلاد المسلمين من حروب ومجاعات.

ب-العقوبات الإلهية التي تحل ببعض البلدان.

ج-أخبار الجهاد والمجاهدين.

د-المخدرات والمسكرات والدخان وآثارها.

هـ-الحوادث المرورية.

و-المشاريع الدعوية.......

١١-تشجيع الطلاب وتدريبهم على الأنشطة الدعوية فيما بينهم وغرس محبة ذلك في قلوبهم.

١٢-تكليف الطلاب ببعض البحوث الصغيرة لتدريبهم على ذلك.

١٣- معايشة أحوال الطلاب، وإشعارهم بالمشاركة في أفراحهم وأحزاهم.

١٤- اكتشاف مواهب الطلاب ومعرفة ميولهم، وتفجير الطاقات لديهم كل في مجاله وحسب قدراته.

١٥-استغلال الإذاعة المدرسية والاستفادة منها في الدعوة إلى الله.

١٦- تفعيل دور مسجد المدرسة، وإقامة حلقات القرآن الكريم به.

١٧-إقامة صلاة الظهر جماعة بالمدرسة.

١٨-الاهتمام بالمحاضرات العامة.

تلك هي بعض الأفكار الدعوية، والتي نسأل الله أن تكون موجودة ومعمولاً بها في أوساط أمة الدعوة التي أثنى الله عليها بقوله: ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ))(آل عمران: ١١٠)، سائلين الله العون للدعاة والهداية للجميع، والحمد لله رب العالمين.

٢٤-أفكار دعوية (٢):

بعد أن تناولنا بعض الأفكار الدعوية في مقال سابق نواصل الحديث- بإذن الله تعالى- عن أفكار أخرى تكملة لما سبق، ولما كانت الأفكار كثيرة ومتجددة، فنأخذ منها، ونقتطف بعضها، سائلين الله التوفيق والسداد، والعون والرشاد:

أولاً- أفكار تتعلق بالدعوة إلى الله في العمل:

فالواحد منا يقضي ساعات طويلة في عمله، وقد تمر على البعض أوقات فراغ لا يحسن استغلالها، أو قد يكون معه في مجال العمل من غير المسلمين فلا يستغل قربه منهم، وهذه الأفكار منها ما هو قابل للأخذ والتنفيذ، أو الرد والتأجيل، ومنها ما لا يقبل إلا المبادرة والتطبيق، وذلك حسب الظروف والأحوال، فمن الأفكار الدعوية في هذا المجال:

١-الاعتناء بالإتقان في العمل، وحسن الأداء، وعدم التفريط فيه بأي شكل من الأشكال.

٢-الالتزام بالمواعيد المحددة للعمل، سواء من حيث الحضور، أو الانصراف.

٣-عدم الخروج من العمل إلا بعد الإستئذان، وعدم الإكثار من ذلك.

٤-طاعة المسؤول واحترامه، وتقبل التعليمات والتوجيهات منه وإن كانت مخالفة للنفس، مادامت بعيدة عن معصية الله تعالى.

٥- العمل على حسن العلاقة مع الزملاء وإيجاد جو من المودة والمحبة والألفة.

٦-الاعتناء بالنظافة والأناقة والترتيب والتنظيم، وخاصة إذا كان المكان عرضة للزائرين والمراجعين.

٧-حسن التعامل مع غير المسلمين رغبة في كسب قلوبهم وتحبيب الإسلام إليهم.

٨-العمل على تيسير أمور العباد، وإنجاز معاملاتهم، وإنهاء ما أوكل إليك من مهام بدقة وعناية وسرعة إنجاز.

٩-الاعتناء بالإبتسامة والبشاشة والكلمة الطيبة والرد الحسن لمن تتعامل معهم.

١٠-الاعتناء بذكر الله عز وجل، والصلاة في وقتها.

ثانياً- أفكار تتعلق بالدعوة إلى الله في الأسواق:

وما أدراك ما الأسواق؟ فهي التي يكثر فيها الجدال والخصام، والتنافس على الأموال، والغفلة ووجود الشيطان، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (خير البقاع المساجد، وشر البقاع الأسواق)رواه الطبراني وابن حبان والحاكم وصححاه، فالدعوة إلى الله والتذكير بالله أمر مهم في مثل هذه الأماكن، ومن الأفكار الدعوية المتعلقة بالأسواق:

١-الإكثار من ذكر الله عز وجل، وخاصة دعاء السوق: فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال حين يدخل السوق: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، وبني له بيتا في الجنة) رواه الترمذي وابن ماجه.

٢-الاعتناء بالصدق وحفظ اللسان.

٣-غض البصر، ومراقبة الله عز وجل.

٤- الاعتناء بالأمانة وعدم الغش في التعامل مع الناس بيعاً وشراءاً.

٥-أداء الصلوات في أوقاتها، والتذكير بها والدعوة إليها.

٦-إيجاد مساجد أو مصليات في الأسواق، مع تخصيص أماكن للنساء.

٧-إيجاد تسجيلات إسلامية تحتوي الأشرطة النافعة والمفيدة.

٨-البعد والتحذير من منكرات الأسواق، وخاصة فيما يتعلق ببيع المحرمات.

٩-الإعتناء بالنصيحة الطيبة والدعوة بالأسلوب الحسن.

١٠-الاعتناء بحجاب المرأة والدعوة إليه.

١١-التحذير من الربا والمعاملات المحرمة.

١٢-الاعتناء بالملصقات واللوحات التوجيهية والإرشادية.

ثالثاً- أفكار تتعلق بالدعوة في المتنزهات والأماكن العامة:

١-الاعتناء بنظافتها والمحافظة عليها.

٢-التأمل والتدبر والتفكر في خلق الله عز وجل ونحن نرى الأشجار المتنوعة، والزهور اليانعة، والأرض الخضراء، والسماء الزرقاء، والليل والنهار، وآيات الله الكثيرة.

٣-تذكُّر الجنة بأشجارها وأنهارها وأجوائها وخيراتها ونعيمها، وتذكير الآخرين بها.

٤-مراعاة شعور الآخرين وعدم إيذائهم.

٥-الاعتناء بالمساجد وأماكن الصلاة، وأداء الصلاة في أوقاتها.

٦-إدخال البرامج المفيدة والنافعة من خلال الإذاعات الخاصة بهذه الأماكن، وإبعاد المحرمات والمنهيات عنها، والبدائل متوفرة بفضل الله كالأناشيد واللقاءات والمسابقات وبث التعليمات والتوجيهات بالأسلوب الشيق والمحبب.

٧-تخصيص أماكن خاصة للعائلات، وأخرى للنساء والأطفال، وثالثة للشباب.

٨-تنظيم بعض المحاضرات والندوات والفعاليات الهادفة.

رابعاً- أفكار تتعلق بالدعوة في الأندية ومراكز الشباب:

١- التركيز على الأهداف والغايات في هذا الجانب، وربط ذلك بمقاصد الإسلام العظيمة.

٢- الاعتناء بالمسابقات الهادفة مع مراعاة التنويع والتحسين.

٣- الاعتناء بالجانب الثقافي من خلال إيجاد المكتبات وتزويدها بالكتب القيمة والمجلات النافعة.

٤- الاعتناء بالوسائل العلمية والثقافية الحديثة كالانترنت مع توجيه الشباب نحو المواقع الطيبة والمفيدة.

٥- تنظيم المحاضرات والندوات مع مراعاة الانتقاء والتجديد، وتلمس حاجات الشباب لتناولها.

٦-الاعتناء بالبحث العلمي وتوفير الدعم المادي والمعنوي.

٧-تشجيع الإبداع والابتكار، وتنمية المواهب وخاصة لدى الشباب.

٨-إظهار الاهتمام والعناية، وعدم الاستهانة بقدراتهم.

٩-ربط الشباب ببيوت الله، وغرس محبة المساجد في قلوبهم، من أجل إيجاد التوازن في حياتهم، وتأدية رسالتهم.

١٠-الاعتناء بأنواع الرياضة، فتقوية الأبدان مطلب شرعي، مع مراعاة النواحي الشرعية فيها.

وهكذا أخي المسلم الكريم، والداعية الحبيب نصل معك إلى ختام هذا اللقاء حول تلك الأفكار في الدعوة إلى الله المولى الغفار، سائلين الله الفوز بالجنة والنجاة من النار، والله يحفظك ويرعاك، ويسدد خطاك، والحمد لله رب العالمين.

٢٥-الدعوة ومواجهة مؤامرات الأعداء:

لا ريب في أن العالم الإسلامي اليوم يعيش أيامه ولياليه في مغارة مظلمة من المؤامرات والدسائس التي تستهدف عقيدته وما يملكه من المقومات الثقافية والحضارية. فقد أنهكته المؤامرات وعمّق جرحه مكر الليل والنهار. فقد تداعت عليه الأمم من كل الأفق كما تداعى الأكلة على قصعتها.

فجُلّ ما نرى هنالك من اضطرابات طائفية وحروب أهلية مدمرة، وصراعات بين الدول المسلمة بعضها مع بعض، وحركات متطرفة قاتلة لبر هذه الأمة وفاجرها إلا وتقف من ورائها في - غالبيتها ومعظمها - الدوائر الغربية الحاقدة التي تسهر على صنع المؤامرات بأنواعها وأشكالها وتعمل على تمريرها بصورة ذكية ومدروسة.

وإذا كانت مسألة المؤامرات مسألة معروفة لا يرتاب فيها أحد، وقد شمر الكثيرون عن سواعدهم لدراسة أنماطها وطرق تمريرها، فإن الذي نود أن نشير إليه هنا هو أن ثمة أسبابًا تقود القوم إلى ممارسة هذا النوع من الأعمال المشينة، وإلا فإن النصارى، وهم غالبية الغربيين، من المفترض أن يكونوا ــ إن كانوا حقا نصارى ــ أقرب الناس مودة للإسلام والمسلمين كما ورد في القرآن الكريم وأدناهم حبًا لمبادئه وترحابًا بحقائقه.

التركيز على هذه الأسباب دراسة وتحليلاً يستحق منا اهتمامًا أكثر من التعرف على مظاهر المؤامرات وأشكالها التي لا تعد ولا تحصى والتي ترجع جميعها في النهاية إلى ذات الأسباب وذات العلل، فلو أننا تمكنا من معرفة العلل التي تنبع منها كل هذه المكايد أمكننا إيجاد العلاج المناسب لها، ولو على المدى البعيد، وحسب زعمي فإن من السهولة بمكان معرفة هذه الأسباب المحفزة للغربيين على التعامل مع العالم الإسلامي بالمؤامرات والدسائس والتي من أهمها:

١- الصورة المشوهة للإسلام عند الغربيين: فمن المعلوم أن هناك صورة مشوهة للإسلام والمسلمين قامت الكنيسة بصياغتها وترويجها في الغرب في القرون الوسطى لاستنفار الأوروبيين للمشاركة في الحروب الصليبية، وقد قام"علم الاستشراق"الذي تأسس في الغرب بغية استيعاب الإسلام ومقاومته، عبر تحطيم بنيته التحتية، بإضفاء صبغة بحثية على تلك الصورة المشوهة، مما ألقى على عيون الغربيين أغشية من الظلام بحيث لم يعودوا يرون في الإسلام أي قبس من النور، فقد غدت معلومات الإنسان الغربي العادي عن الإسلام ــ إثر رواج تلك الصورة ــ سيئة جدًا.

وبسبب غياب الحركة القوية لتبليغ رسالة الإسلام في المحيط الغربي، ظلت تلك الصورة السيئة قابعة في الذهن الغربي حتى أصبحت مع الأيام صورة راسخة في لاشعور الإنسان الغربي وإرثه الفكري والمعرفي، الأمر الذي جعله، رغم تقدمه المذهل في مجال ترويض العقل والفكر على قواعد المنهج العلمي والموضوعي في البحث والدراسة، يتخوف من الإسلام ويعتبره خطرًا عظيمًا على حضارته التي يظنها مثالية في إطار التنظير والتطبيق مما يحيد به إلى مقاومة الإسلام بأية وسيلة من الوسائل.

٢- يُؤْلَف في غالبية الشعب الأمريكي البساطة في التفكير بحيث يصدق الكثيرون منهم كل ما يسمعون، وهذه البساطة تستغلها الصهيونية العالمية، عدوة الإسلام، أبشع استغلال بوضعهم تحت تأثير وسائل إعلامية متعددة تعتبر في معظمها ملكًا لها. فالعدو الصهيوني، من سياسته، الاهتمام بأي حدث سلبي يحدث في هذه البقعة من العالم الإسلامي، أو تلك ثم عرضه في ساحة الإعلام الأمريكي على اعتبار أن هذا الحدث نابع عن الإسلام وأنه يمثل المجتمعات الإسلامية جميعها.

فعلى سبيل المثال يهتم الإعلام الغربي الصهيوني اهتمامًا متزايدًا بما يحدث في بعض المناسبات المبتدعة من قيام بعض المتنسبين للإسلام بضرب رأسه ووجهه بالسكاكين والسلاسل، كما يهتم بأحداث العنف والقتل وإراقة الدماء التي تقع في بعض البلاد الإسلامية، - والتي هي الأخرى أيضًا من صنع الدوائر الصليبية والصهيونية - كل ذلك بأسلوب التهويل والتعميم لإقناع الشعب الأمريكي على الأخص وبقية العالم على أن الإسلام دين العنف والقتل وإراقة الدماء حتى يقاوموه بكل ضراوة ويعملوا على اتخاذ تدابير لازمة لتدمير مقوماته والحد من انتشاره.

ولعله من نافلة القول أن نعلن بأن الإعلام الصهيوني قد استطاع تحقيق السيطرة المطلقة على الضمير الأمريكي الذي أصبح يعتبر النهضة الإسلامية المتوقعة كابوسًا مزعجًا. فيشغل ليله ونهاره في صنع المكائد لإحباط مشاريع الإسلام النهضوية، ولتفتيت عراه حتى لا يبقى له أي صوت مسموع.

وليس الأمر بمقتصر على النفوذ الذي يمارسه الصهاينة على ساحة الإعلام الأمريكي، بل إن اليهود أصبحوا في أمريكا"اليد التي تعبث بأيدي السياسة الداخلية والخارجية معًا"، وهم الذين يتحكمون في كراسي الرئاسة والحكم ولا يستطيع أي حاكم هناك - مهما كان - أن يتحدث بغير ما يريده اليهود، وإلا عملوا على إسقاطه وربما حدث له كما حدث لجون كنيدي الذي اغتاله اليهود بعد ما تحدث بحقوق العرب في فلسطين وندَّد بتصرفات اليهود".

وليس هذا فحسب، بل إن الأخطبوط الصهيوني قد استطاع إحكام قبضته على معظم الدول الأوروبية، وفي هذا يقول الصهاينة:"حتى اليوم تمكنا من قلب الأنظمة القائمة في معظم ممالك أوروبا، والبقية آتية لا ريب عما قريب، وثمة دول عديدة علاوة على الولايات المتحدة الأمريكية واقعة في شراكنا". كما أن الصهاينة لم يألوا جهدًا للتغلغل إلى المراكز الحساسة في المؤسسات الدولية،

على ضوء هذه الحقائق أظننا ندرك بكل سهولة بأن الصهيونية العالمية هي التي تستثير الروح الصليبية في المسيحيين، وهي التي تلقنهم فنون صناعة المؤامرات وكيفية تمريرها، فجلّ ما نرى في عالمنا الإسلامي من مظاهر الفحش والمجون وتفكك الأسرة والصراع بين الأقطار المجاورة، والاضطرابات الطائفية والتطرف والقتل باسم الدين هي،في غالبها، مما خرج من مختبر المؤامرات الصهيونية، وذلك حتى يفقد المسلمون مقوماتهم وتندثر معنوياتهم ويتهدم ما لديهم من روح المقاومة، فيصبح اليهود هم السادة والمسيطرون بدون منازع.

هذه كانت مجموعة من الأسباب التي تقف وراء المؤامرات على اختلاف أنواعها وأشكالها. ولكن لما كانت معرفة الأسباب لا تكفي وحدها لرفع الأزمة كان لابد من محاولة إيجاد الحلول الجادة لمواجهة هذه المؤامرات من اليهود وغيرهم ممن يكيدون لهذا الدين وأهله والنزول بها إلى الواقع العملي التنفيذي دون الوقوف عند مجرد الفكر النظري.. فلابد من:

١ــ أن تنهض في المحيط الغربي حركات دعوية قوية تحمل على عاتقها مهمة توضيح حقائق الإسلام ومبادئه السامية إلى كل شخص غربي أيًّا كان وأينما كان وذلك باستخدام كافة الوسائل والأساليب المتاحة والمشروعة.

٢ــ أن ننشئ في المحيط الغربي شركات إعلامية ضخمة يكون من همها نشر حقائق الإسلام ومبادئه ووجهات نظره في القضايا العالمية عبر قنوات متعددة، كالصحف، والجرائد والإذاعة المسموعة والمرئية، والبث المرئي القضائي.

٣ــ أن نقوم بتحصين الداخل ببرامج تربوية واسعة من شأنها أن تشيع التقوى بين المسلمين وتحرضهم على التزام الصبر والتحمل فالتقوى والصبر سبيلان مهمان لإبطال فعل المؤامرات أيًّا كان مصدرها. مصداقًا لقوله تعالى: (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا)[آل عمران: ١٢٠].

٤ــ السعي في نشر المنهج النبوي في التربية والتوعية، فقد كان من أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم أنه على الرغم من قضاء عمره كله في خضم المؤامرات الآتية من الجهات المختلفة، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يُذكّر الصحابة بتلك المؤامرات إلا نادرًا، بل كان صلى الله عليه وسلم دائم الاهتمام بغرس عظمة الله وجبروته في قلوبهم وتحبيب الإسلام والآخرة إلى نفوسهم، ومن عجب أنه في أول خطبه في المدينة لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى ما لاقاه هو وأصحابه من قريش طيلة السنوات الماضية.

ولم يكن هذا شأن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم هذه فقط، بل إننا لو قمنا باستقراء شامل لما سجل عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث والخطب نجد أنه لا يركز على سرد المؤامرات إلا نادرًا، مما يعني أن السنة النبوية في تحقيق الحصانة الداخلية، هي السير على منهج تربوي إيجابي من شأنه أن يجعل كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية، من حيث التقوى والصلاح، كالصخرة الصامدة التي لا تقدر حتى أشد تيارات المياه عتوًا من أن تزحزحها ولو قيد شعره.

٥ـــ إشاعة اليقين في المسلمين بموعود الله بالنصر إذا هم عادوا لدينه وتمسكوا به وعملوا بمقتضاه وقاموا لله بحق العبودية الصحيحة ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) (النور:٥٥).

كان هذا جزءاً من حقيقة المؤامرات التي تحاك ضد الدعوة وأصحابها، وكانت هذه بعض سبل المواجهة لتلك المؤامرات، ولا شك أن هناك سبلا أخرى يمكن سلوكها وكل إنسان يخدم دينه بقدر طاقته وبحسب ما يفتح الله عليه... نسأل الله أن ينصر الدين ويخذل الكافرين والمغرضين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢٦-دور الترجمة في الدعوة إلى اللّه:

ما زالت الدعوة الإسلامية تخطو خطوات وئيدة في نشر الدين على مستوى الشعوب، فلو ارتضينا المقارنة بين ترجمات معاني القرآن وترجمات الإنجيل لوجدنا أن الفاتيكان قد قام بترجمة الإنجيل المعتمد لديه إلى كل اللغات الحية تقريبا، وكان ذلك قبل أن تبدأ حركة ترجمة معاني القرآن لدى المسلمين بصورة منظمة ذات أثر.

أما إذا أتينا لنقارن بين صراع نشر ثقافة الحضارات لوجدنا أن المسلمين لا يعدون أن تكون حضارتهم مثل حضارة الهند والصين اللتان ينتقي منهما الغرب ما شاء ليترجمه دون أن تكون تلكما الحضارتان ذاتي ثقافة غازية.

والواقع أن الحضارة الإسلامية عريقة العلوم والمعارف أصيلة المثل والقيم، بهرت العالم كله بمنظومتها المعرفية، وأقامت للبشرية صرحا من المعارف والعلوم مازال شاخصا شامخا في ضمير العقل الإنساني.

ومثل هذه الحضارة الشماء لا يليق بها أن تتوارى عن أعين الخلق وتتشرنق مستترة عن احتياجات الإنسانية بزعم اعتزازها باللغة العربية الأصيلة، أو بزعم أنها غنية بنفسها، أو بزعم عدم قدرتها على منافسة الزحف الحضاري الغربي.

فلقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم ترجمانا هو زيد بن ثابت أمره أن يتعلم السريانية فتعلمها في بضعة عشر يوما. واستطاع القرآن أن يكون كتاب البشرية الأول في خلال عشر سنين عندما استقر في وجدان الشعوب التي فتح بلادها المسلمون الأول.

وكان ترجمة التراث العربي هو السلاح الثاني في الفتوح الإسلامية حتى غدت اللغة العربية هي لغة الثقافة والمعرفة، لأنها صارت اللغة الوسيطة بين كل الشعوب لنوال العلوم الراقية.

وبدأ الضعف يدب في أوصال الثقافة الإسلامية يوم انتدب بعض ضعاف النفوس أنفسهم لترجمة علوم الحضارات الأخرى إلى اللغة العربية، واشتغلت الحركة الثقافية بهذا الزخم الفارغ، الذي كان نفعه في ميزان الحضارات الأخرى؛ إذ جعلت المعايير الفلسفية اليونانية هي الحاكمة على الحق المطلق في النظام المعرفي الإسلامي.. وصار القرآن نفسه يحاكم إلى منطق أرسطو وأفلاطون، وشغل المسلمون دهورا بالتراع بين الإشراقيين والرواقيين، وكان الجاهل بعلوم تلك الحضارات الوافدة معدودًا فيمن لا يوثق بعلمه أصلا وإن كان إماما من أئمة الدين.

كل ذلك حينما انعكس الدور الأصيل الذي كانت تقوم به الفتوحات الإسلامية ألا وهو غزو العقول والقلوب بإيصال معاني هذا الدين المتين.

وقد فطن الاستعمار (وإن شئت فقل: الاستخراب) لدور الترجمة في توطين الثقافة الغازية، فأسس بجوار الترسانات العسكرية الجرارة هيئات علمية راقية المستوى كانت مهمتها مساعدة الزحف العسكري عبر استعراض ثقافة المستعمر بلغة الدولة المغزوة، وعندما ظهر الفرق جليا بين تخلف الدول المغزوة وإمكانيات الدول الاستعمارية في المجال الاقتصادي والعسكري وفي المجالات المدنية المتنوعة تقبلت الناس هزيمتهم باقتناع وراحت نفسية الهزيمة تتغلغل في جذور الضمير حتى مسخت الأفئدة ووجدنا من أفراد الأمة الإسلامية من ينادي بكتابة اللغة العربية بحروف لاتينية ومن يطلب الكفران بكل منتمٍ إلى الإسلام.

تلك الهيئات العلمية هي المحافل الاستشراقية التي كانت تلعب دورا لا يقل خطورة عن الدور التنصيري الذي صاحب الاستعمار في مراحله المختلفة.

والغريب أن جل الباحثين لم يفهموا أو لم يحاولوا أن يتفهموا أسباب قيام المحافل الاستشراقية بترجمة كثير من المراجع العربية إلى لغاهم اللاتينية على اختلافها. فبلغت سذاجة البعض إلى الزعم أن المستشرقين قد انبهروا بالثقافة العربية فكانوا خداما في محرابها وسدنة في معبدها هياما بجمالها وعظمتها. ونحن لا ننكر وجود المستشرقين المنصفين لكن عددهم أو انتماءاهم لا تمت بصلة للدور الجمعي الذي كان يقوم به جل المستشرقين ألا وهو القيام بحركة ترجمة واسعة النطاق من وإلى اللغة العربية بغرض أن يتخصصوا هم في اللغة العربية فيحتلوا مرجعيتها دون علماء المسلمين أنفسهم.

وهذا ما قد حدث بالفعل، فمن الذي ينكر عظمة مشروع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، أو مَن من الأدباء يستطيع أن يتعامى عن الدور الأدبي للمستشرقين؟!

وفي غضون بضعة عقود أواخر القرن التاسع عشر كانت الأكاديميات الغربية موئلا لكثير من الباحثين العرب والمسلمين لدراسة اللغة العربية والإسلام نفسه، وصارت دكتوراه السوربون أو دكتوراه الدولة من فرنسا وأكسفورد وهارفارد من إنجلترا هيئ صاحبها لتبوئ أعلى المناصب العلمية في جامعات بلاده.

وصار بعض الأكاديميين يتفاخرون أهُم درسوا آداب اللغة العربية في أروقة جامعات أوروبا، والأنكى أن منهم من يزهو أنه درس الحديث أو التاريخ الإسلامي أو سيرة الخلفاء على يد أساتذة الكراسي في الجامعات المسيحية.

لكن المشاهد لكل ذي لب أن الدراسات العربية والإسلامية في تلك الجامعات لا تتم باللغة العربية، كما ندرس مثلا الأدب الإنجليزي باللغة الإنجليزية، بل إن كل الدراسات بما في ذلك البحث الذي يتقدم به الباحث تتم بغير اللغة العربية، لا لشيء إلا لأن المشرفين أعاجم، والمراجع التي يطالب الباحث العربي والمسلم بالرجوع إليها جلها كتبه المستشرقون بلغاهم الأعجمية.

وهكذا نرى كيف أن حركة الترجمة التي قام بها المستشرقون كان لها دور واسع بعد ذلك في تبوء الثقافة الغربية منصب المرجعية في العلوم اللغوية العربية والإسلامية أيضا.

ونحن إذا أردنا أن نستعيد المرجعية العلمية للحضارة الإسلامية (في إطار لغتنا وديننا على الأقل) فلابد من القيام بحركة ترجمة واسعة لعلومنا الإسلامية واللغوية بحث نكون - نحن - المتحدثين باسم لغتنا وديننا لا أن يكون وسطاء أعاجم أعلاج هم الناطقون الرسميون باسم الإسلام.

إن طموح الدعاة يجب أن يتجاوز مجرد ترجمة معاني القرآن إلى ترجمة التراث الإسلامي الأصيل، حتى يقرأ العالم عن ديننا كما نفهمه نحن لا كما يفهمه الأعاجم.

وهذا يستتبع بالضرورة أن يكون من بين أبناء الأمة عامة والدعاة المخلصين خاصة من يتقن لغات الأمم حتى تأخذ حركة الترجمة جانب الأصالة، وتأمن التحريف، وتضمن الأمانة في النقل والصياغة.

ولا ريب أن حركة الترجمة التي نعنيها تحتاج إلى دعم دولي أو معونة هيئات إسلامية عالمية، وهي أشبه بالدور الجهادي الذي تقوم به هيئات الإغاثة في المناطق الإسلامية المنكوبة، لأننا لا نرى نكبة أعظم من أن نتعلم الدين واللغة من غيرنا.

وإضافة إلى ذلك لا بد أن يتجاور مع حركة الترجمة حركة علمية بحثية راقية المستوى تقوم بتعقب كتابات المستشرقين والرد عليها بنفس اللغة سواء عبر طبع كتب مستقلة أو في دورياتهم العلمية أو على صفحات الإعلام أو حتى على صفحات الإنترنت.

وحديثنا على الترجمة لا يتطرق إلى محاربة الاستشراق والتنصير فقط،بل إلى مواجهة كل المذاهب الهدامة والمنحرفة أيضا من حيث إن خطرها على الدين الحق لا يقل تشويها عن الكفر الصراح.

وهاهي ذي قوى الرفض والمجوسية المتشيعة تنفث سمها بكل لغات العالم عبر المجلات التي تصدرها سفاراتها بلغات تلك البلدان، وترصد ميزانيات ضخمة لمساعدة أقلياتها في كل العالم عبر المنح الدراسية.

وهاهي ذي القاديانية والبهائية تحرص على طبع أدبياتها بكل لغات العالم مع الاهتمام باللغات العالمية كالإنجليزية والفرنسية والعربية، مما ينبيك - أيها الغيور على دينك - أن الترجمة سلاح ماض في نشر الأفكار.

ويمكننا صياغة الأفكار المهمة بالنسبة لهذه الطريقة من طرق الدعوة فيما يلي:

(١) إيجاد الكوادر التي تتقن اللغات العالمية، ومخاطبة الدعاة في كل بلدان العالم ممن يتقنون لغة بلدانهم مع اللغة العربية، وتكوين جبهة عالمية للتعريف بالإسلام، تمولها الحكومات والدول والهيئات الإسلامية والأفراد، على أن يترك إشرافها للدعاة.

(٢) عقد مؤتمرات عالمية أو محلية لمناقشة هذا الموضوع، ومساهمة الدعاة في تقديم الأبحاث التي تخص هذا الصدد، مع تقديم خبرات ذوي الخبرة في هذا المجال.

(٣) تكوين مكاتب ترجمة لدى كل حركة أو اتجاه دعوي يقوم بترجمة الكتب التي تشرح حقائق الإسلام مع التنسيق بين تلك المكاتب حتى لا يحصل التكرار.

(٤) تنمية مهارات الترجمة لدى الدعاة بعقد دورات تدريبية للترجمة، واستضافة المتخصصين في هذا المجال لتدريس أحدث تقنيات الترجمة.

(٥) صقل لغات المترجمين والرقي بمستواها حتى تكون ترجماتهم محل احترام أصحاب تلك اللغات، ويكون ذلك بمزيد من التخصص في أدبيات اللغة الثانية التي يتقنها المترجم.

(٦) إنشاء صحف ومجلات بلغات مختلفة تترجم فيها كتابات علماء العصر وفتاواهم، ويوقف الناس من خلالها على أخبار المسلمين برؤانا وليس برؤى رويتر وأسوشيتدبرس.

(٧) المسارعة في استكمال ترجمة معاني القرآن الكريم إلى كل لغات العالم سدا للفرض الكفائي العالق بكاهل الأمة.

(٨) البدء في مشروع ترجمة الحديث النبوي إلى لغات العالم الحية، واختيار الكتب المعتمدة مثل الصحاح أو رياض الصالحين ونحوها من الكتب التي عم نفعها بين المسلمين.

(٩) البدء في مشروع جاد لترجمة عقائد أهل السنة والجماعة إلى كل لغات العالم، في مواجهة الحملات الشرسة التي تقوم بها المذاهب الضالة في دعوة غير المسلمين، وإنقاذاً لأولئك الأفراد الذي وقعوا في براثن تلك المذاهب جهلا منهم بحقيقة الإسلام.

(١٠) تلافي القصور الإعلامي، والبدء في مشروع جاد لقناة إسلامية دعوية عالمية تستخدم اللغات العالمية الحية في عرض الإسلام وتبيان حقائقه.

إن هذه الأفكار - أيها القارئ العزيز - قد تبدو لك ضربا من الأحلام الشاردة، ولكنني أجزم لك غير شاك، أن إمكانياتنا تستطيع أن تفعل ما هو أكثر من ذلك، ولكن المطلوب: أن

تحصل البداءة، وتنشأ المبادرة الأولى، وستجد الأمر بعد ذلك توجها يتصاعد، ومسلكا يرتاده كل المخلصون.

٢٧-خدمة الدين:

ونحن في حديثنا عن قضية خدمة الدين نحاول أن نجمع بين الواقعية والطموح العالي، ونجنح عن الدعة والخطط الساذجة بقدر جنوحنا عن التهور والخيال المستحيل. وفرق بين يقين النصر الذي يمثل دعامة أساسية في عقيدة الداعية، وبين مصادمة السنن الكونية بل والشرعية بزعم أن الله سينصر عباده المؤمنين.

تلك الكلمات السابقة وإن كانت صارمة فهي ضرورية قبل أن نشرع في تفصيل العنوان، ذلكم أن من بدهيات العقول أن النتائج رهينة الإمكانيات، والنجاح قرين البذل المتاح، وتحقق الغاية مرتبط بتحقق الوسيلة، وكل ذلك لا يقدح في كرامة الله لأوليائه بالنصر مع الذلة والقلة، فحديثنا عما يجب أن يعتمل في صدر الداعية من حرص على اتخاذ الأسباب.

حقيقة شرعية

إن عالمية الدعوة الإسلامية هاجس ينبغي أن يلح في طموح كل داعية إلى دين الله تبارك وتعالى، ومشروع ينبغي ألا يغيب عن أذهان الغيورين على دين الإسلام. فهي حقيقة شرعية بلا امتراء، قال الله تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) وقال تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقال تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله له) وقال تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها) رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزًّا يعز به الإسلام، وذلا يذل به الكفر). رواه أحمد والحاكم.

ضرورة إنسانية

وفوق كونها حقيقة شرعية هي ضرورة إنسانية تستنهض همة كل مشفق على حال البشر وسكان الكرة الأرضية، فالكفر يلف أرجاء الأرض، والفجور يستعلن على حين غفلة من القيم والمثل، وأضحى للكفر والفجور دولة وسلطان، وصارت ممارسات الفسقة تتحلى بغطاء الشرعية، فالكفر يتزيا بحلة حرية الفكر، والشذوذ الجنسي ينافح عن حقوقه تحت غطاء الحرية الشخصية، والمرأة تريد أن تتبرأ من الحياء بزعم التحرر من القيود الجائرة، بل إن براءة الأطفال تغتال بالخطف والاستغلال الجنسي تحت أضواء المدنية الكاذبة.

كل ذلك ألا ينادي على النفوس الأبية أن تسعى لخلاص لتلك البشرية المغلولة، أو تنافح عن القيم والمثل الضائعة في غابة الشهوات والغرائز البهيمية؟!.

لم تعد مسؤولية الدعاة محصورة في نطاق المسجد الذي يخطبون فيه أو يلقون محاضراتهم، وفي حدود قاطني الحي الذي يسكنون فيه، إن حزام المسؤولية يتمادى في الاتساع ليصل إلى كل نفس منفوسة تدب على هذه الأرض. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (وإن العا لم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء) رواه الترمذي، وإسناده حسن. قال العلماء في تفسير هذه الحديث: إن العلماء لهم دور في الوصية بالكائنات الحية، حتى إنهم يوصون الناس بإحسان الذبحة كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم، فنفعهم عام على كل الخلاق، ولذلك تتذكرهم بالخير والدعاء.

وإذا كان هذا حال الحيتان فما بال البشرية التي التائهة في سرداب شهواتها؟! إنها أحرى بأن تحتل مساحة من اهتمامنا معاشر الدعاة. وقد كاد النبي صلى الله عليه وسلم أن يهلك نفسه

حزنا على الناس ألا يكونوا مؤمنين، وسهر الليالي ساجدا يدعو ربه متضرعا: أمتي أمتي! فصلى الله وسلم على ذلك النبي الشفيق الذي حمل هم توصيل الدين إلى كل البشرية.

الواقعية لا الأحلام

وإذا كانت هذه الهمة العالية تمثل نسيجَ طموحِ كل داعية إلى الله تعالى، فإنه إزاء تعظيمه لشعائر الله وفرائضه يأبى أن يكون مجرد مراهق ينشغل بالأحلام والأماني الخادعة، ويجمح وراء خيال هاو وسراب كاذب.

إنه يمزج هذا الطموح بتخطيط واقعي، ويبني آمالا صادقة على جهود مخلصة، ثم يكل النتائج إلى الله تبارك وتعالى. هو لا ينظر إلى كراسي الحكم والسلطة بقدر ما يتمنى أن يحوز كرسيا واحدا في جنة الخلد. يحدوه الطمع في رضا الله فيبذل حق البذل ليحوز السلعة الغالية ((إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)).

إنه قليل الكلام كثير العمل، سريع التأثر بواقع المسلمين والاستجابة لنداء البذل، إذا ما أقبل على عمل دعوي تسامى في العطاء له، وإذا فكر في مشروع أعد له العدة الكاملة، يتخذ الأسباب التامة محاطة بتوكل على الله وثيق، يحترم التخصصات ويأبى الفوضى والارتجالية، إنه مثال الداعية الذي يحمل هما عالميا، ويغذيه طموح عال، ومثل هذا تفتقر إليه الدعوات العالمية، ويعد طاقة دفاقة لكل من حوله من العاملين.

عالمية الدعوة في عالمية الداعية

إن نصف مساحة العالم الإسلامي دخلت في الإسلام صلحا ودعوة ومعاشرة لا عنوة وحربا، مما يثبت أن عالمية الإسلام في عالمية الداعية، وأن السيف لم يرفع إلا على الظالمين والغاصبين لحق البشرية أن تؤمن بربها وإلهها.

وإن تغلغل الإسلام في أوروبا والأمريكتين بل وفي روسيا والصين وإفريقيا وأستراليا مع قلة الدعاة وضعف الإمكانيات لدليل على أن هذا الدين الحق لو قُيض له من الحملة من يجهرون به في كل ميدان ويطوفون به في كل صقع لتغيرت خريطة العالم في سنوات معدودة.

إن طرق خدمة الدين كثيرة، وأساليب نشره بين الناس وفيرة، وميادين النداء إليه شاسعة، وما سطرناه في هذه الأوراق مساهمة متواضعة نحو عالمية الدعوة، فمن أمانينا أن تتجيش كل الطاقات في خدمة الدين فنفاجيء الباطل بجندي للحق في كل شبر على وجه الأرض، ونجابه الظلم والطغيان، ونواجه الكفر والفجور، ونضيق الخناق على إبليس وجنوده، ونحكم الحصار على إغواءات الشياطين.

إن عالمية الدعوة ستتحقق بجلاء ويقين يوم نرى كل مسلم يساهم بأي جهد في سبيل دينه وأمته، يوم نرى كل مسلم يحاسب نفسه: ماذا قدم لدينه وأمته؟ يوم نرى حديث الناس في المقاهي والطرقات والبيوتات ومجالس السمر يدور حول هم الدين وشأن المسلمين، يوم نرى الأسرة تَدَّخِرُ من قوتها رغيفا تبذله لجائع أو محتاج، يوم نرى الأغنياء يتبارون في أَرْيَحِيَّة صِدِّيقِيَّة نحو الإنفاق في سبيل الدين، يوم نرى الدعاة قدوة لغيرهم في حمل أمانة الدعوة وتبليغها للناس.(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز).

٢٨-ولكُنَّ في أسماء.. عبرة:

وجود القدوة أمر ضروري يعين الناس على العمل والتشبه بهم، وهو أيضا لإقامة الحجة على الناس، ولذا أمر الله نبيه- وهو قدوة القدوات - أن يتخذ له من النبيين قبله قدوة فقال:"أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده"، وقال لأمته:"قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه"، ولابد أن يكون المتخَذ قدوة من جنس من يقتدون به حتى لا يكون لهم على الله حجة؛ ولذلك لما طلب المشركون أن يرسل الله لهم ملكا رسولا بدلا من البشر رد عليهم سبحانه بقوله:"قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لترلنا عليهم من السماء

ملكا رسولا"..وقد جعل الله في هذه الأمة وسابقاتها قدوات كثيرين من الرجال وكان النساء في هذا الجانب أندر وأعز، ففي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم:"كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام... ولكن الله لم يحرم نساء هذه الأمة من نماذج تقتدي بهن المؤمنات وهن والحمد لله كثيرات كأمهات المؤمنين، وصحابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغيرهن من التابعيات الجليلات.. ونحن هنا نقدم للمؤمنين والمؤمنات واحدة من هؤلاء الفضليات:

إنها أسماء بنت أبي بكر الصديق.. أم عبد الله القرشية التيمية المكية ثم المدنية والدة الخليفة عبد الله بن الزبير وأخت أم المؤمنين عائشة وآخر المهاجرات وفاة، روت عدة أحاديث وعمرت دهرًا وتعرف بذات النطاقين.. الصادقة الذاكرة، الصابرة الشاكرة، أسماء البطولة، أسماء الصدق، أسماء الطهر أسماء الجود أسماء الكرم أسماء الشجاعة أسماء الفداء... وغيرها من المعاني التي تجدها في ترجمتها، وكيف لا تكون كذلك وهي سليلة بيت الخير، ومجاورة بيت النبوة، وأخت عائشة الصديقة الكبرى، والتي كانت تكبرها أسماء بعشر سنين؟!

أسماء العبادة والجود

يقول ابن الزبير رضي الله عنهما: ما رأيت امرأة قط أجود من عائشة وأسماء، وجُودهما مختلف: أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضعه، وأما أسماء فكانت لا تدخر شيئا إلى غد.

وعن فاطمة بنت المنذر: أن أسماء كانت تمرض المرضة فتعتق كل مملوك لها.

ويقول ابن أبي مليكة عنها: كانت أسماء تصدع فتضع يدها على رأسها وتقول: بذنبي وما يغفره الله أكثر.

يقول ابنها عروة: دخلت على أسماء وهي تصلي فسمعتها وهي تقرأ هذه الآية"فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم"فاستعاذت فقمت وهي تستعيذ، فلما طال عليّ أتيت السوق ثم رجعت وهي في بكائها تستعيذ.

أسماء الكرامة والإباء

إنها الكريمة الأبية واضعة قاعدة الكرامة حين قالت لابنها عبد الله بن الزبير، وقد أحاطت به جنود الحجاج: يا بني عش كريما ومت كريما، لا يأخذك القوم أسيرًا.

ولما قتل الحجاج ابنها عبد الله دخل عليها فقال: يا أمه.. إن أمير المؤمنين قد وصاني بك فهل لك من حاجة؟

قالت: لست لك بأم ولكني أم المصلوب على راس الثنية، ومالي حاجة.. ولكن أحدثك.. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يخرج من ثقيف كذاب ومبير: فأما الكذاب فقد رأيناه - تعني المختار الثقفي - وأما المبير فأنت.

وقال القاسم بن محمد: جاءت أسماء بنت أبي بكر مع جوار لها، وقد ذهب بصرها، فقالت: أين الحجاج؟ قلنا ليس ههنا، قالت: فمروه فليأمر لنا بهذا العظام فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن المثلة.. قلنا إذا جاء قلنا له.. قالت إذا جاء فاخبروه أني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن في ثقيف كذابا ومبيرًا.

أسماء والهجرة

وإذا ذكرت الهجرة فحيهلا بأسماء.. كانت وقتها ما زالت فتاة صغيرة يافعة، ولكنها حملت أمانة أشفق من حملها الرجال، عندما دخل النبي وصاحبه إلى الغار كانت تقطع ثلاثة أميال في جوف الليل ووحشة الطريق بين أسنة الصخر ومساحات الرمال الشاسعة حتى تصل إلى الجبل فتصعد إلى قمته منحدرة إلى الغار لتقوم بمهمة الفدائي وحمل أمانة الإمداد والتموين للرحلة المباركة ــ فبارك الله فيها وعليها:

روى البخاري وأحمد عنها قالت: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج إلى المدينة صنعت سفرته في بيت أبي بكر، فقال أبو بكر: ابغيني معلاقا لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصاما لقربته فقلت ما أجد إلا نطاقي!! قال: فهاتيه.. قالت: فقطعته باثنين فجعل إحداهما للسفرة والأخرى للقربة؛ فلذلك سميت ذات النطاقين.

وانطلق النبي وصاحبه مهاجرين وجاء المشركون للبحث والتنقيب ومعرفة الطريق ولكن أنى لمثل أسماء أن تخبرهم وتفشي خبر النبي صلى الله عليه وسلم!! تقول: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر قالت:"قلت: لا أدري والله أين أبي. قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشا خبيثا، فلطم خدي لطمة خر منها قرطي، قالت ثم انصرفوا.

وبعد درس الصبر هذا وحفظ الدعوة وأهلها يأتي درس آخر أجمل حيث تقول: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر معه احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم فانطلق بها معه، فدخل علينا جدي أبو قحافة ــ وقد ذهب بصره ــ فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه؟! قلت: كلا يا أبت!! إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرا.. فأخذت أحجارًا فوضعتها في كوة في البيت ــ كان أبي يضع فيها ماله ــ ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت: ضع يدك يا أبت على هذا المال، فوضع يده فقال: لا بأس.. إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن، ففي هذا لكم بلاغ.. قالت: ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك.

رسالة إلى كل زوجة

وفي زمان تتفنن فيه الزوجات للتهرب من أداء واجبهن نحو الأزواج تأتي الرسالة إليهن من أسماء ليعرفن ماذا ينبغي أن تفعل الزوجات.. تحكي أسماء عن نفسها فتقول: تزوجني الزبير، وكان له فرسه فكنت أسوسه وأعلفه وأدق لناضحه النوى وأستقي وأعجن، وكنت

أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي — وهي على ثلثي فرسخ — فجئت يوما والنوى على رأسي فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر، فدعاني فقال: إخ إخ ليحملني خلفه فاستحييت وذكرت الزبير وغيرته. قالت فمضى، فلما أتيت أخبرت الزبير فقال: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه. قالت: حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني.

وللأمهات أيضا

لقد كان موقف أسماء مع ابنها عبد الله بن الزبير شامة في جبينها ورسالة أرسلت بها إلى كل أم مسلمة درسا في كيفية التربية والحث للأبناء على الرفعة ورباطة الجأش وذلك خلال حرب الحجاج له، فما زالت تقف بجانبه تشد أزره وتقوي قلبه وتقول له وقد أحاطت به جنود الحجاج: يا بني عش كريما ومت كريما، لا يأخذك القوم أسيرًا.

قال عروة دخلت أنا وأخي قبل أن يقتل على أمنا بعشر ليال وهي وجعة، فقال عبد الله: كيف تجدينك؟ قالت وجعة. قال: إن في الموت لعافية. قالت: لعلك تشتهي موتي فلا تفعل. وضحكت وقالت: والله ما أشتهي أن أموت حتى تأتي على أحد طرفيك: إما أن تقتل فأحتسبك، وإما أن تظفر فتقر عيني.. إياك أن تعرض على خطة فلا توافق فتقبلها كراهية الموت. وكان عمرها عند ذلك مائة سنة.

وقتل الحجاج عبد الله بن الزبير وصلبه، فجاءت أمه عجوز طويلة عمياء فقالت للحجاج: أما آن للراكب أن يترل؟! فقال المنافق؟ قالت: والله ما كان منافقا، كان صواما قواما برا. قال: انصرفي يا عجوز فقد خرفت. قالت: لا والله ما خرفت منذ سمعت رسول الله يقول في ثقيف كذاب ومبير.

وجاء ابن عمر ليعزيها عندما قيل له: إن أسماء في ناحية المسجد، فمال إليها فقال: إن هذه الجثث ليست بشيء وإنما الأرواح عند الله فاتقي الله واصبري. فقالت: وما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.

قال ابن أبي مليكة: دخلت علي أسماء بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير فقالت: بلغني أنهم صلبوا عبد الله منكسا، اللهم لا تمتني حتى أوتى به، فلم يلبث أن أتيت به فغسلته بيدها وطيبته ثم حنطته ثم دفنته وصلت عليه. بعد ما ذهب بصرها. قال أيوب فحسبته قال فعاشت بعد ذلك ثلاثة أيام.

قال ابن سعد ماتت بعد ابنها بليال وكان قتله لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين.

قال الإمام الذهبي في السير: قلت كانت خاتمة المهاجرين والمهاجرات.

فرضي الله عن أسماء ورضي عنهم جميعا من آل بيت.

٢٩-الحركة في قاموس الدعاة:

الحركة كما يقولون ولود، والسكون عقيم، والحركة في قاموس الدعاة هي الحياة، والسكون هو الموت، والحركة هي الحد الفاصل بين عهد الرخاوة، وبين عهد حمل الأمانة بعزم وحزم ووفاء.

وبالحركة انتشر المسلمون الأوائل مثل شعاع الشمس في أقطار الأرض، يفتحون البلاد، وقلوب العباد، ويدعون إلى التوحيد، ويحطمون الطواغيت، ويقودون الناس إلى الجنة. وبالحركة صاروا في ظلمات الحياة سراجًا وهَّاجًا، فإذا الباطل رماد بعد التهاب، وخمود بعد حركة.

والماء إذا سكن فسد، والأسد إذا توقفت عن الصيد ماتت جوعا، والسهم لا يصيب إلا إذا أطلق من كنانته وقوسه كما قال الإمام الشافعي رحمه الله:

إِني رأيتُ وقوف الماء يفسده.......إن ساح طاب، وإن لم يجر لم يطب

والأُسْدُ لولا فراق الأرض ما افترست.......والسهم لولا فراق القوس لم يصب

والشمس لو وقفت في الفلك دائمة.......لملَّها الناس من عجم ومن عربِ

فعلى الداعية أن يتحرك، ويحرك الآخرين، مبتدئًا بعشيرته الأقربين:

كُنْ مشعلاً في جُنْح ليلٍ حالكٍ.......يهدي الأنَامَ إلى الهدى ويُبيِّنُ

وانشط لدينك لا تكنْ متكاسلاً..... واعمل على تحريك ما هو ساكنُ

وابدأ بأهلك إنْ دعوَتَ فإنهم.......أولى الورى بالنصح منك وأَقْمَنُ

والله يأمر بالعشيرة أوَّلا.......والأمر من بعد العشيرة هَيِّنُ

الحركة قيامة وبعثُ للرُّوح:

"لا يكون المؤمن العامر القلب إلاَّ متحركًا محركًا، أما المتباطئ الذي يعد بالالتحاق بعد ما تظهر بوادر النجاح، فإنما يعد وعد الضعاف. فلا تؤجل الانضواء تحت لواء الحق، وإلاَّ عضضت أسنة الندم[١].

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الجوشن الضبابي إلى الإسلام بعد بدر؛ فقال له:"هل لك إلى أن تكون من أوائل هذا الأمر؟ قال: لا. قال: فما يمنعك منه؟ قال: رأيت قومك كذبوك، وأخرجوك، وقاتلوك، فانظر: فإن ظهرت عليهم آمنت بك واتبعتك، وإن ظهروا

---

[١] انظر"علو الهمة"للشيخ محمد إسماعيل

عليك لم أتبعك". فكان ذو الجوشن يتوجع على تركه الإسلام حين دعاه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم".

فكن رائدًا، وأجب داعي الله، بلا تلكؤ ولا تلعثم، ولا تردد، فهذا هو شأن المؤمنين.

قال إبراهيم عليه السلام:"يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر". قال:"فاصنع ما أمرك ربك". قال:"وتعينني؟". قال: وأعينك".

وقد كان الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ينادي في موسم الحج:"من يحملني حتى أبلغ رسالة ربي؟". وهاهو صلى الله عليه وسلم يناشدك:"بلِّغوا عني ولو آية". ويدعو لمن يبلغ عنه:"نضَّر الله امرءًا سمع منَّا شيئًا، فبلَّغه كما سمعه، فرُبَّ مُبلِّغٍ أوعى من سامعٍ". ورُوي أنه كان يقول صلى الله عليه وسلم في دعائه:"اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين".

واسمع إلى الغزالي رحمه الله وهو يقول:

"اعلم أن كل قاعدٍ في بيته أينما كان فليس خاليًا في هذا الزمان عن منكر، من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف، فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد، فكيف في القرى والبوادي ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية، وسائر أصناف الخلق. وواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم، وكذا في كل قرية، وواجب على كل فقيه - فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية - أن يخرج إلى ما يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيرهم، ويعلمهم دينهم وفرائض شراعهم"اهـــ.

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يفسر قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ)[المدثر:١،٢] فيقول:

"فواجب على الأمة أن يُبلِّغوا ما أُنزل إليه، وينذروا كما أنذر، قال الله تعالى: (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

يَحْذَرُونَ)[التوبة:١٢٢].. والجن لما سمعوا القرآن: (وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ)[الأحقاف:٢٩]"اهـ.

وهذا تلميذه الإمام المحقق ابن قيم الجوزية رحمه الله يقول:"وتبليغ سنته صلى الله عليه وسلم إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو، لأن تبليغ السهام يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلاَّ ورثة الأنبياء، وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه"اهـ.

إن سناء الهمة في نشدان الكمال الممكن، ومن أراد المنزلة العليا القصوى من الجنة، فعليه أن يكون في المنزلة القصوى في هذه الحياة الدنيا، واحدة بواحدة، ولكل سلعة ثمن.

إذا ما علا المرء رام العلا.......ويقنع بالدون من كان دونا

وليست هذه المنزلة العليا في الدنيا إلاَّ منزلة الدعوة إلى الله، ووراثة وظائف النبوة، التي ليس أشرف منها إلاَّ منزلة النبوة نفسها، وهذا الإمام أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى يناديك:

"ألست تبغي القرب منه؟ فاشتغل بدلالة عباده عليه، فهي حالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أما علمت أنهم آثروا تعليم الخلق على خلوات التعبد، لعلمهم أن ذلك آثر عند حبيبهم". و"هل كان شغل الأنبياء إلاَّ معاناة الخلق، وحثهم على الخير، ونهيهم عن الشر"اهـ.

وهاهو رحمه الله يقارن بين الشجعان الذين يخالطون الناس لدعوتهم، ويصبرون على أذيتهم، وبين المتخاذلين المعتزلين القاعدين عن الدعوة إلى الله تعالى، فيقول:

"الزهاد في مقام الخفافيش، قد دفنوا أنفسهم بالعزلة عن نفع الناس، وهي حالة حسنة إذا لم تمنع من خير، ومن جماعة واتباع جنازة وعيادة مريض. إلاَّ أنها حالة الجبناء. فأما الشجعان فهم يتعلمون ويعلمون. وهذه مقامات الأنبياء عليهم السلام".

ويقول الشيخ عبد القادر الجيلاني وهو في شيخوخته: من كملت معرفته لله عز وجل صار دالاًّ عليه، يصير شبكة يصطاد بها الخلق من بحر الدنيا، يعطي القوة حتى يهزم إبليس وجنده، يأخذ الخلق من أيديهم. يا من اعتزل بزهده مع جهله؛ تقدم واسمع ما أقول، يا زهاد الأرض تقدموا. خربوا صوامعكم، قد قعدتم في خلواتكم من غير أصل، ما وقعتم بشيء، تقدموا".

وكذلك فهم العالِم العامل، وإن كلماته ليهتز لها القلب اهتزازًا. هكذا كان شأن الدعاة دومًا، وعلى داعية اليوم أن يكون رحالة سائحًا في محلات مدينته، ومدن قطره، يبلغ دعوة الإسلام.

انظر مثلاً كيف كانت رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم تسيح في البوادي تبلغ الأعراب كلمة الإسلام، وتبشر به، و لم يكن ثمة انتظار ورودهم إلى المدينة، ألاَّ ترى أن الأعرابي الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أركان الإسلام، فلما أخبره بها وقال:"لا أزيد عليهن ولا أنقص"كيف كان قد بدأ سؤاله بأن قال للنبي صلى الله عليه وسلم:"يا محمد! أتانا رسولك، فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟".

أتاهم رسوله داعيًا، وكذلك الناس تُؤتى، ومن انتظر أن يأتيه الناس فليس بداعية، ولو فصَلت كلمة هذا الأعرابي، لتبين لك كيف فارق هذا الصحابي الداعية المدينة لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم لقوم هذا، وكيف فارق أهله وبيته وأولاده، وكيف اجتاز المفاوز وصحراء من بعد صحراء، وكيف تعرض للمخاطر والحر أو البرد، ليبلغ دعوة الإسلام.

وهذا شأن الدعوة التي تريد أن تصل إلى أهدافها، لا بد من تحرك ومبادأة وغدو ورواح وتكلم، ليس القعود والتمني من الطرق الموصلة، فافقه سيرة سلفك وقلدهم، تصل، وإلاَّ فراوح في مكانك، فإنك لن تبرحه..".

ويروي لنا التابعي الكروفي، الفقيه النبيل، عامر الشعبي، أن رجالاً"خرجوا من الكوفة، ونزلوا قريبًا يتعبدون، فبلغ ذلك عبد الله بن مسعود، فأتاهم، ففرحوا بمجيئه إليهم، فقال لهم: ما

حملكم على ما صنعتم؟. قالوا: أحببنا أن نخرج من غمار الناس نتعبد. فقال عبد الله: لو أن الناس فعلوا مثل ما فعلتم؛ فمن كان يقاتل العدو؟ وما أنا ببارح حتى ترجعوا.

كان الإمام أحمد إذا بلغه عن شخص صلاح أو زهد، أو قيام بحق، أو اتباع للأمر: سأل عنه، وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة، وأحب أن يعرف أحواله.

لم يكن بالمنعزل المتواري الهارب من الناس، فالداعية يفتش عن الناس، ويبحث عنهم، ويسأل عن أخبارهم، ويرحل للقائهم، ويزورهم في مجالسهم ومنتدياتهم، ومن انتظر مجيء الناس إليه في مسجده أو بيته، فإن الأيام تبقيه وحيدًا، ويتعلم فن التثاؤب.

نماذج من حركة السلف

عن جعفر بن سليمان قال:"سمعت مالك بن دينار يقول: لو استطعت أن لا أنام؛ لم أنم مخافة أن يترل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعوانًا، لفرَّقتهم ينادون في سائر الدنيا كلها: يا أيها الناس! النارَ النارَ".

وعن إبراهيم بن الأشعث قال:"كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنازة لا يزال يعظ، ويذكر ويبكي، حتى لكأنه يودِّعُ أصحابه ذاهبا إلى الآخرة، حتى يبلغ المقابر، فيجلس فكأنه بين الموتى حتى يقوم، ولكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها".

وعن شجاع بن الوليد قال:"كنت أخرج مع سفيان الثوري، فما يكاد لسانه يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهبًا وراجعًا".

والإمام الزهري:"لم يكتف بتربية أجيال وتخريج أئمة في الحديث، بل كان يترل إلى الأعراب، يعلمهم".

أما الشيخ أبو إسحاق الفزاري رحمه الله: فقد"كان رجل عامة، وهو الذي أدَّب أهل الثغور الإسلامية التي في أعالي بلاد الشام والجزيرة تجاه الروم، وعلَّمهم سنن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يأمر وينهى، وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه".

وأما الإمام الجليل الخِرقي صاحب"المختصر"فقد قال الإمام ابن قدامة رحمه الله:"وسمعت من يذكر أن سبب موته، أنه أنكر منكرًا بدمشق، فضرب، فكان موته بذلك".

وقال جعفر بن برقان: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز، وقال في كتابه:"ومُرْ أهل الفقه من جندك، فلينشروا ما علمهم الله في مساجدهم ومجالسهم، والسلام".

وعن عثمان بن عطاء عن أبيه قال:"إن أوثق عملي في نفسي نشري العلم". وعطاء بن أبي رباح مفتي مكة هو القائل:"لأن أرى في بيتي شيطانًا؛ خير من أن أرى فيه وسادة، لأنها تدعو إلى النوم".

وما أجمل ما قال الشيخ القرضاوي وهو يجادل الخاملين، ويحاج الخامدين، ويوبخ الهامدين:

قالوا: السعادة في السكون..... وفي الجمود وفي الخمود

في العيش بين الأهل.......لا عيش المهاجر والطريد

في المشي خلف الركب في..... دعة وفي خطو وئيد

في أن تقول كما يقال.......فلا اعتراض ولا ردود

في أن تسير مع القطيع....... وأن تقاد ولا تقود

في أن تصيح لكل وال:........ عاش عهدكم المجيد

قلت: الحياة هي التحرك.......لا السكون ولا الهمود

وهي الجهاد، وهي يجا.......هد من تعلق بالقعود؟

وهي التلذذ بالمتاعب.......لا التلذذ بالرقود

هي أن تذود عن الحياض.......وأي حر لا يذود؟

هي أن تحس بأن كأس.......الذل من ماء صديد

هي أن تعيش خليفة..... في الأرض شأنك أن تسود

وتقول: لا، ونعم، إذا ما.......شئت في بصر حديد

٣٠-الدعاة وحمل هم الأمة:

لم تكن صرخة حبيب النجار بقومه حين جاء من أقصى المدينة يسعى بالنصيحة لهم مجرد حادثة من رجل أحب الخير لأهله وخشي عليهم الهلاك والعذاب، كما لم تكن صيحة مؤمن آل فرعون بقومه كذلك.. وإنما كان ذلك علامة على أن من أعظم ما يهتم به الداعية المؤمن المشفق هداية قومه، وبلوغ الجهد في النصح لهم، كما يتضح ذلك جليًّا لمن تدبر سيرة سيدنا نوح على سبيل المثال، وكذا قصص سائر المرسلين، حتى خاتمهم وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم، وكذا أتباعهم إلى يومنا هذا.

وأنت إذا تأملت قوائم عظماء رجالات الإسلام من الرعيل الأول فمن بعدهم لرأيت أن"علو الهمة"هو القاسم المشترك بين كل هؤلاء الذين اعتزوا بالإسلام، واعتز بهم الإسلام، ووقفوا حياتهم لحراسة الملة وخدمة الأمة، سواء كانوا علماء أو دعاة أو مجددين أو مجاهدين أو مربين أو عُبَّاد صالحين، ولو لم يتحلوا بعلو الهمة لما كان لهم موضع في قوائم العظماء، ولما تربعوا في قلوب أبناء ملتهم، ولا تزينت بذكرهم صحائف التاريخ، ولا جعل الله لهم لسان صدق في الآخرين.

لقد كانت أسوهم في حمل هَمِّ الأمة - بل في كل باب من أبواب الخير - هو الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، الذي شارك المسلمين آلامهم، وكان في حاجتهم حتى حطمه الناسُ صلى الله عليه وسلم.

فعن عبد الله بن شقيق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها:"أكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يصلي جالسًا؟"قالت:"بعد ما حطمه الناس". أي حملوه أثقالهم حتى صار شيخا محطوما. والحديث رواه أحمد ومسلم.

وتأمل استنكاره صلى الله عليه وسلم دعاء الأعرابي:"اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا"وقوله له:"لقد حجَّرت واسعًا". وكذا قوله صلى الله عليه وسلم:"من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة". وقوله صلى الله عليه وسلم في وصف أهل الجنة:"ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم".

فلا هطلت عليَّ ولا بأرضي.......سحائبُ ليس تنتظم البلادَ

والداعية إلى الله الكبير الهمة يقدر تبعات هذا المقام الرفيع، فهو يظمأ حيث يروي الناس، ويسهر حيث ينامون، ويجوع حيث يشبعون، ويتعب حيث يستريحون، ويقدم حيث يحجمون.

عن عليٍّ رضي الله عنه قال:"كنا إذا احمَّر البأسُ، ولقي القومُ القومَ اتَّقَيْنا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون منا أحدٌ أدنى من القوم منه".

وعن البراء رضي الله عنه قال:"كنا والله إذا احمَّر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به صلى الله عليه وسلم".

وعن أنس رضي الله عنه قال:"كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس، وأجودَ الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناسُ قِبَلَ الصوت، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناسَ إلى الصوت، وهو يقول:"لم تُراعوا؛ لم تراعوا(أي لا

تخافوا)، وهو على فَرَسٍ لأبي طلحة عُرْي ما عليه سَرْجٌ، في عنقه سيف، فقال:"لقد وجدته بحرًا، أو: إنه لَبحر".

قال صلى الله عليه وسلم:"...ولأن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته - وأشار بأصبعيه - أفضل من أن يعتكف في مسجدي - أي مسجد المدينة - هذا شهرين".

وقال صلى الله عليه وسلم:"من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة".

وعن عبد الكريم أبي أمية قال:"لان أردَّ رجلاً عن رأي سيئ أحب إليَّ من اعتكاف شهر".

وتصف فاطمة بنت عبد الملك زوجها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فتقول:"كان قد فرَّغ للمسلمين نفسه، ولأمورهم ذهنه، فكان إذا أمسى مساءً لم يفرغ فيه من حوائج يومه؛ وصل يومه بليلته".

وقال أبو عثمان شيخ البخاري رحمه الله:"ما سألني أحد حاجة إلاَّ قمت له بنفسي، فإن تَمَّ؛ وإلاَّ قمت له بمالي، فإن تمَّ، وإلاَّ استعنا له بالإخوان، فإن تم، وإلاَّ استعنت بالسلطان".

وكان الليث بن سعد رحمه الله:"يجلس للمسائل، يغشاه الناس فيسألونه، ويجلس لحوائج الناس، لا يسأله أحد من الناس فيرده، كبرت حاجته أو صغرت".

واعتادت أم الشيخ"محمد رشيد رضا"رحمه الله أن تراه مهتمًّا لأحوال المسلمين إذا ألَّمت بهم أو بأحدهم نائبة، ورأته ذات يوم على هذه الحال، فقالت له:"مالك؟ هل مات مسلم بالصين؟". وهذا يدلك على مدى اهتمامه الشديد بأحوال المسلمين في كل أرض الله الواسعة وليس في جهة بعينها وهذه قومية الإسلام ورابطته العظيمة.

إن هذه العلاقة بين الداعية وقومه دائمة وقائمة في كل الأوقات وعلى كل الأحوال، ولا يجد الداعية مناصا عنها ولا مفرا مهما كان حاله وهذا ما صوره شاعر الدعوة الإسلامية المعاصر

عمر بهاء الدين الأميري، وهو في جناح طب القلب، موصول الصدر إلى جهاز المراقبة الإلكتروني بأسلاك تفل من حركته، يُحقن في البطن كل يوم مراتٍ بإبر لإماعة الدم، وقد جاء الطبيب، يسأل القائم على التمريض عن استراحة شاعرنا، فيرد عليه باستغراب، وبفهم يختلف عن فهمه، فيقول الشيخ:

كلا رويدك يا طبيب.......وقد سألتَ: أما استراحْ؟

هل يستريح الحُرُّ يوقد.......صدرَه العبءُ الرزاح؟

٣١-كاد أن يبيع الإسلام بعشرين بنساً..!!

منذ سنوات، انتقل إمام أحد المساجد إلى مدينة لندن في بريطانيا، وكان يركب الباص دائماً من منزله إلى البلد، وخلال تنقله كان أحياناً كثيرة يستقل نفس الباص بنفس السائق.

وبعد انتقاله بأسابيع ركب الباص، وبعد أن دفع الأجرة وجلس، اكتشف أن السائق أعاد له ٢٠ بنساً زيادة عن المفترض من الأجرة.

فكر الإمام وقال لنفسه: إن عليه إرجاع المبلغ الزائد لأنه ليس من حقه.. ثم فكر مرة أخرى وقال في نفسه:"إنسَ الأمر، فالمبلغ زهيد وضئيل، ولن يهتم به أحد... كما أن شركة

الباصات تحصل على الكثير من المال من أجرة الباصات ولن ينقص عليهم شئ بسبب هذا المبلغ، إذن سأحتفظ بالمال وأسكت.

توقف الباص عند المحطة التي يريدها الإمام، ولكنه قبل أن يخرج من الباب، توقف لحظة ومدّ يده وأعطى السائق العشرين بنساً وقال له: تفضل، أعطيتني أكثر مما أستحق من المال.

فأخذها السائق وابتسم وسأله:"ألست الإمام الجديد في هذه المنطقة؟ إني أفكر منذ مدة في الذهاب إلى مسجدكم للعبادة، ولقد أعطيتك المبلغ الزائد عمداً لأرى كيف سيكون تصرفك"

وعندما نزل الإمام من الباص، شعر بضعف في ساقيه وكاد أن يقع أرضاً من هول الموقف فتمسك بأقرب عامود ليستند عليه، و نظر إلى السماء ودعا باكيا:"يا الله، كنت سأبيع الإسلام بعشرين بنساً!!!"

أنت أيضا لا تبعه:

أيها الأخ الحبيب إننا قد لا نرى ردود فعل البشر تجاه تصرفاتنا، لكننا ربما نكون القرآن الوحيد الذي سيقرؤه الناس، أو الإسلام الوحيد الذي سيراه غير المسلم؛ لذا يجب أن يكون كلٌ مِنَّا مثلاً وقدوة للآخرين ولنكن دائماً صادقين، أمناء لأننا قد لا نُدرك أبداً من يراقب تصرفاتنا، ويحكم علينا نحن المسلمين... وبالتالي يحكم على الإسلام من خلال تصرفاتنا.

إن أعمال الداعية هي الجزء المرئي من هذه الدعوة، واللسان الناطق الذي يراه ويسمعه الناس فيتأثرون به، ولذلك لم يفهم السلف الفصل بين وظيفة رجل الدولة ووظيفة التعليم والتربية، وكانوا يرون أن رجل الدولة رجل تربية أيضا.

والدعاة الربانيون كما قال الأئمة: هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربوهم عليها.

دقة مركز القدوة.

مركز القدوة حساس جدا، ويجب أن لا يوضع فيه إلا من كان مستعدا للأخذ بالعزيمة والبعد عن الرخص، وإلا من كان يغلب عليه الجد والزهد والتجرد، ويشتاق إلى التعب والبذل، لأنه إمام لمن حوله يقلدونه، ولابد أن يكون فعله أبلغ في التعبير عن عقيدته ومعاني دعوته من قوله، لأن المنظر أعظم تأثيرا من القول.

ومن هنا، لما هم إمام مصر الليث بن سعد بفعل مفضول ينافى العزيمة قال له إمام المدينة يحيي بن سعيد الأنصاري: (لا تفعل، فانك إمام منظور إليك)

ومعلوم أن جميع من يساهم في أعمال الدعوة إنما هو في الحقيقة يمثل قدوة لطائفة من الناس يتحمل تأثيرها، فيجب أن يحوز شرط القدوة العملية.

إن الرجل الصادق يكلم الناس بلسان فعله أكثر مما يكلمهم بلسان قوله، فإذا نظروا إلى تصاريفه في مورده ومصدره، وخلوته وجلوته، وكلامه وسكوته، ينتفع بالنظر إليه، فهو نفع اللحظ.. ومن لا يكون حاله وأفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينفع، لأنه يتكلم بهواه، ونورانية القول على قدر نورانية القلب، ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق العبودية وحقيقتها؛ وقد قيل قديما: من لم ينفعك لحظه لم ينفعك لفظه. قال الشافعي:"من وعظ أخاه بفعله كان هاديا". وكان عبد الواحد بن زيد يقول: (ما بلغ الحسن البصري إلى ما بلغ إلا لكونه إذا أمر الناس بشيء يكون أسبقهم إليه، وإذا نهاهم عن شيء يكون أبعدهم منه).

والداعية الصادق تستمر هيبته الإيمانية في تعاظم، وتظل في تصاعد ما تصاعدت هيبته لله تعالى وتعاظمت اهتمامات قلبه بدعوته، حتى يغدو منظره قاطعا لغفلة ناظره.

فلكل هذا كان من فقه الدعوة دقة اختيار من يكون قدوة، ولا تساهل في الأمر، ولا نخدع أنفسنا فنبرر التساهل تجاه البعض بعدم تسميتهم قدوات، وبوصف مهمتهم بغير وصف التربية، فإن كل من يتعامل مع الدعاة فإنما الداعية قدوة لهم، من حيث إمكانية رؤيته وسماع قوله، ووجود تأثر السمع به، فإن انضاف لذلك إيحاء وصف الداعية بأنه من المربين زاد

التأثير ولا شك، وتفتحت القلوب لقبول كلامه ومواعظه، فإن عضدها فعله فنعمت المواعظ منه، وإن لم تترجمها حياته اليومية معهم إلى أفعال فإنها لا تعدوا أن تكون هذرًا منفرًا.

إن الموعظة إن لم تتأدّ في أسلوبها الحي كانت بالباطل أشبه، وإنه لا يغير النفسَ إلا النفسُ التي فيها قوة التحويل والتغيير، كنفوس الأنبياء ومن كان في طريقة روحهم.. وإن هذه الصناعة إنما هي وضع نور البصيرة في الكلام، وليس وضع القياس والحجة، وإن الرجل الزاهد الصحيح الزهد إنما هو حياة تلبسها الحقيقة لتكون به شيئا في الحياة والعمل، لا شيئا في القول والتوهم، فيكون إلهامها فيه كحرارة النار في النار، من واتاها أحسها.

ولعمري، كم من فقيه يقول للناس: هذا حرام، فلا يزيد الحرام إلا ظهورًا وانكشافا ما دام لا ينطق إلا نطق الكتب، ولا يحسن أن يصل بين النفس والشرع، وقد خلا من القوة التي تجعله روحا تتعلق الأرواح بها، وتضعه بين الناس في موضع يكون به في اعتبارهم كأنه آت من الجنة منذ قريب راجع إليها بعد قريب

وبإيجاز شديد: إن الأسوة وحدها هي علم الحياة، وعلم الدعوة كله هو الأسوة الصادقة.

٣٢-مقولات في فقه الموقف:

الكتاب الذي أصدره الشيخ سلمان بن فهد العودة بعنوان"مقولات في فقه الموقف"هو تعبير عما أطلقنا عليه جدلية الوعي والحكمة، يناقش الكتاب رغم صغر حجمه قضايا جديدة وهامة، ففي المقولة الأولى يشير إلى خطر وأهمية أحكام النوازل الكبرى التي تواجهها الأمة (الفواصل في تاريخ الأمة) وأن هذه النوازل تحتاج ممن يتعرض لها أن يتسلح بما تقتضيه أصولها وقواعدها من الفقه والاستنباط، وأنها بحاجة إلى إمعان النظر وإعمال العقل بقدر ما تمثله من خطر، فالهجوم عليها وإصدار الأحكام فيها من غير أهلها المقدرين لخطرها والمتمرسين بمقاصدها ومآلاتها هو تعبير عن غياب الوعي والحكمة، وفي هذا يقول الشيخ

سلمان:"قضايا النوازل تصبح مادة لحديث كل أحد في أسبابها ومفاصلها ومآلاتها، ويصدق هنا قول ابن عمر رضي الله عنه لبعض أهل العراق:"ما أسألكم عن الصغيرة وأجرأكم على الكبيرة.

ويشير المؤلف إلى أن قضايا النوازل الكبيرة التي تتصل بمستقبل الأمة وحاضرها تقتضي اعتبار حقوق الأمة الكلية والضرورات التي جاءت الشريعة بحفظها وتحصيلها، ويسوق المؤلف حديث الصحيحين في حصار الطائف لما قال النبي صلي الله عليه وسلم:"إنا قافلون غداً إن شاء الله، فثقل ذلك على الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم"اغدوا على القتال فغدوا فأصابهم جراح، فقال صلي الله عليه وسلم: إنا قافلون غداً إن شاء الله.. فأعجبهم.. فضحك صلي الله عليه وسلم.

وهنا.. فإن طلب مقام الصبر والابتلاء في ذات الله قد لا يكون مطلوباً للشريعة إذا تعارض مع مقصود أهم وهو الحفاظ على قوة المسلمين وجهدهم لمواقف أخرى خاصة لو كان مقام الصبر والابتلاء لا يحقق النكاية في العدو بما يكافئ نتائج القتال والجهاد.

الاجتهاد للنوازل:

ينتقل المؤلف إلى المقولة الثانية وهي الاجتهاد للنوازل، حيث يرى أن مسائل النوازل تحتاج إلى إعمال قواعد الشريعة ومقاصدها الكلية وليس مجرد الاستدلال من حوادث فرعية واجتهادات جزئية لعلماء متقدمين في مسائل سابقة مختلفة عن النازلة الجديدة، وهنا فإن مراعاة الأحوال والملابسات التي تجري النوازل في سياقها مسألة هامة للاجتهاد فيها، فسياق النازلة هو جزء من فهمها والاجتهاد بشأنها والحكم عليها حكماً صحيحاً.

ويشدد المؤلف على أن الاجتهاد لنوازل الأمة يحتاج لمقام العلم أكثر من حاجته لمقام الإرادة، فحسن القصد وصلاح النية لا يشفع لمن تعرض للاجتهاد في النوازل الكبرى دون علم"فالتقصير في تحقيق العلم والفقه ونقص قيمة الوعي وسلامة التفكير هو من موارد الفتنة وموجبات الفساد، ويشير المؤلف إلى أن المجتهد في النوازل لابد له من علم خاص يرفعه عن

علم العامة، ويوضح أن طبيعة موقف النازلة قد يكون من التعقيد والتركيب بحيث تتعدد أنظار المجتهدين بشأنه وهذا لا يوجب منازعة بين أهل العلم والاجتهاد، ويقول المؤلف:"إن الوجه المحكم في الشريعة الذي لا تنفك عامة الأحداث عنه يجب أن يبقي لحمة أهل الاسلام وعصمة اجتماعهم لكن يبقي لخاصتهم حق النظر في إحكام الموقف وتسديده على وفق قواعد الشريعة التي جاءت بتحقيق المصالح ودرء المفاسد.

ويشير المؤلف إلى قصة صلح الحديبية وكيف أن الشروط التي قبلها النبي صلى الله عليه وسلم بدت لكبار الصحابة مفارقة لمقام الجهاد وعلو الإيمان لكنه كان الخير والحق والصواب وسماه الله فتحاً، وأشار إلى غزوة مؤتة وكيف كان تحيز خالد بن الوليد عن العدو وانسحابه من المعركة نصراً وفتحاً.. فمقام الصبر وبذل النفس وحسن القصد لا يحكم وحده الموقف بل هناك قواعد كلية ومصالح ضرورية وعامة تتصل بالأمة والإسلام لابد من إعمالها وأخذها في الحسبان، فبسط الإسلام وهدايته وسلطانه وتديين الناس لرب العالمين ورفع الظلم عن المظلومين كلها اعتبارات كلية عامة لابد من أخذها في الحسبان.

الاختلاف المعتبر:

يشرح المؤلف الاختلاف المعتبر بين العلماء وهو تعدد أقوال العلماء في المسائل الخلافية والاجتهادية كل حسب نظره وفقهه، وليس من قدر الله ولا شرعه أن يتفق علماء الأمة في سائر مواضع الاجتهاد ومن لم يقدر هذا المقام قدره فقد اتخذ العلم بغياً، وإذا تحولت الآراء المتعددة إلى ولاءات خاصة وتعبيرات للحزبية والطائفية فإنها تكون تمزيقاً للأمة وردة للجاهلية وانحرافا عن السنة، وحيث أن تعدد الاجتهادات في المسائل الخلافية هو أمر تفرضه طبيعة هذه المسائل فإن الواجب على المجتهدين والمختلفين التزام أحكام الإسلام في التزام القواعد الأخلاقية للاختلاف بحيث لا يتحول الخلاف إلى محادة ومشاقة تنتهك قواعد الأخوة الدينية التي تنتظم كل من صح له عقد الإسلام كائناً ماكان خطؤه.

ضبط القصد والولاء:

الولاء والقصد هما من باب الإرادة والهم ولابد لهما من العلم كما أن العلم تلزمه الإرادة والقصد، والمطلوب هو الضبط والموازنة بين الولاء والقصد والفقه والعمل، فالحكم على الحدث يحتاج إلى ضبط مادة الولاء مع مادة العلم والفقه وإلا صار الحكم عاطفياً، كما أن مقام العلم والنظر مع التقصير عن القيام بما يوجبه هذا العلم من الهم والإرادة والعمل هو تقصير وتأخر عن موافقة الشريعة.

ويوضح المؤلف أن بعض النفوس فيها ميل للشوكة والمنعة والتحريب والنكاية وربما غلب عليها ذلك من باب الإرادة والفعل فلا تنظر ما عداه، كما أن بعض النفوس فيها ميل للعلم والمعرفة فيجعلها ذلك تقصر عن العمل والحركة مما تريده الشريعة، ومعلوم أن تجريد النفوس عن ميلها الفطري ليس مقدوراً عليه في الجملة ولا هو مناسب؛ لذلك جاءت الشريعة تأمر بالموازنة بين ما هو حق لذاته والأمر بدفع ما ليس بحق، فلا يجب اتخاذ الاختلاف النفسي سبباً للبغي والعدوان كما لا يجب اتخاذ العلم بغياً بين أهله. ومن الناس من يتخذ ما معه من العلم سببا للبغي ومنهم من يتخذ طبيعة النفس سبباً للظلم والعدوان.

التفاضل في التكليف:

ليست كل التكاليف على مرتبة واحدة من حيث هي خطاب الشارع للمكلفين، فالله خلق بني آدم وجعلهم درجات فيما آتاهم، وفي المواقف العامة فإن التكاليف تتفاوت بقدر سعتها وتعددها، ولا يجب على أهل الدعوة أن يحصروا أنفسهم في تكليف واحد فسعة الموقف العام والنازلة الكبيرة تحتاج لتعدد المكلفين والعاملين وتكاملهم، وعدم حصر أنفسهم في دائرة واحدة فقط.

ويقول المؤلف:"حين نعتبر معنى تفاضل التكاليف فمن اللازم ألا يفتأت على الشرع بإيجاب ما لم يتحقق إيجابه على المسلمين أو نوع منهم، والأقدار الربانية التي يبتلي بها أهل الإسلام

تدفع بما تأذن به الشريعة وليس بما يفرض مناسباً لدفعها ولو كان فيه شئ من التخطي لحدود الشرع والعقل.

والاستطاعة شرط لوجوب التكليف في حق المكلف، وغير المقدور عليه ليس من موارد التكليف الشرعي.

القدر الشرعي والكوني

وأشار المؤلف إلى نقطة هامة وهي العلاقة بين القدر الشرعي والكوني وأن الأحكام الشرعية لا تجرد عن اعتبار السنن القدرية الكونية، بيد أنه لا تلازم بين الأمرين كما هو الحال بين الحق والنصر، فالكثير يتصور أن هذا حق إذن لا بد من النصر لكن النصر قدر الله وقضاؤه لا تدخل فيه اجتهاداتنا وتقديراتنا الذاتية، لذا لا يجب أن نعطي للناس نبوءات بناء على اجتهاداتنا لأن أمر المستقبل لله وحده، فالرسل لم يتجاوزوا برسم الوعد الذي يختصر الخيارات ويجعل الإنسان انتظارياً خلاصياً.

كتاب"مقولات في فقه الموقف"رغم صغره لكن يعكس ما يمكن أن نطلق عليه أسس في قواعد التفكير الشرعي والعلمي الصحيح، ولا تزال مشكلة الحركة الإسلامية الأساسية هي غياب قواعد المنهج في التفكير والنظر والعمل، وهو تعبير عما أطلقنا عليه جدلية الوعي والحكمة، والتي تعني الموازنة والاعتدال والضبط بين أطراف المسائل وردها إلى وسطها، فالولاء بحاجة لعلم والعلم بحاجة لإرادة، والاجتهاد لا يوجب النزاع والتعدي على الأخوة الدينية، والاختلاف النفسي لا يقود إلي البغي، والنظر في القضايا النازلة يحتاج إلى مراعاة سياقاتها والتأمل العميق في شأنها،كلها قضايا هي تعبير عن علاقة جدلية بين الوعي أو المعرفة الحذرة وبين الإرادة والعمل والهم المنضبط بالشرع والحق.

٣٣-أنواع الدعوات والدعاة:

شؤون الحياة، وسبلها، وغاياتها، والسعي فيها، والدعوة إليها كثيرة ومتشعبة يجمعها ضربان: الحق والباطل. فالدعوة فيها إلى الله تعالى هي الحق وهي دعوة واحدة لا تشعب فيها ولا تناقض. والدعوة فيها إلى غير الله تعالى هي الباطل، وهي دعوات شتى كثيرة ومتناقضة، يقول الله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ)(الحج:٦٢)، والباطل كله ضلال: (فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ)(يونس:٣٢).

فالله سبحانه وتعالى هو الإله الخالق، وكل ما عداه مخلوق له (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ)(مريم:٦٥)، فالدعوة إما أن تكون له وحده، وهذه هي دعوة الحق، ودعاتها دعاة الحق، وإما أن تكون دعوات لغيره أيًا كان من المخلوقات: ملك، أو جن، أو نجم، أو جماد، أو حيوان، أو إنسان، أو شهوة، أو أوهام، فتلك هي دعوات الباطل والضلال، على رأس كل منها شيطان، ودعاتها دعاة الباطل والضلال (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)(الأعراف:١٩٤).

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا بيده، ثم قال:"هذا سبيل الله مستقيمًا، وخط عن يمينه وشماله ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام:١٥٣)، وإنما وحّد (سبيله) لأن الحق واحد، وجمع (السبل) لتفرقها وتشعبها كما قال تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ)(البقرة:٢٥٧).

فقد وحّد سبحانه لفظ (النور) وجمع (الظلمات) لأن الحق واحد، والكفر أجناس كثيرة، وكلها باطلة، إلى غير ذلك من الآيات التي في لفظها إشعار بتفرد الحق، وانتشار الباطل وتشعبه.

وقد ميز الله تعالى بين الدعوتين والداعين إلى كل منهما، فقال تعالى: (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا) (مريم:٤٨)، وميز بين مصير دعوات المبطلين وهي باطل، وبين مصير دعوة الله تعالى وهي الحق، فقال تعالى: (أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)(البقرة:٢٢١).

دعوات الباطل:

الدعوات إلى غير الله تعالى هي الباطل وهي الضلال، وقد نهى الله تعالى عنها فقال سبحانه: (وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ)(يونس:١٠٦).

وبيَّن سبحانه أن الدعوات إلى غيره لا تصح، ولا ثمرة لها إلا لخسران، فقال تعالى: (تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الْآخِرَةِ)(غافر: ٤٢، ٤٣). أي لا يصح أن يُدعى ويحث عليه إذ هو ليس بذي بال ولا قدر.

وبيّن سبحانه أن دعاة الباطل لا سند لهم ولا برهان، وأنهم لا يفلحون أبدًا: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)(المؤمنون:١١٧).

وبيّن جماع صفات دعاة الباطل وهي الكفر، ومصير دعواهم وهو الضلال والضياع، فقال تعالى: (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ)(الرعد:١٤)، وقال سبحانه: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ)(الأحقاف:٥).

ونهى عن مشاركتهم في منهجهم وسلوكهم فقال تعالى آمرًا: (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)(غافر:٦٦).

وبيّن حقيقة ما يدعون إليه من دون الله تعالى وهجهم وهدفهم فقال تعالى: (يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ) (الحج:١٣)، وقال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج:٧٤)، وقال عز من قائل: (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً * لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً)(النساء:١١٧ - ١٢١)، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)(النحل:٢٠، ٢١)، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ)(غافر:٢٠).

دعوة الحق:

والدعوة إلى الله تعالى وحده هي دعوة الحق، يقول الله تعالى (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ)(الرعد:١٤)، أي الدعوة الحق لله وحده.

وقد بيّن سبحانه أنها طريق الاستقامة والمغفرة: (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)(المؤمنون:٧٣) وقال تعالى: (يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ)(إبراهيم:١٠).

وقد وجّه الله سبحانه رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى الدعوة إليه وحده فقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)(الأنبياء:٢٥)، وقال تعالى: (وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)(القصص: ٨٧، ٨٨)، وقال تعالى: (وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدىً مُسْتَقِيمٍ)(الحج:٦٧)، وقال سبحانه: (وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ)(الحديد:٨).

ودعا المؤمنين ليكونوا دعاة إلى الله تعالى وحده وأن تقوم أمة منهم على أمر الدعوة إليه فقال تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(آل عمران:١٠٤). وعرّفهم منهجهم وسبيلهم في الدعوة إلى الله تعالى وحده فقال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)(يوسف:١٠٨).

وبيّنن مترلة الدعوة إلى الله تعالى وأها بمكان لا يدانيها مكان (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)(فصلت:٣٣).

ودعا إلى الاستجابة لدعوته سبحانه ولدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ (الأنفال:٢٤)

وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بصبر النفس مع الذين يدعون ربهم: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ)(الكهف:٢٨).

وبيّن أن الدعاة إلى الله تعالى إنما يدعون بدعوة الله إلى الجنة والمغفرة بإذنه: (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ)(البقرة:٢٢١)، وقال تعالى: (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ)(يونس:٢٥).

٣٤-الملأ:

الملأ هم أشراف القوم وقادهم ورؤساؤهم وسادهم، وهم البارزون في المجتمع، وأصحاب النفوذ والسيادة، هم أشراف المجتمع وسادته، أو هكذا يعتبرهم العامة، وهم أهل الزعامة والقيادة والرئاسة.

هذا خلاصة ما قاله المفسرون في معنى الملأ، وقد استعمل القرآن الكريم هذه الكلمة في العديد من السور عند الحديث على قصص الأنبياء، وما جرى بينهم وبين قومهم، وإطلاق القرآن لهذا اللفظ وهذا الوصف على هؤلاء الناس هو من قبيل بيان الواقع لا من قبيل الاستحقاق.

ومن خلال تتبع آيات القرآن وقصص المرسلين نجد أن الوصف الغالب على هؤلاء القوم (الملأ) هو معاداهم للدعوة وأصحابها، ومقاومتهم لانتشارها وتعذيبهم لأتباعها، وعادة ما يقودون حملات التكذيب والافتراء والتضليل ضد الأنبياء أو ورثتهم الدعاة إلى الله، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)(سبأ:٣٤، ٣٥).

فأعلنوا منذ اللحظة الأولى كفرهم، وأظهروا معاداهم، ثم جاهروا بسب الأنبياء ووصفهم بما ليس فيهم تنفيرًا للناس منهم وصرفا لهم عنهم.

فنوح عليه السلام: (قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ)(الأعراف:٦٠).

وهود عليه السلام لما أرسل إلى قوم عاد: (قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)(الأعراف:٦٦).

وعلى هذا سار الملأ من قوم كل نبي في إيذاء الأنبياء والدعاة إلى الله: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)(الذاريات:٥٢).

وكان إيذاء الملأ من قريش لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم أعظم الإيذاء، فمرة يمشي عمه خلفه ليصرف الناس عنه ويقول: لا تطيعوه ولا تسمعوا منه.ومرة يلقون سلى الجزور على ظهره وهو ساجد عند الكعبة. ومرة يرده سادة ثقيف أقبح رد ويغرون به سفهاءهم فيرمونه بالحجارة ويخرجونه من ثقيف. ومرة يخرجونه وأصحابه من بلده الكريم. هذا إلى جانب التشنيعات والافتراءات التي افتروها عليه، كما افترى كل ملأ على إخوانه المرسلين من قبله، فهي سنة ماضية، ورثها عن الأنبياء أتباعهم وورثتهم الذين ورثوا عنهم العلم والعمل والدعوة إلى الله تعالى.

أسباب العداوة

والمتأمل في أسباب مخاصمة الملأ لرسلهم ورفضهم لدعوهم يمكنه إرجاع ذلك إلى عدة أسباب أهمها:

أولاً: الكبر

وهو آفة مهلكة، وخُلقٌ ذميم، يقود صاحبه إلى رؤية النفس واحتقار الآخرين، فيمنع المتكبر عن معرفة الحق، أو عدم الانقياد له بعد معرفته، فهو من أهم أسباب الحجب عن الهداية وسلوك سبيلها، قال تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ)(الأعراف:١٤٦).

وفي الملأ من قوم نوح عليه السلام عبرة وعظة، فقد قالوا لنوحٍ عليه السلام لما دعاهم إلى الله: (مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ)(هود: من الآية٢٧)، وقالوا له: (أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ)(الشعراء:١١١).

وإنما حملهم على قول ما قالوه الكبر الذي ملأ قلوبهم، ومثلهم قوم فرعون الذي علا في الأرض وعتى حتى قال: (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)(النازعات:٢٤)، وتابعه قومه على كبره وعلوه فكان الكبر سبيلهم إلى الهلاك: (فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ * فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ * فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ)(المؤمنون:٤٦ - ٤٨).

وقد عانت قريش من نفس المرض، وشربت من هذا الورد؛ فأعماهم الكبر عن رؤية نور الحق، وأنساهم وقائع الدهر وتاريخ الأمم فقالوا لداعي الإيمان صلوات الله وسلامه عليه: (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ)(ص:٧).

فصدهم الكبر كما صد من سبقهم عن معرفة الحق واتباعه، وحملهم على جحده وإنكاره، وصدق الله إذ يقول: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وعُلُوّاً) (النمل:١٤)، ويقول: (فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)(الأنعام:٣٣).

ثانيًا: حب الرياسة والجاه

الملأ كما قدمنا هم أهل السيادة والشرف، ولهم الملك على الناس، وهم بهذه السيادة وذاك الملك يجلبون المكانة لأنفسهم والرفعة، فجلبت لهم الرياسة والملك مكانة في قلوب مرؤوسيهم تسلطوا بها على رقابهم، وصارت لهم بها وجاهة دنيوية وسلطان.

ومعلوم أن دعوات الحق لا تفرق بين الخلق على اختلاف طبقاتهم وأشكالهم وألوانهم إلا بالتقوى والعمل الصالح، فالناس سواسية إلا من رفعه دينه وقدمته تقواه، وهذا ما يرفضه ذوي السلطان الزائف والجاه، أن يفقدوا سلطانهم ويذهب عنهم جاههم، فرفضوا لذلك دعوات المرسلين، وظنوا أنهم إنما أتوا ليسلبوهم ملكهم وجاههم ورئاستهم. فقال قوم نوحٍ عنه: (مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ)(المؤمنون:٢٤). وقال ملأ فرعون لموسى عليه السلام: (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ)(يونس:٧٨). وقالت عاد لنبيهم هود عليه السلام: (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ)(هود:٥٣).

وبمثل ذلك قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ)(ص:٦).

قال القرطبي: (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ): كلمة تحذير، أي إنما يريد محمد صلى الله عليه وسلم بما يقول الانقياد له ليعلو علينا ونكون له أتباعًا فيتحكم فينا بما يريد، فاحذروا أن تطيعوه.(القرطبي ١٥/١٥١، ١٥٢). وقال ابن كثير عند هذه الآية:"قال ابن جرير: إن الملأ قالوا: إن هذا الذي يدعونا إليه محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد لشيء يريد به الشرف

عليكم والاستعلاء، وأن يكون له منكم أتباعًا ولسنا نجيبه". وهكذا كان حب الشرف والجاه سببًا في صد الملأ عن سبيل الله.

ثالثًا: الجهالة

رغم أن الظاهر في أمر الملأ أنهم أصحاب الوجاهة والعقل السليم والفكر السديد، ومنهم المفكرون والمنظرون والمبدعون، و.. و.. إلا أن الجهل كان من أهم سمات القوم وصفاتهم، حين عموا عن إدراك الحق الذي جاءت به الرسل فردوه، واستحسنوا الباطل فدافعوا عنه وقبلوه، فلم يقبلوا حجج المرسلين على كثرتها ووضوحها (كناقة صالح، ونار إبراهيم، وعصا موسى، ومعجزات عيسى)، ووصفوها بأنها"سحر مبين"أو"أساطير الأولين"، وكذا حملهم الجهل على رد رسالات الرسل ودعوات الدعاة لبشريتهم: (وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ)(الأنعام:٨)، وقالوا: (لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)(فصلت:١٤) وقالوا: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ)(المؤمنون:٢٤). أو لأن أتباعهم من الضعفاء الفقراء، كما قالوا لنوح ولغيره، وزعموا لجهلهم أنهم أفضل عند الله لكثرة أموالهم ووفرة عددهم: (وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)(سبأ:٣٥).

رابعًا: التقليد

كان تقليد الآباء - ومازال - سببًا من أكبر أسباب الضلال، وسبيلاً من سبل الصد عن اتباع الحق والرشاد، وقد عاش الملأ من أقوام المرسلين هذا الأمر فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين، أي بصَّرهم الله سبل الهدى فتركوها، وسلكوا سبل الردى لا لشيء إلا أنها كانت منهج الآباء.

من لدن نوح وإبراهيم عليهما السلام وإلى نبينا خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام، وحجة كل قوم في ترك الإيمان هي تقليد الأولين السابقين من الآباء والأجداد، وهل أهلك أبا طالب إلا التقليد. وكذا كل معاند كما قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا

بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ)(البقرة:١٧٠)، وقال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ)(المائدة:١٠٤)، وقال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ)(لقمان:٢١).

وقد لخص الله كلامهم وجمع حجتهم في قوله: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ)(الزخرف:٢٣).

وهكذا عاش الملأ في كل قومٍ بتلك الأوصاف وهذه الأخلاق في كل زمان فحاربوا كل دعوة بدافع الكبر، وعاندوها بدافع حب الرياسة، خوفًا على مراكزهم وترفهم، ووقفوا في وجهها لسوء فهمهم ولجهلهم الذي عشش في عقولهم وخيم على نفوسهم، والذي حملهم على تقديم فعل الآباء ومعتقدهم على ما جاء به المرسلون من عند ربهم.

وقد تنبه المفسرون إلى أن الملأ يبقون معارضين للدعوة إلى الله تعالى، يقول ابن كثير عند قوله تعالى: (قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ)(الأعراف:٦٠) قال:"وهكذا حال الفجار، إنما يرون الأبرار في ضلالة".(٢/٢٤٠).

وقال في مكان آخر:"ثم الواقع غالبًا أن يتبع الحق ضعفاء الناس، والغالب على الأشراف والكبراء مخالفته".(٢/٢٤١).

٣٥-العصاة:

هم صنف من أصناف المدعوين، نعني بهم من كان عنده أصل الإيمان، ويشهدون الشهادتين، ولكنهم لا يقومون بحقوق الشهادة فيخالفون في بعض الأوامر الشرعية، ويرتكبون بعض ما نهى عنه، وهم في ذلك بين مُقلٍ ومُكثر.

ومعلوم أن هذا الصنف هو أكثر أصناف المدعوين من المسلمين، فالمسلم غير معصوم بل جاء في الحديث:"كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"، والإيمان يزيد في قلب العبد وينقص، ووازع الله في قلب العبد قد يضعف مع طروء الغفلة وغلبة الشهوة، فيقبل الإنسان إغراء الشيطان وإغواءه فيقع في المعصية.

والمعصية تدل على جهل صاحبها، فلولا جهله ما عصى الله تعالى، إذ هو جاهل بقدر ربه وعظمته، وكمال إنعامه عليه وتمام فقر العبد إليه، جاهل باطلاع الله عليه وتمكنه منه، جاهل بضرر المعاصي وعواقب الذنوب، ولو علم ضررها واستحضر خطرها لفر منها أشد مما يفر من الأسود والعقارب والحيات.

وقد بين ربنا جهل العصاة في كتابه فقال: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً)(النساء:١٧)، قال مجاهد وغير واحد من أهل العلم:"كل من عصى الله خطأً أو عمدًا فهو جاهل حتى يترع عن الذنب". وقال ابن عباس رضي الله عنهما:"من جهالته عمل السوء". وقال مجاهد أيضًا:"كل عامل بمعصية الله فهو جاهل حين عملها".

ومما يدل على جهل العاصي اتكاله على عفو الله ورحمته، ونسيانه أن رحمة الله قريب من المحسنين، وأن من يرجو رحمة ربه يأخذ بأسبابها والتي من أهمها ترك الذنوب والمعاصي، فإن رجاءك رحمة من تعصيه خذلان وحماقة، وإنما يعظم الرجاء في حق من عمل له وسعى إليه كما قال سبحانه:(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(البقرة:٢١٨).

موقف الداعية من العصاة:

إذا كان هذا حال العصاة فإن على الداعي أن ينظر إليهم نظرة إشفاق ورحمة، فهو يراهم كالواقفين على حافة وادٍ عميق سحيق في ليلة ظلماء، فهو يخاف عليهم من السقوط، ويعمل جهده لتخليصهم من الهلاك، حاله كحال الدعاية الأول r، حيث يقول:"إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تفلتون مني.. أو قال تقحمون فيها..."الحديث.

فليس من حق الداعي ولا ينبغي له أن يحتقر العصاة وأن يفتخر بنفسه عليهم، ويُدِلَّ عليهم بطاعته، وإنما يستحضر فضل الله عليه وحفظه وستره إياه، فلولا نعمة الله عليه لكان مثلهم أو أسوأ منهم، ويعاملهم بما يحب أن يعاملوه لو اختلفت الأدوار.

والخلاصة أن إخراج أهل المعاصي من معاصيهم وتخليصهم منها وفتح طريق النجاة والتوبة والأوبة والعودة إلى الله أمامهم هي غاية الداعي وما يسعى له.

والداعية - وإن كان الأصل فيه عدم الغضب لنفسه أو لهواه - إلا أنه ينبغي أن يغضب إذا انتهكت محارم الله، لحديث عائشة رضي الله عنها:"ما انتقم رسول الله لنفسه قط..."الحديث.

فإذا كان العاصي ممن يؤذي الدعاة وأهل الإيمان ويحاربهم وجب نصحه بما يغلب على الظن قبوله، فإذا تجبر و لم يقبل النصح جاز للداعية في هذه الأحوال أن يسلك معه ما يكف به ضرره عن الدعوة والدعاة بالقدر الذي يبيحه الشرع، دون تجاوز القدر، وأن يتوسل بالأسهل فالأسهل من الوسائل، مع الرغبة التامة في هدايتهم وصلاحهم، آخذًا بالسبب، تاركًا النتيجة على الله الذي بيده مفاتيح قلوب العباد (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(القصص:٥٦)(١)

---

(١) بتصرف من كتاب"أصول الدعوة". لعبد الكريم زيدان.

٣٦-مصادر الدعوة في أساليبها ووسائلها:

المصادر التي تستمد منها الدعوة أساليبها ووسائلها متعددة، ولكنها تعود إلى أصول يمكن جمعها فيما يلي:القرآن الكر يم، السنة النبوية المطهرة، سيرة السلف الصالح، استنباط الفقهاء، التجارب، ونتكلم فيما يلي بشيء من الإيجاز عن كل مصدر.

أولاـــ القرآن الكريم

ففي كتاب الله آيات كثيرة تتعلق بأخبار الرسل الكرام وما جرى لهم مع أقوامهم. وما خاطب الله تعالى به خاتمهم سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم من أمور الدعوة إليه. وهذه الآيات الكريمة يستفاد منها أصول الدعوة ووسائلها التي يجب أن يفقهها المسلم كما يتفقه أمور الدين الأخرى، لأن الله جل جلاله ما قصها علينا وأخبرنا بها إلا لنستفيد منها ونتزود من معانيها ما يعيننا على الدعوة إلى الله تعالى، ونلتزم بنهجها. قال ربنا تبارك وتعالى: (وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (هود:١٢٠).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (كل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم جرى لهم من المحاجات والخصومات وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين. كل هذا مما نثبت به فؤادك يا محمد أي قلبك ليكون لك ممن مضى من إخوانك المرسلين أسوة).

ولا شك أن المسلمين يقتدون برسولهم صلى الله عليه وسلم وفيما كان يتأسى به من سيرة المرسلين في أمور الدعوة إلى الله. قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا

كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (يوسف: ١١١).

ففي قصص السابقين من أمم الأرض وما جرى عليهم وما جرى لأنبيائهم معهم عبرة وموعظة لأصحاب العقول السليمة، وهداية ورحمة للمؤمنين بالله ورسوله؛ فهم الذين يعتبرون بما قصة الله عن الماضين ويتعظون به؛ لأن الإيمان قد فتح قلوبهم للحق وأرهف حسهم لمواضع العبرة ومعاني الموعظة. وقال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) (الأنعام: ٩٠). فهذه الآية الكريمة تشير إلى لزوم الاقتداء بنهج رسل الله في الدعوة إليه.

ثانيا: السنة النبوية

السيرة النبوية وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم هي الدعوة، وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة تتعلق بأسلوب دعوة الناس ووسائلها. كما أن السيرة النبوية المطهرة، وما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة والمدينة، وكيفية معالجته للأحداث والظروف التي واجهته، كل ذلك يعطينا مادة غزيرة جداً في هذا الجانب، لأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مرّ بمختلف الظروف والأحوال التي يمكن أن يمر بها الداعي في كل زمان ومكان، فما من حالة يكون فيها الداعي، أو أحداث تواجهه، إلا ويوجد نفسها أو مثلها أو شبهها أو قريب منها في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فيستفيد الداعي منها الحل الصحيح والموقف السليم الذي يجب أن يقفه ما فقه معاني السيرة النبوية، وقد يكون من حكمة الله ولطفه أن جعل رسوله الكريم يمر بما مر به من ظروف وأحوال حتى يعرف الدعاة المسلمون كيف يتصرفون، وكيف يسلكون في أمور الدعوة في مختلف الظروف والأحوال اقتداء بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالسيرة النبوية والتوجيهات النبوية الكريمة تطبيقات عملية لما أمر الله به رسوله في أمور الدعوة وتبليغ الرسالة، وما ألهم رسوله في هذا المجال، فلا يجوز للداعي أن يغفل عن سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: سيرة السلف الصالح:

سيرة سلفنا الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان هم نتاج دعوة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهم الثمرة اليانعة لشجرة الدعوة المباركة، وخلاصة جهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن الصحابة رضوان الله عليهم عايشوا المصطفى عليه السلام وعلموا منه مقاصد الدعوة ووسائلها وكيفية تطبيق ذلك واقعيا فطبقوه على من بعدهم من التابعين ونقلوه إليهم فأخذ هؤلاء عنهم وتعلموا منهم، وللفريقين ــ الصحابة والتابعون ــ سوابق مهمة في أمور الدعوة يستفيد منها الدعاة إلى الله، لأن السلف الصالح كانوا أعلم من غيرهم بمراد الشارع وفقه الدعوة إلى الله، وما زال أهل العلم يستدلون بسيرهم، وطريقتهم.

رابعا: استنباطات الفقهاء:

الفقهاء يعنون باستنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها الشرعية ومن هذه الأحكام ما يتعلق بأمور إلى الله، مثل أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد والحسبة، وقد أفردوا لهذه الأحكام أبوابا خاصة في كتبهم الفقهية. وما قرروه من اجتهادات في أمور الدعوة ومجالها، حكمة حكم اجتهاداتهم الأخرى، التي يجب ابتاعها أو يندب لأن الوسائل والأساليب في الدعوة من أمور الدين مثل مسائل العبادات والمعاملات.

خامسا: التجارب:

التجربة مُعلِّمٌ جيد للإنسان، لا سيما لمن يعمل مع الناس، وللدعاة تجارب كثيرة في مجال الدعوة هي حصيلة عملهم المباشر مع الناس ومباشرتهم للوسائل فعلا في ضوء ما فهمه من المصادر السابقة، لأن التطبيق قد يظهر له وجه خطئه فيتجنبه في المستقبل، وقد يكون الثمن غاليا ولكن ما يتعلمه من التجارب أغلى من الثمن المدفوع إذا انتفع من التجارب حقا، وهذا

هو المأمول من المؤمن فإنه لا يلدغ من جحر مرتين. وكما أن الداعي يستفيد من تجاربه الخاصة، يستفيد أيضا من تجارب الآخرين فإن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من أي وعاء خرجت(١).

٣٧-أهداف الدعوة إلى اللّه تعالى:

جاءت الدعوة الإسلامية واضحة جلية لا غموض فيها ولا إبهام، وظهرت أصول الدعوة فرآها الناس شاملة لكل فرع من فروع الحياة، فأوضحت أصول الدين القويم وقواعد العلم الصحيح وأسس الأخلاق الفاضلة وأركان النظم الاجتماعية الرشيدة، ومبادئ القوانين السديدة، والتشريع الحكيم.

فتغلب الإسلام بأصوله على جميع الأصول التي كانت قائمة على عهده، فآمن الناس بأن القرآن"مثل كامل""في كل شيء"، وقواعده التي قام عليها هي أكبر شاهد على ما نقول.

هذه الدعوة إلى الله تعالى تنحصر أهدافها في أمرين أساسين:

الأول: دعوة غير المسلمين للإسلام

معنى هذا الأمر هو أن نعمل على نشر الدعوة الإسلامية بين أهل الكتاب وغيرهم ممن لا دين لهم إلا بعض التقاليد والعادات التي لا تمت إلى الدين بصلة، وهؤلاء هم أغلبية شعوب العالم، وقد سن النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه السنة الحسنة وهي دعوة غير المسلمين إلى الدخول في الإسلام عن طريق مكاتبة الملوك والأمراء، وأمرهم أن يبلغوا أممهم، ومن هذه

(١) أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان(بتصرف)

الكتب كما ثبت في الصحيحين كتابه - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل عظيم الروم: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)).

وهكذا أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - كتبه إلى كسرى ملك الفرس، والمقوقس عظيم القبط بمصر، وملكي عمان، وملك اليمامة، كذلك عرض الدعوة بالإسلام الملائم على أولئك الذين لم يتعرفوا على الإسلام، كما هو موجود في أوروبا وأمريكا من المسيحيين وغيرهم.

فإن انتشار العلوم والمعارف بين أولئك القوم قد كشف مزايا الإسلام وتطور تشريعه.

والدليل على أن هذا الأمر من الممكن أن يصل إلى مستوى أصلي في نشر الدعوة لو صدقت النيات، ما نراه في هذا العصر - مع ضعف المجهود الذي يبذل في إشاعة الإسلام - من إقبال الكثير على هذه الرسالة الخالدة في الداخل والخارج، فإذا ما اتجهنا إلى مكتب الشؤون الدينية بمديرية أمن القاهرة، ومكتب شيخ الأزهر لوجدنا الإعداد الهائلة التي تعلن إسلامها لله تعالى، ومن حوالي سبع سنين توجهت بأحد القمامصة الذي كان في البلدة، التي كانت أعمل فيها داعية إلى الله تعالى إلى مكتب الأمن، ومكتب شيخ الأزهر لأجل أن يعلن إسلامه، وتم ذلك بعون الله وعنايته.

أما في الخارج فكثيرًا ما تطالعنا الصحف والمجلات والإذاعات وغيرها تحت باب"لماذا أسلمت"الكثير ممن تشرفوا برسالة المصطفى - عليه الصلاة والسلام -، ومن الأسباب التي أخرت مسيرة الدعوة الإسلامية على غير ما ترجو لها من المضي إلى كل جزء في هذه الأرض، هو أن أوروبا إلى عهد الحروب الصليبية كانت تصور للعالم بأن هؤلاء العرب الذين

حملوا راية الإسلام ما هم إلا مجموعة من قطاع الطرق ورعاة الأغنام، لا قيمة لها ولا حضارة ترفع من شأنها.

فائدة دعوة غير المسلمين

على هذا فإن الدعوة إلى الله تعالى لغير المسلمين تؤدي إلى هدفين أساسيين:

أحدهما: محو الواجهة السيئة التي ألصقها أعداء الإسلام من المبشرين والمستشرقين وغيرهم بالمسلمين ورسالتهم.

والآخر: الكشف عن محاسن الإسلام، وكيف أن العالم كله لو أخذ به لوصل بتوفيق الله تعالى إلى بر الأمان.

الثاني: دعوة المسلمين إلى الخير

وهذا يكون في ضوء قوله تعالى: (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمِ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون َ)(التوبة: ١٢٢).

وفي ضوء قوله تعالى: (وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (العصر: ١ - ٣)

ومعنى هذه الدعوة هو إرجاع المسلمين إلى جوهر الإسلام وتشريعه الحكيم، وتعميق ذلك في نفوسهم، ونفي ما علق بالإسلام من خرافات وأوهام، مثل: ما يسمى بضرب الودع، والطيرة، والعيافة، والطرق، وزجر الطير، وقراءة الكف، وفتح الكتاب، والمصحف، وكتابة الأحجبة والتمائم، وما يسمونه تحويطات، والإخبار بالغيب، وادعاء رفع الصلاة عن الإنسان إذا بلغ إلى قدر معين من الإيمان، إلى غير ذلك من هذا السيل الجارف من الخرافات والأوهام التي علقت بهذا الدين الحنيف وهو منها براء.

ولو شئنا تقصيها مع الأدلة التي وردت في النهي عنها، لكنا في حاجة على مجلدات، ولكن على سبيل المثال، نذكر شيئًا مع أدلة النبي - صلى الله عليه وسلم - التي ترشدنا إلى البعد عن هذا الضلال المبين.منها قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((العيافة، والطيرة، والطرق من الجبت)).

وقول ابن مسعود - رضي الله عنه -: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن".

وقوله - صلى الله عليه وسلم -: ((من آتى عرافًا أو كاهنًا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا)).

وقوله - صلى الله عليه وسلم -: ((إن للشيطان لمة بابن آدم، وإن للملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الآخر فليستعذ بالله من الشيطان)).

ولقد وصل أمر الخرافات والأوهام لدرجة أن المنجمين كانوا يتدخلون في شؤون الدولة في يوم من الأيام، ولكن الخلفاء النابهين ما كانوا يستمعون إليهم، بل كانوا يخالفوهم.

ومن ذلك حادثة الخليفة المعتصم بالله حينما قام بفتح عمورية، فأخذوا يحذرونه من سوء العاقبة بأن الحساب الفلكي والطوالع النجومية قد اتفقت على ساعة هذه النتيجة المشؤومة، فلم يعبأ بما قالوه، وخرج من فوره وانتصر على أعدائه انتصارًا عظيمًا، وفي ذلك يقول أبو تمام من قصيدة سبعين بيتًا حتى أخذ على كل بيت ألف درهم، والتي مطلعها:

السيف أصدق أنباء من الكتبِ.... في حدِّهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعب

وفيها:

أين الرواية أم أين النجوم وما....صاغوه من زخرف فيها ومن كذبِ

يقضون بالأمر عنها وهي غافلة.... ما دار في فلك أو كان في قطب

لو أثبتت قط أمرًا قبل موقعة.... لم يخف ما حل بالأوثان والصلب

من كل هذا وغيره نعلم أن دعوة المسلمين بعضهم بعضًا لابد منها لتطهيرهم من الخرافات والأوهام وربطهم بالله الملك الديان[١].

٣٨-أهمية إعداد الدعاة:

الدعاة إلى الله هم طليعة صلاح الأمة، ومبتدأ هدايتها، ودليلها إلى طريق الله الذي هو طريق العز والنصر والتمكين، وطريق الفوز في الدنيا والآخرة.. هذا أمر يكاد أن يكون محل إجماع أولي العقل والنهى، وأصحاب البصائر والبصر بوقائع الدهر وتصريفات الأيام والدول.

فالداعية هو العامل الفذ الذي ينفرد بالتأثير والتوجيه في عملية الدعوة؟ إذ لا يشاركه في ذلك ــ عادة ــ منهج موضوع، ولا كتاب مقرر، ولا إدارة، ولا توجيه. فالداعية وحده هو ــ في غالب الأمر ــ الإدارة والتوجيه، والمنهج والكتاب والمعلم، وعليه وحده يقع عبء هذا كله.

وهذا يجعل العناية بتكوين الدعاة، وإعدادهم الإعداد المتكامل، أمرًا بالغ الأهمية، وإلا أصيبت كل مشروعات الدعوة بالخيبة والإخفاق، في الداخل والخارج؛ لأن شرطها الأول لم يتحقق، وهو الداعية المهيأ لحمل الرسالة".

وإذا كان الأمر كذلك فإن من الواجب على أولي الأمر في كل قطر إسلامي أن يعملوا على تكوين أجيال من الدعاة ذوي الكفاءات العالية والمستوى الراقي في العلم والعمل وحمل أمانة تبليغ هذا الدين والخوف على الناس والشفقة عليهم من أن يكونوا من أصحاب الجحيم،

---

[١] من كتاب "ادع إلى سبيل ربك"

وعلى ولاة الأمر أن يعلموا أن هؤلاء الدعاة هم الذين يشكلون عقول الناس إذا أتيحت لهم الفرصة الصالحة لذلك، وبقدر وعي الداعي وفطنته وإحاطته بعلوم الدين ومجريات الأحداث تكون ثقافة الأمة، ولذا ينبغي على ولاة الأمور ــ والمسؤولين عن الدعوة والعاملين فيها ــ ألا يتهاونوا في تكوين الدعاة وحسن تنشئتهم علميا وثقافيا حتى لا تضيع الأمة بأسرها.

يقول الشيخ الغزالي:"إن تكوين الدعاة يعني تكوين الأمة، وأثر الرجل العبقري فيمن حوله كأثر المطر في الأرض، وأثر الشعاع في المكان المتألق، والأمم العظيمة ليست إلا صناعة حسنة لنفر من الرجال الموفقين".

إن عوام الناس وجماهيرهم في عامة الأحايين لا وزن لهم، ولا تأثير حقيقيا في واقع الحياة وتاريخ الناس، بل يظلون في أماكنهم حيارى حتى يجيء القائد الممتاز فيوجههم هنا وهناك.

ومن ثم فإن سبيل النهضة الناجحة لا يتمهد إلا إذا استطعنا بناء جماعات من الدعاة تكون بمثابة طلائع النور في أمة طال عليها الليل، وبوادر اليقظة في أمة تأخر بها النوم، وأمل العالم في عصر أجدبت فيه الدنيا من رسل الرحمة واليقين، وامتلأت بزبانية الأثرة والإلحاد".

إن عبء الدعوة ثقيل، ومهمة هداية الناس عمل جليل، ومن ثم وجب أن يختار الدعاة من بين صفوف الأمة وفق معايير معينة، وألا يترك هذا الأمر للظروف تفرضه، مما يدفع بالعجزة والقاصرين والجاهلين إلى هذا المجال الحسَّاس فيكون الضرر لا النفع.

أمور ينبغي توفرها:

ولهذا العامل في حقل الدعوة أمور ينبغي أن تتوفر فيه بداية حتى يتهيأ لهذا العمل الجليل وذاك الجهد الشاق:

أول هذه الأمور: الإحساس بعظمة هذا الدين وأنه هو الدين الحق الذي يلزم الناس اتباعه، والعلم بأن كل من لم يكن من أتباعه فهو من أهل النار((ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)) (آل عمران:٨٥).

ثانيها: الغيرة على التوحيد، والغضب لله تعالى أن يشرك به أو أن يعصى، والشفقة على الناس، والخوف عليهم من الوقوع في غضب الجبار وإرث عذاب النار، فلا يكون أقل من هدهد سليمان الذي ارتعدت فرائصه لما وجد قوما يسجدون للشمس من دون الله وقال متعجبا: ((ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون، الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم)) (النمل:٢٥)

الثالث: علو الهمة، لأن خسيس الهمة لا يصلح لمثل هذا الأمر، لأنه عمل شاق يحتاج إلى بذل وتضحية، بالوقت والمال، وربما بالنفس في كثير من الأحيان، وهذا أمر لا يقدر عليه كل إنسان ولا يوفق له كل أحد، وإن لم يكن الداعية على قدر المسؤولية: ثابتا عند الشدائد، رابط الجأش عند النوائب فإن ضرر مثله على الدعوة أكثر من منفعته.

الرابع: الرغبة في حمل الرسالة، والتيقن بأن الانتساب إلى الدعوة شرف ورفعة قدر، وأن نكوصه عن العمل لن يضر الدعوة بل يضره هو: ((وإن تتولوا يستبدل قوما غركم ثم لا يكونوا أمثالكم)) (محمد:٣٨).

وروى عن عكرمة قال: قال عيسى ــ عليه السلام ــ:"لا تطرح اللؤلؤ إلى الخترير، فإن الخترير لا يصنع باللؤلؤ شيئًا، ولا تعط الحكمة لمن لا يريدها، فإن الحكمة خير من اللؤلؤ، ومن لا يريدها شر من الخترير".

ومنها: حسن السيرة، والحرص على المبادرة بالعمل بما يسمع ويقرأ، وذلك حتى لا تؤثر فيه عاداته السيئة بعد انتسابه للدعوة، وانضمامه إلى صفوفها، فيصير فتنة تصُدُّ الناس عن طريق الله تعالى. إلا أن يتوب منها توبة نصوحا، ويتبرأ من سالف سيئ الأخلاق، فإن التوبة تجب ما كان قبلها.

يقول الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه:"لا يؤخذ العلم من أربعة، ويؤخذ ممن سوى ذلك، لا تأخذ من سفيه معلن بالسفه، وإن كان أروى الناس، ولا تأخذ من كذاب يكذب في أحاديث الناس، إذا جُرِّب ذلك عليه، وإن كان لا يتهم أن يكذب على رسول الله، ولا من

صاحب هوىً يدعو الناس إلى هواه، ولا من شيخ له فضل وعبادة، إذا كان لا يعرف ما يُحَدِّث".

فإذا روعي في الداعية هذه المواصفات عند اختياره، فإن من الواجب ــ بالإضافة إلى ما سبق ــ مراعاته بالتجارب العملية، واختباره قبل تقليده المسؤولية، حتى يتخير له المكان المناسب لإمكاناته، ليتمكن من الإبداع فيه، والانتفاع به قدر الطاقة.

إن اختيار الداعية أمر خطير له أثره على الدعوة والمدعوين، فلزم أن يحتاط في اختيار العاملين في هذا الحقل الهام، وإذا كانت بعض المؤسسات تعقد اختبارات لاختيار المتقدمين للعمل فيها، وبعض الكليات تقيم اختبار هيئة ولا تقبل إلا من توفرت فيه شروط خاصة، فليس العمل في الدعوة بأقل من هذا، بل هي أحرى فإن الدعاة هم لسان الأمة، وقلبها النابض، ومظهر عزها وكرامتها في الدنيا والآخرة.

إن المجتمع لا يسند جليل المهام لمغفل أو أحمق، ولا يعرف لهؤلاء في المجتمع مكان، فهل من اللائق أن ينفوا من دنيا الناس، ليتصدروا في دين الله؟ إن دين الله أرقى وأشرف من أن نتعامل معه بهذا الأسلوب.

٣٩-عدة الداعي.. الإيمان العميق:

يقول ربي وخير القول قول ربي: ((ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين)) (الحج: ١١).

لئن كان هذا هو وصف بعض أهل الشك والنفاق، فإن وصف الداعية إلى الله على عكس ذلك تماما.. فإنما هو على يقين بأن الإسلام ـــ الذي هداه الله إليه وأمره بالدعوة إليه ـــ حق خالص، وهذه بدهية لا تحتمل نقاشا ولا شكا ولا جدلا ولا مراجعة وإعادة نظر، وأي تحول عن هذا اليقين أو ميل إلى غيره إنما يعني اتباع الأهواء الباطلة: ((قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين * قل إني على بينة من ربي وكذبتم به)) (الأنعام: ٥٦، ٥٧).

وإيمان الداعية ويقينه بأحقية الإسلام قائم على علم قطعي وبينة راسخة، تجعل هذا الإيمان يسري في دمه، ويعيش في وجدانه، فلا ينقطع عن العمل له أبدا.

وهذا الإيمان هو باب الثبات ومفتاح الرسوخ مهما كانت حال العاملين ـــ أو حال الدعوة ـــ من ضعف في الإمكانات، أو قلة في الأعداد والإمداد، أو اضطهاد من أهل الكفر والعناد، أو انصراف الناس عن دعوته.. وللدعاة أسوة حسنة في سيدنا نوح عليه السلام، وكذلك في نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه في حبسهم في الشعب، وفي الهجرة للحبشة، والخروج من مكة، والهزيمة في غزوة أحد، والحصار في الخندق،...، فخرجوا من كل هذه المحن سالمين، بفضل الله تعالى، ثم بفضل إيمانهم الذي لا يتزعزع بهذا الدين الحق.

والدعاة في زماننا هذا أحوج ما يكونون إلى هذا الإيمان الوثيق، وذاك اليقين الكامل، خصوصا مع صولة الكفر وجولته، وارتفاع صوت الباطل وكلمته، واضطهاد أهل الإيمان المتمسكين بأوامره، المحاولين إظهار شعائره، وبعد إعلان أهل الكفر عداءهم، وإظهارهم مكنونات صدورهم من حقد على الإسلام وأهله، وخاصة الداعين إليه المجاهدين في سبيله، وبعد تمالؤ أهل النفاق مع إخوانهم الذين كفروا في تضييق الأرض على المؤمنين، ومطاردتهم في أي مكان نزلوا أو أي موطن حلوا، فلم يعد لأهل التقوى إلا الاعتصام بالله والركون إليه، والرجوع إلى ذخيرة الإيمان، وسلاح اليقين، حتى يأتي الله بأمره ـــ وهو آت ولابد بإذن الله رب العالمين: ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم

البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب)) (البقرة:٢١٤).

ثمرات الإيمان

هذا الإيمان بالله له ثمرات لابد أن تظهر على صاحبه.. منها:

ـــ محبة الله، ورجاء رحمته، وخوف عقوبته.

ـــ الولع بذكره سبحانه في كل لحظاته، والأنس به في خلواته وجلواته، والتلذذ بطاعته الموصلة إلى تحصيل مرضاته، وإيثار ما يحبه الله على جميع مستحباته هو ورغباته.

ـــ الحسرة على فوت الحظ منه جل وعز، فإذا حصله فكل ما سواه غير مأسوف عليه.

ـــ الغيرة على ضياع الدين، الغضب عند انتهاك محارم العزيز الحكيم، والحزن على عدم تمكن المؤمنين والشرع المتين، والانبعاث لأثر الغيرة والغضب والحزن للعمل على نصر الله ودينه.

((يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم))

((وجعلناهم أئمة لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)).

٤٠-عدة الداعي.. الاتصال الوثيق:

عبء الدعوة عبء ثقيل، وحملها حمل كبير، تعجز قدرة الفرد عن تحمله والقيام به، لولا توفيق الله تعالى وعونه؛ ولذلك كان لابد للداعي إلى الله تعالى أن يتعرض لتوفيق ربه، وأن يستمد منه عونه، ويطلب منه مدده.

وإنما يكون هذا الاستمداد بحسن الصلة به سبحانه، وأن يكون بين العبد وبين الله حال يصبح معها من أوليائه، فلا يسلمه معها إلى أعدائه.

وهذه العلاقة بالله لازمة وضرورة للداعية من هذا الجانب، وأيضا من جانب آخر وهو أن الداعي دلّال على الله يدعو الناس في الأصل لتحسين علاقتهم بربهم. فكيف يدل على الله من لا يعرفه، وكيف يربط الناس بمولاهم من هو مقطوع الصلة به؟!!

وما أجمل ما قاله العبد الصالح شعيب عليه السلام جامعا هذين الأمرين: ((إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)) (هود: ٨٨).

ولن تنجح الدعوات إلا أن يتأتى نصر الله وتوفيقه، ولا يتأتى النصر والتوفيق ما لم تكن هناك صلة وثيقة، وعلاقة وطيدة بالله رب العالمين. قال قتادة:"من يتق الله يكن معه، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل".

حسن الصلة في أمرين

وجماع حسن الصلة بالله في أمرين: ترك المعاصي، والتزام الطاعات.

فأما ترك المعاصي فأصل لا غنى عنه؛ إذ هي مجلبة العناء، وأصل الشقاء في الدنيا والآخرة، وهي أكبر أسباب الخذلان في أشد أوقات الحاجة، وتأثيرها على قلب الإنسان ــ الداعية وغيره ــ وبدنه ونفسه وماله لا ينكره إلا ميت القلب أو جاهل بربه ودينه..

قال ابن عباس: إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونورا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق. وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنا في البدن، ونقصا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق".

وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:"إنكم لن تلقوا ربكم بشيء خير لكم من قلة الذنوب، فمن سره أن يسبق الدائب المجتهد فليكف نفسه عن كثرة الذنوب."

وقال سفيان بن عيينة:" لم يجتهد أحد قط اجتهادًا، و لم يتعبد أحد قط عبادة، أفضل من ترك ما نهى الله عنه".

ومن عجب أن يتعود العبد ترك السيئات وهجرها حتى يصل إلى حال لا يعرف كيف يعصي الله، كذا ورد عن عدد من السابقين رحمهم الله تعالى:

فعن شعيب بن حرب قال:"جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد خمسمائة مجلس، فما أحسب صاحب الشمال كتب شيئا".

وعن عمرو بن مرة قال:"حدثني رجل من أهل الربيع بن خثيم، فقال: ما سمعنا من ربيع كلمة نراه عصى الله فيها منذ عشرين سنة".

وليس المطلوب من الداعية فقط ترك المعاصي ــ فإن هذا يطلب من كل أحد ــ بل عليه بما هو أكبر من ذلك وهو الورع، فلا يتتبع الرخص، ولا يقع في الشبه؛ فإنه يقتدى به ويؤخذ عنه، فإذا لم يستعمل هو الورع فمن يستعمله؟!!

قال الحسن: مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة.. وفي خير الورى خير قدوة حين مر بتمرة في الطريق فقال: لولا أن تكون من الصدقة لأكلتها.

وأما فعل الطاعات: فهو زاد المسلم الذي يغذيه، ويقوي قلبه وبدنه، ويشد أزره، وينهض همته في طريق دعوته.

وعلى الداعية أن يحرص على الكمال في العبادات، فلا يكتفي بالفرائض، بل عليه الإكثار من النوافل فهي باب الهداية، ومنشور الولاية، والمدخل إلى حفظ الله تعالى كما في الحديث القدسي: %[من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ...]%%(رواه البخاري)

فإذا حصلت للداعية هذه الصلة كانت معها المعية الخاصة من الله سبحانه التي جعلها لأوليائه الصالحين، وعباده المخلصين، قال تعالى: ((إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون))، وقال سبحانه: ((إن الله يدافع عن الذين آمنوا))، وقال عز وجل لموسى وهارون: ((لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى)).

وهذا الاتصال بالرب جل جلاله ضروري جدا للداعية المسلم، فبه تهون الصعاب، وتخف الآلام، وتنتزع من القلب الخشية من الناس، ويحس الإنسان بعزة الإسلام؛ لأنه موصول بالقوي العزيز ((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين))، فلا يعظم في عينه باطل ولا مبطل لأن الباطل وأهله من التافه الحقير فلا يمكن أن يعظم في أعين المؤمنين.

٤١-عدة الداعي.. الشجاعة والإقدام:

طبيعة الشر وأهله العنف والحدّةُ مع أهل الخير والدعاة إلى الله، وتاريخ دعوة المرسلين شاهد قوي في هذا الباب، ولو ترك الأمر لأهل الشر لما رضوا بغير إبادة الحق وأهله، ولكي يبقى للحق والخير ذكرٌ ووجود لابد أن يكون الإيمان قادرًا على الظهور والحركة، قادرًا على المقاومة، متصفًا بالشجاعة في جميع المواقف والتصرفات؛ فإن البواعث الضعيفة لا تجدي أمام عواصف الحقد وعرامة البطش المنبعثة من أعماق الباطل.

وإذا لم يفلح الإيمان في تكوين أسس للخير قوية التيار، غلابة النفوذ، شديدة النفاذ، فلن يكسب في ميدان الحياة معركة. فلكي ينتصر الطهر وتسود العدالة لابد أن يتعلق بهما الدعاة أشد من تعلق أهل العهر بعهرهم وأهل الظلم بظلمهم. وإذا كانت هناك نفوس درجت على العسف، وتوحشت حتى لكأنها سباع مفترسة، فلن يغني في صدها المقاومة المستأنسة، أو دعوة يقوم بها صاحبها على استحياء. من أجل ذلك كانت الشجاعة خلقًا أصيلاً وشيمةً لا تنفك عن الداعية إلى الله وهو يتقلب بين الناس.

يقول الله تبارك وتعالى: ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله))، فكلف الله الأمة ــ لتنال الخيرية ــ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

كلفها أن تكون شجاعة في حماية الدين، وردّ العادين المعتدين على حدوده، فإذا انخذلت الأمة عن القيام بواجبها، وتخلت عن أداء رسالتها سقطت من عين الله، وأوشكت أن يعمها الله بعذاب، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منها]، وإذا كان هذا حق الأمة عامة، فإن واجب الدعاة في هذا التكليف أثقل وأعظم وأجل؛ إذ هم جيش الإسلام وحراس الإيمان، وحاجتهم إلى الشجاعة للدفاع عن الحق لازم من لوازم وظيفتهم، وواجب من واجبات دعوتهم.

الشجاعة لماذا؟

يحتاج الداعية إلى الشجاعة خاصة في موطنين:

الأول: الدفاع عن الدعوة ضد أعدائها في ميادين الجهاد، وساحات الوغى، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كنا إذا احمر البأس ولقي القومُ القومَ اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه] (رواه أحمد). وكم للإسلام في هذا الباب من فارس همام وبطل مقدام، يعجز القلم عن وصفهم والحساب عن عدهم.

الثاني: الصدع بالحق والجهر به دون خوف أو رهبة، وهنا لابد للداعية أن يتمثل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [لا يمنعن أحدًا هيبةُ الناس أن يقول بحق إذاعلمه]، وقوله عليه الصلاة والسلام: [سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله]، وقوله: [أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر].

فالشجاعة في النطق بالحق والجهر به سيادة وريادة وجهاد وشهادة، وإنما تنبعث هذه الشجاعة من اجتماع خلقين عظيمين:

أولهما: إيثار ما عند الله، والاعتزاز بالعمل له، وتفضيل ما عنده على أعطيات المغدقين، والركون إلى جنابه عند تجبر الجبارين؛ فهو صاحب القهر والسلطان، والجلال والإكرام والجناب الذي لا يضام ((وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير))، وهذه ثمرة من ثمار

العلم بالله، ومعرفة صفات جماله ونعوت جلاله. فمن عرف قدر ما له عند الله آثره على ما سواه، وقدمه على من عداه، ومن صدقت صلته بربه لم يبالِ أن يفتدي الحق بعمره، مفضلاً أن يُقتَل شهيدًا على أن يُدفَن الحقُّ،ولا يجد من ينصفه ويشرفه ويُعلي رايتَه.

وأما الخلق الثاني الباعث على الشجاعة فهو: اليأس مما في أيدي الناس، والانطلاق من قيود الرغبة والرهبة، والتخلص من ذل الطمع وشهوة التنعم. فكم ممن حرم الدعوة للحق طمعًا في نفع دنيوي، أو بحثًا عن رضا من لا ينفع رضاه ولا يضر غضبه، مؤثرًا شهوة النفس ومتع الحياة على الصدع بالحق، ولو كان عفيف النفس، راضيا بحظه من الله لتغير أمره ولتبدل حاله.

فاليأس مما في أيدي الناس هو العز والغنى، والطمع فيما عندهم هو الفقر والعنا، ولا يزال الرجل كريمًا على الناس حتى يطمع في دينارهم ودرهمهم،فإذا فعل استخفوا به، وكرهوا حديثه، وملوه وأبغضوه.

وعندما سئل أهل البصرة: بم سادكم الحسن؟ قالوا: احتاج الناس علمه، واستغنى عن دينارهم.. فقيل: ما أحسن هذا.

أمت مطامعي فأرحت نفسي... فإن النفس ما طمعت تهون

وما أجمل ما قال علي بن عبد العزيز القاضي رحمه الله:

يقولون لي فيك انقباض وإنما... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما

أرى الناس من داناهم هان عندهم... ومن أكرمته عزةُ النفس أُكرما

و لم أقض حق العلم إن كان كلما... بدا طمعٌ صيرته لي سُلَّما

وما كل برق لاح لي يستفزني... ولا كل من لاقيت أرضاه منعما

إذا قيل هذا منهل قلت: قد أرى... ولكن نفس الحر تحتمل الظما

أُهينها عن بعض ما لا يشينها... مخافة أقوال العدا فيم أو لم؟

و لم أبتذل في خدمة العلم مهجتي... لأخدم من لاقيت لكن لأخدما

أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة؟... إذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم... ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهان ودنسوا... محياه بالأطماع حتى تجهما.

٤٢-عدة الداعي.. الفهم الدقيق:

تقديم العلم على العمل ضروري للداعية حتى يعلم ما يريد ليقصده ويصل إليه، وما يقوم به الداعية ينسب لله رب العالمين؛ فكان لزاما على من يدعو إلى الله أن يكون على علم وبصيرة بما يدعو إليه، وعلى دراية بمشروعية ما يقول ويفعل؛ حتى لا يقع في الخبط والخلط والقول على الله ورسوله بغير علم.

فالعلم لازم من لوازم الدعوة، وأصل في تكوين الداعية، وضابط العلم المقصود هنا هو ما قام عليه الدليل الشرعي.

وإذا كان فضل العلم مذكورا، فكذلك الداعي إليه مكان غير منكور ((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)) (المجادلة:١١)

وفي الحديث عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر] (رواه الترمذي وأبو داود وأحمد).

وقال الإمام أحمد: الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب. لأنهم يحتاجون إليهما في اليوم مرة أو مرتين، وحاجتهم إلى العلم بعدد أنفاسهم.

مقصود الفهم الدقيق

إنما نعني بالفهم الدقيق هنا ما وراء مجرد العلم والحفظ، ألا وهو الغاية من العلم والمقصود من وراء تعلمه، وهو أثر العلم على صاحبه.

يقول الشيخ عبد الكريم زيدان في كتابه أصول الدعوة: ومن العلم العزيز النادر الذي يغفل عنه الكثيرون ـــ مع دلالة القرآن عليه وتصريحه به والدعوة إليه ـــ علم طريق الآخرة الذي يهيج القلب ويزعجه ويدفعه إلى سلوكه، ويشعر صاحبه بغربته في الدنيا وقرب رحيله عنها إلى سفر بعيد لا يرجع بعدة إلى دنياه ولا ينفع فيه زاد إلا التقوى، ولذلك فهو دائما مشغول بإعداد هذا الزاد ((وتزودوا فإن خير الزاد التقوى)) متطلعا إلى ما هناك، إلى مايؤول إليه أمره بعد سفره البعيد، أيكون مصيره إلى نار جهنم، وفي ذلك شقاؤه العظيم، أم يكون مصيره في دار النعيم بجوار الرب الكريم؟ إنه لهذه العاقبة المجهولة يكون دائما بين الخوف والرجاء، ولكنه خوف العارف لا الجاهل، ورجاء العامل لا الخامل..

إن هذا العلم هو الذي قل وجوده بين الناس وبين طلاب العلم، وبدونه لا يعتبر العالم عالما، وإن حفظ الشروح والمتون والأحكام وملأ رأسه منها ورددها على لسانه..

إن هذا العلم هو لب العلم وغايته، وكل مسلم محتاج إليه، والعالم أشد حاجة إليه، والداعي أحوج من الجميع إليه..

إن هذا العلم هو الذي نسميه (الفهم الدقيق) وهو الذي فقهه الصاحبة الكرام، وأشربت به عقولهم وقلوبهم فضنوا بوقتهم أن يذهب سدى في غير طاعة الله والدعوة إليه، فنشطت جوارحهم في العبادة والجهاد في سبيل الله والدعوة إليه حتى أتاهم من ربهم اليقين.

تدبر القرآن والسنن

يقوم الفهم الدقيق على تدبر معاني القرآن ومداومة النظر فيها،والوقوف عندها والتغلغل في مراميها ومقاصدها، فإن القرآن الكريم لهذا أنزل ((كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب))(ص:٢٩).

وبهذا التدبر سيقف الداعي على دعوة الرحمن وعاقبتها، ودعوة الشيطان ومآل أهلها، وهذه المعرفة تميز للداعي بين الحق والباطل، وتجعل له فرقانا وتضيء له نورًا يفرق به بين الهدى والضلال والغي والرشاد، فينشرح صدره، ويبتهج قلبه، ويتعلق بالآخرة الباقية، ويعزف عن الدنيا الفانية، ويصير له شأن وللناس شأن آخر.

وإنما يتأتي هذا الفهم ويتم مقصوده إذا عرف المرء غايته في الحياة وعمل بهذه المعرفة.

فمهمة العبد في هذه الدنيا وغايته منها هو عبادة الله وحده، والجهاد في سبيله، يجاهد نفسه حتى يحملها على الطاعة ويبعدها عن المعصية، ويجاهد بقلمه ولسانه وماله ويده في سبيل الله حتى تعلو كلمة الله ويستنير البشر بنور الإسلام، ولا مجال للتخلي عن هذه المهمة الشريفة، وهذه المكرمة العظيمة التي أكرمه الله بها

وهذه المعرفة لابد لها من عمل وأثر؛ فيكون معها قطع التسويف وقصر الأمل مع الإحساس بالغربة في هذه الحياة، فليس أفسد للقلب من التعلق بالدنيا والركون إليها وإيثارها على الآخرة، وهيهات لقلب فاسد مريض أن يقوى على مهام الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ((فأعرض عمن تولى عن ذكرنا و لم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم)) ... صدق الله العظيم.

٤٤-عدة الداعي.. الصبر والتحمل:

من المعلوم أن إسداء النصيحة والصبر على الأذى في سبيلها هو أعظم معين ـــ بعد الله تعالى ـــ في تبليغ دينه وإعلاء كلمته، وأنه لا حظَّ في النصيحة لمن لا يتحمل الأذى الناجم عن قيامه بأدائها، واستمع لقوله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ *

وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)(المدثر:١ - ٧). قال ابن كثير رحمه الله تعالى (قُمْ فَأَنْذِرْ) أي شمّر عن ساق العزم وأنذر الناس. وقال مجاهد رحمه الله: (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) أي اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل. وقال سبحانه: (الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)(العنكبوت:١- ٣) وقال تعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) (الأحقاف: من الآية٣٥).

وقال تعالى عن مواقف بعض الرسل صلوات الله وسلامه عليهم إذ قالوا لأقوامهم لما آذوهم: (وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) (إبراهيم:١٢).

فحري بنا أن نصبر في دعوتنا ونتبصر في حال ودعوة الرسل عليهم السلام، لاسيما دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقومه، أُخرج من داره من مكة، رجم بالحجارة في الطائف حتى سال دمه، وهاجر إلى المدينة فارًا بدعوته، جاهد حتى كسرت رباعيته، وشج وجهه، وكان يؤذى في صلاته وهو بمكة قبل الهجرة، ويوضع السلى على ظهره أثناء ركوعه وسجوده، وما زاده ذلك إلا إصرارًا وعزمًا وثباتًا وصبرًا. قُذف عرضه وما ذلك والله إلا من أجل دعوته، فلولا تلك الدعوة لما أخرج ولما حورب، ولما قُذف عرضه، ولم ترده حادثة الإفك ولا غيرها عن دعوته، بل زادته صبرًا ويقينًا وثباتًا، وهذا هو حال كل نبي وكل عالِم رباني وكل داعية إلى الله آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر ناصحًا للأمة.

قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً)(الفرقان:٣١)، وقال تعالى: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ)(النحل:١٢٧). فبالتقى والثبات والصبر يحصل الفلاح والنصر، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)(النحل:١٢٨)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(آل عمران:٢٠٠)، وقال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)(السجدة:٢٤).

قال سفيان: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، أي في العلم والقدوة، فلولا الصبر والمصابرة والتضحية لما وصَلَنا هذا الدين إلا أن يشاء الله تعالى، وكان فضل الله علينا عظيمًا، إذ قيض لهذا الأمر رجالاً حملوه ونشروه ونصحوا له ودافعوا عنه وصبروا وقدموا جماجمهم وأرواحهم رخيصة في سبيل نصرة وعزة وإبلاغ دين الله عز وجل.

الأسوة الطيبة

والمتأمل في حال وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم يجد في ذلك أعظم الأسوة والقدوة والتضحية والصبر، فهم كما قال تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)(الأحزاب:٢٣).

فينبغي عليك أيها الداعية وأيها الناصح وأيها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن تعلم أن الصبر واجب عليك، وأي واجب، بل هو من أعظم الواجبات التي تكرر ذكرها في القرآن العزيز في كثير من المواضيع حين قال سبحانه مبينًا أن الإنسان خاسر لا محالة إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع، ولا يجزي بعضها عن بعض، فقال جل شأنه: (وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)(العصر:١ - ٣). وقال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)(البقرة:١٥٥)، وقال تعالى: (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)(الشورى:٤٣). وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)(البقرة:١٥٣)، وقال سبحانه: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)(محمد:٣١)، وقال تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ)(آل عمران:١٤٢). وقال لقمان لابنه وهو يعظه ويحثه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر في ذلك: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)(لقمان:١٧).

والآيات والأحاديث في فضل الصبر وثماره كثيرة، فالصابرون على الحق وتبليغه والثابتون أمام العقبات الصعاب قد نالوا أجورًا عظيمة، فقد نجوا من الخسارة والحسرات، ونالوا البشائر من رب الأرضين والسماوات،ووعدوا بمعية الله لهم، وذلك في قوله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)(البقرة: ١٥٣)، ووصفُوا بأنهم هم المجاهدون حقًّا، ووعدوا بأن يُوفَّوا أجورهم بغير حساب، قال تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)(الزمر:١٠).

فما أعظمها من نعمة إذا حصلت، وما أكبرها من حسرة إذا مُنعت وما حيزت، فمن صبر ظفر، ومن استعجل خسر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط". رواه الترمذي وحسنه.

فعليك أخي الناصح بالصبر، خاصة إذا لم يُقبل منك، فإنما عليك البلاغ والنصح، وليس عليك الإكراه أو النتائج إذا كنت قد أديت ما يلزمك شرعًا من اتباع هدي الكتاب والسنة في دعوتك، فقال تعالى: (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ)(ق:٤٥)، وقال سبحانه: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)(الرعد: من الآية٧)، وقال عز وجل: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ)(الغاشية:٢١، ٢٢).

عاقبته خير

والصبر وإن كان فيه مرارة ولكن عواقبه كلها خيرٌ وكما قيل:

الصبر مثلُ اسمه مرٌ مذاقتهُ... لكن عواقبهُ أحلى من العسل

وتأمل حديث أبي عبد الله خباب بن الأرت رضي الله عنه،حيث قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال:"قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط من حديد من دون لحمه وعظمه، فما

يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون". رواه البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم:"الصبر ضياء". رواه الترمذي وحسنه. وللبخاري ومسلم مرفوعًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:"وما أُعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر".

وقال عمر رضي الله عنه: وجدنا خير عيشنا بالصبر.

وقال علي رضي الله عنه: إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له.

فلا تكن أيها الناصح عجلاً فتخسر ولا ترتكب ما يسبب لك النقد، وذلك بسبب التهور أو العجلة ويكون الحق عليك، أما إن انتقدك ناقد وأنت على الحق المبين فلا تعبأ بقوله، فقد قال تعالى: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ)(الروم:٦٠). وكن كما قيل:

كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعًا.... يؤذى فيعطي أفضل الثمر.

أما إن حدت عن الطريق فتحمل نتائج فعلك، والله المستعان.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

٤٥-من أخلاق الدعاة،، (١) الإخلاص والصدق:

الإخلاص هو روح الإعمال، وبه تقبل وبدونه لا وزن لها ولا قيمة عند الله تعالى، ولئن كان الإخلاص مطلوبًا وأمرًا رئيسًا وركنًا ثابتًا في قبول أي عمل ليس للدعاة فقط، وإنما لكل مكلف، كما هو ثابت ومعلوم في كلام الله وسنة رسوله - صلوات الله وسلامه عليه -: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)(البينة:٥)، وقال تعالى: (أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)(الزمر/٣)، وقال الله تعالى: (فَاعْبُدِ اللَّهَ

مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ)(الزمر/٢)، وقال تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)(الكهف/١١٠).

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -:"إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ...". إلا إنه للداعية يمثل شيئا آخر أكبر من مجرد أنه سبب قبول العمل.

فهذا الإخلاص الذي تكلمنا عنه هو الإخلاص بالمعنى العام، وليس هذا الذي أقصد توفره في الداعية، وإنما المقصود في الداعية إخلاص من نوع خاص، وهو أن يعمل لدعوته بالصدق، ويعيش معها بأحاسيسه ومشاعره، فيمرض لضعفها، وينتشي ويفرح بقوتها، إذا دعا لم تكن دعوته لمجرد أداء واجب أو إسقاط تكليف أو تخلص من تبعة المساءلة، وإنما يدعو بحرقة للدين وشفقة على المدعوين، واستنقاذاً لهم من النار، وغضب الجبار، فمثل هذا إذا تكلم خرج الكلام من قلبه فنفع وانتفع، فإن الموعظة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان دخلت من أذن وخرجت من الأخرى، والعالم إذا لم يرد بموعظته وجه الله زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا.

يقول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -:"والدعوة النابعة عن إخلاص مع القوة والعزيمة والاعتماد على الله لابد أن تؤثر وتعمل عملها.. ألا ترى إلى قصة موسى حين حشد الناس له ضحىً يوم زينتهم، وجمع له فرعون كيده، ثم أتى بأبهته وعزته وكبريائه (قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى)(طه/٦١) فماذا فعلت هذه الكلمة؟ لقد فرقت كلمتهم وشتتت شملهم في الحال (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ)(طه/٦٢) والتنازع أكبر أسباب الفشل.(رسالة إلى الدعاة/٢٧).

كان محمد بن واسع يجلس قريبًا من أحد الوعاظ وهو يعظ الناس ويقول: مالي أرى القلوب لا تخشع، والعيون لا تدمع، والجلود لا تقشعر؟ فقال له محمد بن واسع:"ما أرى القوم أتوا إلا من قبلك، إن الذكر إذا خرج من القلب وقع في القلب".

نعم: فكم من كلمات ولدت يوم ولدت ميتة ثم ذهبت مع أصحابها لتكون من أصحاب القبور؟ وكم من كلمات ولدت حية وبقيت فيها الحياة حتى بعد وفاة أصحابها؟ (أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا)(إبراهيم/٢٤، ٢٥).

واسمع إلى ابن القيم - رحمه الله - وهو يقول:"كلام الأولين قليل كثير البركة، وكلام المتأخرين كثير قليل البركة".

والسر هو الإخلاص والصدق الذي يمنح الكلمات روحًا فتبقى سرمدًا أبدًا.

بين الجوانحِ في الأعماقِ سُكْنَاهَا... فكيف تُنسى ومن في الناس ينساها

الأذن سامعةٌ والعينُ دامعةٌ... والروحُ خاشعةٌ والقلبُ يَهْوَاهَا

فيا معاشر الدعاة إذا أردتم أن تنفعوا وتنتفعوا فعليكم بالإخلاص، وإياكم والأخرى فتكون العاقبة: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (هود/١٥، ١٦)، وقال تعالى: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً)(الفرقان/٢٣).

٤٦-من أخلاق الدعاة.. (٢) التعالي على متع الحياة:

ليس المؤمن موجودًا في هذه الحياة لكنز الأموال ولا لتعمير الدور ولا لبناء القصور، وجمع الأثاث، والفرش، والخدم، والحشم، فيضيع في ذلك عمره، ويقضي فيه حياته، وإنما ينبغي أن تنصرف همته إلى ما هو أعظم من ذلك، وإن حصَّل من هذه الأمور شيئًا تقرب إلى الله به ولا يشغله عن وظيفته الأساسية وهي عبادة الله.

أما الدعاة فنفوسهم أعلى من أن تستميلها هذه الأمور، فيكفيهم من هذا ما يسد الخلة، وتنقضي به الحاجة وتحفظ به النفس من الاستشراف والتطلع إلى ما عند الناس، ولست أعني

أن الداعي يجب أن يعيش معدمًا صفرًا، ولكن أعني أن يكون عالي النفس، عزيزًا، عفيفًا، فإن حصل له خير بكسب طيب فنعم المال الصالح للعبد الصالح، وقد عرف تاريخ الدعوة دعاة عظماء ذوي غنى كان مالهم عونًا لدعوهم وخدمة للإسلام كعثمان، وابن عوف، والليث بن سعد، وعبد الله بن المبارك - رضي الله عنهم - فالمال إن وجد للداعية فهو معين على الدعوة، وإلا سما بنفسه وعف عما في أيدي الناس.

وبقدر ما تركن نفسه لهذه الأشياء بقدر ما يضيع عليه ويضر دعوته. وانظر إلى النبي - صل الله عليه وسلم - وقد أتاه عتبة بن ربيعة يغريه بهذه المغريات ليثنيه عن دعوته ويقول:"يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفًا سوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا".

هذه رواية ابن إسحاق، وفي مسند عبد بن حميد وأبي يعلى:"قال: أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحدًا، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلتزوجك عشرًا، فقال: فرغت، قال: نعم، فقال - صلى الله عليه وسلم - :"بسم الله الرحمن الرحيم (حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) إلى قوله تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ)(فصلت/١٣)، فقال عتبة: حسبك، حسبك".

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:"مالي وللدنيا؟! ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها".

وقال - صلى الله عليه وسلم - لابن عمر - رضي الله عنهما - كما في البخاري:"كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل".

ومن كان هذا حاله فإنما يأخذ من الدنيا بقدر ما يتبلغ به فقط، ولذلك قال الحسن:"دخلت بيوت أزواج النبي ولو أردت أن أمس السقف بيدي لمسسته"

فالداعية يترفع عن تضييع العمر في تحصيل هذا الحطام، وبقدر ما يتعالى على هذه الأشياء بقدر ما يعز ويرتفع عند الله والناس، وبقدر ما ينجح في دعوته.

قيل لبعضهم: بم سادكم الحسن؟ قال:"احتجنا لدينه واستغنى عن دنيانا".

وكان الحسن يقول:"من نافسكم في الآخرة فنافسوه ومن نافسكم في الدنيا فألقوها في نحره".

وكان أبو جعفر المنصور يرسل إلى سفيان الثوري، وسفيان يتهرب منه ويأبى أن يذهب، حتى جاءه المنصور يومًا فقال: سلنا حاجتك، قال: أوَتجيبني؟ قال: نعم، قال: لا تأتي حتى أُرسل إليك، ولا تُعطني حتى أسألك.. فخرج المنصور يقول: كل الطيور علفناها فالتقطت إلا سفيان".

وقال ابن عيينة:"دخل هشام الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله، فقال: سلني حاجة، قال: إني أستحي من الله أن أسأل في بيته غيره، فلما خرج قال: الآن فسلني حاجة، قال: من حوائج الدنيا؟ أم من حوائج الآخرة؟ قال: من حوائج الدنيا، قال: والله ما سألتُ الدنيا مَنْ يملكها، فكيف أسألها مَنْ لا يملكها".(سير ٤/٤٦٦).

٤٧-من أخلاق الدعاة.. (٣) التواضع وهضم النفس:

هذا الخُلق لازم للداعية مع نفسه، ومع من يدعوهم، ومع من تبعه على دعوته، ولا يتخيل داعية من الدعاة بغير هذا الخُلق؛ لأن التواضع يقابله الكبر، والمتكبر لا يوفق للخير والإيمان، فضلاً عن أن يكون في مرتبة الدعاة، قال سبحانه: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَق) (الأعراف/١٤٦)، وقال تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ) (القصص/٨٣).

وليعلم الدعاة أن الناس لا يتبعون من يتكبر عليهم ويرى لنفسه الفضل دونهم، وإنما يتبع الناس من يرفق بهم ويشفق عليهم ويرحمهم ويتودد إليهم، ولذلك قال الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم -: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) (الحجر/٨٨)، وقال تعالى فيه أيضًا: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة/١٢٨).

وعن عياض بن حمار - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: [إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد] (رواه مسلم وأبو داوود).

وفيه أيضًا عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: [ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله تعالى].

وإنما يحمل على التواضع أمران

- معرفة قدر النفس، ومعرفة فضل الرب.

- ثم النظر في أحوال السلف، ومقارنة أحوالنا بأحوالهم لنقف على حقيقة الحال.

فأين أنت لولا فضل الله عليك وتوفيقه لك؟ ومن الذي هداك لطريق العلم ويسر لك أسبابه، وفتح لك أبواب الفهم، وأعطاك القدرة على الحفظ؟ شطارة من نفسك؟ أو نعمة من الله؟ (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)(النحل/٥٣).

ومن لم يعرف قدر نفسه، ويوقفها عند حدها، وترك لخياله العنان، قادته نفسه حتى يعيش في الوهم، فيظن نفسه في مرتبة شيوخ الإسلام والأئمة الأعلام. فتجده يسب ويقبح ويرد ويجرح، وربما غلا في نفسه فنال من الصحابة ـــ رضي الله عنهم - وتسمعه يقول: ومَنْ أبو بكر وعمر؟ وهم رجال ونحن رجال؟.. وهذا كثير للأسف.

وما هذا البلاء الذي نعيشه إلا لأن كل طويلب علم ظن نفسه حافظ العصر وواحد الدهر وفقيه الملة، فلا يترك قوله لقول أحد، ولا يرجع عن قوله، وإن خالف السابقين واللاحقين.

فأين هذا مما جاء عن الإمام مالك في"مقدمة الجرح والتعديل"لابن أبي حاتم قال: قال ابن وهب: سمعت مالكًا سُئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء، فقال ليس ذلك على الناس، قال: فتركته حتى خف الناس، فقلت له: عندنا في ذلك سنة، قال: وما هي؟ قلت: حدثنا الليث بن سعد وابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمن الحُبُلِّي عن المستورد بن شداد القرشي قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يَدلِك بخنصره ما بين أصابع رجليه، فقال مالك: إن هذا لحديث حسن، وما سمعت به قط إلا الساعة، ثم سمعته بعد ذلك يسأل فيأمر بتخليل الأصابع.

هذا هو التواضع وبهذا تنال الإمامة.

فاعلم أخي الداعية: أن الاعتراف بالحق فضيلة، والرجوع إلى الحق خيرٌ من التمادي في الباطل، ولأن يكون الإنسان ذيلاً في الحق خيرًا من أن يكون رأسًا في الباطل، فعليك بالتواضع فالزمه فإنه أعظم رأس مالك، وتأسِ بأخلاق سلفك - عليهم رضوان الله -.

يقول الإمام الشافعي - رضي الله عنه -: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعًا لله".

قال يونس بن الصرفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يومًا في مسألة، ثم افترقنا فلقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة؟

وهذه نسوقها للذين يقاطعون إخوانهم لأول خلاف أو مخالفة في رأي.

قال ابن المديني: كان ابن عيينة إذا سئل عن شيء قال: لا أحسن فنقول: من نسأل فيقول سل العلماء، وسَلِ الله التوفيق.(سير ٨/٤٦٧).

وسألوه أن يحدث فقال: ما أراكم للحديث موضعًا، وما أراني أن يؤخذ عني أهلاً، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال الأول: افتضحوا فاصطلحوا.

قال الشافعي: التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة.

قال عباس الدوري: حدثنا علي بن أبي فزارة جارنا قال: كانت أمي مقعدة من نحو عشرين عامًا فقالت لي يومًا: اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو لي، فأتيت فدققت عليه، وهو في دهليزه، فقال: من هذا؟ قلت: رجل سألتني أمي وهي مقعدة أن أسألك الدعاء، فسمعت كلامه كلام رجل مغضب فقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا، فوليت منصرفًا، فخرجت عجوزٌ فقالت: قد تركته يدعو لها، فجئت إلى بيتنا فدققت الباب فخرجت أمي على رجليها تمشي.(سير ١١/٢١١).

قال المرُّوذي: قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعي لك؟ قال: أخاف أن يكون هذا استدراجًا بأي شيء هذا؟.(سير ١١/٢١٠).

قال الشافعي: أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله.

هذا هو التواضع وهؤلاء هم الناس: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ (الأنعام/٩٠).

٤٨-من أخلاق الدعاة.. (٤) الطموح وعلو الهمة:

قال عبيد بن زياد: كان لي خال من كلب فكان يقول لي: يا عبيد هم؛ فإن الهمة نصف المروءة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"تقول العامة: قيمة كل امرئ ما يحسن، والخاصة تقول: قيمة كل امرئ ما يطلب".

ولابد للداعية أن تكون همته في الثريا، وأن يكون ذا طموح وتطلعات وآفاق أن يصل بدعوته إلى أبعد الأماكن وأعلى المستويات، ولا يستبعد على دعوته شيئًا، وهذا الطموح لا يتأتى إلا باليقين بأن النصر لهذا الدين وأن العاقبة للمتقين.

في صحيح مسلم عن ثوبان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زري لي منها].

وعن تميم الداري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر] (رواه أحمد)

فلو أن داعية بَشَّر أصحابه بفتح البيت الأبيض أو الكنيست أو البيت الأحمر لكان له في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة يوم بشَّر أصحابه بامتلاك كنوز كسرى وقيصر، وهو يحفر الخندق ويضرب الصخرة بمعوله، وقد ربط على بطنه حجرين من شدة الجوع، والحال كما وصفه الله تعالى: (إِذْ جَاءوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً)(الأحزاب/١٠، ١١).

وقال - صلى الله عليه وسلم - لسراقة بن مالك حين كاد يدركه في الهجرة: [ارجع ولك سواري كسرى].

وقد شهد التاريخ لدعاة الحق من الصحابة فمن بعدهم بعلو هممهم، وعظم طموحهم:

فهذا خالد بن الوليد يقول لأعدائه وقد تحصنوا منه في حصون منيعة: أين تذهبون منا، والله لو كنتم في السحاب لأصعدنا الله إليكم أو لأمطركم علينا.

وهذا الرشيد لما نكث الناكث عهده وكتب إليه: من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب.. بلغنا أن الإمبراطورة إيرين كانت ترسل لك أموالا (جزية)، فإذا جاءتك رسالتي

هذه فرد إلينا أموالنا وإلا فالسيف بيننا وبينك. فلما قرأ الرشيد الرسالة استشاط غضبا، ثم كتب على ظهرها: من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم.. يا ابن الكافرة.. الجواب ما ترى لا ما تسمع.. لآتينك بجيش أوله عندك وآخره عندي. وجهز الرشيد جيشا عظيما، وغزا به نقفور وهزمه، حتى دفع كلب الروم الجزية عن يد وهو صاغر.

ولما حاصر محمد الفاتح السلطان العثماني العظيم مدينة القسطنطينية، واستعصت عليه بعض الوقت، وقف أمام أسوارها وقال: حسن والله ليكونن لي فيك قصر أو قبر. وكان له ما أراد، وفتحها الله عليه بعد أن تأبت على قادة كثر قبله.

وتاريخنا الإسلامي زاخر بهذه النوعية من الدعاة والقادة الذين قاموا لهذا الدين ونصروه، وكانت هممهم أعلى من أوكار النسور، وأرسخ من الجبال الرواس، ولا شك أن بين المسلمين من يحمل بين جوانحه مثل هذه الهمة ولكنهم قليل.

في كتاب علو الهمة للدكتور الشيخ محمد بن إسماعيل: أن مؤذنًا بلغه أن برج"بيزا"يميل وأنه يكاد يسقط فبدا عليه الحزن وقال: كنت أتمنى أن أؤذن للصلاة من فوقه".

وهذه همة عالية وطموح جيد وطيب، ونحن لا نشك في فتح هذه البلاد وظهور الإسلام عليها، وإنما متى يكون ذلك؟ هذا تحدده همة الدعاة وعطاؤهم لهذا الدين للتحقق شروط التمكين.

(وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)(يوسف/٢١).

٤٩-من أخلاق الدعاة.. (٦) الثبات على المبادئ:

الثبات على المبادئ من أهم أخلاق الدعاة إلى الله، وهو الخلق الذي يحدو بقلوب المدعوين إلى أتباعهم وسلوك سبيلهم وإتباع طريقهم.. ومعناه أن يلتزم الداعية بالمبادئ التي يدعو إليها، فلا ينبغي أن يخالف الناس إلى ما ينهاهم عنه في قليل أو في كثير، بل يجب أن يكون أكثر الناس التزامًا بدعوته، وثباتا عند الفتن والملمات، وعند مواطن الابتلاءات.

فمثلاً لا يجوز أن يأمر أتباعه باتباع السنة والتمسك بها ثم يجدونه مفرطًا في بعض السنن، وإن ظنها هو بسيطة، كذلك لا ينبغي أن يأمرهم بالصدق ثم يسمعونه يكذب ولو مازحًا، أو يأمرهم بالأمانة ويخون ولو مرة، وينهاهم عن أخذ جوائز السلطان ثم يقبلها، كما يلزمه أن يكون مثالا في الصبر والتحمل من أجل دعوته، فإذا كان خوّارا هيابا عند طروء المحنة ووقت الشدة والفتنة، فهذا يقدح في شخصه وفي دعوته.

وإنما تظهر حقيقة الثبات عند أمرين:

١- طروء المغريات من مال ومنصب وجاه.

٢- أو عند مقابلة المحن والابتلاءات.

فالمغريات أكثر ما يرد الدعاة عن وجهتهم ويثنيهم عن مبادئهم، خصوصًا إذا لاح من وراء ذلك مصلحة ومنفعة للدعوة.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما رواه أهل التاريخ أن قتيبة بن مسلم دخل سمرقند دون أن ينذر أهلها، فعلم أهل سمرقند أن الإسلام يخير أهل البلدة قبل دخولها بين الإسلام أو الجزية أو الحرب، فأرسلوا إلى عمر بن عبد العزيز، فبعث عمر يحيل الأمر إلى جندي من الجيش اسمه"جُميع الباجي"فصار قاضيًا بين قادة الجيش بما فيهم قتيبة بن مسلم وبين أهل سمرقند، وبعد سماع الفريقين أمر"جُميعٌ"القاضي"قتيبةَ بن مسلم قائد الجيش"أن يخرج بجيشه من البلد، وينذر أهلها، فإن أجابوا وإلا استأنف حربهم.

وبالفعل أمر قتيبة جيشه بالخروج من البلدة بعد فتحها، وعندما بدأ الجيش الخروج، أسلم أهل سمرقند، أو أكثرهم.

وانظر لو حدث هذا لغير المسلمين، أو حتى لمسلمي هذا الزمان، ثم قارن لتعرف كيف يكون الثبات على المبدأ.

ويظهر الثبات على المبادئ بصورة أوضح عند مواجهة الابتلاءات، خاصة إذا كان ثمن الصبر هو حياة الداعية نفسه.

- ومما يروى عن عبد الله بن حذافة السَهمي - رضي الله عنه - أنه لما أسروه جوعوه أيامًا ثم أحضروا له طعامًا فيه لحم خنزير، وخمرًا بدل الماء، فأبى أن يأكل وأشرف على الموت، فأحضروه وسألوه فقال: والله لقد كان لي في أكلها رخصة ولكن أردت ألا أشمتكم في الإسلام".

- ولما سئل بلال بن رباح - رضي الله عنه -: لماذا كنت تقول أحدٌ أحد؟ قال: والله لو علمت كلمة أغيظ لهم منها لقلتها.

- وبلغ المعز العبيدي حاكم مصر الباطني كلام عن الإمام أبي بكر النابلسي فأحضره المعز وقال له: بلغنا انك تقل لو أن عندك عشرة أسهم لوجهت تسعة منها للكفار وواحدا إلينا. قال الشيخ ما قلت هكذا.. ولكن قلت: لو أن عندي عشرة سهام لوجهت بواحد إلى الكافرين وتسعة إليكم (أي الرافضة)، فأمر المعز جزارا يهوديا بسلخه حيا، فما زال يسلخه والشيخ يقرأ القرآن حتى بلغ قلبه فأشفق اليهودي عليه فطعنه في قلبه فقتله.

بهذا تنتصر الدعوات

بهذا الوضوح ــ أيها الدعاة ــ تنتصر الدعوات.. بوضوح أحمد بن حنبل يوم المحنة، وبوضوح سيد قطب حين سئل عن النظام في المحكمة فقال كافر، وحين قيل له: لو قدمت استرحامًا؟ قال: إن أصبع السبابة التي شهدت لله بالوحدانية لترفض أن تكتب حرفًا واحدًا تقر فيه حكم الطاغية.

لماذا أسترحم؟ إن كنت محكومًا بحق فأنا أرتضي حكم الحق، وإن كنت محكومًا بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل.

بمثل هذه النماذج تتأثر الجماهير، وتتبع الأجيال، ويقلد الشباب.

بمثل هذه النماذج تنتصر الدعوات، بالدماء التي تراق، وبالأرواح التي تزهق، وبالأشلاء التي تتناثر، لا باللف والدوران والمخادعة الجاهلية والنفاق والتقية، وعدم معرفة الباطن من الظاهر، والتلون بتلون الحرباء، فهذا لا يقيم دعوة ولا ينصر دينًا.

((يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون))(آل عمران: ٢٠٠)

٥٠-الدعاة بين رجل ورويجل:

الأحداث في العالم الإسلامي تتلاحق، والمتغيرات السياسية تتابع، والصراع بين الإسلام والكفر ينتقل من طور إلى طور، ومن دائرة إلى أخرى.. والمسلمون في جميع الأحوال كالأيتام على موائد اللئام!

ولقد ورثت الصحوة الإسلامية المعاصرة تركة مهترئة من الانحراف والتخلف الذي أصاب الأمة الإسلامية بعامة، نتيجة قرون متتابعة من العجز والضعف، ولن ينهض بها من هذه الكبوة جهود أفراد معدودين مهما بلغت إمكاناهم وقدراهم. بل هي في حاجة لكل الطاقات والجهود، يُكمل بعضها بعضًا، ويُسدد بعضها بعضًا.. والعمل الإسلامي بفضل الله - تعالى - سائر بكل ثقة واطمئنان، يشق طريقه على الرغم من كثرة العراقيل والعقبات، ولكن ألم يسأل الواحد منا نفسه في يوم من الأيام: ما دوري في هذه المسيرة؟! وماذا قدمت لخدمة هذا الدين؟!

هل يكفي أن يبقى الإنسان مشاهدًا، متابعًا لمسيرة الصحوة الإسلامية من بُعد، لا يتجاوز دوره التشجيع والتعاطف؟! هل يكفي أن يكون دور الإنسان تكثير سواد الصالحين فحسب؟! أيجوز أن يقتصر الدور على الحوقلة والاسترجاع إذا أصاب الدعوة ما أصابها؟!

لا شك بأن هذه سلبية مفرطة، أقعدت كثيرًا من الناس عن الإنتاج والعطاء، وإننا نملك طاقات هائلة والحمد لله تعالى، ولكنها طاقات كامنة خاملة، لم تُسخر التسخير الأمثل لخدمة

الأمة، ولقد كُبِّلت كثير من هذه الطاقات بآصار من العجز والضعف، حتى أصبحنا نرى جموعًا غفيرة من الصالحين، ولكن مع الأسف الشديد حالهم كما وصفهم الشاعر:

يُثقلون الأرض من كثرتهم....... ثم لا يُغنون في أمر جلل

ومثله قول الشاعر:

وبعضُ الرجال نخلةٌ لا جنى لها.......ولا ظل إلا أن تُعدَّ من النخلِ

إن الثروة الحقيقية التي تملكها الأمة المسلمة ليست فقط في الأموال والأجهزة والمعدات ونحوها، وإنما هي في الإنسان المؤمن الجاد الذي يشعر بالمسؤولية وعظم الأمانة.

إن الثروة الحقيقية في تلك النفوس الحية المتقدة النابضة بروح العطاء والبذل، وما أروع تلك الصورة التي جاء وصفها في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه، كلما سمع هيْعَة أو فَزْعة طار عليه يبتغي القتل أو الموت مظانه".[أخرجه مسلم].

فهو رجل حي نذر نفسه لله تعالى، قد هيأها للانطلاق في سبيله، لا تحده الحدود، ولا تعوقه العوائق. وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم:"يطير على متنه". وقوله"طار عليه"فهما جملتان تدلان على سرعة المبادرة، وحيوية الحركة.

إننا في مرحلة تقتضي أن يُفكر الإنسان كيف يستطيع أن ينتج، بل كيف ينتج بأكثر من طاقته! ولن يكون ذلك ممكنًا إلا إذا وجدت الهمة العالية والعزيمة الصادقة التي تتطلع إلى أفق عال وقمة سامقة من العطاء والإبداع، ولا ترضى بالقليل من العمل.

فكنْ رجلاً رِجْلُه في الثرى.......وهامةُ همَّتِه في الثريا

قال الإمام ابن القيم:"النفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار".

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله:"ينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يُتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض. ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض، غير أنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن. والسيرة الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل".

فلا يقتل الطموحات إلا استصغار الإنسان نفسه، يُكبلها بالعجز، حتى يصل إلى حد الشلل الذي يعوقه عن الحركة والإنتاج، وإن طاقة الإنسان تتآكل غالبًا حينما يزدري الإنسان نفسه، ويشعر أنه ضعيف لا يستطيع أن ينجز عملاً أو يبدع أمرًا. وفي كثير من الأحيان لا يكتشف الإنسان طاقاته ومواهبه إلا من خلال التجارب.

وإنتاج المرء غالبًا يعتمد على مقدار طموحه وهمته، فالإنسان الطموح هو الذي يجعل أمامه هدفًا عاليًا، حتى لو كانت قدراته لا تؤهله لذلك الآن؛ لأنه سوف يحرص على تنمية قدراته للوصول إلى هدفه، فإذا نمت القدرات فإنه لن يبقى عند هدفه الأول، بل سوف تنمو طموحاته وتزداد، وما أجمل قول شيخ الإسلام ابن تيمية:"العامة تقول: قيمة كل امرئ ما يُحسن، والخاصة تقول: قيمة كل امرئ ما يطلب".

ومَن يتهيَّب صعودَ الجبالِ.......يعش أبد الدهر بين الحُفَر

وقال حوط بن رئاب الأسدي:

دببتَ للمجد والساعون قد بلغوا.......جهْد النفوسِ وألقوا دونه الأُزُرَا

فكابَروا المجدَ حتى ملَّ أكثرهم.......وعانق المجدَ من أوفى ومَن صبَرا

لا تحسبِ المجدَ تمرًا أنت آكله.......لن تبلغ المجدَ حتى تلعق الصَّبِرا

وقال أبو القاسم الشابي:

إذا صغرت نفسُ الفتى كان شوقُه......صغيرًا فلم يتْعَب و لم يَتَجشَّم

ومَن كان جبَّار المطامع لم يزل.......يلاقي من الدنيا ضراوة قَشْعَمِ.

٥١-الثقافة اللغوية والأدبية للدعاة:

كم يقشعرّ جلد الإنسان، ويتأذّى سمعه حين يسمع داعية ينصب المرفوع، ويرفع المنصوب، ولا يفرّق بين الفاعل والمفعول... فلا يكاد يُنهي كلمة من كلماته إلا أصابك ذهول ووهلة، أو لطمك - ولطم الخليل وسيبويه معك- لطمة أيَّ لطمة!!..

ومن ثم كانت الثقافة الأدبية واللغوية واحدة من أهم الثقافات اللازمة للداعية لزوم غيرها من الثقافات بل ربما أشد.

واللغة بمفرداتها ونحوها وصرفها لازمة لسلامة اللسان، وصحة الأداء، وجودة التعبير... فضلاً عن حسن أثرها في السامع، فالأخطاء اللغوية -إن لم تُحَرِّف المعنى، وتشوّه المراد- يمجّها الطبع، وينفر منها السمع.. وشر ما يكون ذلك إذا كان اللحن في كتاب الله تعالى، أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر القرطبي في تفسير الآية الثالثة من سورة براءة أن أعرابيًّا قدم المدينة المنوّرة فقال: من يُقرئني مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم؟ فأقرأه رجل سورة براءة حتى أتى الآية الكريمة: ((أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ))[التوبة:٣] فقرأها عليه بالجر (رسولِه)، فقال: وأنا أيضاً أبرأ مما برئ الله منه!! فاستعظم الناس الأمر وبلغ عمر - رضي الله عنه- فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال يا أمير المؤمنين: قدمتُ المدينة فأقرأني رجل سورة براءة، فقلت: إن يكن الله بريئًا من رسوله فأنا أبرأ منه، فقال عمر: ما هكذا الآية يا أعرابي قال: فكيف يا أمير المؤمنين؟! فقرأها عليه بالضم"ورسولُه)، فقال

الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه، فأمر عمر ألا يُقرئ الناس إلا عالم بلغة العرب.

والأدب بشعره ونثره وأمثاله وحِكمه ووصاياه وخطبه... مهم جداً للداعية، يثقف به لسانه، ويجود أسلوبه ويرهف حسه، ويوقفه على أبواب من العبارات الرائقة، والأساليب الفائقة، والصور المعبرة، والأمثال السائرة، والحكم البالغة، ويفتح له نافذة على الروائع والشوامخ، ويضع يده على مئات بل ألوف من الشواهد البليغة التي يستخدمها الداعية في محلها فتقع من القلوب أحسن موقع وأبلغه... وفي طليعة ذلك القرآن الكريم المعجز للبشر في أسلوبه وبيانه، وكذلك السنة النبوية التي تحاكي إعجاز القرآن الكريم في جمال تعبيرها وبلاغتها....

ومما يؤكد هذه المعاني الشواهد التالية:

جاء في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود:"إن من البيان لسحرًا، وإن من الشعر لحكمة"، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم الشعر من أكثر من شاعر، واستجاده واستزاد منه، وكان من أصحابه شعراء معروفون مثل: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة... رضي الله عنهم، وأذن لحسان - رضي الله عنه- أن يذود عن الإسلام بلسانه وشعره، ويردّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجو شعراء قريش، وكان يقول له:"اهجُهم وروح القدُس معك، إن كلامك أشدّ عليهم من وقع النبْل"

وروى مؤرخو الأدب كثيرًا من الشعر للخلفاء الراشدين، وخصوصًا لعليٍّ كرَّم الله وجهه، فقد روى عنه كثير من الشعر الجيد البليغ، كما رووا أيضًا لكثير غيرهم.

ومن لم يقل الشعر منهم فقد رواه ورغّب في روايته:

فعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: (علّموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل، وروّوهم ما جمل من الشعر). وقالت عائشة رضي الله عنها: (روُّوا أولادكم الشعر، تعذب ألسنتهم).

وقال المقداد بن الأسود: (ما كنتُ أعلم أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بشعر ولا فريضة (علم المواريث) من عائشة رضي الله عنها).

وكان عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- من أروى الناس للشعر، حتى حكوا أنه كان يحفظ رائية عمر بن ربيعة، وكان يستند إلى الشعر في تفسيره للقرآن، كما يعرف ذلك مما يروى من محاورته لنافع بن الأزرق.

ويروى أن زيادًا بعث بولده إلى معاوية -رضي الله عنه- فكاشفه عن فنون من العلم، فوجده عالمًا بكل ما سأل عنه، ثم استنشده الشعر فقال: لم أروِ منه شيئًا، فكتب معاوية إلى زياد يقول له: ما منعك أن ترويه الشعر؟ فوالله إن كان العاقّ ليرويه فيبرّ، وإن كان البخيل ليرويه فيسخو، وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل....

وهذا يدلنا على مقدار ما للأدب عامة، وللشعر خاصة من تأثير في النفس البشرية، كما يدلنا على أن العناية بالأدب، والتضلع منه، والاطلاع على مصادره، والحرص على ترديد فوائده، والاستفادة منها عند الحاجة أمر لازم للداعية الناجح الموفق.

ولنضرب على ذلك مثلاً:

هب أنك تتحدث إلى الناس عن حقوق القرابة، وصلة الرحم، وذكرت من الشواهد ما تيسّر من الكتاب والسنة، أفلا يكون مما يوسّع أفق حديثك، ويزيده تأثيرًا أن تذكر بعض ما حفلت به كتب الأدب في ذلك من شعر ونثر...

فمن ذلك: قول علي رضي الله عنه: (أكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير).

وقول طرفة في معلّقته:

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة.......على المرء من وقع الحسام المهنَّد

وقول الآخر:

أخاكَ أخاكَ إن مَنْ لا أخًا له.......كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

وإن ابن عمِّ المرء فاعلم جناحُه.......وهل ينهض البازي بغير جناح؟

وقول الحماس:

وإن الذي بيني وبين بني أبي.......وبين بني عمِّي لمختلف جدّا

إذا أكلوا لحمي وفَرتُ لحومهم.......وإن هدموا مجدي بنيتُ لهم مجدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهمُ....... وليس كبير القوم مَنْ يحمل الحقدا

وقول الآخر:

قومي هُمُ قتلوا أُمَيْمَ أخي.......فإذا رميتُ يصيبني سهمي

فلئن عفوتُ لأعفوَنَّ جَلَلاً.......ولئن رميتُ لأُوهنَنَّ عظمي

حتى الطرائف والمُلح الأدبية يجد الداعية الموفق لها مكانها ووقتها، فينتفع بها، ليثبت بها معنى معينًا، أو ليروّح بها عن سامعيه.. كما قيل:"إن القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة".

وكثيرًا ما استعار أهل المحبة لله أشعار المدح والثناء.. فاستعملوها في أغراضها الربانية، و لم يلتفتوا إلى المناسبة التي قيل بها الشعر..

وقد أنشأ أبو فراس الحمداني أبياتًا من قصيدة يخاطب بها أميره وابن عمه سيف الدولة، فنقلها الصالحون إلى مخاطبة الحق جلَّ جلاله، وهي قوله:

فليتك تحلو والحياة مريرة.......وليتك ترضى والأنام غضاب

وليتَ الذي بيني وبينك عامرٌ.......وبيني وبين العالَمين خرابُ

إذا صحَّ منك الوُدُّ فالكلُّ هينٌ.......وكل الذي فوقَ التُّرابُ تُرابُ

ولكن على الداعية أن يتجنب أشعار الفُحش، وطرائف الغيبة، ومُلَح التعريض بالناس؛ حتى لا يقع في مخالفات شرعية، أو يثير في النفوس أحقادًا نفسية، أو يسبب في الأمة انقسامات اجتماعية.

٥٢-الثقافة التاريخية للدعاة:

يحتاج الداعية خلال مسيرته الدعوية إلى إثراء مجموعة ثقافات تلزمه في دعوته.. ومن هذه الثقافات الثقافة التاريخية.. فالتاريخ هو ذاكرة البشرية، وسجل أحداثها، وديوان عبرها، والشاهد العدل لها أو عليها، ويهمنا في ذلك تاريخ الإسلام والأمة الإسلامية خاصة، وتاريخ الإنسانية بصفة عامة، أعني المواقف الحاسمة منه، والملامح الرئيسية فيه.

لماذا دراسة التاريخ؟!!

• لأن التاريخ يوسع آفاق الداعية في اطلاعه على أحوال الأمم، وتاريخ الرجال.. فيرى الإنسان من خلال دراسة التاريخ بعين بصيرته كيف تعمل سنن الله في المجتمعات بلا محاباة ولا جور؟ وكيف ترقى الأمم وتهبط، وكيف تقوم الدول وتسقط، وكيف تنتصر الدعوات وتنهزم، وكيف تحيا الحضارات وتموت، وكيف ينجح القادة ويفشلون، وكيف تنام القلوب وتصحو. قال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)[الحج:٤٦].

• ولأن التاريخ أصدق شاهد على ما يدعو إليه الدين من قيم ومفاهيم، فهو مرآة مصقولة تتجلى فيها عاقبة الإيمان والتقوى، ونهاية الكفر والفجور، وجزاء الشاكرين لأنعم الله، وعقوبة الكافرين بها.. وكيف يجني من يغرس الخير، ويحصد من يزرع الشوك، ولذا عني القرآن الكريم بذكر قصص السابقين، وتواريخ الغابرين، لما فيها من عِبر بليغة، وعظات

حية.. كما قال تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[ق:٣٦، ٣٧].

والداعية يحتاج إلى أن يستشهد للمعاني والقيم التي يدعو إليها بأحداث التاريخ، ومواقف الأبطال، وأحوال الأمم.. فهذا أعون على تثبيتها في العقول والقلوب..

• ولأن التاريخ كثيرًا ما يعين على فهم الواقع الماثل، ولا سيما إذا تماثلت الظروف، وتشابهت الدوافع، وهذا ما جعل العرب قديمًا يقولون:"ما أشبه الليلة بالبارحة"، وجعل الغربيين يقولون:"التاريخ يعيد نفسه"، بل القرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى كما في قوله: (كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ)(البقرة:١١٨].

حقائق ينبغي أن ينتبه لها الداعية:

١- أن يستخرج المغزى الأخلاقي للتاريخ، واتجاهات الأحداث فيه، وحصادها الناطق بلسان الحال؛ وأن يستنبط منه رؤوس العبر، ومواقع العظمة.. لا أن يستكثر من الجزئيات، ويُسهب بالتفصيلات والوقائع.

٢- أن يكون ذا وعي يقظ للوقائع التاريخية التي تخدم موضوعه، وتعمق فكرته، وتقدم لها الشواهد الحية.. وليس من اللازم أن يجد هذه الوقائع في كتب التاريخ المتخصصة، بل كثيرًا ما يلتقطها بحسه الواعي من مصادر قد لا يلتفت إليها كثيرًا رجال التاريخ، فقد يلتقطها من القرآن الكريم فيما قصّ علينا من أخبار الأمم، وقد يلتقطها من كتب الحديث والآثار.. وقد يلتقطها من بعض كتب الأحكام مثل كتاب"الخراج"لأبي يوسف، وكتاب"الأموال"لأبي عبيد، وقد يلتقطها من كتب الأدب، أو كتب الحسبة، أو كتب الرحلات، أو كتب الفتاوى.. أو غيرها.

٣- أن يعني بسيَر الرجال، ومواقف الأبطال، وبخاصة العلماء، والدعاة، والمرشدون الربَّانيون، والأئمة المجتهدون.. وفي تاريخنا ثروة من السِّيَر تتمثل فيها الأسوة الحسنة، والقدوة الصالحة، وتبرز الشخصية المسلمة مجسدة في مواقف وأعمال.. كما نلمس ذلك في كتب الطبقات والتراجم، ونجد ذلك في"سير أعلام النبلاء"، و"وفيات الأعيان"، و"طبقات ابن سعد"و"تهذيب التهذيب"و"حلية الأولياء"و"صفة الصفوة".

٤- أن يهتم بربط الحوادث والوقائع بأسبابها وعللها المعنوية والأخلاقية، فالذي يطالع تاريخنا الإسلامي بعمق، ويتأمل سيره بدقة، يجد أن المد والجزر، والامتداد والانكماش، والنصر والهزيمة، والازدهار والذبول.. كلها ترتبط بمقدار صلة الأمة بالإسلام أو انفصالها عنه، وقربها من تعاليمه أو بعدها عنها، وحسبنا أن ننظر نظرة عَجلى إلى عصر الراشدين، أو عصر عمر بن عبد العزيز، أو عصر الرشيد، أو عصر نور الدين وصلاح الدين.. لنرى تمسكًا بالدين أو رجعة إليه، ونرى ثمارها عزًّا وازدهارًا، والعكس بالعكس في عصور أخرى.

٥- أن يكون محور التاريخ الإسلامي هو الإسلام نفسه دعوة ورسالة، وأثره في تربية الأجيال، وتكوين الأمة المسلمة، وإقامة الدولة الإسلامية، وبناء الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية، وتأثير الإسلام في العالم كله، وقدرته على الانتشار عند القوة، والمقاومة عند الضعف، واستطاعته التأثير في الناس ليعتنقوه عن رضىً واختيار - كما تم ذلك مع السلاجقة والتّتار - واختزانه أيضًا كل أسباب الحيوية، وطاقات القوة لإمداد أمة الإسلام بروح الجهاد، وعنصر المقاومة.. لإثبات الذات، واستعادة المجد.

وينبغي للداعية أن يركز على الحقائق التاريخية التالية:

١- يجب إبراز الجاهلية العالمية والعربية بكل أفكارها، وتصوراتها، ودعواتها، وأساليبها.. بلا إفراط ولا تفريط.

ذلك أن النزعات التبشيرية والاستشراقية.. تريد أن تُلبس الجاهلية الحاضرة لبوسًا حسنًا، مضخّمة ما كان لها من حسنات، متغاضية عمَّا عجّت به من مثالب، وقد طرب لذلك

القوميون، وخصوصًا من العرب، فحرصوا على عرض الجاهلية العربية مبرّأة من كل عيب.. كما يبدو ذلك في دراسة التاريخ والأدب، وما سمي "المجتمع العربي".. متجاهلين ما كان عليه العرب قبل الإسلام من فساد العقائد والأخلاق والأنظمة والتقاليد!

ورضي الله عن عمر الذي قال: "إنما تنقض عُرا الإسلام عُروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية".. وهذا بشرط ألاَّ يمسّ ذلك ما تميزت به أمة العرب، ولغة العرب، وأرض العرب.. من خصائص ومزايا رشحتها لحمل الرسالة الإسلامية الخالدة إلى الناس (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)[الأنعام:١٢٤].

٢- ينبغي الاهتمام بحركات الإصلاح والتجديد في تاريخ الإسلام، وبرجال التجديد الذي يبعثهم الله بين حين وآخر ليجدِّدوا لأمة الإسلام أمر دينها، كعمر بن عبد العزيز، ونور الدين الشهيد، وصلاح الدين، والشافعي، وابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، وحسن البنا.. وقد يكون المجدد فردًا أو جماعة أو مدرسة إصلاحية، يبرز بها اتجاه في الإصلاح له سماته وخصائصه.

٣- كما يجب الالتفات إلى دور الإسلام ورجاله وأثره في حركات المقاومة والتحرير التي ظهرت في العالم الإسلامي، منذ وطئت أرضه جيوش الاستعمار، فرغم المكر الصليبي، ومحاولات التخدير والتضليل.. لم يسلم الاستعمار من المقاومة الباسلة في كل بلد دخله، وأريقت الدماء، وسقط الشهداء تلو الشهداء.. ولم تزل المقاومة على مر الزمن حتى كان التحرير، وكان الإسلام وعلماؤه ودعاته وراء هذا الجهاد للاستعمار بريطانيًّا كان أو فرنسيًّا أو إيطاليًّا أو أسبانيًّا؛ كأمثال الشيخ ابن باديس في الجزائر، والشيخ عمر المختار في ليبيا، والشيخ العربي الدرقاوي في المغرب، والشيخ عز الدين القسّام في فلسطين.. ومئات غيرهم، وقد شهد بذلك مؤرخون غربيّون مثل "برنارد لويس" في كتابه "الغرب والشرق الأوسط".

وعلى الداعية أن يحذر في المجال التاريخي من أمرين هامين:

- أولا: أن يحذر الروايات التاريخية التي دُوّنت بلا تمحيص ولا تحقيق:

فليس كل ما تحويه كتب التاريخ صحيحًا تامًّا.. فكم حوت مراجع التاريخ من مبالغات وتشويهات وتحريفات تكذبها الحقائق الثابتة بالاستقراء أو بالموازنة بالأدلة الناصعة في مصادر أخرى؟!!

وكم لعبت الأهواء والعصبيات السياسية والدينية والمذهبية دورها في كتابة التاريخ وفي رواية وقائعه، وتلوين أحداثه، وتصوير أبطاله مدحًا أو ذمًّا، إيجابًا أو سلبًا! وخصوصًا إذا علمنا أن التاريخ يكتبه عادة المنتصرون الغالبون، والغلبة لها بريق وأضواء كثيرًا ما تعشَى أعين المؤرخين عن سوءات الغالبين، في حين تُضَخَّم أخطاء المغلوبين، وتطمس فضائلهم عن قصد أو غفلة.

وإذا نظرنا إلى تاريخنا الإسلامي الذي يتعلق بأمثل عصور الإسلام وأفضلها وهو تاريخ العصور الأولى التي شهد لها الرسول - صَلى الله عليه وسلم - بالخيرية، والتي انتشر فيها الإسلام في الآفاق، وانتشرت معه لغته وفقهه، واتّسع فيها تعلم كتابه وسنة نبيه، وهو تاريخ عصر الصحابة ومن تبعهم بإحسان.. إذا نظرنا إلى هذا التاريخ وجدناه قد ظُلم وشُوّه في كتب التاريخ أي ظلم وتشويه؟!! ثم يجيء المعاصرون ليأخذوا من تلك الكتب بعُجَرِها وبُجَرِها، وبغثها وسمينها.. ويقولون: نحن لم نحد عن الطريقة العلمية الموضوعية، فمصدرنا فيما ننقل من نصوص تاريخية: الواقدي، أو الطبري، أو ابن الأثير.. نعزو فيما نأخذ إلى جزء كذا، صفحة كذا، طبعة كذا..

هكذا يصنع المستشرقون، وهكذا يفعل أساتذة التاريخ في الجامعات، وهكذا يسير الذين يكتبون عن التاريخ ممن يريدون أن يشوّهوا تاريخنا الناصع، ويطعنوا بعظمائنا الأفذاذ.

كان لزامًا على علماء الإسلام، ورجال الاختصاص، وأهل التحقيق.. في كل زمان ومكان.. أن يكلفوا أنفسهم في البحث عن النصوص التاريخية، والتحقق من أسانيدها، والعوامل السياسية التي أثرت فيها.. ولا سيما المطاعن التي سددت لجيل الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

وعذر الأئمة كالطبري وأمثاله في أمرين:

الأول: أنه يروي الحوادث بسندها إلى من رواها، وقد قيل:"من أسند فقد حمّل"وكان هذا مقبولا في زمنه لكثرة العلماء.

وقد قال الطبري نفسه في مقدمة تاريخه:".. فما كان في كتابي هذا مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة فيعلم أنه لم يؤت من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقله إلينا، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا.."، وهكذا أخرج نفسه من العهدة وألقاها على القارئ.

والثاني: أنه لم يهتم بتمحيص ما روي؛ إذ موضوعه التاريخ ولا يترتب عليه حكم شرعي من تحليل أو تحريم أو غيرها.. وقد قال عن نفسه مسوغا هذا التساهل بقوله:"... إذ لم نقصد بكتابنا هذا الاحتجاج"يقصد الاحتجاج للأحكام.

الأمر الثاني: الحذر من التفسيرات المشوهة للتاريخ

في عصرنا اليوم الذي هو عصر الأهواء والعصبيات والتيارات الفكرية يتعرض تاريخنا الإسلامي لتفسيرات مشوّهة مغرضة من قِبل أناس قلبوا الحقائق، وحرّفوا الكَلِمَ عن مواضعه، وإليك - أخي الداعية - نماذج من هذا القلب والتشويه:

فالمستشرقون والمبشرون.. حين يبحثون في التاريخ يخدمون به فكرة بيّتوها عن محمد صَلى الله عليه وسلم ودينه وأصحابه، فمحمد صَلى الله عليه وسلم عند هؤلاء ليس برسول الله، والإسلام ليس بدين الله، وأصحابه ليسوا إلا عصابات من المغامرين المتنافسين على الدنيا، المتعطشين لإراقة الدماء، المكرهين الأمم بالقوة على الإسلام.. لا يعتقدون بدين سوى اليهودية والنصرانية، أما الإسلام في زعمهم نسخة محرَّفة منهما، وتعليم بشر، حتى الحضارة الإسلامية فإنها طبق الأصل عن حضارة اليونان والرومان.. (ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)[التوبة:٣٠].

وفي سبيل هذا يغفلون أحداثًا قيمة، ويضخمون أحداثًا تافهة، ويعتمدون أخبارًا ضعيفة أو مكذوبة، يتصيدونها من أي كتاب، ولو كان كتاب"الأغاني"للأصفهاني. ويوجهون هذا كله توجيهًا مغرضًا مسمومًا يؤيد اعتقادهم السابق عن الإسلام وكتابه ورسوله وأصحابه وأمته.. كأمثال المبشرين: جرجي زيدان، وفيليب حتي، وسلامة موسى..

والماركسيون الشيوعيون.. يفسرون التاريخ - وفقًا لفلسفتهم المعروفة - تفسيرًا ماديًّا طبقيًّا، ويحاولون أن يطبقوا ذلك على نشأة الإسلام وظهوره، ويسفُّون في ذلك غاية الإسفاف، ويحمّلون الوقائع والأحداث ما لا تحتمل، ويقسِّمون الصحابة - رَضي الله عنهم - إلى يمين ويسار، ويديرون صراعًا موهومًا بينهم..

وكثيرٌ من كتّاب المسلمين أنفسهم - ويا للأسف - يخلعون على حوادث التاريخ، ومواقف رجاله ما عرفوه وخبروه من ألاعيب السياسة، ومواقف رجالها في هذا.. ويتخيّلون العلاقة بين عمر وخالد، أو بين عثمان وعلي، أو بين علي ومعاوية وطلحة والزبير - رَضي الله عنهم جميعًا - من أمثال العلاقة بين الطامحين والطامعين من رجالات الأحزاب، وتجّار السياسة في عصرنا، ويفسِّرون المواقف والأحداث تبعًا لهذا التصور الظالم، والمتجنِّي على هذا الجيل المثالي الذي لم تكتحل عين الدنيا برؤية مثله، بل عقمت أم التاريخ أن تلد جيلاً مثل هؤلاء!!

والقوميون من العرب.. يوجهون التاريخ الإسلامي كله وجهة قومية بحتة، فالإسلام في نظرهم انتفاضة عربية أو وثبة من وثبات العبقرية.. ورسول الإسلام - صلوات الله وسلامه عليه - بطل قومي، جادت به أمة العرب على الإنسانية!!

فمن الطبيعي بعد هذا التفسير المشوّه للتاريخ أن يغدو أبطال الإسلام، وعلماؤه، ورجالاته الكبار على مدار الزمن في نظر هؤلاء أبطالاً عربًا، وأن تُسمى الحضارة الإسلامية أيضًا"حضارة عربية".. وذلك لقطع الصلة بين العرب وبين الإسلام.. علمًا بأنه لولا الإسلام لما كان للمسلمين في التاريخ بطولات ولا حضارة ولا أمجاد.. ورحم الله الفاروق عمر أمير

المؤمنين القائل فيما رواه الحاكم:"نحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام؛ فمهما ابتغينا العزة بغير الإسلام، أذلنا الله".

فعلى الداعية أن يحذر مثل هذه التشويهات والتفسيرات للتاريخ الإسلامي، بل عليه أن يحذِّر الجيل المسلم من أن يقعوا في شراكها، ويتأثروا بمفاهيمها..

٥٣-من لهؤلاء..؟!!

كان يأتي إلى المسجد الوحيد في المدينة من مكان بعيد جدًّا لأداء صلاة الفجر، وعلى الرغم من المخاطر التي كانت تقابله وكانت تمنع كثيرًا من الناس من الحركة في هذه الساعة المبكرة من اليوم، فقد كان حريصًا أشد الحرص على ذلك، وسمعته يقول:"منذ أن قرأت قول النبي صلى الله عليه وسلم:"بشر المشّائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة"، وأنا حريص على أن أكون من أهل هذا الحديث، إن شاء الله.

سألته: ما الذي دعاك إلى الإسلام..؟!

فقال: ولدت في جزيرة صغيرة في البحر الكاريبي لأب مسلم وأم نصرانية، كنت أرى أبي يؤذن في البيت ويصلي، ولكني ما كنت أعرف ماذا يفعل، فقد توفي وعمري سبع سنين فقط لا غير، كل الذي أدريه أنه أسرَّ إلي في مرض وفاته قائلا: (أنت مسلم يا ولدي.. إياك أن تذهب إلى الكنيسة مع أمك.. أنت مسلم، أليس كذلك؟!!) ثم فارق الحياة..

نسيت وصية أبي.. أو قل: لم أكن أفهمها. وذهبت إلى الكنيسة، فقد كانت أمي كاثوليكية متدينة، وما كنت أقتنع بكثير مما أسمعه أو أراه هناك.. فلما كبرت كنت أتفلت من قيود الكنيسة، واشتغلت بالتجارة، فانفتحت على الدنيا، فازدادت غفلتي وبعدي عن التفكير في الأديان جميعها.

حتى جاء اليوم الذي سافرت فيه إلى جزيرة (جاميكا) لغرض التجارة، كنت أسير في أحد شوارع العاصمة، وفجأة.. سمعت صوتا رخيما متخشعا ينادي بالأذان، ما كنت أعرف ماذا

يقول، ولكني تذكرت والدي، تذكرته وهو يشدني على صدره، والدموع تملأ عينيه، ويقول لي: (أنت مسلم.. أليس كذلك؟!) وكأنه يستعطفني أو يستجديني، أحسست برعدة شديدة تسري في جسدي، لا أدري لماذا اقترن الإسلام عندي بالأذان، فما كنت أعرف عنهما شيئا. وأخذت أرتجف، حتى انفجرت بالبكاء.. مشاعر كثيرة اختلطت في ذهني، وكأني وجدت شيئا عزيزًا على نفسي طالما افتقدته.. بكيت، وبكيت.. وما كنت أبالي بنظرات المارة الذين ينظرون إلي ويتعجبون.

ذهبت أبحث عن مصدر الصوت، حتى دلوني على المسجد، فوجدت المؤذن رجلا كبيرًا أميا لا يعرف شيئا كثيرًا عن الإسلام، فعاجلته بالسؤال بعد السؤال، لكنه لم يشف غليلي، وإنما دلني على مكتبة المسجد، فما وجدت فيها شيئا أقرؤه إلا ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية.. فأخذت أقرأ بنهم شديد حتى وقفت على قول الله تعالى:)لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (المائدة:٧٣).. فأحسست بهزة عنيفة أيقظتني من سبات عميق، وما بت تلك الليلة إلا وأنا أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم..

تأملت هذه القصة، ثم رجعت إلى نفسي، وقلت: كم هم أولئك الحيارى الذين يتخبطون في ظلمات الجاهلية شرقا وغربا، بل وفي ديار الإسلام، ومنهم من كانت أمهاتهم غير مسلمات ومع ذلك لم نحسن عرض الإسلام عليهم بصفائه ونقائه ومحاسنه العظيمة؛ على الرغم من التقنيات الهائلة التي تميز بها هذا العصر، حتى إن القرآن العظيم لم تتيسر لنا ترجمة معانيه ترجمة سليمة خالية من الأخطاء المنهجية واللغوية إلى اللغات الحية فضلا عن اللغات الأخرى.

إن البشرية.. كل البشرية متعطشة إلى هذا القرآن العظيم لينقذها من حيرتها وتخبطها، وإنه أمانة عظيمة، فهل نعي هذا..؟!!

٥٤-دور المسجد في بناء الشباب:

مرحلة الشباب هي المرحلة الحرجة التي يمر فيها الشباب بتغيرات جسمية ونفسية وعاطفية، ويتعرض فيها للصراع بين المثل العليا والسقوط في حمأة الرذيلة، وللتناقض والازدواجية بين ما يلقنه وما يعيشه وبين ما يسمعه وما يراه.

المسجد طوق النجاة

والمسجد بالنسبة للشباب في هذه المرحلة هو طوق النجاة، والداعية الناجح هو السباح الماهر الذي يستطيع أن ينتشل هذا الغريق من بين أمواج الفتن والظلمات التي تكتنفه من كل جانب..

ونحن نوجه الحديث هنا إلى الدعاة فقط، ولا نخاطب الموظفين من أجل"لقمة العيش"فهؤلاء نسقطهم تمامًا من الحساب.. نتحدث مع الدعاة الذين حملوها أمانة ملكت عليهم أنفسهم، وسرت في شرايين أجسامهم، فأصبحت هي شغلهم الشاغل وهمهم المُقعِد المقيم.. لا عن الذين قال فيهم الشاعر:

فأما القتال فلا قتال لديكم.......ولكن سيرًا في عراض المواكب

إن الداعية الذي أخلص لله نفسه هو الذي يجعل من رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوته ومثله الأعلى، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المحور الذي تدور عليه الحياة من حوله، فقد كان أباً لكل صغير، وأخًا لكل كبير، وملاذًا يلجأ إليه الناس لحل ما استعصى عليهم من مشاكلهم، وقد كان المعلم والمشرف الاجتماعي والطبيب النفسي، ولن يستطيع الداعية إلى الله تمثُّل هذه القدوة إلا بثقافته العالية التي تنمو يومًا بعد يوم، فرسالته وعلمه هما اللذان يفرضانه على الناس، والعمل الجيد يفرض نفسه.

وبالطبع لن نستطيع استيعاب دور المسجد في هذا المجال الضيق، ولكننا سنركز على ما يمكن أن يقدمه المسجد للشباب، فالمسجد وحده هو الذي يستطيع أن يقدم للشباب ما عجزت أن تقدمه لهم المدرسة والبيت والشارع ووسائل الإعلام.

يقول علماء النفس في هذا المجال: إن مرحلة المراهقة هي الفترة التي يكون الدين فيها بالنسبة للشاب، هو المخرج والمتنفس الوحيد، الذي يحقق له الأمان من الضغوط النفسية والمشاكل الانفعالية، التي تقع عليه من داخل نفسه وخارجها.

فنذكر إخواننا الدعاة أن المعركة ميدانها عقول الشباب، والشباب الذي يعاني من الفراغ الديني يقع فريسة لا تكلف شيئًا للشيوعية والمذاهب التي تدعو إلى ا لتحلل من ضوابط الدين.

وإن الشيوعيين (وكل أصحاب الأفكار الهدامة) على ما عندهم من البضاعة المزجاة، فإنهم عرضوها على الشباب عرضًا أنيقًا منمقًا، جعل بعضهم يفتتن بهذا المسخ المنحرف للفطرة البشرية.. فكيف بنا ونحن أصحاب الدين الحق نفشل في عرض ديننا عرضًا قويًّا مغريًا ينبئ عن حقيقته الرائعة..؟

وإن نصيبًا كبيرًا من هذا التحلل الذي ينتاب الشباب يقع العبء فيه والمسؤولية عنه أمام الله في ساحات القيامة على عاتق الذين يخذلون دينهم ودعوتهم، أو الذين يسيؤون طريقة عرض الدين على الناس، أو يعرضونه بطريقة منفرة

ما الذي يمكن أن يقدمه الداعية إلى الشباب؟

إن شبابنا في طول الوطن الإسلامي وعرضه ما زال بخير رغم حملات التضليل الضارية التي تشن عليه من كل الجبهات المعادية للإسلام.. وشجرة الإيمان مازال أصلها ثابتًا في قلوبهم، ولكنهم يفتقدون القيادة.. يفتقدون القدوة، بعد ما أصيبوا بالإحباط وبالغصص في حلوقهم وهم يرون الأكابر كل يوم يقولون ما لا يفعلون.. يسمعون كلامًا رنانًا ووعودًا جوفاء يصرح بها اليوم لتبتلع غدًا.

والشخصية الوحيدة التي يمكن أن تقدم هذه القدوة حية متجسدة هي شخصية الداعية المخلص، فيصبح بذلك أجمل عنوان لأعظم رسالة. ومهمة الداعية هي أن يقوم بعملية حصار

للأباطيل والمبادرة إلى الرد على محاولات النيل من العقيدة، وتصحيح مفاهيم الشباب من الخلط والخبط الذي تمارسه وسائل الإفساد.

نريد أن تتحول خطبة الجمعة إلى"مدرسة الجمعة"مدرسة تعالج فيها موضوعات الساعة وقضايا الشباب، مدرسة تعرض عظمة الإسلام في معالجة مشاكل العصر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ونحن لا نلقي بالاً للذين يهرفون بما لا يعرفون ويقولون بفصل الدين عن الدولة. (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)[الأنعام:٩١].

ولا نريد من الداعية أن يكون دوره هو الدور الإيجابي الوحيد.. فما المانع أن يكون الداعية مكتبة في مسجده بالجهود الذاتية يستطيع كل رواد المسجد الاستعارة منها بموجب إيصال مطبوع يكتب عليه المستعير بياناته فتكون استعارة الكتب منها خالية من تعقيدات المكتبات العامة.. إننا بمثل هذا العمل نستطيع جذب المزيد من السباب المسلم إلى المسجد وربطه به.

ما المانع أن يتنازل الداعية عن الدرس بعد صلاة الجمعة، ليقدم أحد الشباب من رواد المسجد ليلقي موعظة يكون هو قد أشرف على أعدادها أو يقدم طالبًا من كلية الزراعة، أو الطب، أو الصيدلة، ليقدم إلى جماهير المصلين وجبة علمية إسلامية من خلال تخصصه يفيد منها المسلمون في حياتهم العامة.. إن هؤلاء الشباب سيكونون صفًا ثانيًا للدعوة إلى الله..

ومن أجل الأعمال التي يمكن أن يقدمها المسجد للفتاة المسلمة أن يخصص الداعية ساعة معينة في يوم معين من أيام الأسبوع لتكون درسًا للمرأة المسلمة، والمرأة ليست أقل تأثرًا من الرجل في شؤون العقيدة، وليس هذا بدعًا من الأعمال، فعن عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال جاءت امرأة إلى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رَسُولَ اللَّهِ ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك اللَّه. قال:"اجتمعن يوم كذا وكذا". فاجتمعن فأتاهن النبي صلى الله عليه وسلم، فعلمهن مما علمه اللَّه، ثم قال:"ما منكن من امرأة تقدم ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجاباً من النار". فقالت امرأة: واثنين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"واثنين".

ومما يزيد من حيوية المسجد وإشعار المسلمين بعظمة الإسلام أن تقدم من خلال المسجد نماذج تطبيقية للسلوك الإسلامي في مجال التكافل الاجتماعي، بأن يقوم الداعية بمساعدة شباب المسجد بقيادة حملة لجمع التبرعات من الملابس والأغطية وغيرها، وذلك في بداية فصل الشتاء، ثم يقوم بعد ذلك بتوزيعها على الفقراء.

كل هذا النشاط يمكن أن يقوم به الداعية لمزيد من ربط الشباب بالعقيدة من خلال المسجد، ونحن نقدمها كأمثلة ولكنها ليست نظرية، لأنها طبقت وآتت ثمارًا طيبة والحمد لله رب العالمين. ولعل بعض الأخوة الدعاة قد تجاوزوا هذه المرحلة فهنيئًا لهم توفيق الله لهم.

٥٥-الدعاة.. ورعاية مقتضى حال المدعوين:

في الدعوة إلى الله له دوره الكبير والمؤثر في نشر هذه الدعوة بين الناس وفي مدى قبولهم لها وانتفاعهم بها.. ومن أكبر ما يعين الداعية على ذلك مراعاة حال المدعوين وما يناسبهم في لحظتهم من أنواع الخطاب وهو ما يسمى بمراعاة مقتضى الحال.

فينبغي للمرشد (الداعية) النابه أن يلاحظ ما تقتضيه أحوال الأشخاص والمجتمعات الخصوصية والعمومية، ويراعى أيضًا الزمان والمكان من إلقاء درس أو خطابة أو شدة أو لين أو جدل بالحسنى أو ضرب مَثَل أو رواية قصص أو إيجاز أو إطناب فيما يقول إلى غير ذلك مما يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والجامع لهذه المتفرقات قول الله جل ثناؤه: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[النحل:١٢٥]، فإنه تعالى أمر النبي صَلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى دين الإسلام - الذي عبر عنه تارة بالصراط المستقيم، وأخرى بملة إبراهيم - بالمقالة المحكمة وهي الحجة القطعية المزيحة للشبهة، وذلك بالنسبة لأولى النفوس القويةِ الاستعداد لإدراك المعاني الطالبين للحقائق وهم الخواص، وبالخطابيات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم أنك تناصحهم وتتوخى الخير لهم، وذلك بالنسبة لذوي النفوس الكدرة ضعيفة الاستعداد الشديدة الألف للمحسوسات القوية التعلق بالرسوم والعادات، ولكن لا عناد عندهم وهم العوام، وبأحسن طرق المناظرة والمجادلة من

الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر، واستعمال المقدمات تسكينًا لشغْبهم وإطفاءً للهبهم، كما فعل الخليل عليه السلام، وهذا بالنسبة للمعاندين المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق، لما غلب عليهم من تقليد الأسلاف، ورسخ في نفوسهم من العقائد الباطلة فصاروا بحال لا تنفع فيه المواعظ والعبر، بل لابد من إلقامهم الحجر، لكن بأحسن طرق الجدال لتلين عريكتهم وتزول شكيمتهم.

أحوال المدعوين

ويصح أن يقال: إن هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن المدعوين على ثلاثة أحوال:

منيب متذكر:، وهذا شديد الحاجة إلى معرفة الأوامر والنواهي.

ومعرض غافل:، وهذا شديد الحاجة إلى الترغيب والترهيب.

ومعارض متكبر: وهذا شديد الحاجة إلى المجادلة.

فجاءت هذه الآية الكريمة في حق هؤلاء الثلاثة، ولم يقيد الحكمة بوصف الحسنة؛ إذ كلها حسنة بخلاف الموعظة، إذ ليس كل موعظة حسنة، وكذلك الجدال.. وهذا قد يرجع على حال المجادل وغلظته ولينه وحدته ورفقه، فهو مأمور بمجادلتهم بالحال التي هي أحسن.

والحاصل أن طرق الدعوة إلى الله تعالى تتفاوت بتفاوت أحوال الناس، فإن لكل مقام مقالاً، ولكل نفس إعراضًا وإقبالاً، فقد يكون الدرس أنفع للقوم لاشتماله على الأخذ والرد والوقوف على ما عساه أن يكون غامضًا على السائل، فلا يعدل عنه إلى الخطابة، وقد تفضل الخطبة الواحدة ألف درس في بعض المجتمعات والأوساط، فلا يعدل عنها إلى الدرس. وقد يكون اللين أفضل من الشدة، فقد تكره الموعظة لما فيها من الغلظة أو الخُرْق والحمق. قال رجل للرشيد: يا أمير المؤمنين! إني أريد أن أعظك بعظة فيها بعض الغلظة فاحتملها. قال: كلا، إن الله أمر مَن هو خير منك بإلانة القول لمن هو شر مني، قال لنبيه موسى، إذ أرسله إلى فرعون: (فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)[طه:٤٤]، فإن ظاهره عرض ما فيه

الفوز العظيم والسعادة الدائمة بالنسبة إلى فرعون، والترجي بالنسبة لهما، أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجهد طاقته ويبذل أقصى وسعه.

بين الإيجاز والإطناب

كذلك الإيجاز لا يكون إلا للخواص وأولي الألباب الراجحة والقلوب الحاضرة. وأما الإطناب فهو مشترك بين الخاصة والعامة ويكون مع الغبي والذكي. وليجعل القرآن الحكيم في ذلك إمامًا يقتدى به ومرشدًا يهتدى بهديه، ألا ترى أنه إذا خاطب العرب أخرج الكلام مخرج الوحي والإشارة لشدة ذكائهم وقوة فطنتهم ورجاحة عقولهم، وإذا خاطب غيرهم كبني إسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مطولاً مبسوطًا معادًا في مواضع كثيرة لبعد فهمهم وتأخر معرفتهم واحتياجهم إلى الإكثار والإطالة، فما خاطب به مشركي العرب في مقام الاستدلال على قدرة الله ووحدانيته قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)[الحج:٧٣، ٧٤].

بيانه أن أقل درجة المعبود القدرة على جلب ما ينفع العابد، ودرء ما يضره، والآلهة التي عبدها المشركون لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف ما هو أكبر منه. ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئًا مما عليهم من طيب ونحوه فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب وهو أضعف الحيوانات، ولا على استرجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها، فكيف يليق بعاقل أن يعبدها من دون الله، والمعبود في الضعف والعجز فهو عاجز متعلق بعاجز..

وقيل هو تسوية بين السالب والمسلوب الذباب والآلهة في الضعف والعجز، فالطالب الإله الباطل، والمطلوب الذباب يُطلب منه ما يأخذه مما هو عليه، ولفظ الآية يتناول الجميع،

فضعف العابد والمعبود والمستلب، فمن جعل هذا إلهًا مع القوي العزيز؟! فما قدره حق قدره، ولا عرفه حق معرفته، ولا عظمه حق تعظيمه.

وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله وتسفيه أحلامهم والشهادة على أن الشيطان قد لعب بهم أعظم من لعب الصبيان بالكرة، حيث أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات، والغنى عن جميع المخلوقات، فأعطوها صورًا وتماثيل يمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات الإله الحق وأذلها وأصغرها وأحقرها، ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه. وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء إلهيتهم أن هذا المخلوق الأقل الأذل العاجز الضعيف، لو اختطف منهم شيئًا فاجتمعوا على أن يستردوه منه لعجزوا عن ذلك و لم يقدروا عليه.

ومما جاء في مقام الرد على منكري البعث قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[مريم:٦٧]، فإنه لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث على هذا الإيجاز لم يقدروا - ونظيره قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[يس:٧٩]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[الروم:٢٧].

فإن هذا معلوم لكل صانع يتكرر منه عمل؛ لأن الأول لم يستقر بعد في خزانة الخيال، والثاني قد ارتسم وثبت له مثال، وإذا كان هذا في حق من يتفاوت في قدرته الصعب والسهل، كذلك فما ظنك بمن لا يتوقف مقدوره إلا على مجرد تعلق الإرادة الأزلية؟ فهذه الآيات الكريمة على إيجازها برهان قائم على أن البعث مما يدخل تحت سلطان قدرته تعالى من باب أولى، وغير خاف عليك ما جاء فيه عن بني إسرائيل.

وعلى الجملة فللإيجاز موضع كما أن للإطناب موضعا، فاستعمال أحدهما موضع الآخر خطأ واضح وعي فاضح، كما روي عن جعفر بن يحيى البرمكي أنه قال:"متى كان الإيجاز أبلغ كان الإكثار عيًّا". وقال الخليل: يختصر الكلام ليحفظ ويبسط ليفهم - وقد كانت العرب

تطيل ليسمع منها وتوجز ليحفظ عنها - فالإطناب إذا لم يكن منه بد فهو إيجاز وهو في الوعظ خاصة محمود، كما أن الإيجاز في الإفهام محمود. والداعية الحازم هو الذي يتفرس في حال القوم ويأتي في كل حال ما يناسبه.

٥٦-الاستبداد الدعوي..!!

الاستبداد صفة من صفات التسلط وفرض الرأي بالقوة، وهو يقتضي تكميم الأفواه، وقطع الألسن، فلا تتحدث إلا في مجال محدود لا تتجاوزه وبطريقة معينة لا تتغير.. بل ينطلق الاستبداد أحيانًا ليحجر على أفكار الإنسان وخواطره، بل أنفاسه وزفراته..!

إذا كان هذا هو معنى الاستبداد، فهل يمكن أن يتجرأ أحد على وصف الدعاة بذلك..؟!

معاذ الله! فليس هذا حكمًا عامًا يتساوى فيه جميع الدعاة، ولكن البعض قد يأخذ بنصيب وافر أحيانًا من هذه الصفة، وهذه الشريحة الدعوية لا ينبغي إغفالها أو تجاهلها.

ممارسة خطيرة

والاستبداد الدعوي - إن صحَّ التعبير - ممارسة تربوية ذات أبعاد خطيرة، تقتل ملكات الإبداع والإنتاج، وتعطل الطاقات؛ لذا كان لزامًا علينا أن نسلط الضوء عليها بجرأة، لعلاجها والتخلص منها.

وذكر الحقيقة كاملة قد يتبعها مرارة وحزن، ولكنها تنتهي بالسعادة، وقد قال شيخ الإسلام بن تيمية:"المؤمن للمؤمن كاليدين، تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا ينقطع الوسخ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة، ما نحمد معه ذلك التخشين".

أرأيت إلى ذلك المربي الذي لا يُحب أن يسمع رأيًا غير رأيه، ولا يرضى باقتراح أو نصح من أحد، فإذا تكلم؛ فمَن حوله سكوت، وإذا أشار فالناس له تبع، أتباعه ومريدوه حقهم السمع والطاعة، في المنشط والمكره، في العسر واليسر، في الخير والشر..!!

مفهوم الشورى عنده: إخبار الآخرين بما يرى، فإن وافقوه فبها ونعمت، وإن خالفوه فالشورى مُعلمة لا ملزمة.

إذا نظر إلى وجه مريده طأطأ المريد رأسه حياءً وخجلاً، واحمرَّ وجهه وفرقع أصابعه؛ حتى إذا اشتد عوده، واستوى ساقه، أصبح بارعًا في اجترار الأفكار، وترديد الكلمات، لا يباريه أحد في فن التقليد، ليس له عقل يفكر، فقد ضمر وتآكل مع طول العجز، واستفحال المرض، أقرب الأمثال إلى عقله: (من قلَّد عالمًا لقي الله سالمًا)، ولماذا يفكر ويجهد ذهنه، ويضيع وقته وبين يديه شيخه الجهبذ الذي أبصر الحقائق، وأدرك الأمور، وانكشفت له المعضلات...؟!

أرأيتم كيف نمارس الاستبداد الدعوي..؟!

أرأيت إلى طالب العلم الذي يظن أن رأيه هو عين الحق الذي لا حق غيره، ولا حق لأحد أن يخالفه أو يعترض عليه، اجتهاده قاطع لكل اختلاف، ورأيه جامع لكل خير، فهو البحر الذي تجتمع عنده الأنهر، والوادي الذي تصبُّ فيه الشُّعَب..!

إذا خالفه أحد ضاق صدره، واضطربت نفسه، وتزلزلت قدماه، وإذا أفاق من هول الصدمة، سلَّ سيوفه مستعدًا للمبارزة والطعان، دون أن ينظر أحقٌّ هو أم باطل.

كل مخالف له مبطل..مهما كان دليله..!

وكل معارض له مفسد.. مهما كان حجته..!

همُّه أن يتلقى عنه الأتباع، ومراده أن يستمع له الناس، كل تقليد مذموم إلا تقليده..! أحكامه صارمة قاطعة، لا تقبل المناقشة أو المحاورة، ومن لم يقبل هذه الأفكار فلينطح برأسه الجدار..!

جلوا صارمًا، وتلوا باطلاً......وقالوا صدقنا؟ فقلنا: نعم!

أرأيتم كيف نمارس الاستبداد العلمي..؟!

أرأيتم كيف تُوأد الأفكار، وتُخنق الأصوات، وتُحطَّم ملكات الإبداع والإنتاج، ويُربَّى الخانعون..؟! أخزى الله الاستبداد، فكم قتل من الطاقات، وكم قطع من طرقٍ للتصحيح والتغيير..!

أدب الخلاف عند السلف

كان السلف الصالح والأئمة الأخيار يختلفون فيقول قائلهم:"جائز ما قلتَ أنت، وجائز ما قلتُ أنا، وكلانا نجم يهتدى به، فلا علينا شيء من اختلافنا". ويقول الآخر:"ألا يستقيم أن نكون إخوانًا، وإن لم نتفق في مسألة؟".

أما نحن إذا اختلفنا فلسان حالنا: (ما أريكم إلا ما أرى)[غافر:٢٩].

إن مصادرة آراء الآخرين، وغلق الأبواب في وجوههم؛ يجعل جذور الخطأ تمتد إلى الأعماق، ثم يصعب تصحيحها أو على الأقل تخفيفها؛ ولهذا فنحن نحتاج إلى ترويض ومتابعة لكي نتعلم كيف نقدّر الرأي الآخر، وننجو من مصادرة عقول الآخرين، والمنهج الشرعي يقتضي أن نقطع في الأمور القطعية التي قطع بها السلف الصالح، وأما المسائل الاجتهادية في فروع العلم سواء في الفقهيات، أو في فروع العمل الدعوي المتجددة، فالأمر فيها واسع ولله الحمد والمنة، والاختلاف فيها أمر وارد لم يسلم منه جيل الصحابة رضي الله عنهم، وما وسعهم يسعنا، وما قد يكون واضحًا عندك قد لا يكون كذلك عند غيرك، وما يتبين لك صوابه الآن قد يتبين لك خطؤه غدًا، لأمر ينقدح في ذهنك، ولهذا تواتر عن علمائنا وأئمتنا أنهم يقولون في المسألة الفرعية الواحدة قولاً، ثم يقولون بخلافه بعد ذلك.

وهاهو ذا الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يريد أن يحمل الناس على كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، ويوحدهم على رأي، فيقول له الإمام مالك:"لا تفعل! فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم ما سبق إليهم، وعملوا به، ودانوا به، من قِبَل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم، وإنَّ ردهم عمَّا اعتقدوه

شديد، فدع الناس وما هم عليه وما اختار كل بلد لأنفسهم". قال الحافظ ابن عبد البر القرطبي:"وهذا غاية في الإنصاف لمن فهم".

ورحم الله الإمام الشاطبي، حيث يقول:"فإن الله حكم بحكمته أن تكون فروع الملة قابلة للأنظار، ومجالاً للظنون، وقد ثبت عند النُظَّار أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة، فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف فيها، لكن في الفروع دون الأصول، وفي الجزئيات دون الكليات؛ فلذلك لا يضر هذا الاختلاف".

إن الاستبداد خصلة لا يعجز عنها أحد في الغالب، وهو دليل على العجز والضعف. ولكن فتح أبواب المشورة، والتراجع عن الخطأ، واتساع الصدر للرأي المخالف، منزلة لا يرقى إليها إلا عباد الله المخلصون.

٥٧- أيها الدعاة!! الإصلاح.. الإصلاح ٢/١

خلق الله أمة الإسلام أمة واحدة، وربط بينها برابط الأخوة الإيمانية، ووصل بينها بصلة الولاء التي لا تنقطع ولا ينبغي لها أن تنقطع. قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)[الحجرات:١٠]، وقال: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)[التوبة:٧١]. وفي حديث النعمان بن بشير في الصحيحين:""مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى".

ورغم هذه الوشائج والروابط، إلا أن الاختلاف بين الناس أمر وارد، ووقوع الشقاق بين البعض محتمل، وربما تقاتل فئام من الناس وهم من أهل الإسلام وليس هذا بالمحال، ولكنه أمر طبيعي وواقعي، كما نوه إلى ذلك ربنا تعالى بقوله: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا)[الحجرات:٩]، فقد يكون الرجلان مسلمين ويختلفان، وتكون الطائفتان مؤمنتين وتقتتلان، وإنما يقع ذلك لاختلاف الأخلاق، وتباين الأفكار، وتفاوت مدارك الناس بين القوة والضعف، واختلاف وجهات النظر، وربما يقع الشقاق والخلاف والنزاع بسبب سعي الوشاة والنمامين الذين يفسدون في الأرض شرار الخلق كما وصفهم النبي - صلى الله عليه

وسلم - بقوله:"ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الذين إذا رُؤوا ذُكر الله عز وجل. ثم قال: ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى. قال: المشَّاؤُونَ بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت".[صحيح الأدب المفرد].

هؤلاء المفسدون في الأرض أصحاب القلوب المريضة والألسنة البغيضة، التي تسعى للتفريق بين الناس، والإفساد بين الأحباب، يفرقون بين المرء وزوجه، والابن وأبيه، والأخ وأخيه، ويوقعون بين الصاحب وصاحبه، والجار وجاره، وبين المرء وإخوانه.

مفاسد التدابر:

إن التنازع والتقاطع مفسد للبيوت والأسر، مهلك للشعوب والأمم، مبدد للأموال والثروات، ذلك لأنه إذا دب الخلاف واشتدت الخصومة، فسدت النيات، وتغيرت القلوب، وتدابرت الأجساد، فوقعت الحالقة التي لا تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، كما قال صلى الله عليه وسلم:"دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، أما إني لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين."[صحيح أبي داود]. وقال عليه الصلاة والسلام:"والذي نفسي بيده! لا تدخلوا الجنة حتى تسلموا، و لا تسلموا حتى تحابوا، و أفشو السلام تحابوا، و إياكم و البغضة؛ فإنها هي الحالقة، لا أقول لكم: تحلق الشعر، و لكن تحلق الدين"[صحيح الأدب المفرد]

فإذا وقع التدابر أظلمت الوجوه وساء ظن المسلم بأخيه (والظن أكذب الحديث)، وتفوهت الأفواه بفاحش القول وألوان البهت، وربما امتدت الجوارح بالضرب والقتل والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:"كُلّ الْمُسلِم على الْمُسلِمِ حَرَامٌ عِرْضُهُ ومَالُهُ وَدَمُهُ". ويحتقر كل واحد أخاه و"بِحسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشرّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ الْمُسْلمَ". وربما هاجرا"وَلا يَحِلّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ". ناهيك عن الأسر التي تتهدم، والأطفال التي تشرد، والمحرمات التي تنتهك، والمظالم التي ترتكب.

فإذا وقع ذلك فسد العباد وساءت البلاد، وفشلت الأمة، وذهب ريحها (وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)[الأنفال:٤٦].

الإصلاح.. الإصلاح

فإذا كان الاختلاف بين المسلمين وما ينتج عنه من الهجر والقطيعة يتسبب في كل هذه المفاسد العظيمة والعواقب الوخيمة، لذا كان الصلح بين المتخصصامين (سواءً كانوا أزواجًا وزوجات، أو أفرادًا أو جماعات) من أجل القربات وأعظم الطاعات، وحث عليه الشارع ورغب فيه، وجعله خير ما يتناجى به المتناجون (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً)[النساء:١١٤].

فعظَّم الله ثوابه، وثرى أجره حتى جعله أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، قال صلى الله عليه وسلم:"أَلاَ أُخبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى. قال: صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ".[صحيح الترغيب:٢٨٢٧].

وقال صلى الله عليه وسلم:"أفضل الصدقة إصلاح ذات البين".[صحيح الترغيب:٢٨١٧].
وقال صلى الله عليه وسلم:"ما عمل ابن آدم شيئا أفضل من الصلاة وصلاح ذات البين وخلق حسن".

ولقد باشر النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلح بين أهل الخصومة بنفسه، فلما بلغه أن بني عوف بن عمرو بينهم شر قال:"اذهبوا بنا نصلح بينهم". وخرج يصلح بينهم في أناس، وتأخر عندهم حتى كادت تفوته الصلاة بسبب ذلك.وفي الصحيح:"سَمِعَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ. وَهُوَ يَقُولُ: والله لاَ أَفْعَلُ. فَخَرَجَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- عَلَيْهِمَا، فَقَالَ:"أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى الله لاَ يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟ قَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ الله فَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ". وفي بعض الروايات:"فوضع عنه شطر المال".

يقول الإمام الأوزاعي - رحمه الله -: ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة في إصلاح ذات البين.

فإذا علم المسلمون فساد سوء ذات البين، وعظيم مساويها، ووخيم عواقبها على الأفراد والأمم لزمهم أن يعلموا على إصلاح نفوسهم، وقطع دابر القطيعة فيما بينهم، وألا يكون في قلب أحدهم لأخيه شحناء ولا بغضاء.

وإذا عرف المسلمون ــ والدعاة منهم خاصة ــ عظيم أجر الساعين بين الناس بالإصلاح وما لهم من عظيم الأجر وعميم الثواب عند الله تعالى دعاهم ذلك وحفزهم للسعي في هذا الباب الفضيل إذ لا يعقل أن يزعم زاعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر، ويشفق على الدين وأهله، ثم هو يعلم أن بين اثنين -من إخوانه - شحناء أو قطيعة ثم لا يسعى غاية سعيه، ويبذل غاية جهده، ليصلح بينهم رحمة بهم وشفقة عليهم، وطمعًا في فضل الله ورحمته، ورغبة في عظيم أجره ومثوبته.

بسم الله الرحمن الرحيم: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[الحجرات:٩].

٥٨-أيها الدعاة!! الإصلاح.. الإصلاح ٢/٢

من فقه الإصلاح

جاء في مقال سابق عن الدعوة إلى الإصلاح بين الناس، وكون ذلك من أفضل أبواب البر لما لفساد ذات البين من أضرار على الأفراد وعلى الأمة ككل.. ونحن في هذا المقال نتحدث عن شئ من فقه الإصلاح فإن للإصلاح بين الناس فقه ينبغي أن يدرى ويعقل، وسبيل ينبغي أن ينتهج ويسلك، حتى يؤتي المسعى مبتغاه، ويبلغ طريق التوفيق بين المتشاحنين منتهاه..

ـ فمن فقه الإصلاح: النية الخيرة، وابتغاء مرضات الله، وتجنب الأهواء الشخصية والمنافع الدنيوية. قال تعالى: (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً)[النساء:١١٤].

فمن فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله، وحقق الإخلاص، حلَّ التوفيق وجرى التوافق وأصلح الله الأحوال.

وأما من قصد بإصلاحه الترؤس والرياء، وارتفاع الذكر والاستعلاء، أو أي مطلب غير وجه الله، وطلب النصح للمتخاصمين، فبعيد أن ينال ثوابا في أخراه، وحري ألا يحالف التوفيق مسعاه. قال تعالى: (إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً)[النساء:٣٥].

ـ ومن فقه الإصلاح: سلوك سبيل السر والنجوى، فإن النجوى وإن ذُم أصحابها إلا إنه استثنى منها ما كان أمرًا بصدقة أو معروف أو سعي بالإصلاح بين الناس (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ).

فإن من الخير في باب الإصلاح أن يسلك المصلح مسلك النجوى والمسارة؛ لأن من عرف أحوال الناس في المنازعات والخصومات أدرك ما تسعى إليه النفوس، وينادي به الهوى والشيطان، من حب الغلبة وانتصار النفس وعدم الظهور أمام الناس بمظهر المتراجع وإن كان على غير الحق. وهنا يأتي مسلك السرية فيذهب أهل المروءات إلى هذا في بيته فيكلمونه بعيدًا عن عين الخصم وأعين الناس، فيكون هذا أرجى للإصلاح بإذن الله.

ـ ومن فقه الإصلاح: استعمال المعاريض في الكلام والكذب إذا لزم الأمر، فقد أجاز الشارع الحكيم للساعي بالإصلاح أن يكذب لهذه المصلحة الكبرى، خصوصًا ما يحتاجه من مسالك السر لتحسين صورة الخصم أو لتقريب ما بين الخصوم؛ ففي صحيح البخاري قال صلى الله عليه وسلم:"لَيسَ الكَذَّابُ الَّذي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمي خَيْراً أَوْ يَقُولُ خَيْراً".

وروى الترمذي وقال: حديث حسن عن النبي - صلى الله عليه وسلم -:"لا يصلح الكذب إلا في ثلاث: رجل يصلح بين اثنين، والحرب خدعة، والرجل يصلح امرأته".

فالكذب كله حرام إلا في هذه المواطن لحاجة الناس إليه فيها للإصلاح لا للإفساد، ولذا رخص فيه الشارع في هذه المواطن دون غيرها. قال نعيم بن حماد: سألت سفيان بن عيينة: أرأيت الرجل يعتذر من الشيء عسى أن يكون قد فعله، فيحرف فيه القول ليرضي صاحبه. أعليه فيه حرج؟ قال: لا.

ـ ومن فقه الإصلاح: أن يتحمل الساعي بالصلح بين الخصمين عن أحدهما أو عنهما حمالات للإصلاح بينهما كدية قتيل أو غرم مالي أو غير ذلك، فله أن يأخذ من الزكاة، فإنه مصرف من مصارفها، كما قال تعالى: (والغارمين).

ـ ومن فقه الإصلاح: حكمة المنهج، وجميل الصبر، وطيب الثناء، وخبرة بأحوال الناس، ومعرفة بأدواء النفوس، وإحاطة بخواطر المتخاصمين، وعقول المتباغضين.

على أن هذا الذي ذكرناه لا يقدر عليه إلا ذوو المروءات من المسلمين الذين شرفت أقدارهم وكرمت أخلاقهم وطابت منابتهم.. أصحاب العزيمة الراشدة، والنوايا الخيرة، والإرادة المصلحة، فكن منهم وعش في أكنافهم.

٥٩-آداب الداعي مع السامعين:

جبلت النفوس على الميل إلى العظمة وحب الكرامة، وشبت في الغالب على الأنفة والرعونة، ونشأت على التقيد بالإلف والعادة، فمن أراد صرفها عن غيها إلى رشادها، وحاول الخروج بها عن مألوفاتها وعاداتها و لم يَمزُج مرارة الحق بحلاوة التلطف، و لم يسهل صعوبة التكليف بطلاوة الرفق واللين، كان إلى الانقطاع أقرب منه إلى الوصول، ودعوته أجدر بالرفض من القبول، وكان كمن رام أن يطهر ثوبًا من الدنس فأوقد فيه نارًا فأحرقته،

ألا ترى قوله تعالى: (فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)[طه:٤٤]، فإنه يفيد أن لين القول محل رجاء التذكر والاتعاظ، والمعد للنفوس للخوف والانزجار.

روى أبو أمامة: أن غلامًا شابًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:"يا نبي الله، أتأذن لي في الزنا؟ فصاح الناس به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قربوه، أدن. فدنا حتى جلس بين يديه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:"أتحبه لأمك؟ قال: لا، جعلني الله فداءك، قال: كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، أتحبه لابنتك؟ قال: لا، جعلني الله فداءك، قال: كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم، أتحبه لأختك؟ - وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحدة: لا، جعلني الله فداءك - فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال:"اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصن فرجه. فلم يكن شيء أبغض إليه منه، يعني الزنا".[رواه أحمد بإسناد جيد، رجاله رجال الصحيح].

فكان لهذا التلطف في القول والرفق في المعاملة مع تحري الإقناع شأنه في نجاح المرشد في مقام الدعوة إلى الخير، والقرآن الكريم يرشد إلى ذلك في مواضع كثيرة، تأمل قوله تعالى: (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[النحل:١٢٥]، أي أحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين، ليسكن شغبهم وتلين عريكتهم، وهذا بالنسبة للمعاندين المجادلين بالباطل، وهو مثل قوله تعالى: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ)[سبأ:٢٤]، أي: وإن أحد الفريقين من الموحدين والمشركين لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال الواضح، فإن هذا بعد ما تقدم من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى، ومن هو في الضلال أبلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الإنصاف المسكت للخصم الألد، ونظيره قول حسان رضي الله عنه:

أتهجوه ولست له بكفء.......فشركما لخير كما الفداء

وقوله: (قُلْ لا تُسْأَلونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[سبأ:٢٥]. وهذا أبلغ في الإنصاف وأبعد من الجدل والاعتساف، حيث أسند فيه الإجرام إلى أنفسهم، ومطلق العمل

إلى المخاطبين، مع أن أعمالهم أكبر الكبائر، فما بعد هذا التلطف طريق يسار فيه ولا وراء هذا الرفق غاية ينتهى إليها.

التقديم بذكر المحاسن:

وهذا من أبواب فتح قلوب السامع.. أن يذكره الداعية بخير، ويصفه بجميل، كأن يبين ما له من حسب، وما فيه من فضل، وما عليه من نعمة، ليجذب قلبه إليه، ويُعِدّه بذلك لقبول الموعظة، إذ لا ريب أن ما يكون للإنسان من شرف ورفعة مناط التحلي بالفضائل والتخلي عن النقائص؛ لأن الذي يرى نفسه مفضلاً مكرمًا ذا شرف ومنزلة يترفع عن الدنايا والخسائس التي تدنس شرفه وتذهب بفضله، أما الذي يرى نفسه رذلاً ساقطًا خسيسًا، فإنه لا يبالي ما يفعل.

وهذا منهج القرآن الكريم وسبيله في الوعظ كما في قوله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ)[البقرة:٤٧، ٤٨] حيث ناداهم باسم أبيهم يعقوب - عليه السلام - الذي هو أصل عزهم ومجدهم، ومنشأ تفضيلهم، وطلب منهم أن لا ينسوا نعمته عليهم بشرائعه ورسله، وتفضيله إياهم على العالمين بالنبوة والملك، و لم يعرف شعب من الشعوب يزاحمهم في هذه المزية!! إحياءً لشعور الكرامة والفضل في نفوسهم، ثم حذرهم يومًا عظيمًا سيقع فيه من الأهوال ما لا منجاة منه إلا بتقوى الله سبحانه في كل الأحوال، ومراقبته تعالى في جميع الأعمال.

وهذا أسلوب حكيم في الدعوة، فينبغي للداعي أن يبدأ بإحياء إحساس الشرف وشعور الفضل والكرامة في نفوس المخاطبين، لتستعد بذلك لقبول النصيحة وتتغلب بهذا الإحساس وذلك الشعور على عوامل الهوى والغواية، فإن النفس إذا عرفت علوها، واستشعرت كرامتها، وسمعت ما في الرذائل من الخسة حملها ذلك الشعور (شعور الرفعة والكرامة) على

النفرة من التسفل بارتكاب تلك النقائص، وكان ذلك من أحكم الوسائل إلى مساعدة المرشد على بلوغ غرضه من نفوس السامعين.

التلويح لا التصريح

وهو من دقائق هذه الصناعة ــ أعني صناعة الدعوة ــ أن يصرف من يريد إرشاده عن الرذيلة إلى الفضيلة بتلويح في المقال، وتعريض في الخطاب ما أمكن، فالتعريض في ذلك أبلغ من التصريح، إذ التلويح أوقع في نفس المدعو، وأعظم تأثيرًا في قلبه، وأدعى إلى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمة المخاطب بترك المجاهرة بالتوبيخ.

وأيضًا التعريض لا تُنتَهَك به سُجف الهيبة، ولا يرتفع معه ستر الحشمة، أما صريح التوبيخ والتقريع الشديد العنيف، فقد يورث الجرأة على الهجوم بالخلاف، ويهيج الحرص على الإصرار والبقاء على ما لِيم عليه، لا سيما النفوس المنطوية على الكبر.

وقد وضع الإمام الشافعي - رحمه الله _ أصول القاعدة قديما حين قال:

تغمدني بنصحك في انفرادِ... وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوع... من التوبيخ لا أرضى استماعه

فإن خالفتني وعصيت قولي... فلا تجزع إذا لم تُعطَ طاعة

يقصد إذا خالفتني ونصحت الإنسان أمام الناس فلا تجزع فسوف يجابهك هذا، وينتقم لنفسه، وقد تأخذه العزة بالإثم فإن النصيحة على الملأ فضيحة.

حسن الفراسة

أن يكون لداعية فراسة يتوسم بها حال السامعين ليعرف مبلغ طاقتهم وقدر استحقاقهم وإقبالهم على الانتفاع، ليعطيهم ما يتحملون، ويمسك عما لا يطيقون ويوجز إذا خشى

الانصراف أو رأى عليهم مللاً وسآمة. ومن الحكم المأثورة: من لم ينشط لكلامك فارفع عنه مئونة الاستماع منك.

وإذا كان المرشد بهذه الصفة لم يضع له عناء و لم يخب على يديه أحد، وإن لم يتوسمهم وخفيت عليه أحوالهم كانوا وإياه في عناء مُكِد، وتعب غير مجد؛ فإنه لا يعدم أن يكون منهم ذكي محتاج إلى الزيادة وقاصر يكتفي بالقليل، فيضجر الذكي ويعجز القاصر، ومن تردد أصحابه بين عجز وضجر ملوه وملهم.

وقد حكى عبد الله بن وهب أن سفيان بن عبد الله قال: قال الخضر لموسى عليهما السلام: يا طالب العلم إن القائل أقل ملالة من المستمع، فلا تمل جلساءك إذا حدثتهم، يا موسى واعلم أن قلبك وعاء، فانظر ما تحشو في وعائك.

وجلس ابن السماك يومًا للوعظ وجاريته تسمع كلامه، فقال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت: هو حسن لولا أنك تردده، فقال: أردده كي يفهمه من لم يفهمه. فقالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه يمله من فهمه.

وعلى الجملة فخير المرشدين الفطن الذي لا يقل ولا يمل.

خاتمة القول

وجملة القول: أن في الوعظ مسا يجرح إحساس الموعوظ، وحرجًا قد يحمله على النفور من سماعه والاستنكاف من قبوله، فإذا كان الداعي حكيمًا فذكر ما في المخاطب من فضل، وما له من منزلة، ثم أرشده إلى الخير، وحذره عن الشر، مع حسن الفراسة ومعرفة حال المخاطب، واستعمال الرفق واللين والتلطف حمله ذلك على التخلي عما هو فيه من ضلال وشقاء، وأقبلت نفسه على التحلي بما يدعوه إليه من هدىً وسعادة، كما يقبل الجريح على من يضمد جراحه، ويسكن آلامه، وينقذه من تعب المرض إلى راحة السلامة، فهذا شيء من هداية الكتاب الحكيم لنا، وكله هدىً ورحمة.

٦٠-لا تكن يائسا:

لا تكن يائسا.. فالمستقبل لدين الله والعزة لأوليائه.

إن من رأى تفشي المنكرات، واستفحال الشر، وتبجح الأعداء، ووطأة الجاهلية يظن أننا مهما عملنا فلن نغير من الواقع شيئا، ولن نجني إلا هباء، فليس من وراء السعي فائدة. فإذا به متجهم الوجه عاقد الحاجبين مقطب الجبين رافعاً راية:"لو أسلم حمار آل الخطاب ما أسلم عمر"، إذا طلب منه خدمة للدين ـــ ولو بكلمة ـــ رد عليك: أنت تؤذن في خراب، لا أحد يسمع قولك، أنت تنفخ في قربة مقطوعة وغيرها من عبارات:

تصدا بها الأفهام بعد صقالها.... وترد ذكران العقول إناثاً

إن مما لا شك فيه أن حقائق اليوم هي أحلام الأمس، وأحلام اليوم هي حقائق الغد، والضعيف لا يظل ضعيفا أبد الآبدين، والقوي لا يظل قوي أبد الآبدين، (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) (القصص:٥ -٦).

إننا نملك إيمانا بنصر الله لنا وثقة بتأييده لنا ويقينا بسنة الله في إحقاق الحق وإبطال الباطل ولو كره المجرمون واطمئنانا إلى وعده الذي وعد به عباده المؤمنين (لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً) (النور:٥٥).

إنه وعد يشحذ الهمم ويستثير العزائم ويملأ الصدور ثقة واطمئنانا.. إن الدور لنا لا علينا والتاريخ معنا لا علينا (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وإن جندنا لهم الغالبون). سنة الله رب العالمين، قال صلى الله عليه وسلم: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون))، ((وليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا

يترك الله بيتا مدر ولا بر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل)) كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم.

إنما أنت أجير

فأنت أيها المؤمن أجير عند الله، كيفما أراد أن تعمل عملت وقبضت الأجر، لكن ليس لك ولا عليك أن تتجه الدعوة إلى أي مصير ذاك شأن صاحب الأمر لا شأن الأجير، وحسبك أن من الأنبياء من يأتي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والثلاثة ويأتي من ليس معه أحد (فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ) (الشورى:٤٨).

وآية الآيات في هذا الدين أنه أشد ما يكون قوة وأصلب ما يكون عودًا وأعظم ما يكون رسوخاً وشموخاً حين تنزل بساحته الأزمات وتوصد عليه المنافذ حينئذ يحقق الإسلام معجزته فينبعث الجثمان الهامد ويتدفق الدم في عروق أبنائه وينطلق وينتفض).

يقول فيسمع ويمشي فيسرعُ........ ويضرب في ذات الإله فيوجعُ

فإذا النائم يصحوا وإذا الغافل يفيق وإذا الجبان يتشجع وإذا الضعيف يتقوى وإذا الشتيت يتجمع وإذا بهذه القطرات المتابعة المتلاحقة من هنا وهناك من جهود القلة تكون سيلاً عارماً لا يقف دونه حاجز ولا سد.

أمة لا تموت

إن هذه الأمة تمرض لكنها لا تموت وتغفو لكنها لا تنام وتخبو لكنها لا تطفأ أبداً.

حين غزا التتار ديار المسلمين ودخلوها كالريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم دمروا المدن وخربوا العمران وأسالوا الدماء وأسقطوا الخلافة وعطلوا الصلوات وألقوا أسفار المكتبات في نهر دجلة حتى اسودّ ماؤه من كثر ما سال من مداد الكتب حتى أصبحت حضارة الإسلام والبشرية مهددة من هذا الغزو الوحشي الذي لا يبقي ولا يذر

والذي يذكر بما جاء في وصف يأجوج ومأجوج حتى أحجم بعض المعاصرين للحدث عن الكتابة فيه منهم ابن الأثير رحمه الله الذي يقول:"ليت أمي لم تلدني ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا". مما رأى من هول الفاجعة التي حلت بالمسلمين. ظن اليائسون حينها أن راية الإسلام نكست ولن ترتفع بعد ذلك اليوم أبداً وأن أمة الفتح والنصر قد حقت عليها الهزيمة فهيهات أن تعود إلى الميدان من جديد، و لم يمض سوى سنوات حتى تحققت معجزة الإسلام.. فإذا بهؤلاء الجبابرة الغازين للإسلام يغزوهم الإسلام فتسقط سيوفهم في صف المؤمنين تحت تأثير العقيدة الإسلامية فإذا بهم يدخلون في دين المغلوبين على خلاف ما ه

و معروف أن المغلوب مولع دائما بتقليد الغالب المنصور (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ) (الروم:٤). (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (الجاثية:٢٦). (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً) (فاطر:٤٤).

لا تيأسوا أن تستردّوا عزكم..... فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى

وتجشموا للعز كل عظيمة....... إني رأيت العز صعب المرتقى

محنة وأمل

إن قراءة متأنية لتاريخ الصليبيين وبيت المقدس تعطي الأمل بان الواقع سوف يتغير فاسمع إلى ابن كثير (في البداية والنهاية) وغيره من أهل السير وهم يسردون لك هذا الحدث:

(في ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة اثنين وتسعين وأربعمائة للهجرة دخل ألف ألف مقاتل بيت المقدس وصنعوا فيه ما لا تصنعه وحوش الغاب وارتكبوا ما لاترتكب أكثر منه الشياطين لبثوا فيه أسبوعا يقتلون المسلمين حتى بلغ عدد القتلى أكثر من ستين ألفا منهم الأئمة والعلماء والمتعبدون والمجاورون وكانوا يجبرون المسلمين على إلقاء أنفسهم من أعالي البيوت لأنهم يشعلون النار عليهم وهم فيها فلا يجدون مخرجا إلا بإلقاء أنفسهم من السطوح جاسوا فيها خلال الديار وتبروا ما علوا تتبيرا، وأخذوا أطنان الذهب والفضة والدنانير ثم

وضعت الصلبان على بيت المقدس وأدخلت فيه الخنازير ونودي من على مآذن لطالما أذن بالتوحيد من عليها: أن الله ثالث ثلاثة- جل اله وتبارك- فذهب الناس على وجوههم مستغيثين إلى العراق وتباكى المسلمون في كل مكان لهذا الحدث وظن اليائسون ألا عودة لبيت المقدس أبداً إلى حظيرة المسلمين.

كم طوى اليأس نفوسا لو رأت.......... منبتا خصبا لكانت جوهرا

ويمضي الزمن ويعد الرجال، وفي سنة ثلاثة وثمانين وخمسمائة للهجرة أعد صلاح الدين جيشا لإسترداد بيت المقدس وتأديب الصليبيين على مبداهم هم:"إن القوي بكل أرض يتقي"وفي وقت الإعداد تأتيه رسالة على لسان المسجد الأقصى تقول:

يا أيها الملك الذي............ لمعالم الصلبان نكس

جاءت إليك ظلامة تسعى...... من البيت المقدس

كل المساجد طهرت وأنا....... على شرفي أنجس

فانتخى وصاح وا إسلاماه وامتنع عن الضحك وسارع في الإعداد ولم يقارف بعدها ما يوجب الغسل.

من ذا يغير على الأسود بغابها........ أممن يعوم بمسبح التمساح

وعندها علم الصليبيون أن هذا من جنود محمد صلى الله عليه وسلم فتصالح ملوك النصارى وجاؤوا بجدهم وحديدهم وكانوا ثلاثة وستين ألفا فتقدم صلاح الدين إلى طبرية ففتحها بلا إله إلا الله فصارت البحيرة إلى حوزته واستدرجهم إلى الموعد والمكان الذي يريده هو ثم لم يصل إلى الكفار بعدها قطرة ماء إذ صارت البحيرة في حوزته فصاروا في عطش عظيم.

وعندها تقابل الجيشان وتواجه الفريقان وأسفر وجه الإيمان وأغبر وجه الظلم والطغيان ودارت دائرة السوء على عبدة الصلبان عشية الجمعة واستمرت إلى السبت الذي كان عسيرا

على أهل الأحد إذ طلعت عليهم الشمس واشتد الحر وقوي العطش وأضرمت النار من قبل صلاح الدين في الحشيش الذي كانت تحت سنابك خيل الكفار فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر النار وحر السلاح وحر رشق النبال وحر مقابلة أهل الإيمان.

وقام الخطباء يستثيرون أهل الإيمان ثم صاح المسلمون وكبروا تكبيرة اهتز لها السهل والجبل ثم هجموا كالسيل الدفاع لينهزم الكفار ويؤسر ملوكهم ويقتل منهم ثلاثون ألفاً حتى قيل لم يبق أحد ويؤسر منهم ثلاثون ألفا حتى قيل لم يقتل أحد، فلم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الإسلام وأهله إلا في عهد الصحابة، حتى ذكر أن بعض الفلاحين رؤي وهو يقود نيفا وثلاثين أسيرا يربطهم في طنب خيمته، وباع بعضهم أسيرا بنعل يلبسها، وباع بعضهم أسيرا بكلب يحرس غنمه.

ثم أمر السلطان صلاح الدين جيوشه أن تستريح لتتقدم إلى فتح بيت المقدس، ففي هذه الاستراحة كيف كانت النفوس المؤمنة التي لا تيأس؟! الرؤوس لم ترفع من سجودها، والدموع لم تمسح من خدودها، يوم عادت البيع مساجداً، والمكان الذي قال فيه: إن الله ثالث ثلاثة صار يشهد فيه: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم سار نحو بيت المقدس ليفتحه من الجهة الشرقية ويخرجهم منه، فكان له ذلك على أن يبذل كل رجل منهم -ويخرج ذليلا- عن نفسه عشرة دنانير وعن المرأة خمسة وعن الطفل دينارين ومن عجز كان أسيرا للمؤمنين، فعجز منهم ستة عشر ألفاً كانوا أسرى للمسلمين.

ودخل المسلمون بيت المقدس، وطهروه من الصليب وطهروه من الخنزير، ونادى المسلمون بالآذان ووحدوا الرحمن وجاء الحق وبطلت الأباطيل وكثرت السجدات وتنوعت العبادات وارتفعت الدعوات وتنزلت البركات وتجلت الكربات وأقيمت الصلوات وأذن المؤذنون وخرس القسيسون وأحضر منبر نورالدين الشهيد عليه رحمة الله الجليل الذي كان يأمل أن يكون الفتح على يديه فكان على يدي تلميذه صلاح الدين، ورقى الخطيب المنبر في أول جمعة بعد تعطل للجمعة والجماعة في المسجد الأقصى دام واحد وتسعين عاما، فكان مما بدأ

به الخطيب خطبته بعد أن حمد الله أن قال: (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام:٤٥)، (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ) (الروم:٤).

معاشر الاحبة: إن الأقصى لم تعطل فيه الجمعة و لم تعطل فيه الجماعة ومع ذا:

يئست أنفس ونامت عيون...... فجراح تغدو وتأتي جراح

المؤمن لا يعر ف اليأس ولا يفقد الرجاء إذ هو واثق بربه ثم هو واثق بحق نفسه ثم هو واثق بوعد الله، إن مرت به محنة اعتبرها دليل حياة وحركة فإن الميت الهامد لا يضرب ولا يؤذى وإنما يضرب ويؤذى المتحرك الحي المقاوم- كما قيل - كالذهب والحديد يدخل النار فيستفيد إذ يذهب خبثه ويبقى بهاؤه.

إن علينا - معشر الأحبة- أن نكون بحجم التحديات بصبر وثبات.

إن الوصول إلى القمة ليس الأهم لكن الأهم البقاء فيها، وإن الانحدار إلى القا ع ليس هو الكارثة لكن الكارثة هو الاعتقاد أنه لا سبيل إلى الخروج من القا ع، ليس والله الدواء في بكاء الأطلال وندب الحظوظ إنه في الترفع عن الواقع بلا تجاهل له، فالاستعلاء النفسي عليه في تحرر الفكر من إرهاقه ويأسه وخياله، بإرادة قوية حرة أبية يمكن تحويل عوامل الضعف إلى القوة بإذن رب البرية (إن الرسول صلى الله عليه وسلم حين حصل في أحد ما حصل شج وجهه وكسرت رباعيته والخذل عنه من انخذل وإذا به يزيل الآثار النفسية من قلوب المؤمنين بنقلهم إلى مواجهة جديدة في حمراء الأسد لملاحقة المشركين الذين لو كانوا حقا منتصرين لما ولوا الأدبار قافلين ولقضوا على البقية الباقية من المسلمين وهذا يدل على حكمة الرسول الأمين عليه صلوات الله رب العالمين، وأبو بكر رضي الله عنه يأتي من بعده وقد تربى على سنته بعد أن كادت نواة الإسلام تضيع في طوفان الردة، فإذا به ينقل الأمة نقلة من واقع إلى واقع بتأب عن اليأس وترفع على الهزيمة وحاله:

فليس يجلي الكرب رأي مسدد...... إذا هو لم يؤنس برمح مسدد

إن المستقبل لهذا الدين بدون منازع ولكنه لا يتحقق بالمعجزات السحرية ولكنه بالعمل والبذل والدعوة إلى الله من منطلقات صحيحة على منهج أهل السنة والجماعة (ووعد الله لن يتخلف لكنه لن يتحقق أبدا على يد أقوام لا يستحقونه ولا يفهمون سننه ولا يضحون من أجله).

٦١- لا تكن متفرجًا:

تميز عصرنا الحاضر بارتفاع أصوات المنافقين والمنافقات في أنحاء العالم الإسلامي، فأفردت لهم الصفحات، وتصدروا المنتديات، واحتفلت بهم التجمعات، وسيطروا على كثير من وسائل الإعلام كما يلاحظ القاصي والداني لفشو الأمر وظهوره.

وحالُ المنافقين ليس بجديد على أمة الإسلام؛ فهم أعداء ألداء لهذا الدين منذ بعثة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، يكيدون ويدبرون ويخططون وينفذون، وقد وصفهم الله عز وجل في سبعة وثلاثين موضعًا من القرآن، وسميت سورة كاملة باسم (المنافقون)، وأفاضت السنة النبوية المطهرة في توضيح ذلك الأمر العظيم وإجلائه.

وفي خضم هذا السيل الجارف من أهل النفاق حري بأهل الإسلام ممن يحملون رايته ويحترقون شوقًا لرفعته أن يسارعوا إلى فضح المنافقين وهتك أستارهم وكشف مخططاتهم وتتبع آرائهم وأفكارهم والتصدي لها والرد عليها، وابتداء ذلك بتحصين أنفسهم وأبنائهم ونسائهم من شبههم ودعواتهم.

وأعظم أمر يُدخل الغيظ على قلوب المنافقين ويؤرق مضاجعهم نشر العلم الشرعي الذي يبدد نوره ظلامًا يتسللون في دهمائه! أما الالتصاق بالدعاة والعلماء فهو خنجر مسموم في نحورهم، ولهذا يسعون إلى مقولة متكررة فحواها أن من حمل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وميراثه متخلف متحجر بعيد عن الانفتاح والتطور ومجاراة الواقع، والنفاق أجيالُ متوارثة فقد قالوا تلك المقالة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن درء خطرهم منعهم من تسيد المجالس وتسويد الصحف والمجلات قدر المستطاع، ومما يعين على ذلك متابعة خططهم وطروحاتهم والرد عليها، والرفع لأصحاب الاختصاص بمقالاتهم وكتاباتهم. ومن أعد نصائح منفردة ورسائل خاصة فيها التخويف بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن ذلك من دعوتهم إلى الرجوع إلى الدين ومفارقة أرض النفاق.

ولا يعجز مسلم من الدعاء عليهم ورفع يديه إلى الملك الجبار بأن يشغلهم في أنفسهم وأهليهم، ولا تزال بؤرة النفاق يرتفع شعارها المعروف: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ) (البقرة: ١١، ١٢).

وفي هذه الفترة بالذات يجب على كل مسلم القيام بواجبه نحو رد كيد الأعداء ومجاهدة أهل الزيغ والضلال، وليتفقد كل فرد منا ذكرًا أو أنثى أمجاهد هو أم قاعد، فليأتين زمان نبكي فيه على ترك الأمر بالمعروف والتصدي للمنافقين، ولا تبرأ الذمة بأن نقف متفرجين على أعمالهم ومخططاتهم ولا يحرك ذلك ساكنًا في قلوبنا وأعمالنا!!

والابتلاء بالمنافقين ليس بجديد فقد قال بعض السلف في زمانه: "لو كان للمنافقين أذناب لما استطعنا السير في الشوارع والطرقات من كثرتها"، وفي أمة الإسلام اليوم أكثر من ذلك، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. بقلم: عبد الملك القاسم

٦٢-تبجيل العلماء والدعاة والتأدب معهم:

أدب النفس ممدوح بكل لسان، ومتزين به في كل مكان، وباقٍ ذكره مدى الأزمان.. وكل من أعار الوجود نظرة البصير علم أن حاجة المرء إلى تأديب نفسه من أهم الحاجات، والناس إنما تتفاضل بالأدب أعظم مما تتفاضل بالحسب؛ لأن الأدب يرفع الأحساب الوضيعة،

ويفيد صاحبة الأوصاف الرفيعة، ويعز صاحبه وإن كان بلا عشيرة، وكما قيل:"من قعد به حسبه نهض به أدبه". ولأن الأدب الظاهر عنوان أدب الباطن، فهو رشح الأرواح السامية، والنفوس الزاكية، والمعارف الراقية.

يقول ابن القيم رحمه الله: أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب. وتأمل أحوال كل شقي ومغتر ومدبر تجد قلة الأدب هي التي ساقته إلى الحرمان.

ما وهب الله لامرئ هبة......أفضل من عقله ومن أدبه

هما حياة الفتى فإن فقدا......فإن فقدَ الحياة أحسن به

الأدب قبل العلم

ولعظم مقام الأدب ومكانه أولاه السلف اهتمامًا عظيمًا، فجدوا في طلبه لأنفسهم، ونصحوا به طلابهم، وأمروا به أبناءهم، وجعلوه مطلب أساسيًّا قبل العلم، إذ كل علم بلا أدب لا منفعة فيه.

قال الحسن: إن كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنتين ثم السنتين.

وقال سفيان الثوري: كان الرجل إذا أراد أن يكتب الحديث تأدب وتعبد قبل ذلك بعشرين سنة.

لقد كان طلب الأدب مقدمًا عندهم على طلب العلم.

هذا مالك الإمام يقول لفتىً من قريش:"يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم".

لأنه أدرك فضل الأدب منذ صغره، فقد كان يقول:"كانت أمي تعممني وتقول: اذهب إلى ربيعة (وهو ربيعة الرأي شيخ الإمام مالك) فتعلم من أدبه قبل علمه.

قال إبراهيم بن حبيب بن الشهيد: قال لي أبي:"يا بني إيت الفقهاء والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم، فإن ذاك أحب إليَّ لك من كثير من الحديث".

وقال بعضهم لابنه:"يا بني لأن تتعلم بابًا من الأدب أحب إليَّ من أن تتعلم سبعين بابًا من أبواب العلم".

واسمع إلى الحسين بن إسماعيل وهو يقول: سمعت أبي يقول: كنا نجتمع في مجلس الإمام أحمد زهاء على خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون، والباقي يتعلمون منه حسن الأدب وحسن السمت.

وقال مخلد بن الحسين لابن المبارك:"نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث".

وأنا أقول: بل نحن والله في هذا الزمان أحوج إلى كلام مخلد هذا.

بلية الوقيعة في أهل العلم

ما ابتليت الأمة في زمان من أزمانها ببلية مثل التي ابتليت بها في هذا الزمن، وهي التطاول على العلماء والطعن فيهم والقدح في نواياهم، والتجرؤ عليهم، ونسبتهم إلى العماله والخيانة.

وفي الكتب والمؤلفات في رد أبي فلان على فلان وشرائط الكاسيت بلايا ورزايا، ونظرة واحدة على مواقع الحوار الإسلامي في الإنترنت تكفي لتعرف من خلالها حجم المصيبة وعظيم البلية، وفداحة الخطر، خصوصًا وأن معظم الطاعنين لا يحسن أحدهم كتابة اللغة العربية وقراءتها، فيكف يفهمها، فضلاً عن أن يكون عالمًا في الدين. وإنما حاله كحال القائل:"لقد ارتقيت مرتقى صعبًا يارويعي الغنم".

توقير العلماء من الدين

إن من أصول منهج السلف احترام العلماء وتوقير الفقهاء، والتأدب معهم غاية الأدب، فإن الجناية على العلماء خرق في الدين، ومن هنا قال الإمام الطحاوي:"وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكَرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل".

لأن العلماء كما يقول الإمام أحمد بن حنبل:"هم خلفاء الرسول في أمته، وورثة النبي في حكمته، والمحيون لما مات من سنته، فبهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا".. قيضهم الله لحفظ الدين، ولولا ذلك لبطلت الشريعة، وتعطلت أحكامها، وهم في كل زمان الأصل في أهل الحل والعقد، وهم المعنيون مع الأمراء في قوله تعالى: (وَأُولِي الأمر)[النساء:] ولذلك كان الوقوع فيهم من أكبر الذنوب وفاعله لا يفلح أبدًا.

قال ابن المبارك: من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته.

قال ابن الأذرعي: الوقيعة في أهل العلم لا سيما أكابرهم من كبائر الذنوب.

وقال أبو سنان الأسدي: إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألة في الدين يتعلم الوقيعة في الناس متى يفلح.

وقال الإمام أحمد: لحوم العلماء مسمومة من شمها مرض ومن أكلها مات.

وقال الحسن بن ذكوان لرجلٍ تكلم عنده على أحد الناس: مه.. لا تذكر العلماء بشيء فيميت الله قلبك.

وما أجمل قول ابن عساكر بعد هذه الأقوال الجميلة: واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة. ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب.) فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[النور:٦٣].

وقد ذكروا عن رجل (الفقيه محمد بن عبد الله الزبيدي) أنه كان كثير الوقوع في الإمام النووي رحمه الله فقال الجمال المصري: أنه شاهده عند وفاته، وقد اندلع لسانه واسود، فكانوا يرون أن ذلك بسبب كثرة وقيعته في الإمام النووي رحمهم الله جميعًا.

فليحذر هؤلاء المتسلطون على العلماء والواقعون فيهم، من سوء العاقبة.

وما من كاتب إلا سيلقى......كتابته وإن فنيت يداه

فلا تكتب بخطك غير شيء......يسرك في القيامة أن تراه

٦٣-موضوع الدعوة.. هو دين الإسلام:

الدعوة إلى الله هي دعوة إلى دينه الذي هو دين الإسلام، ودور الداعية هو تعبيد الناس لربهم، والعمل على تحكيم منهجه سبحانه في الأرض، والبراءة من حكم الطواغيت وأهوائهم.. والحديث عن الإسلام واسع، ولكننا سنتحدث في هذه العجالة عن معنى الإسلام وبعض من خصائصه.

أولا تعريف الإسلام

الإسلام في اللغة مشتق من الاستسلام، وهو الخضوع والانقياد.

وفي الاصطلاح له إطلاقان: عام، وخاص.

فأما الأول (وهو المعنى العام): فيطلق على جميع ما أرسل به المرسلون من لدن آدم إلى خاتمهم المختار عليه الصلاة والسلام:"إن الدين عند الله الإسلام".

وأما المعنى الخاص: فهو الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه فختم الله به الرسالات، كما ختم بصاحبه النبوات، وهو دين الله الذي لا يقبل غيره ولا يرضى بسواه.

ويعرف الإسلام بعدة تعريفات حسب جهة نظر المعرف، وكلها مقبولة متوافقة، وأفضل تعريف للإسلام هو تعريف رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ردّا على سؤال جبريل عليه السلام، حين قال: %[الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت]%%. (رواه مسلم)

وقد جمع هذا الدين في طياته عقيدة صحيحة، وشريعة كاملة، في ثوب من مكارم الأخلاق، فكان بحق دين الله الحق وما سواه فضرب من الباطل.

خصائص الإسلام

اختص دين الإسلام بخصائص كثيرة، وامتاز بمزايا عديدة تتجلى في كليات أحكامه وجزئياتها، ومن أبرز هذه الخصائص:

١ ــ قدسية المصدر (الربانية)

فالإسلام مصدره ومنهجه وأحكامه، كل ذلك من عند الله، فهو وحيه إلى رسوله الكريم، وهذا أكبر فارق بينه وبين ما عداه من أديان ودعوات، وقد ترتب على هذا أمور:

ــ كماله وخلوه عن النقائص، فهو الدين الكامل الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، والذي تم فلا يحتاج إلى زيادة في أحكامه ولا تعديل في شرائعه بل قال الله فيه: ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا))(المائدة: ٣)

ــ ارتفاعه عن الهوى والظلم والجهل التي هي الأصل في القوانين الوضعية والشرائع البشرية: فواضع الدين هو رب العالمين الذي يعلم ما يصلح العباد، وهو سبحانه صاحب صفات الكمال ونعوت الجلال، ولا حاجة له من البشر ولا إليهم، وإنما مراده إصلاحهم وهو الأعلم بهم: ((ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير))(الملك: ١٤)، وأما البشر فالجهل والظلم والعجلة طبعهم ((وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا)) (الأحزاب:٧٢)

ـــ الهيبة والاحترام من قبل أتباعه: مهما كانت مراكزهم وسلطاتهم الدنيوية، فهم عباد لله صاحب الشرع، ولأن الشريعة الإلهية تقوم على أساس الإيمان والعقيدة، بخلاف القوانين الوضعية التي تخالفها النفوس كلما وجدت الفرصة لذلك، وكلما غفل الرقيب البشري وبعد الطائل القانوني.

٢ ـــ الشمول

الإسلام نظام شامل لجميع شؤون الحياة وسلوك الإنسان، وهذا الشمول لا يقبل الاستثناء ولا التخصيص، بل هو كامل تام بكل ما تحمله الشمولية من معنى ((ما فرطنا في الكتاب من شيء))، ((ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)).

لقد نظم الإسلام علاقة العبد بربه، وعلاقته بالناس، وعلاقته بحكامه والعكس، وعلاقته بالكون حوله، وبين له ورتب له حياته قبل الممات وبعد الوفاة.

وللإسلام حكم في كل ما يصدر عن العبد من تصرفات، وكل ما يضعه في رأسه من أفكار وفي قلبه من ميول.. كما أن هذا الدين العظيم شمل العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، فبين كل ذلك أتم بيان وأجمله وأحسنه.

وأما القوانين الوضعية والشرائع البشرية فغاية ما فيها من ذلك محاولة ضبط علاقة الإنسان بالإنسان، مع القصور التام في ذلك والنقص والظلم والهوى والجهل.

٣ ـــ العموم

من البدهيات في الإسلام أنه جاء لعموم البشر وكافة الخلق، وليس هو لطائفة معينة، ولا لجنس دون جنس ((وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا)) (سبأ: ٢٨).

وهذا العموم كما يشمل الأجناس كذلك يشمل الأماكن والأزمان، فهو دين الله لكل الخلق في كل مكان وإلى أن تقوم الساعة؛ ولذلك فقد شرعه الله تعالى صالحا لهذا العموم يفي

بحاجات الناس، ويحقق مصالحهم، ولا يتخلف عن أي مستوى يعيشونه في مجتمعاتهم، وهذا واضح من خلال واقع الشريعة وطبيعة مبادئها ومناهجها وأحكامها،ومن ثم جاء الإسلام شاملا كاملا.

٤ ــ المثالية الواقعية

ومعنى المثالية في الإسلام: الحرص على أن يبلغ الإنسان الكمال المقدور له، مع عدم إغفال طبيعة الإنسان وواقعه.

فالمثالية تأتي بالتزام العبد منهج الله في شؤون حياته، وبقدر هذا الالتزام يكون قربه أو بعده من المثالية؛ إذ إن منهج الله كما قدمنا هو الكمال.

وهذه المثالية لا يمكن أن تكون واقعا إلا بالنظر إلى طبيعة النفس ومكوناتها، ومن ثم راعى الإسلام الموازنة بين النفس والروح، والاعتدال بين احتياجات كل واحدة منهما.

فالعبادات غذاء الروح وحياتها؛ إذ هي حظها من خالقها ومعبودها، ولكن لا ينبغي أن يهلك العبد بالعبادات نفسه، ويعذب بها جسده، ويحمله مالا يطيق ((لا يكلف الله نفسا إلا وسعها))، وفي الحديث: %[لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني]%%(متفق عليه).

وقال لمن ربطت حبلا بين ساريتين تتعلق عليه إذا فترت: %[ليصلِّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد]%%.

وقال لعثمان بن مظعون: %[يا عثمان أرغبت عن سنتي قال لا والله يا رسول الله ولكن سنتك أطلب قال فإني أنام وأصلي وأصوم وأفطر وأنكح النساء فاتق الله يا عثمان فإن لأهلك عليك حقا وإن لضيفك عليك حقا وإن لنفسك عليك حقا فصم وأفطر وصل ونم]%%.(أخرجه أبو داود).

وإذا كان الناس متفاوتين في استعدادهم للوصول إلى الكمال، فقد راعى ذلك الإسلام أيضا فجعل حدًّا أدنى يتحمله كل أحد، وهو فعل الفرائض والواجبات وترك المعاصي والمحرمات، وحدًّا أعلى يتنافس فيه المتنافسون، بفتح أبواب النوافل والمستحبات، وهو مجال يصل فيه كل عبد حسب ما تبلغ به همته.

كما تظهر واقعية الإسلام في إيجاد المخارج لما قد يحدث من ضرورات،كالتيسير وقت الشدة وإباحة المحظور للضرورة وإيجاد الرخص كل ذلك حتى يمكن لهذه الشريعة ـــوقد كان ـــ أن تصلح لكل زمان ومكان، وليحق قول الله تعالى: ((ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج))، ((ما جعل عليكم في الدين من حرج)).

هذه كانت إطلالة سريعة على خصائص الإسلام الذي هو موضوع الدعوة، والواجب على الدعاة أن يبينوا للناس هذه الجوانب من عظمة هذا الدين، ويجعلوا ذلك أصل دعوقم فإن أكثر الخلق غافلون عن معرفة الإسلام جاهلون به، ولو عرف الناس الإسلام حق معرفته لدخلوا فيه أفواجا كما خرجوا منه ـــ لتقصيرنا في الدعوة وجهلهم به ـــ أيضا أفواجا.

٦٤-معنى الدعوة إلى اللّه تعالى:

لعلي لا أكون مخطئاً إذا قلت:"إن العالم الإسلامي اليوم لا يحتاج لحل مشكلته إلى انتقال جمهور جديد من المنحرفين والغافلين إلى التمسك بالإسلام، بمقدار ما هو بحاجة سريعة إلى توعية المتمسكين به، وبعث هممهم، وتعريفهم طريق العمل وفقه الدعوة، ولا تزال هناك بقية باقية من المؤمنين كثير عددها، تكفي ـــ لو تحركت ـــ لقيام الخير الذي نبغي ونريد، إذا عرفت التجرد، وتقلّلت من الدنيا، وبعدت عن الفتن، وصبرت في المحن، وأجادت فن قيادة الأمة.

إننا في هذه الحقبة نحتاج إلى دعاة إلى اللّه، من المصلين المعتزين بدينهم، المتحلين بأخلاق المؤمنين، دون الغافلين فضلا عن المنحرفين، نحتاج المسلم الغيور صادق الإيمان، نقي العقيدة، الذي يتألم لواقع المسلمين الحاضر ويحزن له، فيدله هذا على طريق العمل المثمر وسبل الخلاص

من هذا الواقع المر، والعمل على توعية الناس والترقي بهم، وكذلك العناية بما يلزمه من الارتقاء بتربية نفسه إلى مستوى متطلبات هذا الطريق.

الدعوة في اللغة والاصطلاح

قبل أن نعرض لموضوعات الدعوة يلزمنا أولا أن نبدأ بتعريف الدعوة وإظهار معناها لغة واصطلاحا

أولا: الدعوة في اللغة

كلمة (الدعوة) مصطلح إسلامي، وهناك علاقة وثيقة بين مدلول هذا اللفظ في الأصل اللغوي، وبين استعماله كمصطلح إسلامي صرف.

وأول ما ننظر إلى كون اللفظة فعلا وهو"دَ عَ وَ"على وزن"فَعَلَ". نجد أن هذا اللفظ لا يحمل إلا معنى واحدًا، وهو: أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. (انظر معجم مقاييس اللغة ٢/٢٧٩). ومشتقات هذا الفعل لم تخرج في مدلولاتها عن هذا المعنى أبداً.

ويقول صاحب المحيط: ((دعا دعاء ودعوى))، أي الإمالة والترغيب.

معاني الدعوة في القرآن

ورد لفظ الدعوة في القرآن الكريم للدلالة على معاني متعددة منها:

١ ــ معنى الطلب: نحو قوله تعالى: (لا تدعو اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً) (الفرقان: ١٤). بمعنى لا تطلبوا اليوم هلاكاً واحداً بل اطلبوا هلاكاً وويلاً كثيراً فإن ذلك لن ينفعكم.

٢ ــ معنى النداء: نحو قوله تعالى:(ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقًا) (الكهف:٥٢). أي فنادوهم فلم يستجيبوا لهم.

٣ ــ معنى السؤال: نحو قوله تعالى حكاية عن بني إسرائيل:(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) (البقرة:٦٩). أي اسأل ربّك يبين لنا ما لون البقرة التي أمرنا بذبحها.

٤ ــ معنى الحث والتحريض على فعل شيء: نحو قوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون:(ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار) (غافر:٤١). بمعنى أنه ليس من العدل والإنصاف أن أحثّكم وأحرضكم على فعل ما من شأنه نجاتكم في الدنيا والآخرة، وأنتم تحرضونني على فعل ما من شأنه هلاكي.

٥ ــ معنى الاستغاثة: نحو قوله تعالى:(قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين) (الأنعام:٤٠).

بمعنى: هل إذا أتاكم عذاب وغضب من الله وأصابتكم كارثة أو مصيبة أو أتتكم الساعة هل إذ حدث ذلك تستغيثون بغير الله؟ فإن كلمة تدعون في الآية بمعنى الاستغاثة.

٦ ــ معنى الأمر: نحو قوله تعالى: ((وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم)) (الحديد:٨). أي والرسول يأمركم أن تؤمنوا بالله ربكم.

٧ ــ معنى الدعاء: نحو قوله تعالى:(ادعوا ربكم تضرُّعاً وخفية) (الأعراف:٥٥). بمعنى توسلوا إلى الله بالدعاء وتقربوا إليه به.

هذه معاني متعددة استُعمل لفظ الدعوة للدلالة عليها كما ورد في القرآن الكريم، وإذا نظرنا بشيء من الإمعان إلى تلك المعاني سوف نجد أنها تعود جميعها إلى أصل واحد وهو معنى «الطلب».

فالنداء هو طلب الحضور والمجيء سواء لأمر حسي أو معنوي.

والسؤال: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً لدى السائل.

والتحريض والحث: هو طلب إتيان فعل غير مرغوب فيه عند المخاطب.

والاستغاثة: طلب رفع ضرر واقع على المستغيث.

والأمر: طلب إتيان الفعل مطلقاً.

والدعاء: هو الطلب من الله سبحانه وتعالى.

وتعدّد معنى الدعوة كما هو واضح بغرض بيان القصد المراد منها.

ومن ثمّ يمكن تعريف الدعوة إلى الإسلام من خلال ما تقدم بأنها: الطلب من الناس الدخول في طاعة الله تبارك وتعالى، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والالتزام بشرائعه أي التدين بالدين الإسلامي الحنيف الذي اختاره الله تبارك وتعالى لخلقه والعمل بتعاليمه. (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (البقرة:٢١).

ومن مجموع ما تقدم نفهم أن الصلة وثيقة بين مدلول الفعل دعا في اللغة، وبين مدلوله فيما اصطلح عليه القرآن الكريم، فقوله تعالى:"ادع إلى سبيل ربك"يدل على الإمالة والترغيب، أي الميل بالناس عن الشر، ودعوتهم إلى سبيل الله رب العالمين.

والذي يقوم بأمر الدعوة ويحمل عبأها ليبلغها إلى الناس هو الذي يطلق عليه الإسلام:"الداعي"أو"الداعية"، والداعي اسم فاعل من الفعل دعا يدعو. أما الداعية فالتاء في آخره تدل على المبالغة والتكثير وإذا أردنا الجمع قلنا"دعاة"والجمع السالم"داعون"و"داعيات".

ثانيا: الدعوة في الاصطلاح

تعريفات الدعوة في الاصطلاح ـــ خصوصا عند المتقدمين ـــ لا تكاد تؤخذ إلا من معرض كلامهم ومفهومه؛ إذ قل تخصيصهم لهذا الأمر بتعريف خاص به، حتى قال الشيخ ابن حميد ـــ حفظه الله ـــ:"لا يوجد عند المتقدمين، فيما اطلعت عليه، تعريف اصطلاحي."(معالم في منهج الدعوة ٩).

قلت: وقد يمكن اعتبار كلام الصحابي العظيم ربعي ابن عامر رضي الله عنه لرستم قائد الفرس في معركة القادسية خلاصة لمعنى الدعوة حين قال له جوابا على سؤال رستم ما الذي جاء بكم؟ قال ربعي:"جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام".

وقال الراشد ــ في كتابه المنطلق (ص ٨٥) ــ: وقد تعرض ابن تيمية لتعريف الدعوة فقال: (الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا).(الفتاوى ١٥: ١٥٧).

وقال أيضا رحمه الله: (وكل ما أحبه الله ورسوله من واجب ومستحب، ومن باطن وظاهر، فمن الدعوة إلى الله: الأمر به، وكل ما أبغضه الله ورسوله، من باطن وظاهر، فمن الدعوة إلى الله النهي عنه، ولا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى أن يفعل ما أحبه الله، ويترك ما أبغضه الله، سواء كان من الأقوال أو الأعمال الباطنة أو الظاهرة).

وقد دارت تعريفات المتأخرين للدعوة حول هذا المعنى:

فمن ذلك قول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هي"دعوة إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، وحفظ الحقوق، وإقامة العدل بين الناس بإعطاء كل ذي حق حقه وتنزيله من المنازل ما يستحقه، فترتفع العقائد الكاملة والأحكام الشرعية، وتزهق العقائد الباطلة والقوانين الجاهلية والأحكام الوضعية."

وقال بعضهم: الدعوة: تعريف الناس بربهم بأسمائه وصفاته، وكيفية الوصول إلى الرب سبحانه، وما لهم إذا هم وصلوا إليه.

أو هي: حداء بالناس لمعرفة الله والإيمان به، وتوحيده ربًا خالقًا مالكًا، وإلهًا معبودًا وحاكمًا فردًا، فلا منازع له في ربوبيته، ولا شريك له في إلهيته، ولا مضاد له في حاكميته. (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) (آل

عمران/٨٣)، (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة/٥٠).واتباع كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال الشيخ صالح بن حميد:: يمكن بالنظر والتأمل تعريف الدعوة بأنها: (قيام المسلم ذي الأهلية ــ في العلم والدين ــ بتبصير الناس بأمور دينهم، وحثهم على الخير، وإنقاذهم من شر واقع، وتحذيرهم من سوء متوقع، على قدر الطاقة، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل).''(معالم في منهج الدعوة ٩).

وقد سبق الشيخ محمد خضر حسين فعرفها بقوله: حث الناس على الخير والهدى،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل. (الدعوة إلى الإصلاح: ١٧)

وعرفها أيضا من المعاصرين الشيخ البيانوني فقال: (تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة). (المدخل إلى علم الدعوة:١٦)

وباختصار شديد فإن الدعوة إلى الله تعالى هي معرفة الدين ودعوة الناس إليه تحقيقا لقوله تعالى:''والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر". وقوله سبحانه: ((قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)).

٦٥-وجوب العمل للدين:

نعم! إنها خدمة يَشْرُفُ بها العبد وليست مَهْنَةً قَسْرية يُهان بها، أو منصبا تشريفيا يخيّر بين قبوله أو الإعراض عنه، وليست تبرعا ولا فرض كفاية ولا مجرد أداء واجب، وإنما خدمة الدين ركن من أركانه وضروريٌّ من ضرورياته وأساس من أسسه. ولقد كان هذا المعن مستقرا عند السلف الصالح استقرارَ المعتقَد في القلوب، و لم يحتاجوا أن يستدلوا له أو أن يقرِّروه لأنفسهم بشتى وجوه الاستدلال، بل كان يكفي أن يُسْلِمَ الواحد منهم أو يستقرَّ

الإسلام في قلبه ليعتبرَ نفسه بعد ذلك مَنْذورَةً لهذا الدين، ويجنِّدَها في خدمته، ويَصرِفَ مجهوداتِها في نصرته والذَّوْدِ عن حَوْزَتِه.

إن هذا الدين إذا تأمّله المتأمِّل عَلم أنه صِيْغَ ليكون المتمسّكُ به داعيةً إليه، ودَلّالاً عليه. ومع مَزِيد تأمّل يرى المرء أن مَن أراد أن يكون مسلما دون تَبِعات ومسئوليات تجاه إسلامه فإنه رَامَ ضرْبا من التديّن شبيهاً بتدين الرهبان في الكهوف والصوامع والبِيَعِ، وقد تقرر أنه لا رهبانية في الإسلام.

إن من أوائل الأوامر الربانية التي نزلت في القرآن: الأمر بالنِّذارة وتبليغ الوحي للخليقة، يقول تعالى: (يا أيها المدّثر. قُمْ فأنذِر). ثم توالى بعد ذلك ما يمكن أن نسمّيه فقهَ الدعوة، حيث تضمّن التنزيل أوامرَ عُنيتْ بالشأْن الدعوي مثل قوله تعالى: (فاصْدَعْ بما تُؤْمَرُ وأَعْرِضْ عن المشركين) وقوله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) وقوله: (ادْعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادِلْهم بالتي هي أحسن)، وهي آيات ترسم صورة المسلم الداعية الذي يتبع نهج نبيه صلى الله عليه وسلم.

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أوائل اهتماماته صِيَاغَةُ الشَّخصية الدعوية التي تحمل هَمَّ الدين وتبذُل له. وكان أول من دعاه النبي صلى الله عليه وسلم للإسلام هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فلم يكن ذلك الصديق عَالَةً على الدعوة وعِبْئًا عليها، بل تحرك من أول يوم ينشر هذا الدين حتى دخل بجهوده الدعوية في أول الأمر ستة من سادات قريش الشبان، إضافةً إلى سعايته في فِكاك العبيد الذين أسلموا من أَسْر الرِّق

وإنّ تحرك صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ـــ بعد وفاته ـــ في أقطار الأرض لَدَليلٌ على أن الشخصية التي صاغها النبي صلى الله عليه وسلم ورباهم عليها هي الشخصية المتحركة للدين التي لا تعرف السكون ولا الكمون.

وفي تفسير قوله تعالى: ((يا أيها المدثر. قم فأنذر)) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: فواجب على الأمة أن يبلغوا ما أُنزل إليه (أي النبي صلى الله عليه وسلم) ويُنْذِروا كما

أَنْذَرَ، قال الله تعالى: ((فلولا نَفَر من كل فِرْقَةٍ منهم طائفةٌ ليتفقوا في الدين ولينذِروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يَحْذرون))، والجنُّ لما سمعوا القرآن:((وَلَّوْا إلى قومهم منذرين)). ويقول ابن القيم رحمه الله: وتبليغ سنته صلى الله عليه وسلم إلى الأمة أفضلُ من تبليغ السهام إلى نحور العدو، لأن تبليغ السهام يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه. ويقول الغزالي رحمه الله:"اعلم أن كل قاعد في بيته ــ أينما كان ــ فليس خاليا في هذا الزمان عن مُنْكر، من حيث التَّقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحمْلهم على المعروف، فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد، فكيف في القرى والبوادي ومنهم الأعرابُ والأكْراد والتُّرْكُمانية، وسائرُ أصناف الخلْق، وواجبٌ أن يكون في كل مسجدٍ ومَحَلَّةٍ من البلد فقيهٌ يعلّم الناس دينَهم وكذا في كل قرية، وواجب على كل فقيه - فرغ من فرض عينه لفرض الكفاية - أن يخرج إلى ما يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيرهم، ويعلِّمَهم دينهم وفرائض شرعهم.أهــ.

وعن جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: لو استطعت ألا أنامَ لَمْ أَنَمْ مَخافةَ أن يَنْزِلَ العذابُ وأنا نائم، ولو وجدت أعوانا لفرَّقْتُهم ينادون في سائر الدنيا: يا أيها الناس: النارَ النارَ. وقال إبراهيم بن أَشْعَث: كنا إذا خرجنا مع الفُضيل بن عِياض في جنازة لا يزال يَعِظُ ويذكّر ويبكي حتى لَكَأنَّه يودّع أصحابه ذاهبا إلى الآخرة حتى يبلغَ المقابر، فيجلس فكأنه بين الموتى، جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم وَلَكَأنَّه رجع من الآخرة يُخْبِرُ عنها. وعن شجاع بن الوليد قال: كنت أخرج مع سفيان الثوري، فما يكاد لسانُه يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهبا وراجعا. والإمام الزهري لم يَكْتَفِ بتربية الأجيال وتخريج أئمة الحديث، بل كان ينزل إلى الأعراب يعلّمهم. وكان الفقيه الواعظ أحمد الغزالي - شقيق أبي حامد الغزالي رحمهما الله - كان يدخل القرى والضِّياع ويعظ لأهل البوادي تقربا إلى الله.

يقول الراشد حفظه الله: ولا ينبغي للداعية أن يَبْتَئِس إن لم يجد فَضْلَ وقت لقيام الليل يوميا، والإكثار من ختْمات القرآن، فإن ما هو فيه من الدعوة وتعليم الناس وتربية الشباب خيرٌ وأجْزَلُ أجرًا، وقدوته في ذلك ورائده أئمة الدعاة من السلف الصالح الذين كانوا يسيحون لنشر الدعوة وتبليغها، ويبادؤون الناس بالكلام، ويحتكون بهم احتكاكا هادفا، ولا ينتظرون مجيء الناس لهم ليسألوهم..ثم ذكر قصة الأعرابي الذي جاء النبي صلى الله عليه وسلم وسأله قائلا: يا محمد أتانا رسولُك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أَرسلَك؟

قال الراشد: أتاهم رسولُ رسولِ الله داعيا، وكذلك الناس تُؤْتَى، ومن انتظر أن يأتيه الناس فليس بداعية، ولو فصّلت كلمة الأعرابي لتبين لك كيف فارق ذلك الصحابي الداعية المدينةَ لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم لقومِ هذا، وكيف فَارَقَ أهلَه وبيتَه وأولادَه، وكيف اجْتازَ المَفَاوِزَ وصحْراءَ مِن بعدِ صحْراء، وكيف تعرّض للمخاطر والحر أو البرد، ليبلّغ دعوة الإسلام. وهذا شأن الدعوة التي تريد أن تصل إلى أهدافها، لابد من تَحرّك ومُبادَأَة وغُدُوٍّ ورَوَاحٍ وتَكَلُّمٍ وزَعْمٍ، ليس القعودُ والتمني من الطرق الموصلة، فافْقَهْ سيرةَ سلفك وقلّدْهم تَصِلْ، وإلا فَرَاوِحْ مكانَك فإنك لن تَبْرَحَه..) أهـــ (من علو الهمة ٢٦٤).

إن التحرك للدين وبذل المجهود في الدعوة إلى الله والتمكين لشرع الله وإعلاء كلمته في الأرض يجب أن يكون عنصرا أصيلا في النسيج الإيماني لكل مسلم، فلا يَفْتَأُ يحاسب نفسه في كل زمان: ماذا قدم لدين الله؟ يَتَقَلَّبُ في مَضْجَعِهِ قَلِقَا، لا يَهْنَأُ بِنَوْمَة، ولا يطِيبُ له وَسَن، ترتاده أخبار المسلمين فيَهْتَمُّ ويَغْتَمُّ، يفكّر في سبل إيصال الحق إلى الخلق فيخافُ أن يقصّر، يقلق من تنامي الكفر والفسق، يَجْزَعُ من قلة الناصرين لدين الله، إنه لا يفكر في جاره فقط أو صديقه كيف يدعوه، إنه يفكر في سكّان الكرة الأرضية كيف يُدخلهم في دين الله أفواجا. يالها من همة لو وجدت لها فؤادا. وأحسب أن مثل هذه النفس لو تَلِفت هَمّا على حال الدين لما كان ذلك كثيرا جَلَلاً.

٦٦-بين همم الحيوان وهمم بني الإنسان:

قال تعالى: ((وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ))[الأنعام:٣٨].

قال سفيان بن عيينة: ما في الأرض آدميٌّ إلا وفيه شَبَهٌ من البهائم؛ فمنهم مَن يهتصر اهتصار الأسد، ومنهم من يَعْدُو عَدْو الذئب، ومنهم مَنْ ينبح نُباح الكلب، ومنهم مَن يتطوَّس كفعل الطاووس، ومنهم مَن يُشبه الخنازير التي لو أُلقي إليها الطعام الطيب عافته، فإذا قام الرجل عن رجيعه ولغت فيه، فلذلك تجد من الآدميين مَن لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها، وإن أخطأ رجل تروَّاه وحفظه.

قال الخطابي: ما أحسن ما تأول سفيان هذه الآية واستنبط منها هذه الحكمة! وذلك أن الكلام إذا لم يكن حكمُه مُطاوعًا لظاهره وجب المصير إلى باطنه، وقد أخبر الله عن وجود المُماثلة بين الإنسان وبين كل طائر ودابة، وذلك مُمتنعٌ من جهة الخلقة والصورة، وعَدَمٌ من جهة النطق والمعرفة؛ فوجب أن يكون مُنصرفًا إلى المُماثلة في الطباع والأخلاق. (انتهى كلامه).

والله سبحانه قد جعل بعض الدوابِّ كسوبًا مُحتالاً، وبعضها متوكِّلاً غير مُحتال، وبعض الحشرات يدَّخر لنفسه قوت سنته، وبعضها يتَّكل على الثقة بأن له في كل يوم قَدْر كفايته رزقًا مضمونًا وأمرًا مقطوعًا، وبعضها يدَّخر، وبعضها لا تكسُّبَ له، وبعضها يؤثر على نفسه، وبعضها إذا ظفر بما يكفي أمَّة من جنسه لم يدعْ أحدًا يدنو منه.

وهذا كله من أدلِّ الدلائل على الخالق لها سبحانه وعلى إتقان صُنْعه، وعجيب تدبيره ولطيف حكمته، فإن فيما أودعها من غرائب المعارف وغوامض الحِيَل وحسْن التدبير والتأني لما تريده، ما يستنطق الأفواه بالتسبيح، ويملأ القلوب من معرفته.

طهارة النحل وقذارة قوم لوط

يقول ابن القيم:"في النحل كرامٌ عمال، لها سعيٌ وهِمَّة واجتهاد، وفيها لئامٌ كسالى، قليلةُ النفع، مُؤْثِرةٌ للبطالة، فالكرام دائمًا تطردها، وتنفيها عن الخليَّة، ولا تُساكنها؛ خشية أن تُعدي كرامها وتُفسدها".

"وكل نحلة تريد دخول الخلية بعد عودها يشمُّها البوَّاب ويتفقَّدها، فإن وجد منها رائحة مُنكرة، أو رأي بها لطخة من قذرٍ، منعها من الدخول، وعزلها ناحيةً إلى أن يدخل الجميع، فيرجع إلى المعزولات الممنوعات من الدخول، فيتفقدهن ويكشف أحوالهن مرةً ثانية، فمن وجده قد وقع على شيء مُنتن أو نجس قدَّهُ نصفين، ومن كانت جنايته خفيفةً تركه خارج الخليَّة. هذا دأبُ البوَّاب كلَّ عشيَّة".

وقوم لوط كانوا أحقَرَ هِمَّةً من هذه الحشرة. قال تعالى: ((فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ))[النمل:٥٦].

النمل وبعدُ هِمَّتِهِ:

والنملة تخرج من بيتها تطلب قوتها وإن بعُدت عليها الطريق، فإذا ظفرت به حملته وساقته في طُرُق مُعوجَّة بعيدة، ذات صعود وهبوط، في غاية من التوعُّر، حتى تصل إلى بيوتها، فتخزن فيها أقواتها في وقت الإمكان.وهي على ضعْفها شديدة القوى، فإنها تحمل أضعاف أضعاف وزنها وتجرُّه إلى بيتها. ولها صِدْقُ الشمِّ، وبُعْدُ الهِمَّةِ، وشِدَّة الحرص. وكلُّ نملة تجتهد في صلاح العامَّة منها غير مُخْتلِسة من الحَبِّ شيئًا لنفسها دون صواحباتها.

المُبدِّلون أخسُّ هِمَّةً من القرود

"ومن عجيب أمر القرد، ما ذكره البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون الأودي قال:"رأيتُ في الجاهلية قرْدًا وقردةً زنيا، فاجتمع عليهما القرود، فرجموهما حتى ماتا". فهؤلاء القرود أقاموا حدَّ الله حين عطَّله بنو آدم".[شفاء العليل لابن القيم].

أبلدُ من حمار:

قال ابن القيم:"ومن هداية الحمار - الذي هو من أبلد الحيوان - أن الرجل يسير به ويأتي به إلى مترله من البُعد في ليلة مُظلمة، فيعرف المترل، فإذا خُلِّي جاء إليه، ويُفرق بين الصوت الذي يُستوقف به والصوت الذي يُحَثُّ به على السير". فمن لم يعرف الطريق إلى مترله - وهو الجنة - فهو أبلدُ من حمار!!

فحي على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم

أخسُّ من الذئاب:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه. فأقعى الذئب على ذنبه. قال: ألا تتقي الله! تترع مني رزقا ساقه الله إليَّ. فقال: يا عجبي ذئب مقعٍ على ذَنَبِه يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟! محمد صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق. قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي: الصلاة جامعة، ثم خرج، فقال للراعي:"أخبرهم"فأخبرهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"صدق والذي نفسي بيده".

ففي هذا الحديث ما يُفيد بأن هذا الذئب كان بالمدينة، وعلم بما يقوله عليه الصلاة والسلام، وأدرك مما يقوله عليه الصلاة والسلام، وحدّده بأنه كلام عن الأمم السابقة. فكيف بمن يعلمون كل شيء عن تاريخ المشركين والفراعنة، ولا يعلمون زِنة خردلة ومثقال ذرَّة عن حياة أئمة الموحِّدين من أنبياء الله!! بل ومنهم من يقول: أول مَن دعا إلى التوحيد إخناتون، وهو الذي كان يعبد الشمس، وأنَّ مزامير داود مُقتبسةٌ من نشيد الرعاة لإخناتون... كبرتْ كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

الهدهد وعبدة الأبقار:

لقد استنكر هدهد سليمان أشد الاستنكار، وأنكر أشد الإنكار على قوم سبأ عبادهم للشمس من دون الله. فقال تعالى:((وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ * أَلا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ))[النمل:٢٤، ٢٥]. فكيف لو رأى الهدهد عبدة الأبقار وعبدة الفئران؟!

قال غاندي:"عندما أرى البقرة لا أجدني أرى حيوانًا؛ لأني أعبد البقرة، وسأدافع عن عبادها أمام العالم أجمع". وقال:"وأمي البقرة تفضُل أُمِّي الحقيقية من عِدَّة وجوه: فالأم الحقيقية تُرضعنا مُدَّة عام أو عامين وتتطلَّب منا خدمات طول العمر نظير هذا، ولكن أُمّنا البقرة تمنحنا اللبن دائمًا، ولا تطلب مِنَّا شيئًا مُقابل ذلك سوى الطعام العادي". وقال:"إن ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال، وأنا أعدُّ نفسي واحدًا من هؤلاء الملايين"[مقارنة الأديان ٤/٣٢].

قال الشيخ الدكتور عمر سليمان الأشقر:"قد قرأتُ في مجلة العربي التي تصدُرُ في الكويت عن معبد فخم مكْسُوٍّ بالرخام الأبيض تُرسَل إليه الهدايا والألطاف من شتى أنحاء الهند، بقي أن تعلم أن الآلهة التي تُقدَّمُ لها القرابين وتُرسَل لها النذور في ذلك المعبد الفخم إنما هي الفئران".[الرسل والرسالات: ٣٧].

وهداية الحيوان فوق هداية أكثر الناس. قال تعالى: ((أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً))[الفرقان:٤٤].

أغبياء بني آدم:

عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما تستقلُّ الشمس فيبقى شيء من خلق الله إلا سبَّح الله بحمده، إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم"[أخرجه ابن السني وأبو نعيم وحسنه الألباني].

وقال صلى الله عليه وسلم:"ما من دابة إلا وهي مُصيخة يوم الجمعة؛ خشية أن تقوم الساعة"[أخرجه أحمد والمنذري وصححه الألباني].

وقال صلى الله عليه وسلم:"لا تطلع الشمس ولا تغربُ على أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة إلا وهي تفزع ليوم الجمعة، إلا هذين الثقلين: الجن والإنس"[أخرجه أحمد في مسنده وصححه الألباني].

حتى الخنفساء والغراب

قيل لرجل: من علّمك اللجاجَ في الحاجة والصبر عليها وإن استعصت؟ قال: مَنْ علَّم الخنفساء إذا صعدت في الحائط؛ تسقط ثم تصعد ثم تسقط، مرارًا عديدة، حتى تستمرَّ صاعدة!!

والغراب يُضرب به المثل في البكور. فيقال: بكور كبكور الغراب. وقيل لرجل: مَن علمك البكور في حوائجك أول النهار لا تخلُّ به؟ قال: مَنْ علَّم الطَّير تغدو خماصًا كلَّ بُكرة في طلب أقواهّا، على قُربها وبُعدها، لا تسأم ذلك، ولا تخاف ما يعرض لها في الجو والأرض!!

التقطْ خير الخِلال

في الحيوانات أخيارٌ وأشرارٌ، فالتقطْ خير الخِلال وخلِّ خسيسها، إذا لم تنفع أخاك فلا تؤذه، وإن لم تُعطِه فلا تأخذ منه، لا تُشاهِنَّ الحية فإنها تأتي إلى الموضع الذي قد حفره غيرها فتسكنه. ولا تتمثّلنَّ بالعُقاب فإنه يتكاسل عن طلب الرزق، ويصعد على مرقب عالٍ، فأي طائر صاد صيدًا اتبعه، فلا تكون له هِمّة إلا إلقاء صيده والنجاة بنفسه.

لا تكن العصافير أحسن منك مروءةً، إذا أُوذي أحدها صاح، فاجتمعن لنُصرته، وإذا وقع فرخُها طِرن حوله يُعلِّمنه الطيران.

ياهذا تخلق في إعانة الأخوان بخلق النملة فإنها قد تجد جرادةً لا تُطيقُ حمْلَها فتعود مستغيثة بأخواتها، فترى خلفها كالخيط الأسود قد جئن لإعانتها، فإذا وصلن بالمحمول إلى بيتها رفعنه عليها.

الطبع الردي لا يليق به الخير

هيهات إن الطبع الرديء لا يليق به الخير، فهذه الخنفساء إذا دفنت في الورد لم تتحرك، فإذا أُعيدتْ إلى الروث رتعت.

وما يكفي الحية أن تشرب اللبن حتى تمجَّ سُمَّها فيه،"وكُلٌ إلى طبعه عائد"، إلا أن الرياضة قد تزيل الشر جملة وقد تخفف كما أن غسل الأثر إن لم يزله خففه.. إن دمت على سلوك الجادة رجونا لك الوصول وإن طال السرى.

أخي:

كُنْ كالنسور على الذُّرا تُصغي لوشوشة القمر

إياك أن تكن الغرا ب يُرمِّمُ الجيف الحقيرة في الحُفَرْ

لله دَرُّك كالنسر نُريدك تصيح:

إنَّ المعاولَ لا تهدُّ مناكبي والنَّارُ لا تأتي على أعضائي

فارموا إلى النارِ الحشائش والعبوا يا معشر الأطفال تحت سمائي

وإذا تَّمردت العواصف وانتشى بالهولِ قلبُ القُبَّةِ الزرقاء

ورأيتموني طائرًا مُترنِّمًا فوق الزوابع في الفضاء النائي

فارموا على ظلّي الحجارة واختفوا خوف الرياح الهُوجِ والأنواءِ

وهناك في أمن البيوت تطارحوا غثَّ الحديثِ وميِّتَ الآراءِ

وترنَّموا ما شئتمُ بشتائمي وتجاهروا ما شئتم بعدائي

أما أنا فأُجيبُكم من فوقكم والشمسُ والشفقُ الجميلُ إزائي

من جاش بالوحي المقدس قلبه لم يحتفل بحجارة الفلتاء

٦٧-«الجوال”تكنولوجيا إعلامية ووسيلة دعوية:

بات الاتصال الهاتفي بعدًا جديدًا من أبعاد التطور التكنولوجي وصفة ملازمة للحرية الشخصية في صيغتها بالقرن الحادي والعشرين، ومثل غيره من الظواهر فإن الاتصال المتحرك هو في الأصل حاجة أوجدها الذين يسيطرون على وسائل الإنتاج والذين لهم مصلحة في توسع دائرة الفردية.

أرقام مذهلة:

في مقاله المعنون بــ"عبيد الهاتف الجوال”ذكر"دان شيلر""""Dan SCHILLER أنه”في نهاية العام ٢٠٠٣، كان أكثر من ٥٠٠ مليون هاتف محمول قد بيع في العالم، وكان ثلث سكان اليابان استخدم شبكة الإنترنت عبر هذا الهاتف، كما أن المشتركين الأميركيين في الهاتف الخليوي أمضوا أكثر من ١٥ مليار ساعة في التحدث عبره، وأرسل الأوروبيون ١١٣ مليار رسالة قصيرة ــ مع أن الصين تأتي في رأس القائمة بهذا الباب مع ٢٢٠ مليار رسالة نصية عبر الهاتف المحمول"، وذكر شيلر أيضا أنه”في العام ٢٠٠٤ وحده أمنت شركة”دوكومو”اليابانية ٢٠ في المئة من مداخيلها أي ٩ مليارات دولار من خلال التنزيلات عن الشبكة التي قام بها ٤٢ مليونا من المشتركين".

وبعد هذه الأرقام المذهلة يمكننا أن نؤكد ما جاء في مقال للاستاذ حسن أبو السباع في جريدة الحياة من أن الهاتف الجوال أصبح يلعب دوراً رئيساً في التواصل بيننا، وأن هذه الآلة تتطور بصورة مذهلة وما زالت تأتي بالعجب العجاب.. فحينما أمسكنا به لأول مرة ظننا أن الدنيا كلها اجتمعت بين أصابعنا، فبمجرد الضغط على عدد قليل من الأزرار نستطيع أن نتواصل مع شخص آخر في أي مكان من العالم المترامي، الذي كنا نسميه قرية صغيرة.

قبل انتشار هذا الجهاز العجيب كانت الشاشات العربية تستعرضه في الأعمال البوليسية والاستخباراتية بوصفه اختراعاً لا تستطيع أجهزة البحث الإمساك بحامله بسهولة، إذ كان أمراً في غاية الصعوبة نظراً إلى أنه «جوال».

أما الآن وبعدما أصبح الجميع يحمله، من الأطفال مروراً بالنساء إلى الشيوخ، الجميع لا يستطيع الاستغناء عن هذا الاختراع الذي تطورت إمكاناته لتصبح كومبيوترية، فتستطيع إرسال عشرات الرسائل في دقيقة واحدة إلى مجموعة من الأشخاص في أماكن مختلفة على وجه البسيطة.

واعتنت الفضائيات بهذا الرفيق المطيع في قبضة اليد، فخصصت له قنوات لاستقبال الرسائل من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق ليتواصل الناس عبر ما يسمى رسائل SMS لتحدث طفرة تطويرية في عالم «الشات»، الذي لم يعد قاصراً على استخدام الكومبيوتر، فنستطيع أن «ندردش» عبر الجوال والقنوات الفضائية ليتم تبادل الرسائل بين الأصدقاء والأقارب.. حتى في كثير من الأحيان يكون هؤلاء الأصدقاء في بلد واحد، أو مدينة واحدة.

تطور بلا حدود

والتطور لا يتوقف ابداً عند حد، فالآن أيضاً صار في إمكانك أن ترى من تخاطبه على الجانب الآخر، مهما بعدت المسافات بينك وبينه، ليقوم أي إنسان بدور المراسل الصحافي من بلد إلى بلد فقط لأنه يحمل هذا الجوال الاختراع العجيب، حتى الصحف والقنوات الإخبارية الآن تقدم خدمة إرسال الاخبار عبر «الجوال" لحظة وقوعها، وقريباً جداً سينقل الحدث

مباشرة عبر شاشات «الجوال"مع الأخبار المرسلة، لتوجد طفرة إعلامية عالمية تسمى «تلفزيون الواقع» بواسطة"جوال الواقع"، فكما يستطيع أي إنسان أن يرسل رسائل عبر هاتفه إلى هذه القناة أو تلك، ففي إمكانه أن يصور مشاهد كاملة من الحياة التي يحياها، ويرسلها إلى قنوات فضائية لتبث باعتبارها تعبيراً عما يسمى «تلفزيون الواقع» والشاهد الآن على صدق ما أقول هو مقاطع البلوتوث المنتشرة جداً - بين الشباب، وتتناقل فيما بينهم في شكل سريع من أقصى المدينة الواحدة إلى أدناها «قبل أن يرتد إليك طرفك».

الجوال والدعوة

نعم قد يسيء البعض استعمال هذا الاختراع العجيب كغيره من الاختراعات التي يساء استخدامها. ولكننا نقول وبلا شك أو تردد أن هذه التقنية الحديثة قد أضافت نافعا وفتحت آفاقا جديدة للإبداع الدعوي فالدعاة إلى الله يجب أن يستخدموا أيضا وسائل التطور ويفيدوا منها في خدمة دينهم ودعوهم من خلال التواصل مع الآخرين عبر هذا الجهاز الخطير، ولا ينبغي التوقف عند مجرد استعمالات الناس، بل نحن أولى بإرسال الرسائل القصيرة التي تحوي تذكيرا بالله تعالى أو بالآخرة أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو دعوة لمحاضرة أو نشر سنة أو هدم بدعة أو تقديم نصح أو تصحيح خطأ أو تنبيه غافل أو تذكير ناس أو..... وهي أبواب من الخير لا تنتهي ونحن أولى من غيرنا بالاستفادة بهذا كله... وكما قيل: الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها... فكذلك الوسيلة الدعوية النافعة المباحة ضالة الداعية أينما وجدها فهو أحق بها.

٦٨-الفتور.. مظاهره وأسبابه، وطرق العلاج:

هل أحسست يوما بقسوة في قلبك وتحجر في عواطفك، وعدم تأثر بالقرآن والمواعظ؟

هل شعرت يوما بضيق في صدرك، أو همّ أثقل عليك كاهلك فأنت في ضيق لا تعرف له سببا ولا تجد مخرجا؟

هل أصابتك وحشة فيما بينك وبين الناس فأنت سريع الغضب منهم قليل الصبر عليهم لا تحب مجالستهم ولا مؤانستهم؟

هل وجدت وحشة فيما بينك وبين الله فأصبحت تستثقل العبادات وتتهاون في الطاعات ولا تجد لذة لأنواع القربات؟

هل أصبحت تشكو كما كنت تسمع من يشتكي من قسوة القلب، ومن يقول:"لا أجد لذة للعبادة"،"أشعر أن إيماني في الحضيض"،"لا أتأثر بقراءة القرآن"."لا أتأثر بموعظة"، أقع في المعصية بسهولة.

إذا كان أصابك شيء من ذلك فاعلم أن السبب في هذا هو ما يسمى بظاهرة الفتور أو ضعف الإيمان، وهو مرض واسع الانتشار يعاني منه كل مؤمن موحد ولو بين الحين والحين. وذلك أن من أصول أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والكتاب والسنة مليئان بالأدلة على هذا الأمر وكذا كتب السلف الصالحين.

وقد أخبرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أن الإيمان يبلى في قلب المؤمن ويحتاج إلى تجديد كما في المستدرك والطبراني:"إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم".

فالإيمان في قلوبنا يزيد وينقص ثم يزيد وينقص حسب ما يتعرض له المرء من أسباب ضعف الإيمان وقوته أو نقصه وزيادته، وهو ما دل عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الحلية قال:"ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر، بينما القمر مضئ إذ علته سحابة فأظلم إذ تجلت عنه فأضاء".

فكما أن القمر أحيانًا بينما هو منير في السماء تأتي عليه سحابة تحجب ضوءه ونوره ثم ما تلبث هذه السحابة أن تنقشع فيرجع له ضوؤه فينير السماء، كذلك قلب المؤمن بينما هو سائر في طريق استقامته إذا اعتورته بعض السقطات والهنات ولحظات الضعف بل والمعاصي فحجبت عنه نوره فيبقى الإنسان في ظلمة ووحشة، فإذا سعى لزيادة إيمانه واستعان بالله انقشعت تلك الغمة وعاد للقلب نوره واستقامته.

مظاهر الفتور

معلوم أن الإيمان لاينزع من قلب العبد مرة واحدة وإنما يحمله الشيطان على التهاون في دينه خطوة خطوة فيدب الضعف إلى إيمانه رويدًا رويدًا. ولضعف الإيمان في قلب الإنسان علامات تدل عليه ومظاهر يعرف بها:

١) قسوة القلب

فيحس أن قلبه يجمد شيئا فشيئا، لا يتأثر بموعظة ولا برؤية بلاء أهل البلاء، ولا حتى بالقرآن، وربما دخل المقابر وحمل إليها الأموات وواراهم التراب وكأنه لم ير شيئًا، حاله كما قال الله: ((ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ))[البقرة:٧٤]. فإذا أحسست بقسوة في قلبك وتحجر في عواطفك فاعلم أنه مظهر من مظاهر ضعف الإيمان.

٢) ضيق الصدر والوحشة من الناس

فيصبح المرء سريع الغضب على من حوله قليل الصبر والتحمل لهم، يضيق ذرعا بأفعالهم، ويتأفف من أعمالهم، قد ذهبت عنه سماحة أهل الإيمان فلم يعد يألف ولا يؤلف، وكلما زادت غفلته وفترته زاد همه وضاق صدره.

٣) الوحشة بينه وبين الله

وعلامتها استثقال العبادة، والتهاون في الطاعة، وعدم الحزن على فواتها، فتفوته مواسم العبادة ولا يتأثر، ويتأخر عن الجمع والجماعات ولا يحزن، وعبادته إن أداها فهي مظاهر خالية من الروح: فالصلاة بلا خشوع، وقرآءة القرآن بلا تدبر، والأذكار عادة، والدعاء مجرد كلام باللسان مع غياب القلب، والله لا يقبل دعاء قلب ساهٍ لاهٍ.

٤) الاستهانة بالمكروهات والمشتبهات

فبعد ما كنت تسأل عما فيه شبهة لتجتنبه حفاظًا على دينك ولا تتجرأ أن تقترب مما قيل إنه مكروه، إذا بك لاترى بما دون الحرام بأسًا، فقارفت المكروهات، وولغت في الشبهات:"ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام..".. فقادك هذا التساهل إلى رفع الحاجز عن الحرام فسهل عليك الوقوع فيه فاجترأت على محرمات لم تكن قديما تخطر لك على بال.. وكلما ضعف الإيمان ازداد المرء تفلتا.

٥) عد م الغيرة على محارم الله

فإن نار الغيرة إنما توقدها جذوة الإيمان، وقد خبت.. وكيف ينكر المحرَّمَ من وقع فيه؟ وكيف يكره أهل المعاصي من يعيش بينهم.وربما زاد القلب إظلاما حتى يرى الحق باطلا والباطل حقا والحسن قبيحا والقبيح حسنا.

٦) ضعف رابطة الأخوة الإيمانية

لأن سبب الرابطة هو الإيمان المحرك لها؛ فإذا ضعف الإيمان ضعفت بضعفه تلك الروابط، فلا زيارات ولا دعوات ولا عيادة مريض ولا معاونة ولا شيء، ربما ولا سلام ولا كلام، وربما لا يهتم بقضايا المسلمين ولا يتمنى نصرتهم وانتصارهم: (ما تواد اثنان في الله عز وجل أو في الإسلام ففرق بينهما إلا بذنب يحدث أحدهما)(رواه أحمد وغيره).

ومن مظاهر ضعف الإيمان أيضا: حب الدنيا على جميع صوره، والخوف عند المصيبة والجزع لها، وكثرة المراء والجدال المقسي للقلب، والاهتمام بالمظاهر والمغالاة فيها.

الأسباب

يقول بعض السلف:"من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما ينقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم إيزداد إيمانه أم ينقص، ومن فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان من أين تأتيه". فمن فقه الإنسان أن يراقب قلبه ودينه وينظر من أين يأتيه الفتور، وماهي أسباب ضعف إيمانه.. وقد ذكروا منها:

أولا: الابتعاد عن أجواء الإيمان

وهو أول ما يدخل الفتور به على أهل الإيمان فيتحول عن المسجد، ويستبدل الرفقة الطيبة أو يغيب عنهم، والبيئة لها أثر عظيم. قال الحسن: إخواننا أغلى عندنا من أهلينا، فأهلونا يذكروننا الدنيا وإخواننا يذكروننا الآخرة. وفيما سبق قال العالم لقاتل المائة نفس:"ودع أرضك هذه فإنها أرض سوء واذهب إلى أرض كذا فإن فيها قوما يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم.

ثانيا: الانشغال بالدنيا

والحرص عليها، والسعي وراءها وطلب الجاه فيها، وفي الحديث:"ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه".(رواه الترمذي). فطغيان الدنيا على الآخرة مفسد للدين كما روي عن معاذ رضي الله عنه:"يا ابن آدم! أنت محتاج إلى نصيبك

من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج. فإن بدأت بنصيبك من الآخرة مر بنصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما. وإن بدأت بنصيبك من الدنيا فاتك نصيبك من الآخرة وأنت من الدنيا على خطر".

ثالثا: طول الأمل

طول الأمل مفسد للقلب؛ فإن من طال أمله نسي الآخرة، وسوَّف في التوبة، ورغب في الدنيا، وكسل عن الطاعة، وأسرع للمعصية؛ فيقسو قلبه لأن رقة القلب بتذكر الموت والقبر والجنة والنار، وطويل الأمل لا يذكر هذه الأشياء.

قال علي:"إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة".

وفي الأثر:"أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا".

رابعا: الابتعاد عن العلم الشرعي

وخاصة بالكتب التي تقسي القلب وتشتت الفكر ككتب الفلسفة، وكذلك قصص الحب الساقطة، والمجلات الخليعة، وقد يصاب بقسوة القلب من يكثر من الجدال والمراء، وقراءة كتب أهل البدع والخلاف وترك كتب الرقائق ككتب ابن القيم وابن رجب وغيرهم.. وخير ما يستفاد منه قوة الإيمان كتاب الله ثم مدارسة السنة والسيرة ثم قصص الصالحين وأحوالهم.

خامسا: عدم وجود القدوة

فالقدوة الصالحة لها أثر حي وفعال في قلوب المشاهدين، ولذلك كانوا ينصحون بملازمة أهل الصلاح والورع، وعندما مات أعظم قدوة في الدنيا قال الصحابة: ما هي إلا أن واريناه

التراب حتى أنكرنا قلوبنا، وكانوا كالغنم في الليلة الشاتية المطيرة، مع كونهم كلهم قدوات يقتدى بهم، وكلام ابن القيم عن ابن تيمية مشهور معروف.

سادسا: الإفراط في الكلام والطعام والمنام والخلطة

فكثرة الكلام تقسي القلب.

وكثرة الطعام تثقل عن العبادة.

وكثرة المنام تضيع خيرًا كثيرًا.

وكثرة الخلطة لا حد لمفاسدها.

علاج ضعف الإيمان

وبعدما تعرفنا على مظاهر الفتور وضعف الإيمان وأسباب ذلك، لابد أن نتعرض للعلاج حتى يستطيع من ابتلي بشيء من ذلك العودة إلى ماكان عليه من قوة الإيمان والعبادة ومن ذلك:

دوام المراقبة والمحاسبة

فمراقبة القلب الدائمة ومراقبة الحالة الإيمانية تجعل العبد على علم بمكانه من الله وهل هو في ازدياد أو نقصان، ودوام محاسبة النفس يعيد الأمور إلى نصابها ويجعله يستدرك الأمور قبل استفحال خطرها، ومعالجة الأمر في البدايات أيسر كثيرا من المعالجة في النهايات والوقاية دائما خير من العلاج"يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون".

تدبر القرآن

فإن ضعف الإيمان مرض قلبي، والله أنزل القرآن شفاء لأدواء القلب والبدن: ((وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ))[الإسراء:٨٢]. وإنما يأتي العلاج مع التدبر والفهم:

((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ))[ص:٢٩]. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ربما قام ليلة يتلو آية واحدة يكررها: ((إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))[المائدة:١١٨]. وكذلك ورد عن تميم الداري، وكان كثير من السلف يكرر الآيات يتعمق في فهم معناها كسعيد بن جبير: ((وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ))[البقرة:٤٨].

ومرض عمر رضي الله عنه من آية قرأها: ((إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ))[الطور:٧]، وسمع بكاؤه وهو يقرأ: ((قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ))[يوسف:٨٦].

وقال عثمان:"والله لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام ربنا".

ومات علي بن الفضيل من آية سمعها: ((وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ))[الأنعام:٢٧].

ومات زرارة بن أوفى في الصلاة عندما تلى قوله تعالى: ((فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ))[المدثر:٨]

ذكر الله

فهو جلاء القلوب من صدئها وشفاؤها من أمراضها، ودواؤها عند اعتلالها، وهو روح الأعمال الصالحة، والفلاح يترتب عليه: ((وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ))[الأنفال:٤٥]. وهو وصية الله لعباده المؤمنين: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا))[الأحزاب:٤١]. ووصية النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين: (إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فمرني بأمر أعتصم به. قال: لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله).

فالذكر مرضاة للرحمن مطردة للشيطان مزيل للهم والغم، جالب للرزق والفهم، به تطمئن القلوب وتبتهج النفوس وتنشرح الصدور: ((أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ

الْقُلُوبُ))[الرعد:٢٨].وترك الذكر قسوة للقلب وأي قسوة، كيف لا وهو نسيان لله، ومن نسي الله نسيه الله.

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشور

يقول ابن القيم رحمه الله:"في القلب قسوة لا يزيلها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله".

قال رجل للحسن البصري:"يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي؟ قال: أذبه بالذكر".

قال مكحول:"ذكر الله تعالى شفاء، وذكر الناس داء".

الدعاء والانكسار بين يدي الله

((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ))[غافر:٦٠]. وأقرب باب يدخل منه العبد على الله باب الافتقار والمسكنة، ولذلك كان أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ لأن حال السجود فيها من الذلة لله والخضوع له ما ليس في غيرها من الهيئات. قال النبي صلوات الله وسلامه عليه: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء)[رواه مسلم]. وهل هناك حال أرجى للقبول من عبد عفر جبهته في التراب خضوعًا للعزيز الوهاب، واستكانة ومذلة بين يديه ثم أخذ يناجيه من صميم فؤاده بحرقة المحتاج، وابتهال المشتاق، اللهم إني أسألك بعزتك وذلي، وأسألك بقوتك وضعفي، وقدرتك وعجزي، وبغناك عني وفقري إليك إلا رحمتني وهديتني وأصلحتني. اللهم هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، فخذ بها يارب إليك أخذ الكرام عليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك. أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته ورغم لك أنفه وذل لك قلبه وفاضت لك عيناه.

فهل تظن بعد هذا الدعاء مع الإخلاص يرده الله.. لا والله.

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجدد الإيمان في قلوبنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. والحمد لله رب العالمين.

٦٩--القدوة الحسنة:

إن صلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الإيمان، وخلقه الفاضل هو السحر الذي يجذب إليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب، أتظن جمال الباطن أضعف أثرًا من وسامة الملامح؟!! كلا.. إن طبيعة البشر محبة الحسن والالتفات إليه، وأصحاب القلوب الكبيرة لهم من شرف السيرة وجلال الشمائل ما يبعث الإعجاب بهم والركون إليهم، ومن ثم فإن الداعية الموفق الناجح هو الذي يهدي إلى الحق بعمله، وإن لم ينطق بكلمة؛ لأنه مثلٌ حيٌ متحرك للمبادئ التي يعتنقها، وقد شكا الناس في القديم والحديث من دعاة يحسنون القول ويسيئون الفعل!!

والواقع أن شكوى الناس من هؤلاء يجب أن تسبقها شكوى الأديان والمذاهب منهم؛ لأن تناقض فعلهم وقولهم أخطر شغب يمس قضايا الإيمان ويصيبها في الصميم، ولا يكفي - لكي يكون المرء قدوة - أن يتظاهر بالصالحات أو يتجمل للأعين الباحثة، فإن التزوير لا يصلح في ذلك الميدان، ولابد أن ينكشف المخبوء على طول المعاملة وامتداد الزمن وتمحيص الأحداث، وسرعان ما يبدو معدن النفس على الحقيقة العارية، ذلك أن النفس المتحركة من هذا الروح فهي كالآلة الدائرة مما يعمر خزانها، أما النفس المحرومة من هذا الروح فهي كالآلة التي تدفع باليد حينًا لا يلبث أن يغلبها العطل والعطب فتتوقف وتسكن، والمصيبة الطامة أن بعض

المنافقين يحسبون أن تمثيل دور الإيمان لا يحتاج إلا إلى شيء من التكلف والمصانعة، كما أن بعض المتهاونين يحسبون أن لباس التقوى يمكن نسجه بشيء من إدمان الرسوم وإتقان الهمهمة، وهذا ضلال بعيد، فالأمر أخطر مما يظنون.

إن التدين الحقيقي صورة لجوهر النفس بعد ما استكانت لله ونزلت على أمره واصطبغت بالفضائل التي شرعها، وترفعت عن الرذائل التي حرمها واستقامت على ذلك استقامة تامة.

هذا التدين وحده هو الذي تلتمس منه الأسوة ويقتبس منه الهدى، ويؤسفني أن أقول: أن هذا الضرب من التدين العالي نادر الآن، وأن أشعة الكمال المنبعثة من وهجه لا تكاد تُرى، بل عن نفر من الناس الذين لا دين لهم أقرب إلى المسلك الصحيح وأجدر بالقوامة على شتى الوظائف من الذين انتسبوا إلى الدين، وحملوا عنوانه دون اصطباغ به وتشرب لروحه!!

وعندما يُنكب الدين بأقوام كثيرين على هذا الغرار فالمجال واسع لشيوع الإلحاد وانتشار المعصية والعدوان.

قال لي صديق: إن فلانًا"الأوروبي"إذا وكلت إليه مهمة خرجت من بين يديه متقنة الأداء، ظاهرة الجودة، أما فلان الذي يُكثر الصلاة فقلما يريحني في إحسان واجب".

لقد جزعت لهذه المقابلة بين الشخصين، ولم يسؤني منها أنها باطل - إذ هي حق -، وإنما ساءني منها أن ذلك"التدين"الكسول دعاية شنيعة ضد الصلاة، إنها القدوة الرديئة تعمل عملها ضد المثل الرفيعة والمبادئ الفاضلة، وقد لاحظت أن الأجنبي - في أغلب الأحيان - يرى خدشًا لكرامته وطعنًا في كيانه أن يصدر العمل عنه ناقصًا، فهو يجوده احترامًا لنفسه، وصيانة لشخصه، على حين تجد مواطنًا ينتمي إلى الدين - كما يزعم - ثم هو يقوم بالعمل على أسوأ الوجوه ويبسط لسانه بالجدل الطويل في تسويغه وإقناع الآخرين بقبوله!

ولعلنا لم ننس قصة المهندس الذي أشرف على بناء جسر السلطان أبي العلاء - وكان أجنبيًا - فإنه لما رأى عمله لم يصل إلى درجة الكمال التي ينشدها رمى بنفسه من فوق الجسر العالي فهوى بين أمواج النيل، وكاد اليم يبتلعه لولا إسعاف المنقذين.

لقد أحس غضاضة من أن يعيش بعدما فشل في إحسان العمل الذي كلف به، إنما أثبت هذه القصة لأني أعرف أناسًا مثله، وقعوا في شر من تفريطه، وخرج العمل من بين أيديهم مبتورًا مشوهًا، فلما عوتبوا شرع كل منهم يتنصل ويعتذر أو يهز كتفيه ملقيًا العتبة على غيره.

ولعله بعد ذلك جلس إلى مكتبه يجرع القهوة في كبرياء!! أيصلح هؤلاء أمثلة للإسلام؟! قل لي بالله: كيف يهوى سلوك الفرد منا إلى هذا الحد ثم ينتظر أن يُحترم الإسلام ويُقَبلُ عليه!!

إن الدعوة إلى الإسلام تكون أولاً بعرض ثماره في الأخلاق والأحوال، أعني ثماره في أتباعه المؤمنين، ويومئذٍ ترجى الإجابة ويرتقب الاهتداء.

ولنعد إلى أسباب انتشار الإسلام أيام السلف الصالح، إن خلق الدولة، وصلاح أنظمتها، وكفالتها أكبر حظ من العدالة والسعادة للأفراد، كان الباعث الأعظم على دخول الناس في دين الله أفواجًا، وقبولهم عن طيب خاطر، الانضواء تحت راية الإسلام، بل غبطتهم؛ لأن دائرة هذا الدين بلغت في الرحابة حدًا جعلتهم يأوون إليها وهم وافرون أعزاء، حتى أيام اضطراب أجهزة الحكم في الدولة الإسلامية وقصورها عن التحليق مع المثل الرفيعة التي نشدها الإسلام في اختيار الحكام.

إن هذا القصور لم يقدح في مدى الخير الذي يحرزه الناس - على اختلاف اللون والمذهب - تحت علم الدولة الجديدة! ذلك أنه أعلى درجة ألف مرة من الخير الذي رأوه في ظل أكاسرة فارس وقياصرة الروم.

وحين تتابع أوصاف المسلمين الفاتحين - كما شرحها بعض المنصفين من المستشرقين - نجد أن الجماهير رمقت حملة العقيدة الظافرة بشيء من الدهشة، ورأت فيهم نماذج خلابة للفضل والعدل، فلم يمكثوا غير قليل حتى زاحموهم عليها!

أجل.. زاحموهم عليها، ونافسوهم فيها، واعتنقوها ليعملوا بها مثل أو أجل من أصحابها الذين نقلوها مصداق قول الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -: ((رُبَّ مبلغ أوعى من سامعٍ))، وقال - صلى الله عليه وسلم -: ((رُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه)).

الإعجاب بالإسلام في أحوال الفرد، والإعجاب بالإسلام في أحوال الدولة هو وحده السبب الفعال في تزاحم الخاصة والعامة على هذا الإسلام وارتضائهم له.

والإعجاب لا ينبت في النفس خبط عشواء، أتظن العقول النضرة تعجب بالعقول الخرفة؟، أتظن الأخلاق الرضية تعجب بالأخلاق الرديئة؟ أتظن المتقدم في افكاره ومشاعره يعجب بالمتخلف في هذه وتلك.. كلا.. كلا.

إن المسلمين استحقوا أن يتأسى الناس بهم، وان ينسجوا على منوالهم، وأن يقلدوهم في أقوالهم وأعمالهم، وأن يهجروا لغاتهم الأصلية إلى اللغة العربية الوافدة؛ لأن المسلمين كانوا يمثلون في العالم نهضة مجددة راشدة مسعدة، والمعجب بك قد يذوب فيك، وذلكم هو ما حدث في (المستعمرات) التابعة من قرون للشرق والغرب، أعني لـــ"فارس"و"الروم"، يوم زحفت عليها جيوش الإسلام، وانساب في جنباتها.

إن من الغباء البالغ أن تنتظر أحدًا يؤمن بك عقب انتصار في معركة جدل، أو انتصار في ميدان حرب.

إن المقهور في أحد الميدانين قد يستسلم راضيًا أو ساخطًا، بيد أنه لن يتبعك عن إخلاص، ولن يشاكك الشعور والفكر أبدًا، ومن ثم نرى لزامًا علينا التوكيد بأن القدوة وحدها، وما يبعث على الاقتداء من إعزاز وإعجاب هما السبيل الممهدة لنشر الدعوة في أوسع نطاق.

٧٠-اكتساب مهارات الدعوة:

إن الدعوة كغيرها من الأعمال تحتاج إلى دربة وخبرة، وما من عمل أتقنه صاحبه بالفطرة، مصداق ذلك قوله تعالى: ((والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)). وموسى عليه السلام طلب الاستعانة بذي الخبرة حين قال: ((واجعل لي وزيرا من أهلي.هارون أخي.أشدد به أزري وأشركه في أمري)).كما أن مما رشحه أن يؤاجره صاحب مدين للعمل توفر الشرطين الذين ذكرهما إحدى البنتين: ((إن خير من استأجرت القوي الأمين)).وطالوت استحق الملك بما أوتي من بسطة في العلم والجسم.

وهكذا يجب أن يمضي الدعاة، يجابهون الصعاب ويواجهون المواقف بمهارات مكتسبة، وخبرات مجتناة، ودربة مستقاة.ما أعظمها من همة لا تترك لكلمة (ظروف) حجة لمحتج، أو عذرا لمعتذر، إنه يأبى إلا الكمال، لأن النفوس الكاملة تستقبح النقص:

و لم أر في عيوب الناس عيبا...... كنقص القادرين على التمام

وتكامل الداعية في إتقان الأسباب موازٍ ليقينه في معونة الله تعالى، لأنها لا تأتي إلا على قدر المئونة، وهداية التوفيق منوطة باتباع هداية الإرشاد، والله لا يضيع أجر المحسنين.

إذا أسند إلى أحدهم عمل من أعمال الدعوة أقبل عليه بالدرس والتحليل والتمحيص، واقترح الأساليب ودرس إمكانية تطبيقها، والعوائق التي قد تحول دون نجاحها، كما يدرس النتائج المتوقعة واحتمالات الفشل والبدائل المقترحة

إن الداعية الناجح ذو قلب عقول ولسان سؤول، يبغض الجهل، ويعظم العلم، ويحترم التخصص، يرفض أن يقوم بعمل لا يتقنه حتى يتقنه.فهو لا يحتج بعدم الإتقان على ترك العمل، بل يعتذر عن العمل ريثما يتقنه ويقوم به حق القيام.

إن الداعية الناجح إذا أسندت إليه خطبة حال كونه لا يجيد الخطابة، استأذن أصحابه شهرا ليتعلم فن الخطابة ويجيد أساليبها، ليرقى المنبر متمكنا من صنعته مالئا مكانه الذي وضع فيه.

إن الداعية الناجح إذا اكتشف أنه لا يتقن محادثة الناس على الملأ، هرع إلى المكتبات يبحث عن الكتب التي صنفت في كيفية تنمية مهارات المحادثة ومواجهة الجماهير.

إن الداعية الناجح إذا خطب في موضوع أشبعه، وإذا تحدث في قضية أتى على تفاصيلها فلم يترك تعقيبا لمعقب.

إن مشاريع الدعاة الناجحين لا يعتريها الفشل من قبل تقصيرهم، أو يصيبها الشلل بسبب أخطائهم، بل بأقدار وحكم لا يعلمها إلا الله تعالى. وهم في بذلهم الوسع مثل الأنبياء الذين مكثوا في أقوامهم مئات أو عشرات السنين ثم لا يأتون يوم القيامة مع أقوامهم إلا بالرهط وبالواحد والاثنين وربما يأتي النبي وليس معه أحد.

المهارات الدعوية تخصص

والمهارات الدعوية تخصص يجب أن نؤمن به ونحترمه، فليس كل عالم داعية والعكس صحيح أيضا، وكم من علماء متخصصين ملؤوا الدنيا علما ولكنهم ربما يفشلون في أي موقف دعوي ساذج. وكما يجب على الدعاة ألا يفتئتوا على وظيفة العلماء في الفتوى والإفادة، فيجب على العلماء ألا يحتكروا الدعوة بزعم احتكارهم للعلم.

والواقع يشهد بأن المهارات الدعوية صارت تتطلب تخصصات مختلفة ومعقدة لا يسد احتياجاتها المتخصصون في الفقه والحديث.

فالدعوة تحتاج إلى المربين لمختلف الأعمار، والذي يتعهد الأطفال والصبية الصغار ليس كمن يربي الشبيبة المراهقين، ومن يعنى بمقارعة المنصرين ومجاهدة العلمانيين لن يتفرغ كثيرا للاهتمام بسد حاجة الفقراء المسلمين مثلا.

إنها وظائف كثيرة، تحتاج إلى جهود متضافرة، وفي نفس الوقت إلى مهارات مكتسبة تتناسب وتلك الوظائف. إذ لم يعد من المقبول أن يقوم داعية واحد بكل تلك الأنشطة التي ذكرناها، أو يهتم بها ويفكر فيها، إن ذلك سيؤدي به إلى خلل في الأداء أو قصور في التخطيط والتنظيم ولا ريب. فناسب حينئذ أن تتوزع اختصاصات الدعوة على الدعاة، مع ضرورة أن يقوم كل داعية بإتقان الدور الذي أسند إليه وأن يتخصص فيه، ويعد نفسه أن يكون مرجعا لغيره من الدعاة فيما أسند إليه.

إننا لن نستطيع إيجاد العالم الموسوعي، والداعية الجامع لكل الفنون والعلوم، إلا أن يكون ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن ينبغي أن نتعامل مع السنن الكونية بواقعية، وألا نركن إلى الأماني الكاذبة والأحلام الشاردة.

مجال واسع

ومن الواقعية بمكان أن يدرك الدعاة أن مجال الدعوة واسع الأرجاء، وأنه يحتاج إلى جهود جبارة، وطاقات هائلة، وسواعد متضافرة. وأن الساحة مليئة بالأعداء الذين أتقنوا كل المهارات الممكنة للمواجهة مع الإسلام، وأنهم يعدون العدة الكاملة لاستئصال الدين، وأن عدهم في ذلك متكاملة التجهيز والتنسيق، وأنهم متفقون على تسخير كل تقنية متاحة في نصرة باطلهم.

وبإزاء ذلك يتعامل بعض الدعاة مع واقعهم بسذاجة وبساطة لدرجة تدعو للرثاء أو الشفقة، مدفوعين بعواطف صادقة لكنها لا تغني فتيلا أمام سنة الله التي لن تجد لها تبديلا. فسنة الله لا تحابي أحدا، حتى الأنبياء والمرسلين، اجترفتهم أقدار الإله لما حصل التقصير من بعض أتباعهم. أخذت الرجفة موسى ومن اختاره لميقات ربه بفعل بعض السفهاء، ويهزم جيش فيه خير البشر وخيرة الله من العالمين محمد صلى الله عليه وسلم لأن من جنده من كان يريد الدنيا.

إن المسلمين قد عاشوا - للأسف - قرونا في ظل ثقافة تواكلية، وتحت سقف سلبية مقننة، وقد وجد من علماء المسلمين - للأسف أيضا - من يقعد مبدأ السياحة في الأرض والخلوة في الفيافي في وقت كان التتار يدكون حصون الشام والصليبيون يدكون حصون مصر.

إن في بعض الأدبيات الصوفية جنوح لما يمكن أن نسميه دعوة للكسل والخمول، ولن نعجب أن يستقر في أذهان العامة أن الصوفية أو رواد المساجد في الجملة أصحاب بطون، أو أهم عشاق الفَتَّة.

إن هذه الثقافة التواكلية سرت في وجدان الأمة حتى أضحت عقيدة يُعْتدُّ بها ومَهْيَعا يرتاده كل من أراد التدين.ولا أغالي إذا قلت إن شيئا من هذه التواكلية سرى إلى أوصال الصحوة المباركة بفعل التجاور والمعاشرة.

ورأينا من يقنن لهذا الكسل، ويقعد لما اصطلح عليه العوام اسم (البركة)، أي أن كل شيء يمشي بالبركة أي بدون اتخاذ الأسباب وبدون اكتساب المهارة اللازمة لأدائه.

وسمعت بعض الدعاة ينفر من التخطيط السليم لإدارة الدعوة، وأن الخير في عدم تعقيد الأمور، وآخر يبدِّع العمل الجماعي، وثالث يحرم ابتكار الوسائل الدعوية، في نمط من السذاجة لا يتناسب مع مقامهم في العلم والفضل.

اتخاذ الأسباب عقيدة

إن اتخاذ الأسباب عقيدة كما أن التوكل نفسه من العبادات القلبية الأصيلة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين الاثنين في أسلوب بليغ حين قال: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا).أي تذهب في الصباح المبكر خالية الحواصل، فإذا عادت في المساء كانت ممتلئة البطون. ولو كان التوكل في ترك الأسباب، لَقَرَّت الطير في وُكُنَاتِها وأوكارها تنتظر رزقها رغدا يأتيها من كل مكان.ولكنها خرجت وطارت وسعت في أرجاء الحقول تبحث عن الحب والدود، والفقيه من اعتبر.

إنني استحيي والله من نفسي حين أرى المنافق أو الفاسق يتقن من حرفة الدعاية لنحلته ومنهجه مالا أتقن، وأتوارى خجلا وأذوب كمدا حينما أرى جحافل الكفر تغير على موقع من مواقع المجتمع والدعاة يقفون في دهشة واجمين.

إن هذه الثقافة غير الواعية، يجب أن تُستَأْصل من وجداننا، ويحل محلها الإيمان بأهمية السبب، والاستعداد به لمواجهة الباطل، والبحث عنه (أعني السبب) واستفراغ الوسع في طلبه والحصول عليه، وإعمال سبيل الدربة لاستعماله وتطبيقه واكتساب المهارة فيه.

وقادة الصحوة الإسلامية إذا أرادوا أن تخطوا الصحوة خطوات واثقة نحو العالمية التي تتناسب مع رسالتها وضخامة تبعتها فيجب عليهم أن يتدارسوا بجدية مبدأ تدريب الدعاة على المهارات الدعوية، وتثقيفهم بالثقافات التي يحتاجونها في مسيرهم.

إنه ما من هيئة إدارية أو شركة تجارية إلا وتعقد لموظفيها دورات تدريبية في كل المناحي التي يحتاجها قطاع أعمالهم، بحيث يترقى الموظفون في درجات المهارة ولا يبقون أسرى المعلومات العتيقة والأساليب البالية.

إذن.. فليس على الدعوة من بأس أن تعقد دورات تدريبية لتنمية مهارات الدعاة في الخطابة والموعظة والتأثير على الناس، أو دورات تدريبية في تحضير الموضوعات وتنسيقها، أو دورات في إدارة الدعوة في المساجد أو في الجهات التي يكثر تواجد الدعاة فيها.

مثل هذا الاتجاه كفيل بتكثير سواد الدعاة عبر رفع كفاءة آحادهم ممن لم يشارك في الدعوة بفعالية من قبل، ومن شأن هذه الطريقة أن ترفع مستوى أداء الداعية فيتحسن النشاط الدعوي بالتبع ولا ريب.

إن من العادي في الدول المتقدمة أن تعقد مؤتمرات بحثية على مستوى الجامعات والصحف والشركات - في كل المجالات - وفي المدارس على مستوى المدرسين والطلبة، تعرف هذه المؤتمرات بجلسات (السمنار) يستضاف فيها متخصص في مجال معين ليتحدث عن تخصصه

وكيفية الاستفادة منه في القطاع الذي يستمع إليه، ثم يتم إتاحة فرصة المناقشة ثم يتم صياغة توصيات يُدلى بها إلى ذوي الاختصاص ليروا ما يمكن تنفيذه من عدمه.

ومن الأمور الطريفة التي علمتها مؤخرا أن شهادة الأيزو (الجودة العالية العالمية) تعدّى مجالها الجانب الإداري والصناعي ليشمل العملية التعليمية، فصارت المدارس تمنح شهادة الجودة التي تثبت رقي مستوى مدرسيها وإدارتها وعمليتها التربوية والتعليمية وغير ذلك من الشروط الصارمة التي يجب أن تتوفر في المدرسة النموذجية.

ولا شك أن هذا الأمر يستدعي إسقاطا مباشرا على شأننا الدعوي، حيث إن نشاطاتنا الدعوية تفتقر إلى الجودة، بل تفتقر إلى معايير الجودة نفسها، لدرجة أن بعض الجماعات العاملة في حقل الدعوة تستسيغ لأفرادها التصدر للخطابة والإفادة حال كونهم أميين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، ولا ريب أن هذه جرأة على الله تعالى، واستهزاء بجناب الشرع الموقر، واستخفاف بعظمة شعائر الله.

إنني أتصور قوة الدعوة في قوة دعاتها وثباتها في ثباتهم، وقدرتها على غزو قلوب الناس من قدرة دعاتها على حل مشكلاتهم: كل مشكلاتهم، ولا يمكن أن نرجو نصرا في معركة ما تخاذلت همتنا فيها عن استعمال نفس السلاح الذي يستعمله أعداؤنا أو استعمال ما هو أفضل منه.

إن معارك حامية الوطيس دارت بين شيخ الإسلام ابن تيمية وخصومه كان محك الغلبة فيها لمن أحاط بعلوم الشرع، ولولا أن قيض الله لأهل السنة مثل شيخ الإسلام في ذلك الزمان لكانت السنة تعاني الآن غربة حالكة، فكان في تصدي شيخ الإسلام للبدع الكلامية والانحرافات العقدية والسلوكية في المجتمع الإسلامي مع شهادة الخصوم له بطول الباع في علوم الشريعة، كان ذلك له أعظم الأثر في رفعة شأن أهل السنة وعلو كعبهم بين الناس.

وكذلك كانت مجهودات العلامة المحدث الشيخ الألباني - يرحمه الله - في علوم السنة، ومن قبله جهود الإمام ابن باز رحمه الله في الدعوة والفتوى، فأعظم الله منزلة أهل السنة بهما،

وجعل لهم بين الناس وجاهة وصيتا، وأحسب أن الدعوة تحتاج إلى عشرات من مثل هؤلاء حتى تخوض المعركة بخطى واثقة.

مهمات هذه الطريقة

وإذا أردنا أن نصوغ مهمات هذه الطريقة في عناصر عملية محددة فيمكننا أن نلخصها فيما يلي:

(١) تكوين مكاتب لتبادل الخبرات بين الدعاة مهمتها البحث عن كل جديد في تقنيات العصر مما له مسيس صلة بواقع الدعوة وتسخيره في خدمة الدين، مع إيجاد الكوادر التي تستطيع التعامل مع تلك التقنيات الحديثة.

(٢) أن تتواصى همم الجماعات والهيئات الإسلامية على تدريب أفرادها وصياغة مناهج علمية تدريبية، مع الحرص على متابعة المستوى ومحاسبة المقصرين مع توليد القناعة في نفوس الأفراد والجماعات بأهمية اكتساب الخبرات والتخصصات المناسبة التي تحتاجها الدعوة، وأن ذلك من صميم الإتقان والإحسان الذي أمر به الشرع المطهر.

(٣) قد يعسر تنفيذ مثل هذه المناهج التدريبية بطريقة جماعية، فلا أقل من أن توجد تلك المناهج في صورة مؤلفات متاحة لكل قطاعات الدعاة حتى يتمكنوا من النهوض بإمكانياتهم الدعوية بصفة ذاتية.

(٤) ضرورة وجود متخصصين في المناهج التدريبية، مهمتهم متابعة احتياجات الدعوة والدعاة وملاحقة هذه الاحتياجات على صورة كتب أو أشرطة سمعية أو برامج حاسب آلي.

(٥) من الأهمية بمكان أن يعمل هؤلاء المتخصصون على متابعة الجديد مما تحتاجه الدعوة من المؤلفات الأجنبية وترجمتها وتيسير تداولها على مستوى الدعاة.

(٦) الاهتمام بالجانب الإحصائي في الأنشطة الدعوية، لأنها من أهم سمات الموضوعية في تقدير جدوى الوسائل ومدى نجاح التجارب، وأرى أن القصور الحاد في إحصائيات الدعوة له دور كبير في الارتجالية في معالجة المشكلات.

(٧) من أهم الجوانب التي يجب على الدعاة إتقانها أو الإلمام بها على أقل تقدير: تقنيات الحاسب الآلي وإمكانياته المتعاظمة وبخاصة في ثورة المعلومات التي أتاحها الحاسب الآلي، حتى أضحت آلاف الكتب التي يجمعها طلبة العلم في عشرات السنين مخزنة في قرص من أقراص الحاسب الآلي.

(٨) إصدار دوريات متخصصة في الجوانب التي يحتاجها الدعاة لاسيما الأخبار والقضايا الدعوية الملحة، وحشد آراء أئمة الصحوة وقادتها فيها لضمان أعلى نسبة توحّد في الاتجاهات وردود الأفعال.

(٩) عقد المؤتمرات واجتماعات البحث باستمرار على مستوى القادة والأفراد - عند الإمكان - لمناقشة أوضاع الصحوة ودراسة المشكلات واقتراح الحلول والعلاجات، والتركيز على جانب المشروعات الدعوية العملاقة التي تتطلب مجهودات جماعية وإمكانيات متضافرة[١].

٧١-كيف نخاطب الجماهير..؟!

---

[١] ٣٠ طريقة لخدمة الدين (الشيخ: رضا صمدي)

دأب عدد كبير من رموز الصحوة الإسلامية على مخاطبة الجماهير من خلال المنابر المختلفة، ووجد كثير منهم - والحمد لله - إقبالاً واسعًا، والتفتت الجموع بين أيديهم، وهذه نعمة عظيمة يفتقدها كثير من رموز الفكر والأدب والثقافة الآخرين. ولهذا فمن الواجب على العاملين في حقل الدعوة إعادة النظر في طروحاتهم وطريقتهم في الخطاب وتقويمها؛ لتحصيل أعلى المصالح ودرء المفاسد قدر الإمكان، والاستفادة من التجربة الماضية. وهاهنا أمور أرى أنه ينبغي مراعاتها في هذا الأسلوب:

أولاً: الإيمان بالهدف:

من المسلّم به بعد الدراسة ومراقبة الواقع أن صلة الجماهير بالدعاة والمصلحين تزداد وترسخ مع الوقت إذا اطمأنوا إلى صدقهم وجديتهم وإيمانهم العميق بأهدافهم التي ينادون بها، واستعدادهم القوي على تحمل تبعات تلك المبادئ والتضحية من أجلها. وفي ا لمقابل نجد أن الجماهير تنفض عن تلك الرموز إذا رأت فيها العجز والهوان، أو أحست ضعف مصداقيتها وجديتها، وقديمًا قال الرافعي:"رؤية الكبار شجعانًا هي وحدها التي تخرج الصغار شجعانًا، ولا طريقة غير هذه في تربية شجاعة الأمة".

ثانيًا: الحذر من الخيلاء وحب الرياسة:

محبة الناس للمصلح وتجمعهم بين يديه فتنة عظيمة قد تطغى على بعض ذوي النفوس الضعيفة، وتُنبت فيها الخيلاء والاستكبار وحب الرياسة، وتصرفها عن كثير من معالي الأمور. وكم من الرموز التي تساقطت ولَفَظتها الجماهير، أو تناستها حينما غلبت عليها تلك الشهوة، وقد قال رسول الله صَلى الله عليه وسلم:"ما ذئبان جائعان أُرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه".

ولهذا قال ابن تيمية:"كان شداد بن أوس يقول: يا بقايا العرب، يا بقايا العرب! إنما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية. قال أبو داود صاحب السنن: الشهوة الخفية: حب الرياسة. وذلك أن حب الرياسة هي أصل البغي والظلم".

وملاحظة النفس ومراجعتها من أعظم أبواب المجاهدة التي ينبغي للمرء أن يأخذ بها، والغفلة عن ذلك قد تؤدي إلى الزلل، ومن تعلق قلبه بحب الظهور صغرت نفسه، وغلبت عليه الأهواء الشخصية، وتردى في سلسلة من الانحراف التي تزيد بزيادة تلك الآفة القلبية، وما أحسن قول الرافعي:"إذا أسندت الأمة مناصبها الكبيرة إلى صغار النفوس كبرت بها رذائلهم لا نفوسهم".

ثالثًا: الحذر من الانسياق الأعمى خلف العامة:

حينما يتصدر المرء لمخاطبة الجماهير قد يقع - من حيث لا يشعر! - في دائرتهم، فيقودونه ويدفعونه لمحبوباتهم، ويزداد تأثره بمشاعرهم الجياشة عند كثرة الهتاف والتصفيق، وتأخذه النشوة بكثرة الحشود؛ ومعلوم أن نسبة كبيرة من أولئك العامة لا ينظرون إلى أبعد من مواقع أقدامهم، ولا يحيطون بكثير من التداخلات الفكرية والسياسية، ولا يزنون ردود الأفعال بالموازين العلمية. وأحسب أن التأثر بالجماهير نوعان:

الأول: التأثر الإيجابي:

وهو في غاية الأهمية؛ لأنهم يشعرون بالتفاعل والاهتمام، ويَحِسُّون بأهمية آرائهم، وقيمهم المعنوية، كما يحسون بدورهم في البناء والتغيير؛ مما يزيدهم ارتباطًا بهم ورغبة في الإصلاح، ويحفزهم إلى المزيد من التجاوب والتعاون.

الثاني: التأثر السلبي:

حيث ينساق المرء وراء عواطفهم، ويقع في شراكهم، ويصبح برنامجه الإصلاحي مرتبطًا برغباتهم، وخطته العملية متأثرة بأهوائهم، وتكون النتيجة أن الجماهير هي التي تقوده، وهو يحسب أنه يقودهم!!

رابعًا: الدقة في الخطاب:

الخطيب الذي يتصدر لمخاطبة الجماهير لا يسلم من الخطأ والزلل، حاله كحال غيره من المتحدثين،"وليس صنف من الناس إلا وله حشو وشوْب". ولكن خطأ الخطيب يكون على رؤوس المنابر يسمعه الناس كبيرهم وصغيرهم، وقد يطير خطؤه في الآفاق، وبعض أصحاب النفوس المريضة يكون همه أن يتصيد العثرات، ويتسقَّط الزلات، وتكون فاكهته التي يتندر بها ويفرح، ولهذا قال عمر بن الخطاب:"ما كانت على أحد نعمة إلا كان لها حاسد، ولو كان الرجل أقوم من القدح لوجد له غامزًا". ولما قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد! إن هاهنا قومًا يحضرون مجلسك ليتتبعوا سقط كلامك! فقال الحسن:"يا هذا! إني أطمعت نفسي في جوار الله فطمعت، وأطمعت نفسي في الحور العين فطمعت، وأطمعت نفسي في السلامة من الناس فلم تطمع، إني لما رأيت الناس لا يرضون عن خالقهم علمت أنهم لا يرضون عن مخلوق مثلهم".

إن من يتصدر لمخاطبة الناس عليه أن يعتني بما يصدر عنه اعتناءً شديدًا، وينتقي عباراته انتقاءً دقيقًا، ويحرص حرصًا كبيرًا على أن يخرج كلامه بدقة وإتقان، حتى ينفع سامعيه ويسد - قدر الطاقة - منافذ الهوى عند بعض الناس، ومع ذلك كله لن يسلم أحد من الخطأ مهما بلغ حرصه. ويعجبني المتحدث الذي يملك الجرأة والشجاعة على مراجعة أقواله، ويوضح ما استشكله الناس عليهن ويعترف بخطئه إن كان ثمة خطأ.

خامسًا: الحذر من التعلق بالأشخاص:

من الآفات المزمنة التي تظهر عند كثير من الجماهير؛ سواء أكان ذلك على المستوى الفكري أم الدعوي أم الاجتماعي أم الفقهي.. ونحوها: التعلق بالرموز والانكفاء عليها، والشعور بأن هؤلاء وحدهم القادرون على إحياء الأمة والنهوض بها من كبوتها، فإذا عجز هؤلاء أو حبسهم العذر أصيب الناس بالإحباط، وثارت في كوامنهم دواعي العجز والحيرة، ويؤدي التعلق بالأشخاص أحيانًا إلى ازدراء مصلحين آخرين ربما لا يقلون عن غيرهم أصالة وفهمًا وقدرة، وقد يؤدي هذا التعلق إلى طمر الإمكانات الكامنة في بقية الأفراد، أو عدم استغلال الفرص السانحة لهم.

وقد يُرسِّخ هذا المفهومَ بعضُ هؤلاء الرموز، ويدفع الناس إلى تقليده وتعظيمه، بلسان المقال حينًا، وبلسان الحال أحيانًا أخرى، والتقليد قاصمة من القواصم التي تقتل كل ملكات الإبداع والتفكير، وتحوِّل الجماهير إلى مجرد قطعان هائمة يسوقها الراعي ذات اليمين وذات الشمال، وهي تستجيب له بكل دعة وخنوع. والنجاح الحقيقي للمصلحين ليس بالقدرة على أن يصرفوا وجوه الناس إليهم فحسب، بل بالقدرة على إحيائهم واستنبات البصيرة في عقولهم؛ فمن تبعهم تبعهم بحجة وبرهان؛ ولذا فإن الواجب على هؤلاء المصلحين أن يرسخوا ضرورة ارتباط الناس بالمنهج الصحيح وليس بذواتهم.

سادسًا: وضوح الرؤية:

تتم مخاطبة الجماهير عند بعض المصلحين بطريقة تلقائية راتبة؛ حيث لا توجد لديهم رؤية واضحة، ولا يدرون خلالها ما الأهداف ذات المدى البعيد التي يريدون الوصول إليها؛ وقد ترى أن كثيرًا من طروحاتهم الفكرية والدعوية مبنية على خواطر مشتتة تطرأ على أذهانهم من هنا وهناك، بل تلمس أحيانًا أن بعضهم لا يعطي لنفسه فرصة التفكير في برنامجه العملي، ولهذا تراه يجتر كثيرًا من أقواله وأقوال غيره بدون بصيرة!

إن وضوح الأهداف يعين كثيرًا على الاعتبار بالماضي واستبصار الحاضر واستشراف المستقبل، ويدفع المرء إلى رسم أطر واضحة يعرف فيها بدقة: ما الموضوعات التي سوف يتحدث عنها؟! وما القواعد التي يريد بناءها؟! وما الأمراض الفكرية والمنهجية التي يقصد معالجتها؟! وما أنسب السبل لتحقيق ذلك؟ ويعرف في ذلك الأولويات التي ينبغي البدء بها، ويحدد طريقة المعالجة، ونحو ذلك مما يعدُّ من البدهيات المنهجية التي لا غنى عنها.

سابعًا: تلمُّس احتياجات المخاطبين:

احتياجات الناس المنهجية والفكرية والعملية كثيرة جدًّا، ويتميز المصلح الجاد بقدرته على تلمُّس احتياجات الناس، وكم من الأشخاص الذين اعتادوا على مخاطبة الجماهير تراهم

يشرِّقون ويغرِّبون، ويتحدثون عن أشياء كثيرة لكنهم بعيدون عن نبض الشارع واهتمامات الناس.

ومعلوم بأن المستمع قد يقترب من المتحدث كثيرًا، ويألفه في بداءة أمره، لكنه يبتعد عنه شيئًا فشيئًا إذا فقد المادة الأصلية المتجددة التي تشبع حاجاته وطموحاته، ولا شك بأن الذي يشدُّ الجمهور ويوثق صلتهم بالمتحدث هو شعورهم بالحيوية والتجدد، وهذا - فيما أحسب - أحد المعايير الرئيسة للاستمرار والبقاء.

ثامنًا: الحذر من الاكتفاء بالخطاب العاطفي:

يغلب على كثير ممَّن يعتني بمخاطبة الجماهير اعتماد الخطاب العاطفي الذي يُبنى على استثارة المشاعر، ولا شك بأن هذا مطلوب ولا غنى للناس عنه، ولكنه وحده لا يكفي على الإطلاق، بل إن الاكتفاء به وحده قد يؤدي إلى خلل في البناء. نعم قد تجمع العاطفة أناسًا كثيرين، ولكنها وحدها لا تحيي الأمة، ولا تبني رجالاً، ولا تجعلهم يثبتون أمام الأعاصير والفتن.

كثيرون أولئك الخطباء والمصلحون الذين يستطيعون تجميع الناس واستثارة عواطفهم، ولكنهم القلة القليلة منهم هي القادرة على إعادة بنائهم وتشكيل عقولهم وصناعتهم من جديد.

وإن من أكبر التحديات التي تواجه دعاة الإصلاح: هي القدرة على توظيف الطاقات، واستثمارها في البناء والعطاء، وكم هي الطاقات المهدرة التي طالما استُهلكت في التصفيق والصراخ والهتافات الساخنة أو الباردة!

ولذا كان مما ينبغي لدعاة الإصلاح إدراكه أن من واجبهم التأثير الفكري والمنهجي في الجماهير، ورفع مستواهم الثقافي، وإحياء الوعي في صفوفهم، وتربيتهم تربية راسخة عميقة، والانتقال بهم من مرحلة تكثير السواد إلى مرحلة العطاء والوعي الإنتاجي.

يخيَّل لبعض المصلحين حينما يرى أتباعه يحيطون به من كل جانب أنه لو دعاهم إلى تحرير القدس لما تخلف منهم رجل واحد، ولخاضوا ألوان المخاطر لتحقيق هذه الغاية العظمى، ولكنه يفاجأ بأن كثيرًا منهم سرعان ما يتخلف عنه ويتعذر بمعاذير واهية عند أول عقبة قد تواجهه في مسيرته! ولست هنا أدعو إلى ترك ا لجماهير أو عدم الثقة بهم، ولكنني أدعو إلى تغيير آلية الخطاب ليستوعب المتغيرات الاجتماعية والفكرية الحديثة.

لقد ظلت الجماهير عقودًا متتابعة مغيبة يعبث بعواطفها أدعياء التحرر والوطنية، وهاهنا يأتي دور المصلحين من جديد لإعادة تشكيل عقولهم وصناعة أفكارهم، ولا شك بأن هذا يتطلب جهدًا كبيرًا ونفسًا طويلاً.

تاسعًا: الارتقاء بمستوى الخطاب:

كثير من الطروحات التي نسمعها من الخطباء وأمثالهم تعالج هموم العامة ومشكلاتهم، وتتوافق وطموحاتهم وتطلعاتهم، ولا شك بأن هذه الطموحات محدودة، وتدور في أطر ضيقة، وقد يغفل بعض أولئك الخطباء عن مخاطبة طبقات أخرى في المجتمع، ولا بأس أن يوجد من يتخصص في مخاطبة العامة ويقصر اهتمامه على دائرتهم، ولكن ليس من المقبول على الإطلاق أن يتوجه أكثر خطبائنا إلى هؤلاء ويغفلوا عن الدوائر الأخرى!

إننا نعيش في عصر الانفتاح الإعلامي الذي أدى إلى انفتاح اجتماعي وفكري عريضين، وأصبحت قوة الخطاب وجاذبيته والتزامه بالمنهجية العلمية من أهم أدوات التأثير الفكري، وأعتقد بأن الارتقاء بمستوى الطرح والمعالجة في غاية الأهمية، فما يصلح في المدرسة قد لا يصلح في الجامعة، وما يصلح في المسجد لا يصلح في وسائل الإعلام، وما يصلح في البلد قد لا يصلح في البلد الآخر.. وهكذا.

وأذكر أنني استمعت ذات يوم إلى برنامج حواري اشترك فيه أحد المفكرين الإسلاميين مع مفكر ليبرالي، فآلمني جدًّا أن صاحبنا كان يتحدث بلغة عاطفية خطابية هزيلة، بينما كان

يتحدث ذلك الليبرالي بطريقة مركزة تتسم بالذكاء والمراوغة، شعرت من خلالها أنه يعرف ماذا يريد. ولا شك بأن الفتنة بمثل هذا كبيرة لجمهور عريض من العامة!

عاشرًا: إيجاد البرامج العملية الجادة:

من الجوانب المهمة في مخاطبة الجماهير: أن ندفعهم إلى برامج عملية مثمرة، فالتفاعل المجرد يبقى أثره محدودًا، ولكن حينما يستثمر تفاعلهم في بناء المجتمع ونشر الدعوة وبذل المعروف، سوف نجد بإذن الله تعالى طاقات كثيرة تبدع وتنفع ما كنا نتوقع منها ذلك.

٧٢-الكتابة.. أسلوب دعوي ناجح:

الخطابة من شعائر الإسلام، ودلائل بالحياة وسعيه إلى الامتداد، وربما كان تأثيرها الروحي نفاذًا أخاذًا، خصوصًا إذا كان الخطيب صاحب عقيدة تزحم أقطار نفسه، وتضطرم بها مشاعره. إنه حينئذٍ يشعل الجماهير حوله كما تشمل النار الهشيم.

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثلاً أعلى في صدق اللهجة وعمق التأثير، وكان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش يقول: ((صبحكم ومساكم))، ويقول: ((بعثت أنا والساعة كهاتين))، ويقرن بين إصبعيه للسبابة والوسطى، ويقول: ((أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم -، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة...)).

ولما كانت نفس الخطيب المؤمن تشبه مولدًا للكهرباء، فإن الإيمان ينسكب من نفسه مع ألفاظه يشق طريقه إلى القلوب شقًا. ومن ثم كان الجيل الذي صحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خير الأجيال، لعظم ما أفاد منه وانتفع به وأفاد الدنيا ونفع.

ومع هذه المنزلة للخطابة فإن لها قسمًا لا يقل عنها جدوى، ولا تستغني الدعوة عنه أبدًا، وهو الكتَابة، بل إن ما ارتبط بالخطابة من أجواء عاطفية يجعل مجالها متجهًا إلى المشاهدة قبل كل شيء، وإن اعتمدت على سلامة المنطق بداهة، لكن الكتَابة على العكس، تتجه إلى العقل

وتقوم على الاستعراض المنظم المتأني للأدلة المؤيدة والمفندة، ولا بأس أن ينضم إلى ذلك أسلوب جيد وسياق جذاب.

ثم إن الخطابة موقوتة الفرص، منتهية بانتهاء مجالسها، وانفضاض مجامعها، أما الكتابة فهي أخلد على الزمن وأعصى على الفناء، والواقع أن الخطب النفيسة، تتحوّل إلى أدب مكتوب، فإن كانت حافلة بعلم نافع أو وعظ بليغ كان بقاؤها في الصحائف امتدادًا في إمكان النفع بها، وإن كانت صاحبها قد مات، وضاع الأثر المقترن بسماعها منه وهي تنبض بالحياة من فمه، وتخرج مفعمة بخصائص نفسه!

والكتابة المؤلفة في خدمة الرسالات المختلفة كثيرة، ومداها في نشر الدعوات بعيد، وحسبنا أن الإسلام يعتمد في خلوده، ونضارة رسالته، وتجدد دعوته على كتاب فَذّ هو معجزة الدهر، وصوت السماء الصدوق المبين، قال تعالى: (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)(فصلت:٤٢)، ومنذ بدأ الإسلام والمؤلفون دائبون على مدرواته بالقلم، حتى لقد رُوي في الأثر - مبينًا لهذا الجهد - (يُوزن مداد العلماء بدم الشهداء يوم القيامة).

والكتابة العلمية تزحم تراثنا الثقافي، وتدفع به إلى الطليعة في المواريث الأدبية لأهل الأرض، بل نستطيع الجزم بأن دينًا من الأديان، أو مبدأ من المبادئ لم يصنع الحركة العقلية الجبارة التي صنعها الإسلام في العالم، والتي أنشأ بها حضارة مازالت فيها كل الغنى بأسباب القوة والازدهار، والمنقبون الآن في مخلفات الفكر الإسلامي كأنما ينقبون في أرض مليئة بآبار البترول أو مناجم الذهب والحديد، كلما بحثوا عثروا على كنوز مدفونة، وخير خبيء، وعظمة غطاها التراب!!

ولا عجب، فإن الفجر الذي طلع به القرآن الكريم على الوجود، أنعش العقل الإنساني إنعاشًا لا نظير له، وأطلقه ينشط ويجوب ويكدح.

وإذا كان هناك مأخذ على هذا النشاط، فهو أنه بلغ أحيانًا حد الإسراف الذي يجهد ولا يغني.

وطبيعي أننا في تلك الأوراق المحدودة لا نؤرخ ولا نتابع الكتابة العلمية لنشر الدعوة الإسلامية وإيضاح أصولها وفروعها، فذاك مبحث تفرد له مجلدات، وإنما نريد هنا إثبات ملاحظتين صغيرتين تتعلقان بموضوعنا:

أولاهما: أن الكتابة الأدبية في خدمة الإسلام ليس لها اتساع الكتابة الفنية وانتظامها، وأعني بالكتابة الأدبية ما يذكي العاطفة الإنسانية بعد ربطها بالإسلام، وأخذها بتعاليمه وعباداته، وقد تكون للصوفية كتابات، وأخطاؤهم الكثيرة تشوب هذا اللون من الأدب وتجعل الاستفادة منه عسرة أو خطرة.

وفي عصرنا هذا ارتقت الكتابة الأدبية التي أنوِّه بها في آثار رجلين جليلين هما: الشاعر الهندي محمد إقبال، والأديب العربي مصطفى صادق الرافعي في كتابه (وحي القلم)، والذي أريده، لون من الأدب الديني يرسم معالم الإسلام كما يرسم الشاعر المفتون بالطبيعة الحدائق الناضرة، والسماء الضاحية، والنجوم الزهر، والليل الساجي. نحن فقراء في هذا الضرب من الكتابة الراقية، مع شدة الحاجة إليها في تربية العواطف وصقلها باسم الله.

والملاحظة الأخرى: أن الكتابة العلمية - التي استبحرت قديمًا ثم جمدت أيام الانحلال والتخلف وهجوم الاستعمار ـــ لا تزال دون تقدم الوعي الإنساني في هذا العصر، ودون اتساع دائرة التعلم والتعليم، وانكماش الأمية الفكرية في كل قطر.

إن المحدثين مازالوا عالة على القدامى، ولولا صلاحية القرآن لشتى الأعصار لكان تخلف المسلمين العلمي سببًا في زوالهم، والمطلوب أن ينتفض الجيل المعاصر انتفاضة الحياة، ويشرع في خدمة الإسلام، الخدمة العلمية المناسبة لهذا العصر.

وإني لأذكر - محزونًا مكروبًا - أن العلماء المجددين لأمر الإسلام يكافحون في وجه عنت هائل، ويبذلون جهود الجبابرة ثم يطويهم الجهل والغمط والنكران، فما يكاد ينتفع بآثارهم إلا الأقل الأقل.

لقد مات محمد فريد وجدي بعد حياة مليئة بالمجد العلمي، وها هو ذا قد مرت بضع سنين على موته، فما ذكره أحد بكلمة رثاء، ولا طبع له كتاب نقد، ويوشك أن يطويه ومؤلفاته النسيان، فما هذا؟ والحال كذلك بالنسبة إلى الشيخ محمد رشيد رضا، العالم الأديب الجليل الشأن، وأعرف غيرهم من أصحاب الأسماء التي لم تحظ بالشهرة، وإن أسدت للإسلام أعظم المنافع، فالشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، رتّب "مسند ابن حنبل" وفق الأحكام الفقهية في خمسة وعشرين مجلدًا، ومع ذلك فقد ترك الدنيا وكأنه رجل أمي لم يخط حرفًا، فضلاً عن أن ينشئ هذا العمل الضخم، وإن قليلاً جدًا هم الذين أحسُّوا فقده، ولسنا نأسى على الموتى، فقد أفضوا على الله تعالى الذي يضاعف الحسنات، وإنما نأسى على الأحياء الذين لا يحسنون الانتفاع بثمرات المجددين الذين عاشوا مع الزمن يدفعون عن الإسلام، ويحرسون أركانه، ويجلون بريقه.

إن الكتابة العلمية الواجبة في هذا العصر يجب أن تتسع وتطرد، وهناك أمور ذات بال نحب أن نلفت إليها حتى يؤدي القلم حق الإسلام عليه في ذكاء وحصافة ومقدرة، وفق مقتضيات الأزمات.

٧٣-صفات وأخلاق الدعاة:

أما أخلاق الدعاة وصفاهم التي ينبغي أن يكونوا عليها، فقد أوضحها الله جل وعلا في آيات كثيرة، في أماكن متعددة من كتابه الكريم.

(أولا) منها: الإخلاص، فيجب على الداعية أن يكون مخلصًا لله - عز وجل-، لا يريد رياء ولا سمعة، ولا ثناء الناس ولا حمدهم، إنما يدعو إلى الله يريد وجهه - عز وجل -، كما قال سبحانه: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ} (١٠٨) سورة يوسف، وقال عز وجل: {وَمَنْ

أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) (٣٣) سورة فصلت، فعليك أن تخلص لله - عز وجل -، هذا أهم الأخلاق، هذا أعظم الصفات أن تكون في دعوتك تريد وجه الله والدار الآخرة.

(ثانيا) أن تكون على بينة في دعوتك أي على علم، لا تكن جاهلا بما تدعو إليه: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) (١٠٨) سورة يوسف. فلا بد من العلم، فالعلم فريضة، فإياك أن تدعو على جهالة، وإياك أن تتكلم فيما لا تعلم، فالجاهل يهدم ولا يبني، ويفسد ولا يصلح، فاتق الله يا عبد الله، إياك أن تقول على الله بغير علم، لا تدعو إلى شيء إلا بعد العلم به، والبصيرة بما قاله الله ورسوله، فلا بد من بصيرة وهي العلم، فعلى طالب العلم وعلى الداعية، أن يتبصر فيما يدعو إليه، وأن ينظر فيما يدعو إليه ودليله، فإن ظهر له الحق وعرفه دعا إلى ذلك، سواء كان ذلك فعلا أو تركا، فيدعو إلى الفعل إذا كان طاعة لله ورسوله، ويدعو إلى ترك ما نهى الله عنه ورسوله على بينة وبصيرة..

(ثالثا) من الأخلاق التي ينبغي لك أن تكون عليها أيها الداعية، أن تكون حليمًا في دعوتك، رفيقًا فيها، متحملا صبورًا، كما فعل الرسل -عليهم الصلاة والسلام -، إياك والعجلة، إياك والعنف والشدة، عليك بالصبر، عليك بالحلم، عليك بالرفق في دعوتك، وقد سبق لك بعض الدليل على ذلك كقوله - جل وعلا -: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (١٢٥) سورة النحل، وقوله سبحانه: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) (١٥٩) سورة آل عمران، وقوله - جل وعلا - في قصة موسى وهارون: (فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (٤٤) سورة طه، وفي الحديث الصحيح يقول النبي صلى الله عليه وسلم:"اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به ومن ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه"أخرجه مسلم في الصحيح، فعليك يا عبد الله أن ترفق في دعوتك، ولا تشق على الناس، ولا تنفرهم من الدين، ولا تنفرهم بغلظتك ولا بجهلك، ولا بأسلوبك العنيف المؤذي الضار، عليك أن تكون حليمًا صبورًا، سلس القياد لين الكلام، طيب الكلام حتى تؤثر في قلب أخيك، وحتى تؤثر في قلب المدعو، وحتى يأنس لدعوتك ويلين لها، ويتأثر بها، ويثني عليك بها ويشكرك عليها، أما العنف فهو منفر لا مقرب، ومفرق لا جامع..

ومن الأخلاق والأوصاف التي ينبغي بل يجب أن يكون عليها الداعية، العمل بدعوته، وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه، ليس من يدعو إلى شيء ثم يتركه، أو ينهى عنه ثم يرتكبه، هذه حال الخاسرين نعوذ بالله من ذلك، أما المؤمنون الرابحون فهم دعاة الحق يعملون به وينشطون فيه ويسارعون إليه، ويبتعدون عما ينهون عنه، قال الله - جل وعلا-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) (٣) سورة الصف، وقال سبحانه موبخًا اليهود على أمرهم الناس بالبر ونسيان أنفسهم: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ) (٤٤) سورة البقرة.

وصح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال:"يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع عليه أهل النار فيقولون له يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه"هذه حال من دعا إلى الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم خالف قوله فعله وفعله قوله، نعوذ بالله من ذلك.

فمن أهم الأخلاق ومن أعظمها في حق الداعية، أن يعمل بما يدعو إليه، وأن ينتهي عما ينهى عنه، وأن يكون ذا خلق فاضل، وسيرة حميدة، وصبر ومصابرة، وإخلاص في دعوته، واجتهاد فيما يوصل الخير إلى الناس، وفيما يبعدهم من الباطل، ومع ذلك يدعو لهم بالهداية، هذا من الأخلاق الفاضلة، أن يدعو لهم بالهداية ويقول للمدعو هداك الله، وفقك الله لقبول الحق، أعانك الله على قبول الحق، تدعوه وترشده وتصبر على الأذى، ومع ذلك تدعو له بالهداية، قال النبي - عليه الصلاة والسلام - لما قيل عن (دوس) إنهم عصوا، قال:"اللهم اهد دوسا وأت بهم". تدعو له بالهداية والتوفيق لقبول الحق، وتصبر وتصابر في ذلك، ولا تقنط ولا تيأس ولا تقل إلا خيرًا، لا تعنف ولا تقل كلامًا سيئا ينفر من الحق، ولكن من ظلم وتعدى له شأن آخر، كما قال الله - جل وعلا -: (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) (٤٦) سورة العنكبوت، فالظالم الذي يقابل الدعوة بالشر والعناد والأذى، له حكم آخر، في الإمكان تأديبه على ذلك بالسجن أو غيره، ويكون تأديبه على

ذلك على حسب مراتب الظلم، لكن ما دام كافا عن الأذى، فعليك أن تصبر عليه، وتحتسب وتجادله بالتي هي أحسن، وتصفح عما يتعلق بشخصك من بعض الأذى، كما صبر الرسل وأتباعهم بإحسان.

وأسأل الله - عز وجل - أن يوفقنا جميعا لحسن الدعوة إليه، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا، وأن يمنحنا جميعا الفقه في دينه، والثبات عليه، ويجعلنا من الهداة المهتدين، والصالحين المصلحين، إنه جل وعلا جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

٧٤-الداعي ومؤهلاته العلمية والخلقية[١]:

إن من العوامل الهامة في نجاح الدعوة اختيار الداعي لما له من مكانة هامة في تبليغ الدعوة ونجاحها بل هو حجر الزاوية فيها، لذا لابد أن يختار اختياراً دقيقا بعناية خاصة، فلو نظرنا في اختيار الله لرسله وأنبيائه عليهم السلام لوجدنا عناية ظاهرة في اختيارهم ثم تربيتهم.

---

[١] بقلم: أ. سارة بنت عبدالرحمن الفارس

ولما كانت الدعوة هي وظيفة الرسل كان لزاماً علينا أن نهتم باختيار حملتها ونركز على تربيتهم لأنهم خلفاء الرسل والأنبياء في هذه الوظيفة العظيمة (١).

لذا كان لابد من تأهيل الداعي علمياً وخلقياً قبل أن يتولى أمر هذه الدعوة كما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: (تعلموا قبل أن تسودوا) (٢).

لذا لابد للداعي قبل أن يتولى مهمة الدعوة أن يؤهل تأهيلاً علمياً وخلقياً.

مؤهلات الداعي العلمية:

مؤهلاته العلمية: وتشمل أمرين علمه بالأحكام الشرعية ومعرفته بأحوال المخاطبين.

أ-علمه بالأحكام الشرعية:

إذا كان العلم الشرعي ضرورياً لكل مسلم، فالداعي إلى الله أكثر الناس ضرورة وحاجة إلى هذا العلم، لكن لابد أن يكون هذا العلم متفق مع ما أنزله الله في كتابه وما بينه رسوله في سنته، وليس نابع من الأهواء والأفكار التي لم تقم على أساس وأصل شرعي ومنهج رباني سليم (٣) وذلك بالقدر الذي يؤهله ويعينه على تبليغ الدعوة إلى المدعوين أي بأن يكون لديه قدر من العلوم الشرعية التي تمكنه من أداءه لواجبه على الوجه الصحيح،لكن لا يشترط أن يكون عالمًا ملماً بمعظم العلوم الشرعية إنما يكون لديه علم بالمسألة التي يدعوا إليها، فيكون عالماً بما يأمر به وعالماً بما ينهى عنه.

ب- معرفته بأحوال المخاطبين:

لا شك أن المدعوين على أصناف وأنواع عدة، سواء أكان من حيث الدين، أواللغة، أو الثقافة والحضارة، أو الغنى والفقر، أو الرفعة والسؤدد، أو الظروف الزمانية والمكانية المحيطة بالمدعو.

لذا يجب على الداعي أن يتعرف على كل من يدعوهم من جميع النواحي، وأن يأخذ العدة اللازمة التي تعينه في دعوته وتسهل له مهمته.

فقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يسأل عن الوفود، وعن أصلهم كما حدث ذلك مع وفد عبد القيس بقوله: (من القوم؟ أو من الوفد؟) وقد كان استفساراته ليتمكن من التعرف على من قدم عليه صلى الله عليه وسلم ليراعي أحوالهم وينزلهم منازلهم.

إن معرفة الداعي بأحوال المدعوين والوقوف على حقائق دياناهم من لوازم إعداد الداعي حتى ينطلق منها لدعوهم ويقيم عليهم الحجة بها، فيكون لذلك أثراً عظيماً في استجابتهم وقبولهم.

مؤهلات الداعي الخلقية:

إن من أهم ما يجب على الداعي المسلم أن يتحلى بحسن الخلق في شخصيته وفي دعوته ومعاملته مع المدعوين؛ لأن حسن الخلق ذو تأثير فعّال في الناس فهو أبلغ من القول- فقط - ومن أهم ما يجب أن يتحلى به الداعي ما يلي:

١-الإخلاص والتقوى:

إن من أهم ما يجب على الداعي أن يتحلى في دعوته بالإخلاص حتى يقبل عمله و تثمر دعوته فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى (٤)، فإذا كانت دعوته من أجل الله والحصول على رضاه نال بذلك الأجر، وكان ذلك أدعى لقبول دعوته.

والتقوى أيضاً من الأمور الهامة التي يجب على الداعي أن يتصف بها لأن دعوته توقيع عن رب العالمين فإذا كان تقياً ورعاً تثبت من النقل وتحرى الصواب وتورع من الفتوى على الله بغير علم.

٢- الصدق والأمانة:

الصدق من الصفات الجليلة التي يدعو إليها الداعي، فلابد أن يمتثل بها ويتحرى الصدق في أقواله وأعماله، لأن الصدق مصدر ثقة المدعوين به والالتفات حوله ومتابعته، كما أن الأمانة صفه مهمة لا تنفصل عن كيان الداعي لأن الناس في العادة تأمن الداعي على الأموال والأعراض والأسرار، والداعي بحكم وظيفته ملتقى لودائع مادية وأدبية، فلابد أن يكون عند حسن الظن (٥).

٣- الرفق والحكمة:

الرفق والحكمة من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعي فمتى كان الداعي رفيقاً حكيماً عرف كيف يتصرف في المواقف ويعالجها بما يناسبها (٦)، فيكون رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، كما كان ذلك هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - ورفقه مع الأعراب، وحديثي العهد بالإسلام، فالله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق مالا يعطي على سواه (٧).

والحكمة من الصفات الهامة التي يحتاجها الداعي في جميع أموره، و بها يزن الأمور، والمواقف، ويعرف متى يدعو ومتى يحجم في الوقت غير المناسب، وكيف يتدرج مع المدعو فالدعوة كلها في موضوعها وأساليبها ووسائلها مفتقرة إلى حكمة الداعي قال تعالى: (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ) (٨).

٤- التواضع:

التواضع سلوك لابد منه للداعي؛ لأن الداعي بحاجه أن يكون على صلة مستمرة بالناس وقريباً من قلوبهم (٩)، فالمدعوين فيهم الغني والفقير، والشريف والوضيع، والكبير والصغير، ولن يستطيع أن يتعامل مع هؤلاء الأصناف إلا إذا كان متواضعاً ولن يستجيبوا له ويحبوه إلا إذا كان كذلك لأن من طبيعة الناس التي جبلهم الله عليها أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم، وإن كان ما يقوله حقاً وصدقاً، هكذا جبلت طبائع

الناس فإنهم ينفرون عن المتكبر ويغلقون قلوبهم دون كلامه ووعظه وإرشاده فلا يصل إليها من قوله شيء بل قد يكون ذلك سبباً إلى كرههم الحق منه ومن غيره (١٠).

ومهما بلغ الداعي من الفضل والعلم والمنصب لابد له من التواضع فهذا النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - سيد الخلق أجمعين ومعلم الدعاة كان يتواضع مع عامة الناس يخالطهم ويجلس جلستهم، ويأكل من طعامهم، ويقضي حوائجهم، لذا على الداعي أن يتأسى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأن يتجنب شتى مظاهر الكبر(١١) ويوطن نفسه على التواضع ولين الجانب.

٥- الصبر:

الدعوة إلى الله وظيفة عظيمة وأمانة كبيرة وحملها يحتاج إلى صبر ومجاهدة وتضحية، لذا اختار الله لها أعظم الخلق صبراً وتحملاً وتضحية والداعي إلى الله يواجه الناس ويعارض شهواتهم ورغباتهم فهو يصادم ما يريدون فلابد أن يجد معاناة الرفض والأذى و الإهانة، لذا لابد أن يتحلى الداعي بهذه الصفة حتى يصمد ويستمر في دعوته حتى يلقى الله، قال تعالى: (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) (١٢)،يقول سيد قطب - رحمه الله -: (وذلك ليثبت على هذه الدعوة أصلب أصحابها عوداً فهؤلاء هم الذين يصلحون لحملها والصبر عليها...) (١٣).

فلابد أن يدرب الداعي نفسه على تحمل أذى أهل الكتاب من النصارى وغيرهم ويتعلم كيف يحلم عليهم وهو يدعوهم إلى الحق (١٤).

٦- موافقة العمل للقول:

إن هذه الأخلاق الحميدة وغيرها مما يدعو إليه الداعي من سائر العبادات والأحكام الشرعية، لابد أن يطبقها عملياً في واقع دعوته ومع نفسه، ويجتهد بالتحلي والإنصاف بها؛لأن حسن

الخلق، والتخلق بمكارم الأخلاق سبب رئيس لمحبة الداعي والتأثر به والالتفات حوله ثم أن هذه الأخلاق الحميدة هي موضوع دعوته التي يدعو إليها فلابد أن يفعل ما يقول وأن يطبق ما يدعو إليه؛ لأن المدعوين يريدون أن يروا في الداعي هذا المعنى السامي الذي يدعوا إليه فيكون ذلك تصديقاً لما يقول، وفي الغالب أن عامة الناس يتأثرون بأفعال الدعاة أكثر من أقوالهم، والمدعوين لا يستجيبوا لمن يقول لهم خذوا قولي واتركوا فعلي (١٥).

وقد عاتب الله سبحانه هؤلاء بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ)(١٦)، وروى البخاري في صحيحه عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت أمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه) (١٧).

لكن مع ذلك لا يتوقف الداعي عن الدعوة بحجة أنه لم تتوفر فيه كل المؤهلات العلمية والخلقية ولكن عليه أن يجتهد في تحصيلها قدر ما يستطيع لأن التقصير في أمر العبادات والأخلاق وارد على المسلمين جميعاً ولا عصمة لأحد من ذلك إلا من عصمه الله، فلو قصرنا الدعوة على العلماء والأتقياء فقط، لحدث في جوانب الدعوة نقص كبير و لم نجد المعصوم.

ولكن معرفة الأمور التي ينبغي أن يتصف بها الداعي مطلب تربوي يسعى إليه الدعاة.

الهوامش:

(١) انظر الدعوة إلى الله في السجون،(١٥٨).

(٢) فتح الباري، باب الاغتباط في العلم والحكمة، رقم (١٢٩) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، بدون طبعة، (دار المعرفة:بيروت،بدون تاريخ).

(٣) انظر: منهج الداعية في دعوته لغير المسلمين، ص (١٩).

(٤) البخاري، باب بدء الوحي، رقم ١(١٢).

(٥) مؤهلات الداعية المسلم العلمية والخلقية، أحمد العدناني، ط١ (دار لينة: القاهرة، ١٤١٨هـ) ص (١٣٥).

(٦) صفات الداعية، صالح العليوي، ط١ (دار القاسم) الرياض، ١٤١٦هـ) ص(٣٤).

(٧) مسلم، باب فضل الرفق،رقم ٢٥٩٢(٤٢٠٠٣).

(٨) سورة النحل: (١٢٥).

(٩) صفات الداعية الناجح ص (٤٥).

(١٠) أصول الدعوة، ص (٣٦٣).

(١١) مؤهلات الداعية المسلم، ص (١١٣).

(١٢) سورة آل عمران: (١٨٦).

(١٣) ظلال القرآن، سيد قطب، ط٨ (دار الشروق:القاهرة، ١٣٩٩م) (١٥٣٩).

(١٤) انظر: المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي، ط٦ (دار الدعوة:الكويت، ١٤١٢هـ) ص (٥٧).

(١٥) المصفى من صفات الداعية، ص(٢٩).

(١٦) سورة الصف: (٢).

(١٧) مسلم، التكلم بالكلمة يهوى بها في النار، رقم ٢٩٨٩(٤٢٢٩٠)

٧٥-أفق الداعية بين الضيق والسعة[١]:

---

[١] أ. حسن الأشرف /إسلام أون لاين

الأفق الدعوي الرحب هو تلك المساحة التي تمتد أمام كل داعية إلى الله، ليمنحه بصيرة غير محدودة تدفعه لسبر أغوار الحقيقة، والنفاذ إلى عمق الأمور في شتى شئون الدين والحياة عامة، وفي مسائل الدعوة المباركة و قضاياها بصفة خاصة.

لكن الأفق لا يكون دائما واسعا ورحبا، بل تعتريه في أحايين كثيرة أعراض الضيق مما يفضي بالداعية إلى مجانبة التقدير الصحيح وعدم وضع الأمور في نصابها.

فما مظاهر الضيق في أفق الداعية إلى الله؟ وأين تكمن الأسباب المؤدية إلى هذه الحالة؟ و هل من مخرج يضمن عودة الداعية إلى جادة دعوته بأفق واسع رحب؟

أسباب تؤدي لضيق الأفق:

لعل من أهم الدواعي التي تؤدي إلى تشكل أفق ضيق عند الداعية إلى الله عز وجل:

١/ التهاون في طلب العلم، وعدم تتبع مسائل العلم في مختلف مناحيه،والنهل من معينه الذي لا ينضب؛ فالجهل لا يفضي في نهاية المطاف إلا إلى نوع من العجز عن قراءة الواقع واستشراف المستقبل، من خلال هذه القراءة الواقعية للمجتمع وما يختلج فيه.

٢/ محدودية قدرة الداعية على التأمل والنظر والتفكر والتدبر، وهي محددات أساسية لبلوغ الداعية سقف الاطلاع والرحابة في التفكير والتعبير، ومن ثَم التواصل مع الغير من أفراد المجتمع.

٣/ وقوف الداعية عند حروف الألفاظ، وعدم نفاذه إلى معانيها وحمولاتها، فيكون الفهم قاصرا عن إدراك الضروري إدراكه، فيستخلص الداعية عن هذا الفهم القاصر للنص أحكامًا اجتهادية قاصرة المعنى أيضًا؛ لأن المنطلق الأصلي كان خاطئًا، فكيف لا يؤثر على النتائج؟.قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: (رُب شخص يفهم من النص حكما أو حكمين ويفهم منه الآخر مائة أو مائتين).

٤/ التبعية العمياء للشيخ؛ إذ تجد الداعية أو طالب العلم لا ينظر إلا من خلال نافذة شيخه، فإن كانت نافذة الشيخ نافذة واسعة يدخلها الضوء والهواء الكافيان لتنفس شرعي واضح المعالم والحدود دون إفراط ولا تفريط، كانت نافذة الداعية أيضا على مقياس وشاكلة نافذة الشيخ، وإلا فلا، والتقيد الحرفي الصارم بنظرة الشيخ لا شك أنه يخلق عند الداعية ذهنية خمولة بليدة، غير قادرة على النقاش والاجتهاد، بعيدة عن ملَكة الإبداع وتقديم الدعوة في لباس عصري جذاب يثير المدعوين خاصة فئة الشباب منهم.

٥/ الخلل في ترتيب الأولويات عند الداعية إلى الله، وهذا مرده الجهل بفقه الأولويات، فينبغي وضع كل شيء في مرتبته بالعدل من الأحكام والقيم والأعمال، ثم يقدم الأَوْلى فالأوْلى بناء على معايير شرعية صحيحة يهدي إليها نور الوحي ونور العقل، فيوضع كل شيء في موضعه بالقسطاس المستقيم بلا طغيان ولا خسران، مصداقاً لقول الله تعالى: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِ وعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ وجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ واللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظالِمِينَ (١٩) الذِينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا وجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَة عِندَ اللهِ وأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ) (التوبة:٢٠)، والداعية الذي لا يمتلك ميزان فقه الأولويات يسقط في فخ المصلحة الآنية إن عاجلا أم آجلا؛ الأمر الذي يضر بالداعية نفسه وبالدعوة برمتها.

٦/ الغلظة والتشديد في الدعوة، فنجد الداعية الذي لا يمتلك نواصي الأفق الرحب يؤاخذ الناس حتى على تقصيرهم في بعض الأمور المستحبة، فيدعوهم بشيء من الغلظة والجفاء كأنهم تركوا أمرًا واجبًا، أو فرضًا لا يجوز تركه بحال من الأحوال.

السبيل إلى سعة الأفق:

يستطيع الداعية إلى الله تعالى أن يوجه طاقاته وجهوده إلى أهداف محددة، على ضوء القرآن والسنة، بالفهم الصحيح والدقيق لحقيقة الإسلام وقواعده، ذلك أن الدين الإسلامي مليء بالحقائق والقواعد والمفاهيم التي تساعد على سعة الأفق، ويجب فهم هذه الحقائق فهمًا

سليمًا وصحيحًا، كما أن تواضع الداعية، وتدريب نفسه على التعلم مهما بلغ في مجال الدعوة من شأن، يفتح الآفاق الواسعة والبصائر النافذة، ويطرد الكبرياء والغرور الذي يصيب كل داعية في صلب عطائه وإخلاصه.

ثم إن الدعاة سعاة، فينبغي على الداعية أن يذهب إلى المدعو؛ ففي تحرك الداعية نحو الآخر، واحتكاكه به ومعرفة واقعه وطريقة عيشه، والاطلاع على آماله وآلامه، تتسع مدارك الداعية إلى الله، ويتسع أفقه ليشمل الغير دون تهميش لهذا أو ذاك، ودون إقصاء لفلان أو علان، أو تكبر على هذا الشخص أو ذاك، والداعية مطالب بأن يتسع أفقه لعموم الناس،الموافقين والمخالفين على السواء.

ولكي يُبعد الداعية إلى الله عن نفسه داء ضيق الأفق، عليه أن يدربها على النفور من ادعاء امتلاك الحقيقة، وأن يمزق شعار: قولي صوابٌ لا يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ لا يحتمل الصواب؛ إذ يجب على الداعية أن يتربى على الاستعداد الصادق لسماع ما عند الآخر، وأن يترك الفرصة له للتعبير عن بنات أفكاره وآرائه، بدون إشعاره أن ما يقوله تافه أو غير مجد أو خاطئ حتمًا.

يقول الأستاذ عبد الله بن العيد، الباحث في الدراسات الإسلامية: (إنه من المؤسف حقًا أن نجد الداعية لا يمتلك القدرة على سماع الغير وتقدير ما عندهم من أفكار وآراء، بل يمكن أن تعرض على الداعية أحيانا الآراء المخالفة وذهنه مغلق خارج التغطية، متيقنا -عن سابق إصرار وترصد- بأن ما سيقال له مجرد ترهات وأباطيل لا أصل لها من الحقيقة؛ فعنده الحكم على الأمور والأشياء بمقياس: إما أبيض أو أسود! والواجب أن يلزم نفسه بسماع ما عند المدعو وغير المدعو ثم يحكم بقبوله أو رده بالدليل الشرعي، مع إيجاد العذر للمخالف، لا الرفض من أجل الرفض انطلاقا من هواه الشخصي)، فالتجرد للحق معين عظيم على سعة الأفق ولا شك.

وليأخذ الداعية المصاب بداء ضيق الأفق الحكمة والموعظة من قصة الفقيه إسحاق بن راهويه الذي التقى بالإمام الشافعي في مكة، فتناظرا حول مسائل عديدة، والعجيب أنهما في بعض المسائل رجع الشافعي إلى قول إسحاق، ورجع إسحاق إلى قول الشافعي، كل واحد منهما أعجبته حجة الآخر ودليله، فقال بها، وهذا نموذج الانتصار للحق فقط والتجرد له، بعيدا عن الهوى أو الغرور أو الكبر بما عند الداعية من علم أو شهرة.

كما أنه من المعينات على سعة الأفق عند الداعية ضرورة نهجه لخطة واضحة الوسائل والأهداف، بغية الانفتاح على ثقافات الغير وواقعهم، وتعلم ممارسة فنون الدعوة العملية من خطابة ومحاضرة، ودرس، وحوار، ومناظرة ووسائل أخرى، والاعتناء باللغات الأخرى غير العربية؛ وهو ما يمنح الداعية اطلاعًا واسعًا ينفي عنه سمة الضيق في أفقه وطريقة تفكيره.

وقبل هذا وذاك، الداعية الحريص على أن يكون أفق دعوته ممتدًا أمامه لا يحده حاجز، يجدر به أن يكون خلقه حاميًا لعلمه ومعرفته الشرعية من أخطار الانزلاق في سراديب الشهوات ومتاهات النزوات، ومن هذه الأخلاق الحامية له أن يكون أمينًا على شئون الدعوة المباركة، بالتواضع أمام من هو أعلم منه وأفقه، ورد الأمر له، الشيء الذي يكسر جذوة الرغبة في احتكار المعرفة المفضية إلى ضيق الأفق، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) رواه الترمذي وحسنه.

٧٦-ضوابط الدعوة إلى اللّه:

الدعوة إلى الله واجب على كل مسلم ومسلمة،وهي المهمة التي كلف الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلف بها هذه الأمة كما قال تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ) [١١٠] سورة آل عمران،فقد خلق الله تعالى الجن والإنس لعبادته فقال سبحانه: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (٥٦) سورة الذاريات، وهذه العبادة تحتاج إلى بشر يبلغون عن الله جل وعلا، و الدعوة إلى الله هي

التي من أجلها شرّف الله أمة الإسلام، فجعلها بذلك خير أمة أخرجت للناس، لأنها حملت رسالة الله إلى العالمين.

وبما أن هذا الدين خاتم الأديان، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء؛ لذلك فلابد من المتابعة في نشر هذا الدين، والدعوة إليه، تنفيذاً لأمر الله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (١٠٤) سورة آل عمران،وخطاب التكليف في هذه الآية الكريمة شامل للرجال والنساء،وهنا مساواة بين المرأة والرجل في أصل التكليف دون التصدر للميادين العامة؛ لأن ذلك من شأن الرجال دون النساء، والأصل أن قيام المرأة بالدعوة بين بنات جنسها،ونتيجة لذلك تعين بيان ضوابط العمل الدعوي بشكل عام،وبيان الضوابط التي تخص المرأة،فعلى المسلم سواءً كان رجلاً أو امرأة أن يلتزم بعدة ضوابط حتى يثمر عمله ويصل إلى الهدف الأساس الذي من أجله تم القيام بهذا العمل.

الضوابط العامة للعمل الدعوي:

- الاهتمام بالتأهيل العلمي:وذلك بتحصيل العلم الشرعي، والتفقه في الدين؛ ليكون ما يقوم به الداعية من نشاط دعوي مثمراً وعلى بصيرة،لقوله تعالى((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي..))أي على علم.

- الاعتماد على القرآن الكريم،والتمسك بالسنة النبوية المطهرة:إن الداعية يحتاج على الدوام إلى الرجوع لكتاب الله تعالى،وسنة نبيه الكريم؛ ليعمل ما يرضي الله من خلال شرعه المطهر من خلال جميع الأقوال والأفعال ليتم دفع الشبهات والابتعاد عن الشهوات، فما يوافق الكتاب والسنة يأخذ به ويدعو إليه وما يخالفهما يبتعد عنه ويُحَذِّر منه.

- سلامة الوسيلة وضمان مشروعيتها:وذلك بأن تكون موافقة للشرع المطهر وخالية من أي انحراف قد يخل بالهدف المنشود من استخدامها.

- التركيز على المحكمات:وذلك بالعودة إلى الأمور البينة الواضحة التي لا التباس فيها،وترك ما فيه اشتباه على كثير من الناس تجنباً للاختلاف والفتنة وحرصاً على تبليغ الدعوة للمدعوين في قالب بيِّن واضح.

- التدرج في الدعوة: وهذا إتباع لما جاء في حديث معاذ بن جبل عندما بعثه عليه الصلاة والسلام إلى اليمن وأوصاه بأهلها خيراً؛ فقال له:"ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله أفترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم"، وهذا ما يسمى بسلم الأولويات، حيث لا نبدأ بالفروع الفقهية الخلافية ونترك أمر العقيدة على سبيل المثال.

- التيسير المبني على الدليل إتباعاً لما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم"يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا"، والرسول صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما.

- الحكمة:وهي القيام بالعمل في الوقت المناسب، ومراعاة المكان المناسب أيضاً، ومراعاة الجوانب الأخرى للعمل الدعوي من طبيعة المدعوين وظروفهم واحتياجاتهم وفئاتهم العمرية.

- البعد عن التعصب:وذلك بتجنب الانحياز لمذهب دون مذهب،أو عالم دون آخر،فيجب أن يكون الهدف إظهار الحق وتبليغه للناس وإن كان مخالفاً لرأي آخرين،فالتعصب والتطرف من خطوات الشيطان،والأئمة الأربعة جميعهم أئمة هدى ودعاة حق،وإن وقع ما وقع من خلاف في الفروع بينهم.

- إنزال الناس منازلهم:وهي من الأمور المهمة التي يجب مراعاتها والتنبه لها،فالتعامل مع الناس يكون وفق أقدارهم،فالكبير يكون له قدر من التقدير والاحترام،والصغير يتم التعامل معه بالرحمة،والعلماء لهم قدرهم الخاص ويكون التعامل معهم بالإجلال والتوقير.

- القدوة الحسنة:وذلك بأن يكون الداعية قدوة في نفسه،وفي أسلوب تعامله،وسلوكه،وأن يتخذ الجميع رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة لهم،قال تعالى((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)) (٢١) سورة الأحزاب.

- مراعاة المصالح والمفاسد: فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح،وهذه قاعدة شرعية لا بد من مراعاتها، وعند تعارض المصلحتين ينظر في أعلاهما، وعند تعارض المفسدتين يتجنب أعظمهما ضررا.

أما الضوابط الخاصة بالمرأة فهي:

١- قرار المرأة في البيت وهذا هو الأصل، وعدم خروجها إلا للحاجة،مع عدم الخروج إلا بإذن الزوج، قال تعالى: ((وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)) [الأحزاب:٣٣] وقال صلى الله عليه وسلم:"المرأة عورة، فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان حتى ترجع".

٢- التزام الحجاب الشرعي لأنه وسيلة التقوى،قال تعالى ((وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ)) (٣١) سورة النور.

٣- تحريم سفرها دون محرم، قال صلى الله عليه وسلم"لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم".

٤- الموازنة بين الواجبات الأصلية والواجبات الدعوية، بحيث لا تؤثر الاهتمامات الدعوية على المسؤوليات الأسرية الواجبة عليها، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم:"والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها".

٥- مخالطة النساء بالقدر المناسب؛لدعوتهن ولتلمس حاجاتهن للنصح والإرشاد،والتعرف على طبيعتهن.

٦- مراعاة الضوابط الشرعية في التعامل مع الرجال وهي:

- تحريم خلوتها بالأجانب، لقوله صلى الله عليه وسلم:"لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم"وفي رواية:"إلا كان الشيطان ثالثهما"، وقال صلى الله عليه وسلم"إياكم والدخول على النساء".

- البعد عن الاختلاط بالرجال الأجانب مهما كانت ظروفه وأحواله، فقد قال صلى الله عليه وسلم للنساء:"استأخرن، فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق"، فكانت المرأة تلتصق بالجدار، حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به.

- من الأفضل عدم التحدث إلى الرجال إلا للحاجة، مع عدم اللين في القول، وضمان عدم الفتنة.

٧٧-كلنا دعاة[1]:

عبادة الله سبحانه وتعالى غاية الغايات (ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)والدعوة لهذه الغاية أشرف الدعوات، من أجلها بعث الله رسله، وفي سبيلها أفنى المرسلون أعمارهم، قضى فيها نوح عليه السلام ألف عام إلا خمسين [قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا ... ثم إني دعوتهم جهارا، ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا].

ويوسف عليه السلام لم يتركها حتى وهو في السجن [ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون أم الله الواحد القهار]، وختم الله الرسل بالمصطفى محمد فانتدب ليله ونهاره للدعوة إلى الله، وارتبط بها فرحه وحزنه، يتنكب الكافرون طريق الحق فيحزن حتى تكاد نفسه تتقطع [فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا]، و تدخل الهداية قلب المهتدين فيطير بشرا وفرحا إيا ما كان هذه المهتدي.

---

[1] الشيخ / محمد العمير

روى البخاري عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمْ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ)، واستمر النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته حتى نزل به مرض الموت فبقي خمسة أيام لا يصلي بالناس من شدة الحمى، و أمر أبا بكر أن يؤم الناس، فلما كان اليوم الذي مات فيه اطلع عليهم يصلون خلف أبي بكر ففرح ورضي.

روى البخاري بسنده عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ وَكَانَ تَبِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَخَدَمَهُ وَصَحِبَهُ (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ فَكَشَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنْ الْفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَارِجٌ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَشَارَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ وَأَرْخَى السِّتْرَ فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ)، فرح صلى الله عليه وسلم حين رآهم مطيعين أمره في الائتمام خلف أبي بكر رضي الله عنه، و مطيعين أمر الله في الصلاة التي كانت وصيته في مرضه، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: (كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَهُوَ يُغَرْغِرُ بِنَفْسِهِ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ).

ومات صلى الله عليه وسلم وترك تبعة تبليغ هذا الدين، وحمل الرسالة إلى أمته التي نادى فيها بقوله: (بلغوا عني ولو آية)، فأحسن الصحابة رضوان الله عليهم حملها و قدموا أمرها على كل شيء حتى بلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار بفضل الله ثم بفضل أولئك الحملة والدعاة من الصحابة والتابعين لهم من سلف هذه الأمة، الذين حملوا هذا الدين إلى الدنيا مرة على صهوات الجياد، و مرات عبر الكلمات الصادقة والأخلاق الفاضلة التي تحلت بها قوافل الدعاة

والتجار وعمار الأرض من المسلمين، ووصل الإسلام إلينا نحن مسلمي هذا الزمان بمآثره و مفاخره، بصفحاته التي سطرت بالنور، ونجاحاته التي أقر بها المنصفون، فماذا نحن صانعون؟

ونحن نعيش في عصر تقارب الاتصال، وتصارع الثقافات، في عصر انكشاف عمل كل أمة لمبادئها، نعم لقد تبارت الأمم في نصرة دياناتها الباطلة، ونفرت الفرق لنشر مذاهبها الهدامة، وتحزبت الأحزاب وتداعت و تحالفت لتصطف صفا واحدا في وجه دعوة هذا الدين دعوة الحق، وجندت لهذه الغاية الألسن والأقلام والسياسة والاقتصاد ومصانع السلاح و الجيوش، وذاقت البشرية من جراء ذلك ويلات الانحراف عن دين الله. وليس لها من مخرج إلا أن تُهدى إلى هذا الدين،ومهمة الهداية واجب كبير وعمل عريض طويل يستوعب المسلمين جميعا، كل بحسب قدراته، وكل حسب موقعه، و إن أشكال الدعوة إليه من الكثرة بعدد أنفاسنا.

إن واجب الدعوة ليتوجه إلى كل مسلم يحفظ آية من كتاب الله، أو يعرف صورة من جمال هذا الدين، وإن من الخطأ الفادح التعلل بحصر الدعوة في فئة معينة من العلماء أو أصحاب مراكز وظيفية معينة، كما أن من الخطأ حصر الدعوة في أعمال محدودة من المحاضرات والأعمال الجماهيرية التي يحسنها فريق خاص، فينحصر دور بقية المسلمين في التلقي دون أن تكون لهم مشاركة.

إن الدعوة لهذا الدين محاولة لصياغة الحياة وفق منهج الله، إنها صناعة للحياة التي تحتاج إلى جهد العالم واللغوي والخبير والتقني والتاجر والصانع وغيرهم و غيرهم، فمن أحسن شيئا من مناحي صناعة الحياة فينبغي أن يدلي بدلوة، ويضم جهده مع إخوانه الدعاة، حتى لو كان عنده تقصير في التزامه بالإسلام، إن أصحاب الأخطاء والمعاصي مدعوون إلى المشاركة في الدعوة إلى الله بالجهد الذي يستطيعون وفي الفن الذي يتقنون، ولا ينبغي أن يضيفوا إلى تقصيرهم في العبادة والالتزام بسنن الإسلام تقصيرا في الدعوة، ولا ينبغي أن يضيف المذنبون إلى ذنوبهم تقهقرا عن نصرة هذا الدين.

ولنا في قصة أبي محجن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبرة؛ فقد كان رضي الله عنه مع حبه لله ورسوله ودينه، كان مع ذلك مبتلى بشرب الخمر، فلم يمنعه ذلك من المشاركة في الجهاد فخرج مع سعد بن أبي وقاص في القادسية، فشرب وأتي به سكران إلى سعد فقيّده، وكان بسعد جراح فلم يستطع نزول الميدان وصعد فوق البيت لينظر ما يصنع الناس، فجعل أبو محجن يتألم ألا يشارك في الجهاد ويتمثل

كفى حزنا أن ترتدى الخيل بالقنا وأترك مشدودا عليّ وثاقيا

ثم قال لامرأة سعد فكي أسري فلك علي إن سلمت أجيء حتى أضع رجلي في القيد، فخلته و وثب على فرس لسعد يقال لها البلقاء، ثم أخذ الرمح وانطلق فجعل لا ياتي على ناحية إلا هزمهم الله، فجعل الناس يقولون هذا مَلَك، وسعد ينظر ويتعجب ويقول: الضبر ضبر البلقاء، والطفر طفر أبي محجن، وأبو محجن في القيد، فلما هزم العدو رجع أبو محجن حتى وضع رجليه في القيد، و لما علم سعد بأمره خلى سبيله، فقال أبو محجن: والله لا أشربها أبدا، وأنشد:

رأيت الخمر صالحة وفيها مناقب تهلك الرجل الحليم

فلا والله لا أشربها حياتي و لا أشفي بها أبدا سقيما

فهل نعي هذا الواجب؟ وهل نتحرك له؟ هل نفتش في قدراتنا وما يمكن أن تشارك به؟ إننا لا بدّ ظافرون بباب أو أكثر [وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون] [قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني].

٧٨-الأساليب المثلى في الدعوة[١]:

من أهم ما ينبغي أن تتنبه له الداعية الموفقة التي تريد أن يثمر قولها وعملها في بيتها ومجتمعها وأمتها، هي الأساليب الناجحة التي تكون عوناً لها بعد الله سبحانه وتعالى على وصولها إلى النتائج المطلوبة.

ومن ذلك ــ بإجمال ــ ما ذكره الله تعالى بقوله سبحانه: ((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) [النحل:١٢٥].

ففي هذه الآية مجمل الأساليب الناجحة وهي:-

• **الحكمة:**

ويقصد بها وضع الشيء في موضعه، ومنها: ضبط النفس والحلم والأناة والتعامل بعقلانية، ومن الحكمة في الدعوة:

- اختيار الوقت المناسب في الدعوة.

- اختيار المكان المناسب، فله أثر على القبول.

- اختيار الموضوع المناسب، وكل ما كان الموضوع في واقع المتحدث معهن كان أولى وأفضل وأقرب إلى القبول.

- اتباع قاعدة: التيسير المنضبط بضوابط الشرع والمبني على الدليل إتباعاً لما ورد مثل قوله صلى الله عليه وسلم "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا".

---

[١] د. فالح الصغير

- التدرج والمرحلية في الدعوة والتبليغ: فالنفوس تحتاج إلى تمرين وعسفها شيئاً فشيئا، وهذا إتباع لما جاء في حديث معاذ عندما بعثه عليه الصلاة والسلام إلى اليمن فقال له:"ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله أفترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم"، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتدرج بعرض التكاليف عليهم، وهكذا الداعي الموفق والداعية الموفقة.

وينبني على التدرج مراعاة الأولويات في الدعوة والأهم فالمهم.

- ومن الحكمة: مراعاة المصالح والمفاسد فدفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة، وعند تعارض المصلحتين ينظر في أعلاهما، وعند تعارض المفسدتين يتجنب أعظمهما ضررا، وهكذا، والداعية الموفقة هي التي تزن بهذا الميزان.

- **الموعظة الحسنة:**

ويقصد بها إتباع أحسن القول في عرضه على المدعوين، واللطف فيه، والتودد إلى صاحبه، وانتقاء العبارات المناسبة للشخص المدعو وللمقام الذي هو فيه.

ويدخل في الموعظة الحسنة الربط بالدليل في الترغيب والترهيب.

ومن الموعظة الحسنة القصة فقد تكرر ذكر القصص في القرآن والسنة كثيراً وذلك لما فيها من العظة والعبرة بشرط أن تكون صحيحة، فإن ما وقع فيه القصاص من محاذير كان بسبب اعتمادهم على القصص والحكايات التي لم ترد في القرآن والسنة.

ومنها مخاطبة الناس بما يحبون أن يخاطبوا كأن تقول الداعية لفلانة من الناس: يا أم فلان، يا أختي، يا أيتها المؤمنة الصادقة.. ولعامة الناس: أيتها الأخوات العزيزات، أيتها المؤمنات بالله، وهكذا.

ومنها استعمال الأساليب المقنعة كالتوكيد بالقسم أو تكرار الكلام عند الحاجة إليه ونحو ذلك.

• **المجادلة بالتي هي أحسن.**

والمجادلة هي مقارعة الحجة بالحجة، أو هي المخاصمة في البيان والكلام لإلزام الخصم، وهكذا.. ويمكن استعمال المجادلة في مجالات عدة منها:

- مع المخالف في الرأي، بحسب هذا المخالف، فإن كان مؤمناً بالله فينطلق معه بالمجادلة من الملتقى وهو الإيمان، وإن كان عقلانياً فبالحجج العقلانية.

- مع الناس بما يفهمونه ويدخل في ذلك حال الحديث معهم كأن يقول: لو قال قائل كذا لقيل كذا.

- مع الطلاب والطالبات لتعويدهم أسلوب المجادلة والمناظرة وهكذا..

ويجب أن تراعى الآداب في ذلك، ومنها:

• **الربط بالدليل.**

• عدم التعدي بالقول أو الفعل على الشخص المجادل.

• عدم تحميل الكلام ما لا يحتمل.

• عدم الكذب.

• الهدوء وعدم الغضب.

• التسليم للحق.

• عدم الخروج عن الموضوع.

• إحسان الظن.

• مراعاة تقوى الله وأنه سيحاسب العبد على كلامه إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

٧٩-ضيق أفق الداعية[١]:

ضيق أفق الداعي هو تضييق للدعوة وسعته سعة لها.

والمقصود بضيق أفقه أن يقتصر مثلا بالدعوة على المسجد فقط لأنه أطهر بقاع الأرض، أو على الخطب والمواعظ والكلمات لأن الخطباء يفعلونها، أو أن يبدأ دائما الدعوة بالحديث عن الصلاة لأنها عماد الدين، أو أن يستخدم الترهيب أكثر من الترغيب أو التيئيس أكثر من التشجيع أو الشدة أكثر من الشفقة؛ لأنه يرى أن المدعوين لا يستحقون إلا ذلك! أو يتعجل ولا يصبر أكثر مما يتدرج، أو يقاطعهم أكثر مما يخالطهم لأنهم فسقة.. أو لا يتحاور معهم بل يملي عليهم أوامره؛ فهو الأعلى وهم الأدنى.. أو يحتكر الدعوة ويقصرها عليه وعلى العلماء ولا يحمّلهم إياها بما يناسبهم؛ فهم ليسوا أهلا لها.. أو يقتصر على دعوة الرجال دون النساء بضوابطها، أو الشباب دون الشيوخ والأطفال، أو رواد المسجد دون سائر أهل الحي ودون الجيران والأقارب والزملاء والأصحاب.. أو يتصلب ويأخذ برأي واحد وهو الصواب وما دونه من آراء سواء فقهية أو حتى خبرات حياتية صحيحة فهو وضعي من عند البشر خاطئ.. أو يتقوقع وينعزل ويتجنب مَن حوله لأن طعامهم شبهة وأعمالهم بدعة وأزياؤهم تشبُّه بالكفار.. أو يقدّم سنّة على فرض، أو الفرض الذي على التراخي على فرض الوقت، دون مراعاة لترتيب الأولويات، أو يتشنّج ويتوتر ويتجهّم عند التعامل مع الآخرين؛ لأن في تعاملاتهم انزلاقا وتنازلا وتهاونا...

---

[١] د.محمد متولي منصور.المصدر: إسلام أون لاين.

أو ما شابه ذلك من تصرفات بعض الدعاة الصلبة غير المرنة، والتي غالبا ما تنفر أكثر مما تحبب، وتضر أكثر مما تنفع، وتتعس الداعي والمدعوين بإسلامهم أكثر مما تسعدهم به...

إن أهم أسباب هذا الداء ما يلي:

العقل:

فهو يخشى من كل آخر؛ خوفا أن يكون سببا في تفريطه في الدين.

البيت:

فلا رأي فيه إلا للأب أو للأم أو حتى لهما معا، لكن لا رأي للأبناء.. فينشؤون غالبا بل بكل تأكيد لا رأي لهم.

المدرسة:

فلا رأي في الفصل إلا للمدرس إن كان له رأي هو الآخر غير رأي المدير، الذي بدوره يكون رأيه هو رأي الوزارة في الغالب.

الجامعة:

فلا رأي في المدرج إلا للأستاذ إن كان له رأي غير رأي رئيس الجامعة، والذي رأيه كثيرا ما يكون هو رأي الوزير.

العمل:

فلا رأي إلا للمدير.. والمبتكر متهور، والمتسائل غبي، والمفكر عنيد.. فرأي المسؤول إذن هو دائما الصواب.

المجتمع:

غالبه سلبي مستسلم لا رأي له، و المسؤول هو وحده المحرك الذي يعرف الحق وعليه يسير على الدوام، والمتمسك فيه بدينه حتى ولو في نفسه فقط يعدّ غريبا متعصبا.. وإن أراد أن يكون في موقع مسئولية يديرها بقوانين وأخلاق الإسلام التي تربى عليها منذ صغره فهو إرهابي لا بد من محاكمته..

فما ظنك بمجتمع كهذا؟! إنه -ولا بد- سيفرز جيلا غالبه ضيق الأفق.

الدعاة:

فهم يربّون عموم الناس ودعاة المستقبل من بعدهم، وينصحونهم بمثل ما هم فيه وعليه.

فكر واحد، وإلا يكون الانحراف عن الصراط المستقيم.

الخوف:

من الغير أن يفتنوه ويبعدوه عن دينه.. فكلهم أو معظمهم غير آمنين لا ثقة فيهم.

الحرص:

على الإسلام أن يصيبه أي تحريف بسبب أي تجديد في أسلوب عرضه لا فيه.

الراحة:

فالانعزال خاصة عن غير روّاد المساجد أكثر راحة وأمانا في الدعوة.

الخبرة:

فلا احتكاك بآخرين حتي لا يصاب بأمراضهم!.. فالوقاية خير من العلاج كما هو معروف.

العلم:

فعلم الشرع وحده يكفي لإدارة الحياة دون العلوم الدنيوية.

العشوائية:

فالتخطيط معوّق، والبركة ستجبر أي تقصير.

والدواء هو إتيان عكس ما سبق:

الفهم:

فهم أنّ الدعوة ليست في المسجد فقط، وإنما في كل مكان ممكن: في البيت، ومع الأهل والجيران والأقارب والأصحاب وأهل الحي وزملاء العمل على مسار الحياة كلها كما يقول تعالى: (وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاس).

وأنها ليست بالخطب والمواعظ فقط بل بالقدوة والموقف والخدمة والزيارة والمشاركة في الأفراح والأحزان، كما كان يفعل الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام.. وباستخدام الأشرطة والكتيبات والمجلات والمحمول والإنترنت والفضائيات وكل ما يستحدث وينفع..

وأنها ليست حكرا على العلماء وحدهم، وإنما كل فرد بما يستطيعه كما وسعها ربنا في قوله: (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ الله).

وأنها للجميع رجالهم ونسائهم كما يفهم من قوله:"يا قومنا"بمراعاة الضوابط الشرعية كغض البصر وعدم الخلوة واختيار الكلام المناسب..

وأنها ليست بالضرورة أن تبدأ بالكلام عن الصلاة رغم أهميتها، ولكن كما علمنا أسلوب القرآن بتحليل شخصيات المدعوين، والتعرف عليهم، ومعرفة أهم المداخل للتأثير في قلوبهم، وزرع الحب والثقة بينهم وبين داعيهم، وربطهم بربهم، ومخاطبة ومعاملة كل منهم على حسب أحواله وظروفه وإمكاناته ومفاهيمه وثقافاته وبيئته المحيطة به..

وأنها بالتشجيع أفضل من التيئيس، وبالترغيب أقوى من الترهيب، وبالرفق أعظم من الغلظة، وبالتدرج أنسب من التعجل، وبالحوار ألطف من الأوامر، وبالصبر أجمل من الانفعال، وبالمخالطة المنضبطة أشد من المقاطعة السلبية، وبالأمل والتفاؤل أنفع من التشاؤم..

وأنّ الإسلام كله يحتمل أكثر من رأي -إلا الحرام فليس فيه إلا رأي واحد- كما يقول تعالى مثلا سامحا بالحجاب أو النقاب: (وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا) حتى يأخذ كل فرد بما يناسبه، ويناسب ظروفه وأحواله وبيئته فيسعد..

وأنّ ليس كل جديد بدعة، وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: (الحكمة ضالة المؤمن)، وليس كل تشبه بالخير الذي عند الغير ولا كلّ تصرّف شبهة أو حراما كما رهن الرسول -صلى الله عليه وسلم- درعه عند يهودي في مقابل شعير يأكله، وهو يعلم أنّ ماله فيه شبهة يختلط حلاله بحرامه؛ لأن الأصل في الأشياء الإباحة كما يقول تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا)، والاستثناء هو المنع لما يضر ويتعس..

وأنّ التخطيط وترتيب الأولويات هو أصل دعوي لا تسير الدعوة بدونه كما هو فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام الذين خططوا للتربية وللتخصص ليقودوا الدنيا بقوانين الإسلام ليَسعدوا ويُسعدوا، وحققوا بالفعل ما أرادوا..

وهذا الفهم الصحيح يتأتّى بالقراءة والاطلاع، ومعايشة الفاهمين الواعين وسؤالهم، ومتابعة الواقع؛ وهو ما يعين على تغيير كثير من المفاهيم وأساليب التفكير.

القدوة:

قدوة الوالدين مع أبنائهم في البيوت، والمدرسين مع تلامذتهم في المدارس، والأساتذة مع طلابهم في الجامعات، والمسؤولين مع مرؤوسيهم، وكل داع مع مدعويه.. يكون كل هؤلاء قدوة فيما سبق ذكره في بند الفهم.. فإذا ما كانوا كذلك، فلا بد أن ينشأ نشؤهم أيضا كذلك، كما كان الصحابة مثل الرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ فعن معاوية بن الحكم

السلمي -رضي الله عنه- وكان حديث عهد بالإسلام قال: (بينا نحن نصلي مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أماه.. ما شأنكم تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمّتوني سكتّ، فلما صلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فبأبي وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، والله ما قهرني، ولا شتمني، ولا ضربني، وإنما قال: (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس هذا، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن...) (جزء من حديث أخرجه أحمد).. فلقد تعلموا منه -صلى الله عليه وسلم- في هذا الموقف وحده الحوار، وسعة الصدر، والصبر، والرفق، وعدم التوتر عند حل المشكلات؛ بل حلها ببساطة، والتدرج في الأخذ بيد المخطئ حتى ينصلح، والتيسير لا التعسير، والتفاؤل في تحقيق النتائج لا التشاؤم.

العلم:

فكلما ازداد العلم، وتعددت الآراء.. كان هناك أكثر من رأي في التعامل مع كل موقف، وكلما اتسع الأفق.. ازداد عدد المتعاملين بهذا الإسلام المرن الشامل، وانتشر وساد.

يقول -صلى الله عليه وسلم-: (أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله) (أخرجه البخاري)، وقد قاله لبعض الصحابة لما تحرّج بعضهم أن يأكل من غنم كانت أجرا لأحدهم، قام برقية ملدوغ والدعاء له بقراءة الفاتحة فقال لهم: (.. وما يدريك أنها رقية.. قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم سهما).. وضحك (أخرجه البخاري)

فقد تعلموا منه -صلى الله عليه وسلم- هنا أنه أحيانا يظن الداعي أنّ الأمر شبهة وهو ليس هكذا، بل حلال.. كأن يأكل مثلا عند جاره أو صديقه أو زميله أو مضيفه، وليس عليه أن يسأل عن مصدر ماله إلا ما يظهر له، ويتأكد دون أي شك أنه حرام.

الخبرة:

فخبرات الحياة تضيف بكل تأكيد سعة في التصرف وقدرة على إحسانه، يقول تعالى على لسان هارون مبررا هدفه من انتظار عودة موسى -عليهما السلام- رغم ارتداد بعض قومه عن بعض دينهم: (إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) (طه: ٩٤).. قال الإمام القرطبي: (أي خشيت أن أخرج وأتركهم، وقد أمرتني أن أخرج معهم، فلو خرجت لاتبعني قوم ولتخلف مع العجل قوم، وربما أدى الأمر إلى سفك الدماء، وخشيت إن زجرتهم أن يقع قتال..)؛ فخبرة هارون -عليه السلام- بأحوال قومه وواقعهم جعلته يحسن التصرف معهم.

التدريب:

من خلال الدورات التدريبية التي لا بد أن يتبعها ممارسات عملية.. فلقد جمع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الصحابة على صلاة القيام في رمضان ليدرّبهم ويشجعهم عليها، رغم أنهم لم يتجمعوا لها في أثناء حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعاجلهم بقوله: (نعم البدعة هذه) توسيعا لفقههم وأفقهم وأسلوب تفكيرهم.. فإن كنتم تظنون أني مبتدع بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذن فهي بدعة، ولكنها حسنة.

التخطيط:

فمعرفة وتحديد الأهداف المراد الوصول إليها، ووسائلها، ومن سيقوم بها، ومواقيتها، وميزانياتها.. كل ذلك -ولا شك- يوسّع الأفق، ويدفع للتعاون مع الآخرين لإنجازها.. ولعل في قصة هجرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ودقة تخطيطه لها واستعانته بغير مسلم لدلالته على طريق آمن خير دليل على ذلك.

الانفتاح:

بالتواصل مع الجميع، والحوار معهم، والاستفادة من آرائهم واقتراحاتهم وخبراتهم.

يقول -صلى الله عليه وسلم- منبها لهذا عند حديثه عن (حلف الفضول)الذي كان قبل الإسلام، وكان أعضاؤه من الفضلاء، وكانت مبادئه كلها إسلامية حيث نصرة الضعفاء والمظلومين: (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت) (راجع سيرة ابن إسحاق) فكل ما ينفع من مسلمين أو غيرهم يسعى إليه المسلم، لينتفع ويسعد به، وينفع ويسعد من حوله.. ولا شك أن استخدام وسائل الاتصال الحديثة يعين كثيرا في هذا.

الصحبة:

فهي بصلاحها ووعيها تعين على كل ما سبق؛ إذ هي تؤثر بخيرها في غيرها، وتتأثر بخيرهم، وتغيّر شرهم.

بهذا كله يتسع الأفق، وينجح الداعي، وتنتشر الدعوة، ويكثر الخير، وتعم السعادة، ويزداد الثواب.

٨٠-الدعوة إلى الله في مجال الأخلاق[١]:

الأخلاق فعال الظاهر بحركة الباطن وإرادته، وتظهر أهمية الأخلاق بقول الرسول صلى الله عليه وسلم:(إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وذلك لأن الأخلاق هي الجانب التطبيقي للمسلم في سائر علاقاته، والسمو بهذه العلاقات هو الهدف الأساس للدين، والعبادات المشروعة في دين الله أعمال مكررة من أجل أن يعتادها الفرد المسلم فيعتاد من خلالها على الأخلاق الحميدة.

---

[١] أ. هيا الرشيد.

وللأخلاق أهمية بالغة لما لها من تأثير كبير في سلوك الإنسان وما يصدر عنه، وقد كان النهج السديد في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتزكيتها وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها.

فللأخلاق مكانة كبيرة في الإسلام تظهر من خلال مدح الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام بحسن الخلق في كتابه الكريم بقوله تعالى:(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٤) سورة القلم، ومن خلال دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لربه بأن يحسن خلقه، فقد كان يقول:(اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي).

الملامح العامة لمناهج الدعوة في جانب الأخلاق:

- بيان الأخلاق الكريمة والنص على أصولها: كالصدق، والعدل، والأمانة.

- بيان الأخلاق الذميمة والنص على أصولها: كالكذب، والجور، والخيانة.

-وضع ضوابط ومعايير ثابتة تُعرف بها الأخلاق الحميدة من غيرها، مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

- الدعوة إلى تحسين الأخلاق ومجاهدة الطباع لقوله صلى الله عليه وسلم:(وخالق الناس بخلق حسن).

ولم يكتف الإسلام بالدعوة العامة إلى الأخلاق الفاضلة، والنهي عن الأخلاق الذميمة، بل فصَّل القول في كل منهما في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فمن أمثلة الدعوة إلى الأخلاق الحسنة في القرآن الكريم ما يأتي:

- الوفاء بالعهد، قال الله تعالى: (وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً) (٣٤) سورة الإسراء.

- الأمر بالعدل، قال تعالى: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) (١٥٢) سورة الأنعام.

- الحث على التعاون، قال تعالى: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (٢) سورة المائدة.

- الصبر، لقوله تعالى: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ) (٦٠) سورة الروم.

- الصدق، لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ) (١١٩) سورة التوبة.

- الأمانة، لقوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) (٨) سورة المؤمنون.

ومن الأمثلة على الأخلاق الذميمة التي نهانا عنها ديننا الحنيف:

- الكذب، لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) (٢٨) سورة غافر.

- الظلم، لقوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (٢١) سورة الأنعام.

- النهي عن الإسراف والتبذير والبخل والتقتير، لقوله تعالى: (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) (٢٩) سورة الإسراء.

- الكبر والخيلاء، قال الله تعالى: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (١٨) سورة لقمان.

- الغل والحقد، قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (١٠) سورة الحشر.

- السخرية والاستهزاء: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا

تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (١١) سورة الحجرات.

وسائل تقويم الأخلاق:

قد يسأل المرء عن الأخلاق عموماً، فيسأل نفسه: هل بإمكانه تقويمها وتوجيهها الوجهة الصحيحة؟

ونجيب على ذلك بنعم، حيث يمكن اكتساب الجيد منها والتخلي عن السيئ وذلك من خلال عدة وسائل أهمها:

-العلم وذلك بمعرفة الأخلاق الحسنة التي أمر بها الإسلام والالتزام بها، ومعرفة الأخلاق السيئة التي نهى الإسلام عنها وتجنبها.

-تقوية معاني العقيدة الإسلامية في النفس، وإدراك أن المسلم سيجازى على أعماله والتي منها أخلاقه إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

- الحرص على القيام بأنواع العبادات والطاعات المفروضة والمندوبة؛ لأنها تزكي النفس وتسهل عليها اكتساب الأخلاق الحميدة وطرد الأخلاق الذميمة، فمثلا نأخذ الصلاة، قال تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ) (٤٥) سورة العنكبوت، ونحو الزكاة: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا) (١٠٣) سورة التوبة، والصوم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١٨٣) سورة البقرة، والحج: (فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ) (١٩٧) سورة البقرة.

- الارتباط برفقة صالحة، ومجالستهم، والاستماع إليهم، واتخاذ القدوة الحسنة، وخير قدوة رسولنا صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (٢١) سورة الأحزاب.

- الابتعاد قدر الإمكان عن البيئة الفاسدة وأصحابها، ومحاولة العيش في بيئة نقية صالحة.

المراجع:

أصول الدعوة، للدكتور عبدالكريم زيدان.

الدعوة الإسلامية، للدكتور أحمد غلوش.

المدخل إلى علم الدعوة، للأستاذ محمد أبو الفتوح البيانوني.

٨١-الكتمان والخصوصية في الدعوة[١]:

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: أتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا، فبعثني في حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جاءت قالت: ما

[١] محمد بن جمال الدين محفوظ.المصدر: شبكة الدعوة الإسلامية.

حبسك؟ (أي ما أخرك؟) فقلتك: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تخبرن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا.

وقال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله: إني أرى هذا الرجل (يعني عمر بن الخطاب) يقدمك على الأشياخ (يعني كبار الصحابة) فاحفظ عني خمسا: لا تفشين له سرا، ولا تغتابن عنده أحدا، ولا يجربن عليك كذبا، ولا تعصين له أمرا، ولا يطلعن منك على خيانة.

وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم، وهكذا كان، أجدادنا الأوائل يعلمون أولادهم المحافظة على السر، وهي من ألزم الأمور لسلامة الأمة وأمنها.

والواقع أن المدرسة الإسلامية عنيت بالأمن والمحافظة على الأسرار، أشد العناية ووضعت لهما المبادئ والأصول والأساليب، وأثبت تاريخ صدر الإسلام أن من أسباب انتصار المسلمين على أعدائهم الكثيرين أن أسرار النبي صلى الله عليه وسلم، وأسرار المسلمين كانت مصونة وبعيدة عن متناول الأعداء، في الوقت الذي كان النبي صلوات الله وسلامه عليه يطلع على نيات أعدائه العدوانية عن طريق عيونه وأرصاده (رجال مخابراته) قبل وقت مبكر، فيعمل من جانبه على إحباط ما يبيتونه للإسلام من غدر وخيانة ودسائس.

كذلك لم يستطع المشركون وأعداء الإسلام أن يباغتوا قوات النبي صلى الله عليه وسلم في الزمان والمكان وأسلوب القتال، بينما استطاع صلوات الله وسلامه عليه أن يباغت أعداءه في معظم غزواته وسراياه.

كذلك لم يرد في تاريخ صدر الإسلام حوادث خيانة أو تخابر مع العدو إلا في حادثة حاطب بن أبي بلتعة في فتح مكة وهي حادثة واحدة واعتذر منها صاحبها.

كل ذلك من منهج الإسلام في تربية المسلمين على الأمن والمحافظة على الأسرار، ومن المبادئ المعروفة أن الأمة التي تكتم أسرارها هي الأمة التي يمكن أن تنتصر، والأمة التي لا تكتم

أسرارها هي الأمة التي لا يمكن أن تنتصر، وما يقال عن الأمة يقال عن الأفراد لأن الأمة تتكون من أفراد.

واللسان الذي هو نعمة من نعم الله على عباده، يستطيعون بها التعبير عن آرائهم وتبادل المنافع مع الناس، هو وسيلة للخير والسعادة في الدنيا والآخرة إذا أحسن استعماله، كما أنه سبب قوي للشر والشقاء في الدارين إذا أسيء استعماله، فهو سلاح ذو حدين يمكن به النفع ويمكن به الضر.

والقرآن الكريم ينبئ بأن كل لفظ من الإنسان مسجل عليه، فيقول الله تعالى: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (ق ١٨) فالكلمة أمانة عظمى لها مكانتها في الإسلام، وتقدير أمرها والتدبر فيها قبل التلفظ بها مرتبط بالإيمان كما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)،

ويقول الله تعالى: (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) (إبراهيم ٢٤- ٢٦).

والمراد بالكلمة الطيبة شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل دعوة الإسلام، وقيل: كل كلمة حسنة.. والمراد بالكلمة الخبيثة: كلمة الكفر أو الدعوة إليه أو الكذب، أو كل كلمة لا يرضاها الله تعالى.

وإفشاء الأسرار التي تعود على الأفراد والأمم بالأضرار من الكلام الذي لا يرضاه الله تعالى، وكذلك كل كلام فيه سعي بالفساد مندرج تحت الكلمة الخبيثة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله - ما يظن أن يبلغ ما بلغته- فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإنه ليتكلم بالكلمة من سخط الله - ما يظن أن يبلغ ما بلغته- فيكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم يلقاه).

وعن شعبان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به، قال: (قل ربي الله ثم استقم) قال: قلت يا رسول الله، وأخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: (هذا).

كتمان الأسرار من الحذر والفطنة:

وينبه الإسلام إلى اليقظة والحذر كما في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم)، وكما في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (المؤمن كيِّس فَطِن) فاليقظة والحذر والوعي والفطنة كلها تدفع إلى كتمان الأسرار التي جعلها الله أمانة من الأمانات التي يجب على المسلمين أن يحافظوا عليها كما قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) (الأنفال ٢٧).

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: (ألا لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له) وقال أيضا: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)، وقال: (إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهو أمانة)، وقال: (إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة، ولا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره)، وقال: (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع).

الصمت:

والصمت من أكبر أسباب الواقية من إفشاء الأسرار (الوقاية خير من العلاج)، والإسلام يرشد إلى الصمت ويدعو المسلمين إليه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)، وقال عليه الصلاة والسلام: (طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه، وأنفق الفضل من ماله). وغير ذلك من الأحاديث التي تدعو إلى التمسك بهذه القيم الإسلامية.

دروس علمية من هدي النبي صلى الله عليه وسلم:

والدروس العلمية التي يستطيع المسلمون أن يتعلموها من النبي صلى الله عليه وسلم في مجال السرية والأمن أكثر من أن تحصى، فلقد كان من أسباب نجاح الدعوة الإسلامية أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بدأ سرا، ولما شاهد علي رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم يصلي هو وخديجة رضي الله عنها، قال: يا محمد ما هذا؟ قال: (دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله. فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته وأن تكفر باللات والعزى) فقال علي: هذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم، فلست بقاض أمرا حتى أحدث به أبا طالب (أي أباه)، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم كره أن يفشي سر الدين قبل أن يستعلن أمره فقال له: (يا علي إذا لم تسلم فاكتم). فامتثل علي للأمر، حتى جاء الرسول صلى الله عليه وسلم في الصباح التالي وأعلن إسلامه وكتم ذلك عن أبيه و لم يظهره.

وقد أثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله المشهور: (ليس كل ما يُعلم يقال، ولا كل ما يقال حضر أهله، ولا كل ما حضر أهله حان وقته).

وهجرته صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة من أعظم الدروس في السرية والأمن والكتمان حتى بلغ المدينة بسلام.

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (و لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورَّى).

ومن الأمثلة العلمية في ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد تأديب بني لحيان، الذين غدروا بدعاة المسلمين - وكان هؤلاء الدعاة ستة من كبار الصحابة- أظهر أنه يريد الشام. وتحرك فعلا بقواته شمالا، فلما اطمأن إلى انتشار أخبار تحركه إلى الشمال باتجاه الشام، عاد راجعا باتجاه مكة مسرعا في حركته حتى بلغ منازل بني لحيان.

وفي غزوة الخندق جاء نعيم بن مسعود الغطفاني (وكانت غطفان من القبائل التي انضمت إلى قريش للقضاء على المسلمين) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أنه أسلم ولا يعلم

قومه، وطلب منه أن يأمره بما يشاء، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنما أنت رجل واحد، فخذل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة)،

فقام نعيم بمهمته خير قيام، ونجح في التفريق بين القوى الثلاث التي تجمعت لقتال المسلمين (قريش، والقبائل العربية ومنها قبيلته غطفان، ويهود بني قريظة)، وكان مما ساعد على نجاح مهمته مراعاة الأمن والسرية، لقد كتم النبي صلى الله عليه وسلم إسلام نعيم، وكتم نعيم إسلامه، فلم يعرف قومه ولا بنو قريظة ولا قريش عن إسلامه شيئا، فلو لم يطبق الرسول صلى الله عليه وسلم مبدأ السرية والأمن، ولو لم يطبقه نعيم، فهل كان بإمكان نعيم أن يقوم بهذا الدور الحاسم في تفرقة صفوف الأحزاب ونزع الثقة من نفوسهم..

وقد ابتكر الرسول صلى الله عليه وسلم (الرسالة المكتومة) مراعاة للسِّرِّية والأمن، وحرمان أعداء المسلمين من الحصول على المعلومات التي تفيدهم عن تحركات المسلمين وأهدافهم، فقد بعث صلوات الله وسلامه عليه سَرِيَّة من المهاجرين، قوامها اثنا عشر رجلا بقيادة عبد الله بن جحش الأسدي في مهمة استطلاعية في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة، وسلمه رسالة (مكتومة) تحتوي على تفاصيل المهمة من حيث الهدف منها ومكانها وغير ذلك من التعليمات، وأمره ألا يفتحها إلا بعد أن يسير يومين.

وتعتبر غزوة فتح مكة من أروع الأمثلة التاريخية في مجال السرية والأمن والكتمان، إن أقرب المقربين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صاحبه أبو بكر الصديق، أول من أمن به، كما أن عائشة بنت الصديق أبي بكر كانت أحب نسائه إليه

(فقد سئل النبي عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قالوا: إنما نعني من الرجال، قال: أبوها) ومع ذلك كانت عائشة لا تفشي لأبيها شيئا من سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر الصديق وابنته عائشة لا يعلمان من أسرار غزوة الفتح إلا قليلا. ولقد احتوت غزوة الفتح على الكثير من إجراءات الأمن التي كان لها أكبر الأثر في تحقيق المفاجأة الكاملة وفتح مكة بلا قتال.

٨٢-حتى لا يتوقف عطاء الدعاة[١]:

يشاهد المطلع على أحوال الدعاة إلى الله تعالى ممن يعانون من الفقر وقلة ذات اليد وهم كثر في عالمنا الإسلامي ظاهرة انتكاس بعضهم عن الطريق ووجود فتور كبير لدى عدد ليس بالقليل منهم.

ونظراً لخطورة هذه الظاهرة على مسيرة العمل الدعوي، وما تدل عليه من ضعف الثقة بالله عز وجل، وعدم الرضا بالقضاء والقدر، بالإضافة إلى الجهل بسنن الله عز وجل في المنع والإعطاء... بادرت مستعيناً بالله تعالى في كتابة هذه السطور محاولاً إلقاء الضوء عليها، راجياً أن تتضح الرؤية لأولئك فيعود من ضاع منه الطريق، ويقوى على السير من لبث في مكانه وفتر عزمه و لم يواصل المضي، عسى أن تكون كلماتي عامل تقوية وتثبيت لبعض من تتحرش بهم شياطين الجن والإنس، وتكاد ضغوط المعاناة وشدة الواقع أن تأتي عليهم، فتقعدهم عن مواصلة المسير في سبيل الدعوة إلى الله.

وسيكون الحديث بالأصالة متجهاً إلى من يعيش الأزمة ويكتوي بنارها كما أن جزءاً منه سيكون موجهاً لإخوانهم الموسرين الذين يشاطرونهم حمل هم هذا الدين، وهم على معرفة بأحوالهم وشدة معاناتهم.

من تلك حاله كيف يصنع؟

وبما أن الأمر في ذلك وارد على كل داعية إلى الله، فلابد أن يوطن الداعية نفسه على الآتي:

---

[١] فيصل البعداني.

١- أن يتذكر أن الله يبتلي عباده بالغنى والفقر، فيوسع على بعضهم في الرزق، ويهبهم من عظيم خيراته الشيء الكثير؛ لكي يقوموا بواجب الحمد والشكر له، ويمنع سبحانه بعضهم من تلك السعة، ويقدر عليهم رزقه؛ لكي يقوموا بواجب الصبر وكمال الرضا، فيوفق للحمد والشكر من الأغنياء فريق، ويتجبر الفريق الآخر منهم ويطغى كما قال تعالى: ((كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى))[العلق: ٥٦] كذلك حال الفقراء حيث يوفق للصبر والتسليم والرضى بالقضاء طائفة منهم، وتتجه الأخرى إلى التسخط والجزع، بل وربما إلى ممارسة كسب المال من طرق غير مشروعة.

٢- معرفة أن الله عز وجل قد تكفّل برزق الخلائق كما قال تعالى: ((وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها)) [هود: ٦]، وما تكفل الله به فلا خوف من تأخره أو ضياعه وعدم وصوله؛ ولهذا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه الذين تعرضوا له بالمسألة رجاء التوسعة عليهم: (... فو الله ما الفقر أخشى عليكم...)، وهذا راجع إلى كمال اطمئنانه وعظيم ثقته بموعود ربه، ويقينه التام بأن ما قدره الله للعبد من رزق فهو آتيه لا محالة.

٣- العلم بأن لهذا الابتلاء فوائد جَمة متى استطاع المرء تحقيقها تحول الأمر في حقه من محنة إلى منحة، ومن نقمة إلى نعمة، ومن تلك الفوائد:

*أن العبد بصبره على الابتلاء ينال ما ذكره تعالى في سورة البقرة في قوله: ((ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون))[البقرة: ١٥٥-١٥٧].

*أن العبد المبتلى بذلك يتقلب بين مقامات العبودية المختلفة من صبر وتسليم ورضا وتوكل ورجاء وورع ولجوء وتضرع وسكينة وثقة... إلى غير ذلك من المقامات العالية لذلك التي قد يحرمها لو لم يُصَب بذلك.

بالإضافة إلى المقامات الأخرى من حمد وشكر وإحسان إلى الآخرين... إلى غير ذلك مما يناسب النعم التي أعطيها العبد كنعم الإيمان والصحة والأخلاق الحميدة والاشتغال بما ينفع في الآخرة... إلخ.

*أن من ابتلي بذلك من الدعاة وصبر يصلب عوده ويقوى ويصبح أكثر قدرة على الثبات في مواجهة المحن والأزمات، وبخاصة إذا كان السبب المباشر لمعاناته من الفقر وقلة ذات اليد تَمَسّكُه بدينه وثباته على دعوته وقيامه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

*أن المصيبة والابتلاء في الدنيا لا في الدين، ومن عرف حقيقة الدنيا والدين وابتلي وكانت مصيبته في دنياه، عرف أنه قد سلم وعوفي وأن واجبه الشكر والثناء لا السخط وعدم الرضا.

*أن كل مصيبة سببها المعاصي والذنوب كما قال تعالى: ((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم))[الشورى: ٣٠]، والمصائب والبلايا تُكَفّر الذنوب، ولولا رحمة الله تعالى بإيقاعها عليه في الدنيا لأجلت عقوبة ما اقترف من ذنوب إلى الآخرة، وعقوبة الآخرة ليست كعقوبة الدنيا مهما عظمت وجلّت، وعند ذلك يجب في حق العبد الشكر والثناء على الله تعالى.

*أن المصيبة واقعة لا محالة لكونها مكتوبة على العبد، قال صلى الله عليه وسلم: (وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك) وكونها قد وقعت فقد استراح منها إن انتهت ومن بعضها إن بقيت وهذه نعمة وتوفيق وفضل من الباري سبحانه.

٤- استشعار حقيقة الدنيا والآخرة والنظر في النصوص الكثيرة من قرآن وسنة التي تزهد في الدنيا، وتخبر بمصيرها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها وشدة فتنتها من جهة، وتُرغّب في الآخرة وتخبر بشرفها ودوامها ومن ذلك قوله تعالى: ((قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى)) [النساء: ٧٧]، وقوله عز وجل: ((بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى))[الأعلى: ١٦،١٧]، وقوله سبحانه: ((ما عندكم ينفد وما عند الله باق))[النحل: ٩٦]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى

كافراً منها شربة ماء)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد كلام له جميل حول هذا الموضوع: (... فإذا أراد الله بعبد خيراً أقام في قلبه شاهداً يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة، ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار)

٥- إدراك أن الدنيا لا يقوم عليها ميزان التفاضل في الدار الآخرة، بل ذلك يقوم على التقوى فمن أكرمه الله وفقه لطاعته والإيمان به ومحبته ومعرفته والدعوة إليه وتحمل الأذى في سبيله، ومن أهانه سلبه ذلك قال يحيى بن معاذ رحمه الله: (لا يوزن غداً الفقر والغنى وإنما يوزن الصبر والشكر)، وقال ابن القيم رحمه الله ناقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولا يقع التفاضل بالغنى والفقر بل بالتقوى، فإن استويا في التقوى استويا في الدرجة).

وبالتالي فلا غضاضة على العبد أن يكون فقيراً في هذه الدنيا إذا كان الفقر لا يعني دناءة المنزلة عند الله عز وجل، بل إن لله أولياء من خلقه شعثاً غبراً مدفوعين في الأبواب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رب أشعث مدفوعاً في الأبواب لو أقسم على الله لأبره)، وكما قال -صلى الله عليه وسلم- للصحابة حين مر رجل من أشراف الناس فقالوا: هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، ومر رجل من فقراء المسلمين فقالوا هذا حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله فقال صلى الله عليه وسلم: (هذا خير من ملء الأرض من هذا).

٦- حتى تكون راضياً مطمئناً:

من أجل أن يخفف الداعية عن نفسه القلق الناتج عن المعاناة من قلة ذات اليد، وينقلب توتره وضجره إن كان موجوداً إلى هدوء واطمئنان ورضا، عليه التأمل فيما يأتي:

*النظر في حال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما ورد في سيرته حيث توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير، وكان يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ

بطنه، وتوفي وما شبع ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة، وكانت تمر عليه ثلاثة أهلّة في شهرين دون أن يوقد في بيته نار، إنما طعامهم الأسودان التمر والماء، وكان -صلى الله عليه وسلم- يأكل ومن معه في صدر الإسلام ورق الشجر كما قال عتبة بن غزوان: (لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما طعامنا إلا ورق الحُبْلَة حتى قرحت أشداقنا)، إلى غير ذلك من الصور الكثيرة التي نقلها لنا مَنْ دَوّنَ سيرته -صلى الله عليه وسلم- وسير صحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، على الداعية الحق أن ينظر في ذلك، ويتذكر أنه ليس الوحيد الذي يسير في قافلة الدعوة، ويعاني من قلة ذات اليد، فهذا قائدها -صلى الله عليه وسلم- وكبار أعلامها قد عانوا ما يعاني وله بهم أسوة كما قال تعالى: ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراْ))[الأحزاب: ٢١].

*عليه أن ينظر إلى من حوله من إخوانه، الذين هم أكثر فاقة وأشد معاناة ويرى عظم مصيبتهم وضخامة حاجتهم، فيواسي نفسه بمقارنة مصيبته بمصيبتهم، وخفة حاجته عند عظيم فاقتهم، فيحمد الله على التخفيف والرحمة بأن لم يبتله كما ابتلاهم، ولم يمتحنه كما امتحنهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه) وفي رواية (فهو أجدر ألا تزدروا نعمة من الله عليكم).

*وعليه أن ينظر إلى نفسه بشمول في وقته السابق واللاحق، وسيجد عند ذلك عظم نعم الله تعالى عليه في سائر أحواله الماضية والحاضرة، وأن الله عز وجل إن كان قد منعه في وقت فقد أعطاه في أوقات، وإن كان قد حرمه في جانب فقد منحه الشيء الكثير في جوانب أخرى، وعليه أن يقوم بتعداد نعم الله، وسيجد أن لا قدرة له على حصرها وتقصيها ليعلم عند ذلك مدى كفرانه بنعم الله، وجحوده بها من جهة، وواسع رحمة الله ولطفه وعظم تجاوزه عنه ومغفرته من جهة أخرى، قال تعالى: ((وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار)) [إبراهيم: ٣٤] وقال عز وجل: ((وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور

رحيم)) [النحل: ١٨]، مع أنه ليس للعبد من ذاته في الحقيقة سوى العدم وكل ما فيه وله من خير فهو محض جود الله تعالى وإحسانه.

*عليه التأمل في حال أصحاب الأموال الذين لم يرد الله لهم خيراً، وجعل ما آتاهم من رزق سبب شقاوتهم في الدنيا، فلا هم يهنؤن بعيش ولا يشعرون بطمأنينة واستقرار أو بسكينة وهدوء بال، بل قد يُودي ببعضهم إلى قتل النفس والانتحار، وسبب شقاوة بعضهم في الآخرة حيث قادهم إلى الكفر بالله والجحود، وبالتالي قادهم إلى النار كقارون الذي آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، فطغى وتجبر وجحد وقال إنما أوتيته على علم عندي، فكانت عاقبته كما قال تعالى: ((فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين)) [القصص: ٨١].

٧- العلم بأن الفقر بلاء عام بين الخلق يبلتي به الله تعالى من شاء من عباده الدعاة وغيرهم ولا علاقة لوجوده بالاشتغال بالدعوة إلى الله تعالى والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالتالي فإن التذرع عن ترك الاشتغال بالدعوة وحمل هم هذا الدين بطلب الرزق والسعي إلى كسب المال خطأ فاحش إذ لا علاقة لهذا العمل الجليل بوجود الفقر، بل إن الأمر على العكس من ذلك، فإن القيام بطاعة الله تعالى وتقواه من خلال نشر هذا الدين بين الناس ومحاربة الكفر والبدع والمعاصي في الأمة، من أعظم أسباب جلب الرزق كما قال تعالى: ((ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب)) [الطلاق: ٢٣].

مع أن تارك السير في قافلة الدعوة لأجل ذلك أضاف إلى معاناته من الفقر وعدم سلوك الأسباب الجالبة للرزق حرمان نفسه من الأجر والثواب عند الله تعالى وما عنده خير وأبقى وقيامه بتعريضها للعقوبة لعدم قيامه بزكاة العلم الذي آتاه الله إياه، وتتمثل بنشره بين الناس وتعليمهم إياه.

٨- أن يعلم أن الخير له فيما اختاره الله عز وجل، وأن الفقر قد يكون هو الخير له لأن من عباد الله أناساً من لو أغناهم لحملهم ذلك على البغي والطغيان والكفر بالرحمن والتجبر على

الخلان أشراً منهم وبطراً، كما قال تعالى: ((ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن يترل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير)) [الشورى: ٢٧]، قال العلامة ابن سعدي مفسراً لهذه الآية: ((ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض)) أي لغفلوا عن طاعته وأقبلوا على التمتع بشهوات الدنيا، فأوجبت لهم الانكباب على ما تشتهيه نفوسهم ولو كان معصية وظلماً (ولكن يترل بقدر ما يشاء) بحسب ما اقتضاه لطفه وحكمته (إنه بعباده خبير بصير)، كما في بعض الآثار أن الله تعالى يقول: (إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك...).

٩- الحذر من القيام بالتعرض للآخرين للحاجة والتنبه إلى عدم طرق أبواب المسألة، والعلم بأن ذلك وإن جاز لأناس رخص لهم الشارع بذلك، فإنه مما لا ينبغي للدعاة سلوكه بحال لأن سبيلهم التعفف والتجمل وعدم إظهار الشكوى والفقر، بل ستره وكتمانه اتصافاً بقوله تعالى: ((يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف)) [البقرة: ٢٧٣]، ورجاء تحقيق الامتثال لقوله صلى الله عليه وسلم: (ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله).

١٠- ليعلم الداعية الذي هذا حاله أن ما سبق بيانه ليست بدعوة إلى ترك العمل، وتعطيل أسباب تحصيل الرزق، فإن ذلك في الحقيقة نقص في العقل وجهل بالشرع ومخالفة له، كما قال تعالى آمراً بالأخذ بالأسباب مع عدم الركون إليها: ((فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه)) [الملك: ١٥].

بل إن تعريض الإنسان نفسه للفقر حتى يضطر إلى الآخرين مع قدرته على الكسب غير اقتراف الإثم له آفات ومفاسد كثيرة منها:

*تعلق القلب بما يقيم أوده ويعيشه وما هو محتاج إليه في هذه الدنيا، فيبقى في تفكير عميق ومجاهدة شديدة مع نفسه لترك حظه منها وهذا من قلة الفقه وعدم الرشد، والعاقل في تعامله مع نفسه من يقوم بإعطائها حقها ويطالبها بما عليها، وهذه هي طريقة وهدي رسول الله -

صلى الله عليه وسلم- كما جاء في قول سلمان الفارسي لأبي الدرداء والذي صدّقه فيه صلى الله عليه وسلم: (إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً فاعط كل ذي حق حقه).

وعلى العبد القادر على الكسب أن يستبدل مجاهدته لنفسه في شهوة مباحة مجاهدته لأعداء الله وشرعه من شياطين الجن والإنس، وأن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله على بصيرة.

*تطلع النفس إلى ما في أيدي الناس، وتعريضها للحاجة والسؤال إذا مسته الحاجة إلى المال. ولا شك أن استدامة طلب الرزق الحلال لمن هذه حاله أنفع له من ترك ذلك.

*مع التسليم جدلاً بأن من هذه حالته سيقطع تعلق قلبه بحاجات نفسه ويقوم بمنع نفسه من المسألة، فإنه يخشى عليه أن يداخله من الكبر والعجب والزهو والغرور ما يفسد عليه قلبه ويمرضه إن لم يميته، وتلك والله القاصمة.

كما أن هذه الأسطر ليست دعوة إلى الإعراض عن نعم الله المتيسرة من الحلال ونبذها وإضاعتها، لأن تلك النعم في نظر الأخيار عوناً على الإيمان والعمل الصالح، ولكنها نداء إلى استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب، والسعي إلى عدم تعلقه بها وحرصه عليها واشتغاله بأجمعه بها حتى يصل إلى مرحلة عدم الفرح بموجود فيها وعدم الأسف على مفقود منها كما قال تعالى: ((لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)) [الحديد: ٢٣].

إنها دعوة إلى أن يربي العبد نفسه على غنى النفس، وأن يكبح جماحها ويقوم بتهذيبها حتى تصل إلى مرحلة القناعة بأنه لن يفوتها شيء من الرزق قسمه الله تعالى لها في الأزل، وأن يقوم بتوطينها على الرضا باليسير حتى يصل بها إلى درجة الاستغناء عن الخلق، كما قال صلى الله عليه وسلم: (وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس).

١١- ومع الدعوة إلى طرق أسباب الرزق الحلال من تجارة وزراعة وصناعة... إلخ، فإنه لابد من التذكير بأن العبد لا ينبغي له ترك ما بيّنه الشرع من أمور جالبة للرزق ومنها:

*التقوى كما في قوله تعالى: ((ومن يتق الله يجعل له مخرجاْ * ويرزقه من حيث لا يحتسب)).

*الاستغفار كما في قوله تعالى: ((فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراْ * يرسل السماء عليكم مدراراْ * ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراْ))

[نوح: ١٠-١٢].

*الإنفاق والصدقة كما في قوله تعالى: ((وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)) [سبأ: ٣٩]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (ما نقصت صدقة من مال)، وقوله تعالى في الحديث القدسي: (يا ابن آدم أنفق ينفق عليك).

*الشكر للنعم وعدم كفرانها كما قال تعالى: ((لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)) [إبراهيم: ٧].

*الاستغناء عن الخلق والتعفف عما في أيديهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله).

*صلة الرحم كما قال صلى الله عليه وسلم: (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في عمره فليصل رحمه).

*الدعاء كما قال تعالى: ((وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)) [غافر: ٦٠]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يرد القضاء إلا الدعاء).

نداء إلى الأغنياء:

١- لابد للأغنياء من إدراك خطورة الفقر حيث إنه كما قيل قرين الكفر، وأن خطورته تزداد على الدعاة إلى الله عز وجل، والعلم بأنه من شدة خطورته كان -صلى الله عليه وسلم-

يدعو الله تعالى بأن يغنيه منه ويستعيذ بالله من فتنته كما في قوله -صلى الله عليه وسلم-: (اقض عنا الدين وأغننا من الفقر)، وقوله: (اللهم فإني أعوذ بك... ومن شر فتنة الفقر).

ولذا كان لابد لمن يسر الله تعالى عليه من الدعاة وكذلك الموسرين الصالحين أن يتفقدوا حال إخوانهم فإن لهم عليهم حقاً، وما لم يصل الأمر إلى ذلك فإن الأخوة لن تنعقد في الحقيقة والموجود منها مجرد مخالطة ليس إلا، لا حقيقة لها في العقل والدين، وليعلم الموسرون بأن لهم بالأنصار من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الأسوة الحسنة حيث واسوا إخوانهم من المهاجرين وقاسموهم الأموال.

٢- وأن يتذكروا أيضاً ما جاء من نصوص في الأمر بالإنفاق وبيان فضله والتحذير من عدمه، ومن ذلك قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون)) [البقرة: ٢٥٤]، وقوله سبحانه: ((الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مَنّاً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) [البقرة: ٢٦٢]، وقوله عز وجل: ((وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)) [البقرة: ٢٧٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت؟)، وفي رواية (وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً فنفخ فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربوا في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فُلوَه أو فصيله).

ولا شك أن الصدقة على الإخوان أفضل من الصدقة على الفقراء كما قال علي رضي الله عنه (لعشرون درهماً أعطيها أخي في الله أحب إليّ من أن أتصدق مئة درهم على المساكين).

٣ -ولا يكفي تفقد الإخوان والإنفاق على المحتاج منهم فحسب، بل لابد من سلوك أفضل السبل لإيصال ذلك إليهم بما يحفظ لهم ماء وجوههم ويصونهم من الذل والمهانة أمام إخوانهم المنفقين، وبما يمنع من تسليط الآخرين ألسنتهم الحداد عليهم أو غيبتهم أو سوء الظن بهم، وبما لا يساعد المعوزين على ترك الحياء أو التشجع على طرق أبواب المسألة والخروج عن هيئة التعفف والاستغناء عن الآخرين.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

....

٨٣-لماذا تذبل مواهب الدعاة[١]؟

تواجه الدعوة الإسلامية في عصرنا الحالي حالة من الذبول في المواهب والضمور في القدرات، سواء في نفس الداعية، أو على مستوى الدعوة نفسها، أو في قدرة الدعاة والدعوة على استيعاب ذوي المواهب المتميزة، ودمجهم في صفها، والاستفادة من مواهبهم وتنميتها ووضعها في الطريق الصحيح، والتعامل معها بالأسلوب الأمثل، سواء في الاكتشاف أو التوظيف أو التنمية أو الاستيعاب والتوجيه.

فالمواهب هي منح إلهية ينطبق عليها قوله تعالى:"يزيد في الخلق ما يشاء"يتميز بها بعض الخلق عن بقيتهم، كما أن بعض هذه المواهب أشبه بالبذور القابلة للإنبات في نفوس بعض الناس إذا توافرت لها الظروف المناسبة، وقوبلت بالرعاية المطلوبة، ومن ثم فإن البعض يمتلك مواهب لم يكشف عنها؛ فهي كالمناجم التي لم يهتدِ إليها الباحثون.

نعمة ربانية تحتاج إلى الرعاية:

---

[١] الأستاذ مصطفى عاشور.المصدر: منتدى الرائد للدعاة المتميزين - ناصح.

والموهبة باعتبارها زيادة في الخَلق لا يتمتع بها إلا القليل من الناس، ولها وجهان: أحدهما أنها عطية من الله تعالى، اختص بها بعض خلقه، أما الوجه الآخر فإن وجود العطية الإلهية لا يعني الاستغلال، وإنما تحتاج إلى صقل وجهد حتى تصفو، ويلمع بريقها، وإلا علاها الصدأ وغطاها الغبار؛ فالذهب الخام عند استخراجه من مناجمه لا يذهب بريقه بالأبصار، ولكن صهره وصقله جيدا وتخليصه من الشوائب يحقق له هذا البريق، فالموهبة أداة لتوصيل الفكرة وتدعيم الدعوة، والانطلاق بها من حيز الانفعال الخطابي الوعظي إلى حيز الانفعال الذي يتغلغل في أعماق النفس، ويوجه السلوك اعتمادا على خلق التصورات البعيدة التي لا يقوى على الوصول إليها إلا النادر من الناس.

وإن أخطر ما يواجه المواهب والقدرات في الحقل الدعوي أن تواجَه بنوعين من الأفكار، سماهما الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي:"الأفكار الميتة"التي لا تنتج أفعالا؛ أي الأفكار التي لا تفرق بين الحصى والذهب، و"الأفكار المميتة"التي تنتج أفعالا وتصورات ضد ما يتطلبه الواقع، وتخلق قيما مضادة للقيم الأصيلة، وتضفي هيبة وقداسة على أفكار بالية تفسد أكثر مما تصلح.

النبي صلى الله عليه وسلم راعي المواهب:

المتأمل في تاريخ الدعوة الإسلامية في بدايتها الأولى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يلاحظ اهتماما نبويا بتوظيف المواهب والقدرات في مكانها الصحيح، بعد امتلاك القدرة على استيعابها وامتصاصها إلى محيط الدعوة الرحب وإطارها الفسيح، مهما كان جنوح هذه الموهبة أو شراستها أو حتى تفوقها وتفردها النادر؛ فكان الداعي الأول محمد صلى الله عليه وسلم يضبط توجيه الموهبة مع إضفاء البعد العقدي الإيماني على حركتها؛ حتى يستفيد المجتمع المسلم من موهبته، وليس من وجوده في الإطار الإسلامي فقط، مع إعطاء صاحب الموهبة أبعادا رسالية في إبرازه لموهبته في خدمة الإسلام ونصرته؛ فكانت المواهب تجد متنفسا صحيا لها في ظلال الإسلام، فتنتج إبداعا قل نظيره.

ومن المواهب التي تعامل معها النبي صلى الله عليه وسلم موهبة الأدب والشعر، وكان الشعر في الجاهلية هو الأداة الأقوى في التأثير على الرأي العام، واستعمل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الموهبة التي تميز بها بعض أصحابه استعمالا كثيرا، فلم يُبقِ شاعرا إلا وقد استخرج كل ما عنده في نصرة الإسلام والرد على خصومه والإشادة بانتصاراته.

ومن هؤلاء حسان بن ثابت رضي الله عنه الذي عُرف بشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي كان يمتلك موهبة نادرة وقريحة حاضرة، تستطيع أن تخرج من أحرج المواقف بأقوى الكلمات.

هذه الموهبة الفذة تعامل معها النبي صلى الله عليه وسلم بما يليق بها، ووظفها في مكانها الصحيح؛ فكانت الموهبة إبداعا؛ ففي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له:"اهجُ قريشا؛ فإنه أشد عليها من رشق النبل"، فقال حسان:"قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه"(يقصد لسانه)، ثم قال:"والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم"، فقال صلى الله عليه وسلم:"إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحتَ عن الله ورسوله"، وفي رواية أخرى للبخاري:"اهجهم -أو هاجهم - وجبريل معك".

المواهب تتكامل:

ثم رأى النبي صلى الله عليه وسلم ضرورة التكامل بين المواهب لنصرة الإسلام، فأمر حسان الشاعر أن يجلس مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه النسابة حتى لا يخلط الشاعر الأنساب في هجائه، فيصيب النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه في شعره، فقال حسان:"والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين".

أما المواهب والقدرات العنيفة والظريفة والماكرة فتعامل معها النبي صلى الله عليه وسلم بحكمة بالغة، ووظفها في المجال اللائق بها و لم يهدرها، ومن نماذج ذلك: الصحابي عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه الذي كان فتاكا في الجاهلية؛ فأصبح بعد إسلامه رجل المهام الخاصة والعمليات الخطرة، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم أرسله في سرية بمفرده، بل تعجب النبي

صلى الله عليه وسلم من قدرته على النجاة من المواقف المهلكة، وأخبره أنه ما أرسله مع جماعة إلا قُتلوا وعاد هو إليه.

أما الصحابي نعيم بن مسعود الغطفاني رضي الله عنه الذي أسلم أثناء غزوة الخندق وفي ظروف عصيبة على المسلمين، والذي لا شك أنه كان يمتلك دهاء ومكرا قل نظيره، واستفاد النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الموهبة في شق التحالف بين اليهود ومشركي مكة، واقترب هذا الرجل بالدهاء من أن يكون جيشا؛ لأن توظيف الموهبة في مكانها الصحيح وتوقيتها المناسب قوة لا يستهان بها.

أما الموهبة الظريفة التي تحمل النبي صلى الله عليه وسلم بعض تجاوزاتها؛ فهي موهبة الصحابي نعيمان رضي الله عنه الذي كان يدخل السرور على نفس النبي صلى الله عليه وسلم بمواقفه الطريفة، والتي وصلت إلى حد بيع أحد الأحرار من المسلمين على أنه عبد، وذبْح جمل وتفريق لحمه، فتحمل النبي صلى الله عليه وسلم ثمنه و لم ينكر عليه.

الدعوة بين النمو والتكاثر:

إن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى النمو بقدر حاجتها إلى التكاثر، تحتاج أن تبلغ مراحل متقدمة من النضج، وأن تكون مَعْلما في الحياة، وتعلو فوق التيارات الفكرية والثقافية والاجتماعية المنافسة؛ لأن امتلاك الحق لا يعني بالضرورة امتلاك القدرة على جعله واقعا في الحياة.

وما دمنا نعيش حياة الانفتاح الثقافي والحضاري فإن الدعوة تحتاج إلى ثقافة حضارية شاملة مع امتلاك الوسائل التي يمكن من خلالها توصيل مبادئ الحق والخير على الناس على اختلاف مشاربهم وأفكارهم، وهو ما يفرض على الدعوة الإسلامية أن تكون مجالا رحبا لإفراغ الطاقات واستيعاب المواهب، وأن تمتلك فقه الصعود للمعالي من خلال خطة معرفية ذات أبعاد حضارية.

وإذا كانت الفضائيات والمسرح والفنون والسينما والرياضة.. إلخ قد أصبحت حواس جديدة للبشرية تتلمس بها الأفكار، وتسترشد بها في حياتها؛ فإن الدعاة يحتاجون إلى أن يكون لهم نصيب وافر منها؛ لأن الداعية الذي يمتلك موهبة الكلام والقدرة على التعامل مع وسائل الإعلام يتجاوز تأثيره الحدود، ويخترق بما يمتلكه من الحق والمفاتيح (المواهب) القدرة على وضع هذا الحق في القلوب والسلوك بعد تحطيم هذه الأقفال التي عليها.

لماذا تذبل المواهب؟

إن المواهب والقدرات مثل الجذور الجيدة، تحتاج إلى رعاية وعناية حتى لا تصاب بالضمور والتقزم، وربما تنقلب إلى مواهب ضارة في الحقل الدعوي.

ومن الأسباب التي تؤدي إلى ذبول المواهب في الدعوة وبين الدعاة:

ليست خطابة فقط:

وجود بعض الأفكار التي تقصر المواهب على الوعظ والخطابة فقط؛ فالموهبة عندهم لا تعدو أن تكون صوتا جهوريا، وقدرة على الانفعال والتأثير.

اجتهادات تحتاج لمراجعات:

وجود بعض الأفكار الطاردة للمواهب، استنادا إلى مقولات وأحكام اجتهادية تحتاج إلى مراجعة أو اجتهاد جديد يراعي متطلبات العصر، ومن ذلك الموقف من التمثيل والفنون المختلفة.

مفاهيم تربوية خاطئة:

وجود بعض الرؤى غير المنصفة لذوي المواهب في الحقل الدعوي، وفي التعامل معهم؛ فيرى البعض أن من حسن تربية بعض ذوي المواهب منع موهبته من الظهور، وعدم إعطائه الفرصة للتعبير عنها؛ حتى لا تصيبه أمراض النفوس من حب الشهرة والرياء!!

ويتناسى هؤلاء أن كبت المواهب بهذا الأسلوب هو كالعلاج الخاطئ الذي يصفه الطبيب للمريض؛ فضرره أكثر من نفعه.

الجهل بطبائع النفوس:

عدم إدراك بعض الدعاة لطبيعة النفس البشرية، وحاجتها إلى أن تتلقى الأفكار والتوجيه بغير الأسلوب التقليدي الوعظي، وحاجتها أيضا إلى الترويح والاستمتاع والتعبير عن نفسها وملكاتها من خلال الفنون والرياضة، سواء بالممارسة أو التذوق؛ وهو ما يؤدي إلى عدم وجود مساحات من الدعوة في بعض المناطق للمواهب.

النظرة الخاطئة للداعية:

إصرار الخطاب الثقافي المجتمعي العام على النظر إلى الداعية الإسلامي من خلال تصور جامد؛ فهو عندهم رجل مهيب، في ثياب بيضاء، صوته كالرعد، وكلامه كالجمر، يسوق الناس بصوته ومواعظه الملتهبة نحو الإيمان؛ وهو ما يخلق إطارا إجباريا لحركة الداعية؛ حتى لا يصطدم بتصورات الناس، وربما كبت بعض مواهبه وقصرها على حالة لا تتعداها.

عدم التعهد والرعاية:

قلة رعاية المواهب في الحقل الدعوي وعدم توفير مستلزمات صقل المواهب وتنميتها، من توفير احتياجاتها من أدوات أو تفرغ أو دعم مالي ومعنوي، والنظر إلى تكلفة رعاية الموهبة على أنه إنفاق بلا عائد!!

تطليق المواهب:

وجود بعض الإدراكات غير الصحيحة في أذهان بعض الموهوبين؛ إذ يظن البعض منهم أن دخولهم في حقل الدعوة الإسلامية يفرض عليهم إيقاع طلاق بائن بينهم وبين مواهبهم.

الاحتكار الإعلامي:

هناك بعض العناصر الخارجية التي تعيق نمو المواهب في الحقل الدعوي؛ أهمها إصرار أعداء الدعوة في الداخل والخارج على أن تكون عملية بزوغ المواهب ونموها وفرضها على الجميع احتكارا لهم لا يشاركهم فيها الدعاة المسلمون، ومن ذلك الإصرار على أن يكون التدفق الإعلامي من جانب واحد، وأن يكون المسلمون مستهلكين فقط وليسوا منتجين، وأن تركز الفنون المختلفة على العنف والشهوة، وليس المبادئ والأخلاق والقيم.

واجباتنا تجاه المواهب:

١- ضرورة وجود خطة إستراتيجية لرعاية المواهب، وجذبها إلى صفوف الإسلام، وهذا يتطلب عدم استتراف الموهبة في مجالات خارج نطاق الموهبة؛ لأن هذا التوظيف الخاطئ يخلق مشكلة ذات وجهين، هما: ضمور الموهبة، وضعف الإنتاج في المجال الدعوي؛ فيصبح الداعية كَلا على دعوته.

٢- ضرورة وجود خطة لاكتشاف المواهب والتنقيب عنها بين الصفوف، من خلال ما يسمى بـــ"التربية من خلال الورطة"، أو"الاكتشاف من خلال الأزمة"؛ أي وضع بعض الأفراد على محكات مختلفة لاكتشاف المواهب الدفينة، وهذه المحكات المختلفة والمواقف المتعددة تكسر حواجز الحياء غير الحق في نفس الشاب المسلم، وتتيح له الفرص للتعبير عن مكنونات نفسه.

٣- ضرورة التعامل في الإطار الدعوي مع بعض أصحاب المواهب من خلال الهدف، وليس من خلال أجندة عمل واجبة التنفيذ؛ لأن أصحاب المواهب قلما يحبون التقيد، ولديهم بعض الشطحات التي تحتاج إلى حكمة في التعامل معها وقبول وجودها، والقارئ لتاريخ العباقرة في الإنسانية يجد ذلك جليا؛ لأن الطاقة الموهوبة تفوق في بعض الأحيان القدرة على كبح جماحها؛ فتصدر بعض الأفعال والتصرفات غير المألوفة التي قد ينظر لها البعض نظرة غير منصفة.

٨٤-المحنة في حياة الدعوة والداعية[١]:

تكاد تكون المحنة من الظواهر الملازمة للحركة الإسلامية قديمًا وحديثًا؛ فالإسلام دعوة على مظاهر الحياة الجاهلية في كل صورها وأشكالها.. وهذه الخاصة التي يمتاز بها الإسلام، جعلت الحركة الإسلامية أكثر تعرضًا للمحن، وبالتالي جعلت المحنة لديها ذات مفهوم خاص لا يشاركها فيه سواها من الحركات الحزبية والسياسية.

المحنة تربية وتمحيص:

فالمحنة من أهم عوامل التكوين والاختيار في الإسلام.. وقد لا يكون للتكوين النظري قيمة ما لم تشترك فيه عوامل الشدة والبلاء. والإيمان نفسه بحاجة إلى المحنة؛ لسبر غوره وإدراك مداه، فالإيمان القوي الراسخ هو الذي يصمد في ساعة العسرة. أما الإيمان السقيم العليل فسرعان ما تكشفه المحن وتصدعه، وصدق الله تعالى حيث يقول:)) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ(١٠)وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ(١١) (([سورة العنكبوت].

صور من محن الأولين:

قضت سنة الله.. أن يكون الحق في صراع أبدي مع الباطل:)) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا(١٩) (([سورة الجن]...)) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ(٨) (([سورة الصف]. ومنذ ولد الخير ووجد الشر، والصراع عنيف ومخيف بينهما، والحقيقة التي تتكرر باستمرار هي أن الحق دائمًا في انتصار، وأن الباطل

---

[١] الأستاذ فتحي يكن.

دائمًا في انتحار:)) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ(١٧١)إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ(١٧٢)وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ(١٧٣) (([سورة الصافات].

المحنة في حياة إبراهيم عليه السلام:

لم تكن المحنة التي تعرض لها خليل الرحمن إلا إحدى حلقات الصراع، الممتدة عبر القرون.. والتي تؤكد على الزمن غلبة أهل الحق وهزيمة أهل الباطل.

نشأ إبراهيم عليه السلام في مجتمع جاهلي، وأبت الفطرة السليمة مجاراة التيار، والانسياق مع الرأي العام، وصمم إبراهيم صلى الله عليه وسلم على التصدي للجاهلية.

وتبدأ المحنة في حياة هذا الفرد.. فرد يمتطي صهوة الحق وحيدًا.. ويعلن على الملأ إيمانه بالله وكفره بما يعبدون من دونه..)) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ(٧٥)أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ(٧٦)فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ(٧٧) (([سورة الشعراء].

ويجدر بالداعية أن يقف هنا مليًا، يستشعر عظمة الإيمان الذي اعتمر به قلب إبراهيم.. إنه وحيد ليس وراءه جماعة ولا أنصار، ومنبوذ حتى من ذوي القرابة والوالدين.

وتشتد المحنة على إبراهيم، ويلقى في النار.. والرسول الممتحن يصغي إلى نداء الله، وهو في حمأة اللهب المستعر:)) يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ(٦٩)وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ(٧٠)وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ(٧١) (([سورة الأنبياء].

وتمضي قصة المحنة التي تعرض لها أبو الأنبياء ترسم لأهل الحق صورًا شتى من صور الرجولة والبطولة.

المحنة في حياة موسى عليه السلام:

وحياة موسى عليه السلام لم تكن غير سلسلة من المآسي والآلام، بل إن المحنة رافقت موسى رضيعًا تتقاذفه الأمواج، وشبت معه فتى يانعًا هاربًا من بطش فرعون.. وزاد حياته محنة على

محنة تعرضه لنقمة فرعون من جهة، ولإيذاء قومه وسفههم من جهة أخرى.. ويمضي موسى في طريقه حاملاً كل التبعات.. وفي فترة من فترات الضعف البشري يُحس موسى بالوجل والخوف يختلجان في صدره وهو في قلب المعركة.. ولكن السماء سرعان ما تتداركه بالمدد:)) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى(٦٧)قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى(٦٨)وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى(٦٩) (([سورة طه] ويخرج موسى من هذه التجارب أصلب عودًا وأشد صمودًا.

المحنة في حياة عيسى عليه السلام:

مما لا ريب فيه أن عيسى عليه السلام كان يتمتع بطاقة ضخمة من الصبر والاحتمال.. ومما زاد في قسوة الظروف التي أحاطت به وبنشأته، أنه واجه في ماضي مولده ألوان الشكوك.. كما واجه في حاضر دعوته ضروب العنت والتمرد.. ويكفي لكي نقدر مدى ما وصل إليه العنف والتمرد أن نعرف أن المعجزات التي بلغت على يدي عيسى حدًا كبيرًا لم يكن لها ذلك الأثر المنتظر في استمالة النفوس وتأليف القلوب.. ولكن عيسى عليه السلام.. كان يؤمن بأنه رسول.. وأن عليه البلاغ المبين. وكان طيب النفس حليمًا.

حاول اليهود أن يخففوا من أثر دعوته وأن يخفوا عن الناس أمره.. ولما أعيت الحيلة أهل الباطل.. ائتمروا به ليقتلوه.. أما عيسى روح الله.. فقد كانت عين الله تحرسه وترعاه.. فلما همّ القوم بما دفعهم إليه حقدهم الأسود..

وقع تحت أيديهم رجل شديد الشبه به، فقتلوه وهم يحسبون أنهم قتلوا عيسى:)) وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا(١٥٧)بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا(١٥٨) (([سورة النساء].

محنة الإسلام في عهد النبوة:

كان الإسلام ثورة على الجاهلية من أول يوم.. ثورة استهدفت نسف القواعد التي قام عليها المجتمع الجاهلي، فليس من طبيعة الإسلام أن يهادن الأوضاع الخربة، أو يعمد إلى ترميمها وإصلاحها، وإنما يعتمد سياسة الهدم والبناء.. هدم الجاهلية بكل مرافقها، وبناء الحياة الإسلامية بجميع مقتضياتها. وإذا كانت هذه طبيعة الدعوة التي نهض بها النبي صلى الله عليه وسلم، فبديهي أن تستأسد قوى الجاهلية وتستميت في الدفاع عن كيانها المهدد بالنسف والدمار.

حرب الأعصاب: تفنن أهل الجاهلية في حرب النبي صلى الله عليه وسلم، وابتكروا كل جديد لضرب الإسلام، وحشدوا كل قواهم لعرقلة المسيرة القرآنية، فعمدوا أولاً: إلى أسلوب نفسي خسيس يستهدف تدمير أعصاب الرسول صلى الله عليه وسلم، والقضاء على روحه المعنوية العالية، وشنوا لذلك حملات عنيفة من السخرية والاستهزاء عرض لها القرآن الكريم في أكثر من موضع:)) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا(٩٠)أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا(٩١)أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا(٩٢)أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ...(٩٣) (([سورة الإسراء].

وعندما فشلت هذه الأساليب الرخيصة عمد المشركون إلى اختلاق الشائعات والتهم على رسول الله، وبثوها في كل الأوساط؛ ليضعفوا الثقة به وليصدوا عن سبيل الله:)) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ(٤٦) (([سورة إبراهيم]. وكانت المحنة على ضراوتها وقسوتها لا تزيده صلى الله عليه وسلم إلا صلابة وتصميمًا..

تعرض وإيذاء ومحاولات اغتيال: ولما يئسوا من الحرب النفسية، وحرب الأعصاب، وحرب الشائعات.. لجأوا إلى الحرب الحسية ينالون بها من دعاة الإسلام..

ويجتمع سادة قريش يومًا في (الحجر) ويذكرون محمدًا وتحديه السافر لمقدساتهم.. فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ سَفَّهَ أَحْلَامَنَا وَشَتَمَ آبَاءَنَا وَعَابَ دِينَنَا وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا وَسَبَّ آلِهَتَنَا لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَثَبُوا إِلَيْهِ وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَأَحَاطُوا بِهِ يَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ عَنْهُ مِنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَدِينِهِمْ - فيجيبهم نبي الهدى بكل ثقة واعتزاز- فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ]رواه أحمد. يقولها بكل صراحة ويعلنها بملء فيه.. لقد أصابه منهم في ذلك اليوم ما أصابه.. وأدركهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد كادوا يجهزون عليه.. فانبرى يدافع عنه ويقول:"أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ".. ولما أوقع في أيدي المشركين، وأعجزهم الحيلة تداعوا إلى مؤتمر عقدوه في دار الندوة. ولما وضعوا خطتهم، وحزبوا أمرهم؛ كشف الله مكرهم ورد كيدهم:)) وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ(٣٠) (([سورة الأنفال].

المحنة في حياة الصحابة:

وفي عهد النبوة تعرض دعاة الإسلام لأبشع صنوف الإيذاء والتعذيب، ولم تقتصر المحنة على نفر دون نفر أو طبقة دون أخرى، بل لقد بلغت الجميع: النساء والرجال، الصغار والكبار، العبيد والأحرار.

محنة بلال: كان أمية بن خلف يخرج بلالاً إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يتهدده قائلاً: إنك ستظل هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، أو تعبد اللات والعزى، وكان بلال رضي الله عنه يردد:"أَحَدٌ أَحَدٌ".

محنة آل ياسر: وكان بنو مخزوم يخرجون"آل ياسر"جميعًا يعذبونهم برمضاء مكة. أما ياسر- الأب- فلم يقو على تحمل العذاب لكبر سنه؛ فمات لتوه، وأما سمية - الأم- فقد أغلظت القول لأبي جهل فطعنها عدو الله بحربة في أحشائها، فكانت أول شهيدة في الإسلام..)) وَلَا

تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(١٦٩)فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(١٧٠)يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ(١٧١) (([سورة آل عمران].

نموذج من شهداء الإسلام في عصر النبوة:

لكم شهدت أيام الإسلام في عصر النبوة من أبطال صناديد، شرفوا التاريخ، ويكفي أن نختار منهم:خبيب بن عدي؛ لندرك أي أثر كان للعقيدة في نفوس هؤلاء: اعتقل خبيب وكان في طريقه من المدينة إلى عضل والقارة؛ ليقوم بمهام الدعوة التي كلفه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وساقه المجرمون إلى مكة وباعوه لحجر بن أبي إهاب التميمي ليقتله بأبيه الذي قتل في غزوة بدر الكبرى.

وفي اليوم المحدد لقتله أخرجه المشركون إلى التنعيم ليصلبوه، فقال لهم:"إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا"قالوا: دونك فاركع.. فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم، فقال:"أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعًا من الموت لاستكثرت من الصلاة". وعندما رُفع خبيب على الخشبة قال له المشركون: ارجع عن الإسلام نخلي سبيلك. فقال:"لا والله ما أحب أن أرجع عن الإسلام وأن لي ما في الأرض جميعًا.. إن قتلي في الله لقليل.. اللهم إني لا أرى إلا وجه عدو، اللهم إنه ليس هاهنا أحد يبلغ رسولك عني السلام، فبلغه أنت السلام".. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت بين صحبه في المدينة، فأخذته غيبة ثم قال:[هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُنِي مِنْ خُبَيْبٍ اَلسَّلَامَ] رواه الطبراني في معجمه الكبير-بنحوه-.

واقترب من خبيب أربعون رجلاً من المشركين، بأيديهم الرماح، وقالوا: هذا الذي قتل آباءكم في بدر. فقال خبيب:"اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك.. فأبلغه الغداة ما يُصنع بنا".

وعندما أخذت الرماح تمزق جسده، استدار إلى الكعبة وقال:"الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي ارتضى لنفسه ونبيه وللمؤمنين".. واستمر أعداء الله يمزقون جسد خبيب برماحهم وهو لايفتر يردد:"لا إله إلا الله محمد رسول الله" حتى لفظ نفسه الأخير، وفاضت روحه الزكية الطاهرة إلى الملأ الأعلى.

المحنة في عصر التابعين:

ويأتي عصر التابعين.. ويطالعنا التاريخ بألوان شتى من محن الإسلام.. ففي هذه المرحلة تتكاتف لهدم الإسلام معاول الأبناء والأعداء، ففي عام ٧٥ هـ ـ يتولى الحجاج بن يوسف الحكم في العراق. ويشهد هذا البلد الإسلامي في عهده أيامًا سوداء. ومن سنة الله في خلقه أنه يهيء للطغاة رجالاً لا يهابون الطغيان.. يصنعهم على عينه. ويهبهم الجرأة فيه، وكان سعيد بن جبير أحد هؤلاء الذين خلصوا من حظ أنفسهم..

وعندما صمم الحجاج على قتله والخلاص منه أرسل جنودًا بطلبه فجاءوا به، وأدخلوه عليه، ثم ذبحوه على النطع ـ رحمه الله ـ، وعاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة ثم مات.

المحنة بين الأمس واليوم:

هكذا تبدت معالم الصراع بين الحق والباطل على مدار التاريخ، إنها صورة واحدة ذات أشكال متعددة.. تتغير فيها الأزمان، والأشخاص وتبقى الحقيقة هي هي.. إنه استعلاء الإيمان في كل زمان.. واعتزاز الحق في كل عصر.

أصحاب العقيدة يدفعون الثمن: وتشتد المحنة في حياة الدعوة.. وتئول قيادة الأمة إلى حكام طغاة، يسومون المؤمنين سوء العذاب.. وحق على دعوة الإسلام أن تدفع الثمن. وتدفعه بسخاء: دماء وضحايا وشهداء.

كيف نواجه المحن؟

إن الحركة الإسلامية إذ تواجه اليوم ما تواجه من تحديات وضغوط ينبغي أن:

تنطلق على هدي: فلا تتحكم في سيرها الانفعالات، أو تميد بها العواطف والطفرات.

مدعوة لمواجهة هذه الحرب السافرة على الإسلام وأهله: بالصياغة الحسنة لشبابها ورجالها، وبالإعداد الكامل، ثم بالتخطيط الواعي لكل خطوة من خطاها.

أن تغرس في نفوس عناصرها ودعاتها روح البذل والتضحية، وتستأصل من نفوسهم عوامل الضعف والخوف والانهزام.

إن الحركة الإسلامية مدعوة: لتضع في تقديرها وحسابها في مجالات التربية والتكوين ثقل المسئولية، وضخامة التبعة التي تنتظرها وتنتظر أفرادها؛ فتسلك بهم كل ما من شأنه أن يعدهم لحياة المجاهدة والمرابطة والكفاح.. وتنأى عما يخلد بهم إلى الأرض ويعودهم حياة الدعة والخنوع.

٨٥-إحدى عشرة وسيلة للتأثير على القلوب[١]:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ثم أما بعد:

---

[١] إبراهيم بن عبدالله الدويش/المصدر: موقع طريق الإسلام

فهذه وقفة مع حكاية الله _عز وجل_ طرفاً مما دار بين يوسف _عليه السلام_ وبين صاحبي السجن، أخبر الله _تعالى _ عن يوسف عندما سأله صاحباه تأويل الرؤية أنه قال للسجينين:"لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا"(يوسف: من الآية٣٧) من المفسرين من ذكر أن يوسف يقول للسجينين: لا يأتيكما طعام إلا أخبركما بنوع الطعام الذي سيأتي كما قال عيسى _عليه السلام_:"وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ"(آل عمران: من الآية٤٩) والقول الآخر: إن يوسف يقول لهما بلسان الحال سأعبّر لكم الرؤيا، ولكن ليس الآن، سأؤخرها إلى وقت حضور الطعام، وهم يعرفون متى يحضر الطعام، فقوله:"إلاّ نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما"، معناه: سأنبئكم قبل حضور الطعام، أي لن أؤخر تعبير الرؤيا تأخيراً كثيراً، ولكن عندي موضوع أهم وهو الدعوة إلى الله _جل وعلا_، وهذا هو المعنى الراجح والمعنى الأقوى.. ثم بدأ في دعوتهم إلى الله _جل وعلا_ فلما انتهى من بيان الدعوة قال لهما:"يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً"(يوسف: من الآية٤١).

وهذا الأسلوب من يوسف _عليه السلام_ من باب التشويق؛ لأنه لو أخبرهما بتعبير الرؤيا قبل أن يدعوهما إلى الله لانشغل كل واحد منهما بتعبير رؤيته، فالذي قيل له: إنه سيخرج وسيسقي ربه خمراً سينشغل باله بالخروج والاستعداد له، والذي قيل له: ستصلب سينشغل باله بالقتل ومآله، فإذا حدّثهما عن الدعوة لم يكونا قد هيِّئا لهذا الأمر، فقال لهما: سأؤجل تعبير الرؤيا؛ لأنه يعلم ماذا في الرؤيا، وبدأ يدعوهما والذهن صافٍ وبعيد عن الشواغل

وهذا أسلوب رائع من يوسف _عليه السلام_ وفيه دروس أهمها:

أن الداعية لا يحول بينه وبين تبليغ دعوته أي شيء ما دام على قيد الحياة، العالم الصادق لا يستطيع أحد على سطح الأرض أن يمنعه من تبليغ دعوته ما دامت عينه تطرف وقلبه ينبض ولسانه معه، وهكذا كان يوسف، فمع أنه سُجن غير أنه لم يترك الدعوة إلى الله _جل وعلا_ بل تستطيع إذا ابتليت -وأسأل الله أن يعفيك- أن تدعو إلى الله ولو مع السجان حتى

لو حيل بينك وبين الناس وعزلت وحدك، فلا بد أن يأتيك السجان عند أكلك وشربك فتستطيع أن تدعوه.

والدعوة في السجن لها أساليب ووسائل عدة فقد لا تكون بالكلام بل بالخلق وبالمعاملة، فمن عامل الناس بأخلاقه لا بأخلاقهم، اطرد في حياته، وكان لفعله وقوله تأثير، وهناك خلل يقع فيه البعض حيث تتناقض أخلاقه تبعاً لأخلاق الناس، فلو لم يكن مع المسجون إلا أن يتعامل مع السجان بالخلق الصحيح لكان دعوة له كيف إذا أتيحت له الفرصة في الكلام معه ووعظه.

إن الوسائل تختلف، وكذلك الأساليب تتنوع وبعض الأساليب والوسائل أقوى من بعض حتى في السجن فلا عذر لأحد.

وإذا كان الأمر كذلك فما هو عذر هؤلاء الذين لا يبلغون رسالة الله وهم في بيوقم ومع أهلهم ومع أزواجهم بحجج واهية هم يعرفون عدم صدقها أكثر من غيرهم"بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ"(القيامة:١٥).

في صحيح البخاري أن شاباً جاء يعود عمر _رضي الله عنه_ في مرض موته بعد أن طعن، فأثنى عليه خيراً ثم انصرف، فلما أدبر رأى عمر إزاره يمس الأرض، فقال: ردوه علي، ثم قال له: ابن أخي! ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك.

فانظر إلى الخليفة الراشد _رضوان الله عليه_ على أي حال وفي أي وقت يحرص على الدعوة؟ وفي مسألة قد يراها بعض من ينتسب إلى الطيبين اليوم ثانوية!!

أخا الإسلام إن الناس لن يحاسبوك ولكن سيحاسبك الله _جل وعلا_ وهو يعلم هل أنت معذور أو لا فإذا كان يوسف وهو في السجن يبلغ رسالة ربه ومثله فعل عدد من العلماء والمصلحين على مدار التاريخ، فما هي حجتك؟ لماذا لم تُقِم الدعوة بين أهلك وبنيك وأمك وأبيك وأختك وأخيك؟ إن الأقربين أولى بالمعروف.

إننا لم نسمع بنبي جاء بدعوة التوحيد فهيئ له قومه اللاقطات والمنابر وحشدوا له الجموع والطلاب من أجل الاستفادة من علمه بل قال الله _تعالى_:"كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلاّ قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون".

إن الصادق يبلّغ رسالات ربه على أي حال، وفي أي وضع في السجن وفي خارج السجن، بالعبارة المسموعة وبالمقالة المقروءة وبالإشارة المرئية، بل بالسكوت حيث يحسن السكوت وبالمعاملة الطيبة، ولن يملك مخلوق أن يحجر على الناس الدعوة إلاّ في نطاق ضيق مخصوص، فالعاقل من نظر ببصره إلى ميادين الدعوة الأخرى الرحيبة الفسيحة، وأعمل فكره كيف يبلغ رسالات الله فيها واضعاً نصب عينيه قول الله _تعالى_:"قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن وسبحان الله وما أنا من المشركين".

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اتبع أثرهم إلى يوم الدين.

٨٦-الدعوة ميدان واسع[١]:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ثم أما بعد:

فهذه وقفة مع حكاية الله _عز وجل_ طرفاً مما دار بين يوسف _عليه السلام_ وبين صاحبي السجن، أخبر الله _تعالى _ عن يوسف عندما سأله صاحباه تأويل الرؤية أنه قال للسجينين:"لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا"(يوسف: من الآية٣٧) من المفسرين من ذكر أن يوسف يقول للسجينين: لا يأتيكما طعام إلا أخبركما بنوع الطعام الذي سيأتي كما قال عيسى _عليه السلام_:"وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ

---

[١] كاتب المقال: أ.د. ناصر بن سليمان العمر/المصدر: موقع أنا المسلم

فِي بُيُوتِكُمْ''(آل عمران: من الآية٤٩) والقول الآخر: إن يوسف يقول لهما بلسان الحال سأعبّر لكم الرؤيا، ولكن ليس الآن، سأؤخرها إلى وقت حضور الطعام، وهم يعرفون متى يحضر الطعام، فقوله:''إلاّ نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما"، معناه: سأنبئكم قبل حضور الطعام، أي لن أؤخر تعبير الرؤيا تأخيراً كثيراً، ولكن عندي موضوع أهم وهو الدعوة إلى الله _جل وعلا_، وهذا هو المعنى الراجح والمعنى الأقوى.. ثم بدأ في دعوتهم إلى الله _جل وعلا_ فلما انتهى من بيان الدعوة قال لهما:''يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً''(يوسف: من الآية٤١).

وهذا الأسلوب من يوسف _عليه السلام_ من باب التشويق؛ لأنه لو أخبرهما بتعبير الرؤيا قبل أن يدعوهما إلى الله لانشغل كل واحد منهما بتعبير رؤيته، فالذي قيل له: إنه سيخرج وسيسقي ربه خمراً سينشغل باله بالخروج والاستعداد له، والذي قيل له: ستصلب سينشغل باله بالقتل ومآله، فإذا حدّثهما عن الدعوة لم يكونا قد هيِّئا لهذا الأمر، فقال لهما: سأؤجل تعبير الرؤيا؛ لأنه يعلم ماذا في الرؤيا، وبدأ يدعوهما والذهن صافٍ وبعيد عن الشواغل، وهذا أسلوب رائع من يوسف _عليه السلام_ وفيه دروس أهمها:

أن الداعية لا يحول بينه وبين تبليغ دعوته أي شيء ما دام على قيد الحياة، العالم الصادق لا يستطيع أحد على سطح الأرض أن يمنعه من تبليغ دعوته ما دامت عينه تطرف وقلبه ينبض ولسانه معه، وهكذا كان يوسف، فمع أنه سُجن غير أنه لم يترك الدعوة إلى الله _جل وعلا_ بل تستطيع إذا ابتليت -وأسأل الله أن يعفيك- أن تدعو إلى الله ولو مع السجان حتى لو حيل بينك وبين الناس وعزلت وحدك، فلا بد أن يأتيك السجان عند أكلك وشربك فتستطيع أن تدعوه.

والدعوة في السجن لها أساليب ووسائل عدة فقد لا تكون بالكلام بل بالخلق وبالمعاملة، فمن عامل الناس بأخلاقه لا بأخلاقهم، اطرد في حياته، وكان لفعله وقوله تأثير، وهناك خلل يقع فيه البعض حيث تتناقض أخلاقه تبعاً لأخلاق الناس، فلو لم يكن مع المسجون إلا أن يتعامل

مع السجان بالخلق الصحيح لكان دعوة له كيف إذا أتيحت له الفرصة في الكلام معه ووعظه.

إن الوسائل تختلف، وكذلك الأساليب تتنوع وبعض الأساليب والوسائل أقوى من بعض حتى في السجن فلا عذر لأحد.

وإذا كان الأمر كذلك فما هو عذر هؤلاء الذين لا يبلغون رسالة الله وهم في بيوتهم ومع أهلهم ومع أزواجهم بحجج واهية هم يعرفون عدم صدقها أكثر من غيرهم"بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ"(القيامة:١٥).

في صحيح البخاري أن شاباً جاء يعود عمر _رضي الله عنه_ في مرض موته بعد أن طعن، فأثنى عليه خيراً ثم انصرف، فلما أدبر رأى عمر إزاره يمس الأرض، فقال: ردوه علي، ثم قال له: ابن أخي! ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك.

فانظر إلى الخليفة الراشد _رضوان الله عليه_ على أي حال وفي أي وقت يحرص على الدعوة؟ وفي مسألة قد يراها بعض من ينتسب إلى الطيبين اليوم ثانوية!!

أخا الإسلام إن الناس لن يحاسبوك ولكن سيحاسبك الله _جل وعلا_ وهو يعلم هل أنت معذور أو لا فإذا كان يوسف وهو في السجن يبلغ رسالة ربه ومثله فعل عدد من العلماء والمصلحين على مدار التاريخ، فما هي حجتك؟ لماذا لم تُقِم الدعوة بين أهلك وبنيك وأمك وأبيك وأختك وأخيك؟ إن الأقربين أولى بالمعروف.

إننا لم نسمع بنبي جاء بدعوة التوحيد فهيئ له قومه اللاقطات والمنابر وحشدوا له الجموع والطلاب من أجل الاستفادة من علمه بل قال الله _تعالى_:"كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلاّ قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون".

إن الصادق يبلّغ رسالات ربه على أي حال، وفي أي وضع في السجن وفي خارج السجن، بالعبارة المسموعة وبالمقالة المقروءة وبالإشارة المرئية، بل بالسكوت حيث يحسن السكوت

وبالمعاملة الطيبة، ولن يملك مخلوق أن يحجر على الناس الدعوة إلاّ في نطاق ضيق مخصوص، فالعاقل من نظر ببصره إلى ميادين الدعوة الأخرى الرحيبة الفسيحة، وأعمل فكره كيف يبلغ رسالات الله فيها واضعاً نصب عينيه قول الله _تعالى_:"قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن وسبحان الله وما أنا من المشركين".

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحابته ومن اتبع أثرهم إلى يوم الدين.

٨٧-المرأة الداعية.. والمرحلة الصعبة[١]:

في ظل المستجدات المعاصرة، أدرك المهتمون بأمر الإسلام والمسلمين ضرورة القيام بتوعية المجتمع وتثقيفه الثقافة الدينية الصحيحة، وحماية قناعاته وبذل الجهد في إنشاء البنية الإيمانية الصلبة لمواجهة التيارات التي تهدف لإبعاد المسلمين عن دينهم وتشويه صورة التدين والاستقامة في أذهان المسلمين ولا سيما الشباب والناشئة، وكذلك التحذير من الدور الإفسادي المركز على كيان الأسرة والمرأة بشكل خاص، لإقصائها عن أداء رسالتها، وغرس بذور التمرد على دينها.

فلذلك كان من المهم توجيه الاهتمام إلى تفعيل وتنشيط العمل الدعوي النسائي؛ لأن المرأة أكثر إدراكاً لخصوصيات المجتمع النسائي ومشكلاته؛ حيث يجمعها معهن نفس الخصائص،

---

[١] كاتب المقال: أسماء الرويشد

كما يجمعها معهن فرص كبيرة وواسعة تمكنها من الاتصال بهن والتأثير عليهن؛ فهي أقدر في التأثير على بنات جنسها، وأكثر إلماماً بما ينبغي أن يكون عليه الخطاب الدعوي النسائي.

ومع أننا أمام مرحلة صعبة جداً نرى فيها ما يسمى «بالتغيير» و «التجديد» و «التطوير» يزحف على شعائر الدين وثوابته، وينال منه ما ينال حتى أصبح الدين من متغيرات هذا العصر؛ فإننا لا نزال نرى تقاعس الكثيرات من ذوات الطاقات الفاعلة التي تشكل إمكانات دعوية مهدرة وقدرات علمية معطلة في وقت يستلزم تجنيد جميع الطاقات والإمكانات العلمية والدعوية ما يساندها لمواجهة غزو التغيير، كما أنه يتحتم علينا جميعاً في ظل هذه الظروف التواصي فيما بيننا بالحق والتواصي بالصبر فما هو إلا الابتلاء الذي ذكره الله ــ - عز وجل - ــ: ((وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ)) [محمد: ٤] مع الاستبشار بوعد الله حتى ينجلي الأمر ويأذن الله القدير بنصرنا.

فإلى الأخوات الداعيات أوجه هذه الوصايا:

١ - لا بد للداعية من استيعاب مستجدات هذه المرحلة وفهم مشاريع التغريب وإدراك أن هناك مؤامرة ضد المرأة تجاوزت مرحلة التخطيط إلى مرحلة التفعيل والتنفيذ.

٢ - أن تحرص على رفع مستوى الوعي والتثقيف لديها بتكثيف ساعات الاطلاع والقراءة مع مراعاة تنوع المضمون.

٣ - أن تدرك أننا نعيش مرحلة تحتاج منا إلى زيادة مساحة الانتشار، وتجاوز دائرة الصالحات، واختراق صفوف مجتمعنا النسائي بإيجاد الفرص واستغلال المتاح منها.

٤ - أن مجتمعاتنا تنفتح مع الوقت وبشكل مطَّرد على ثقافات وأفكار مختلفة؛ فعلى الداعية أن تركِّز في الخطاب الدعوي على الجانب العقدي والإيماني بشكل خاص مع الاعتناء بلغة الإقناع والحوار الموضوعي.

٥ - تذكري أن المنهج الإسلامي يجمع بين المثالية مع مراعاة واقع البشرية؛ وذلك لاختلاف طبائع الناس واستعداداتهم الفطرية وقدراتهم الفردية؛ ففرقي بين ما تطلبينه لنفسك ولأهلك من مستوى الكمال والمثالية وبين ما تسعين لإصلاحه في واقع المجتمع مع اتساع المنهج لذلك؛ فلا بد من الواقعية في تصور حلول المشكلات وتصحيح الأخطاء.

٦ - العمل على ترسيخ القيم والقناعات الصحيحة خاصة لدى الفتيات لكي لا تتحول الأخطاء من مستوى الممارسة والسلوك إلى مستوى القناعات والقيم.

٧ - أختي الداعية: استفيدي من الفرص، وأوجدي لنفسك المناسبات للحديث الإيجابي المفيد، وأمسكي بناصية الحديث بذكر قصة أو موقف ذي عبرة وفائدة.

٨ - من أرادت نصرة هذا الدين والدعوة إليه فلا بد لها من أن تضحي بشيء من حظوظ نفسها وراحتها ومالها، وأن تنال الدعوة مساحة كبيرة من اهتمامها، وأن تجتهد في تحويل الوصايا والكلمات إلى واقع في حياتها.

٩ - صدق العزيمة هو أساس النجاح والتوفيق مع ربط القلب بالله ـــ - تعالى - ـــ والاستعانة والافتقار إلى توفيقه وتسديده والإكثار من الاستغفار والتوبة. والله ولي التوفيق.

٨٨-من صفات المرأة الداعية[(١)]:

إذا كنّا نتحدث عن الفتاة الملتزمة؛ فإنني لا أكاد أتصور فتاة أو رجلاً ملتزمًا يمكن أن يكون غير داع - في مثل هذه الظروف الواقعة الآن - لأن من الالتزام أن يدعو الإنسان.

ومعنى كون المرأة ملتزمة؛ أنها مطيعة لربها، والله ـــ عز وجل ـــ يقول: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) [التوبة:٧١]. فأمرها بالمعروف

---

(١) كاتب المقال: سلمان بن فهد العودة/المصدر: لها أون لاين

ونهيها عن المنكر؛ جزء من التزامها، وقيامها بالدعوة - أيضًا - جزء من التزامها؛ لأن الله تعالى يقول: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) [آل عمران: ١١٠]،

ويقول تعالى أيضًا (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)[البقرة: ١٤٣].

وقد أثبتت التجارب والأحداث الكثيرة، أن هذه الأمة -رجالاً ونساء - لديها قدرة على قبول الحق؛ بل لديها رغبة في إيجاد الحق والتزامه، فلا عبرة بقول إنسان إنه ملتزم لكنه غير داعية، لا يمكن هذا؛ لأن الملتزم -رجلاً كان أو امرأة- هو داعية إلى الله؛ إذ إنّ التزامه يعني أنه مطيع لله، والذي أمره بالصلاة هو الذي أمره بالدعوة، وهو الذي أمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يمكن أن نفرق بين هذا وذاك بحال من الأحوال، وينبغي أن نعلم بأن كل صفة نتصورها من الرجل الداعي؛ يجب أن تكون أيضًا في المرأة الداعية.

وسوف نتناول بعض الصفات المهمة التي تطلب من الفتاة والمرأة الداعية، كما هي مطلوبة أيضًا من الرجل الداعي:

***الصفة الأولى: العلم بما تدعو إليه:**

يجب على المرأة الداعية أن تدعو إلى الله على بصيرة وعلى علم، فلا يمكن أن تدعو إلى شيء وهي لا تعلم هل هو من الشرع أم لا، هل هو من العبادات، أم من العادات، هل هو من الأمور الدينية، أم من التقاليد الاجتماعية الموروثة -مثلاً-؟!

والشرع واضح بحمد الله: إما آية محكمة، أوسنة ماضية، أو إجماع قائم، أو قول معروف مبني على اجتهاد صحيح واضح كالشمس. فلابد أن تعرف المرأة المسلمة الأمر الذي تدعو إليه بدليله، بحيث إذا قال لها أحد: ما الدليل؟ أو لماذا؟ استطاعت أن تجيبه عن ذلك.

***الصفة الثانية: القدوة الحسنة:**

قال الله تعالى على لسان نبيه شعيب - عليه السلام -: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) [هود:٨٨]، وفي صحيح البخاري عن أسامة بن زيد - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:"يؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار، فتنْدَلِق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان، ما لك، ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه".

إذاً من الخطورة بمكان، أن يتكلم الإنسان بلسانه، ويكذب ذلك بأفعاله.

يا واعظَ الناس قد أصبحتَ متَّهمًا

ذ عِبْتَ منهم أمورًا أنت تأتيها

أصبحتَ تنصحهم بالوعظ مجتهدًا

والموبقات- لَعَمري- أنت جانيها

فالتربية والدعوة بالسلوك أحيانًا أفضل من ألف محاضرة، وألف خطبة.. سلوك امرأة بين زميلاتها: في حسن خلقها وآدابها، ومظهرها ومخبرها، وطيب حديثها، والتزامها بشريعة ربها، وصلاحها؛ أعتقد أنه أفضل من كثير من الكلمات والمحاضرات.

***الصفة الثالثة: حسن الخلق والتواضع ولين الجانب:**

ومن الصفات التي ينبغي أن تتصف بها الداعية: حسن الخلق، والتواضع، ولين الجانب؛ مما يحبب إليها الأخريات. ولعل غرس المحبة في نفوس المدعوات هو أول سبب لقبول الدعوة في حالات كثيرة، والأسلوب شديد التأثير في قبول الدعوة أو ردها، ولا يجوز لنا أبدًا أن نتجنى على الحق الذي نحمله حين نقدمه للناس بالأسلوب الغليظ الجاف؛ بل يجب أن نعطف على الآخرين، ونحتوي مشاعرهم، ونتلمس همومهم، ونشاطرهم أفراحهم وأتراحهم، ولانستعلي عليهم أو نستكبر؛ فما تواضع أحد لله تعالى إلا رفعه.

وقد مدح الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - بقوله: (وإنك لعلى خلق عظيم) [القلم:٤] وقال: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: ١٥٩]. فإذا كان هذا شأن أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -؛ فكيف بغيرهم من سائر الناس؟

*الصفة الرابعة: الاهتمام بالمظهر الخارجي:

ومن الصفات التي ينبغي أن تتحلَّى بها الأخت الداعية أيضًا: أن يكون عندها قدرٌ من الاهتمام بمظهرها.

أقول هذا لأنه قد يظن البعض أنني أدعو المرأة المتدينة الداعية أن تكون متبذلة، بعيدة عن الاهتمام بمظهرها.. كلا، فالمظهر هو البوابة الرئيسة التي لابد من عبورها إلى قلوب الأخريات.

ومن الطَبَعي أن تتحلى المرأة، أو تبحث عن الثوب الجميل، والله تعالى قال: (أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) [الزخرف: ١٨]. فكون الفتاة تنشأ منذ طفولتها في الحلية هذا أمر طبعي، لا تلام عليه.

من الطبيعي أيضًا: أن تهتم المرأة بتسريح شعرها، والرسول - صلى الله عليه وسلم - أوصى بذلك الرجل، فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المسجد، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده: أن اخرج، كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته، ففعل الرجل ثم رجع، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:"أليس هذا خيرًا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان"، فالمرأة مع بنات جنسها، من باب أولى يجب أن تعتني بمظهرها.

ونحن بطبيعة الحال، لا نقبل أبدًا أن تتبرج المرأة بزينة، ولا أن تتطيب لخروجها من بيتها، لكن هذا لا يعني بحالٍ التبذل، أو أن تذهب إلى المجتمعات النسائية في أثواب مهنتها، خاصة عندما تكون داعية يشار إليها بالبنان.

***الصفة الخامسة: الاعتدال:**

من الصفات التي يجب أن تتحلى بها الداعية: الاعتدال في كل شيء. ومن الاعتدال: الاعتدال في المشاعر، بين الإفراط والتفريط.

فنحن نجد أن بعض الأخوات تكون جافة في عواطفها ومشاعرها تجاه الأخريات: لا تتجاوب معهنَّ، ولا تبادلهن شعورًا بشعور، وودًّا بود، ومحبة بمحبة، ولا تبتسم في وجوههنَّ، وترى أن جديَّة الدين، وجدية الدعوة، تتطلب قدرًا من الصرامة، والوضوح، والقسمات الحادة، وهذا أمر- بلا شك- غير مقبول. يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -:"وتبسمك في وجه أخيك صدقة"، ونقول للمرأة أيضًا: تبسمك في وجه أختك صدقة؛ فالحكم عام.

بالمقابل هناك من النساء ومن الأخوات، من تبالغ في إغراق الأخريات بمشاعر تصل أحيانًا إلى حد الإفراط، فتجد أن من الأخوات من لا تصبر عن فلانة ساعة من نهار، فإذا ذهبت إلى بيتها بدأت تتصل بها بالهاتف، وتكلمها الساعات الطوال، وربما خلت بها أوقاتًا طويلة، تبث إحداهنَّ إلى الأخرى مشاعرها، وهمومها، وشجونها؛ بل ربما تغار لو رأت أخرى تجالسها أو تحادثها؛ لأنها تريدها لنفسها فقط!!.

٨٩-وقفات مع إمام المسجد في رمضان[١]!!

فهذه كلمات يسيرات أوجهها إلى إخوتي أئمة المساجد والجوامع بمناسبة قدوم شهر رمضان المبارك..وهي كلمات النصيحة دافعها، والمحبة في الله رائدها، والإخلاص وقودها..فآمل أن تجد لديك أخي الإمام قبولاً وأن تفتح لك في مهمتك آفاقاً..

أخي إمام المسجد: أهنئك بدخول شهر رمضان المبارك جعلني الله وإياك ممن يصومونه ويقومونه إيماناً واحتساباً، وأن يوفقنا وإياك فيه لصالح العمل.

كما إن شهر رمضان هو شهر الصيام والقيام والصدقة، وشهر القرآن والطاعة والعبادة، فهو أيضاً شهر الدعوة والاحتساب خاصة لأئمة المساجد والجوامع، هو فرصة للتربية وتزكية النفوس.. لأن الناس يقبلون على المساجد ويؤمون الجوامع للصلاة والتراويح والاعتكاف ونفوسهم مهيأة لتقبل الخيرات وعمل الصالحات، وهذه من نعمة الله على عباده.. ولاشك أن الداعية الناجح يهتبل الفرص ويغتنمها وهذا منهج نبوي أمثلته كثيرة ليس هذا مجال طرقها..

نعم أخي في الله: رمضان فرصة للإمام الجاد في وظيفته المهتم بخطبته الحريص على جماعته وصلاته وقيامه ولا شك أن شهراً بعظمة رمضان يتطلب من الإمام جهداً لاغتنامه لنفسه والحرص على النفع المتعدي..

ولذا أوجه هذه الوصايا والوقفات عل الله أن ينفعني وإياك بها..

الوصية الأولى: تقوى الله - جل وعلا - في السر والعلن وما تأتي وما تذر، والإخلاص في القول والعمل فهما سبب التوفيق والنجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة، قال ابن الجوزي:"إنما يتعثر من لم يخلص". فاخلص نيتك في إمامتك ودعوتك وصلاتك ودعائك، والرجل كما قيل: إنما يُعطى على قدر نيته.

---

(١) الشيخ: محمد بن إبراهيم السبر

الوصية الثانية: وأنت تستعد للعمل والدعوة في رمضان ولاشك أن ذلك عبء كبير لمن يحملون هم الإسلام استعن بالله - جل وعلا - وتوكل عليه وسل ربك أن ييسر أمرك ويبارك في إمامتك ودعوتك، فلا حول ولا قوة إلا بالله، قال الله - تعالى -عن موسى - عليه السلام - وقد جاءه التكليف بالدعوة وتبليغ الرسالة: ((رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي*يَفْقَهُوا قَوْلِي)) (طه: ٢٥، ٢٨).

الوصية الثالثة: الإمامة أمانة.. فالله في أداء الأمانة بالحرص على أداء الصلاة في وقتها، وعدم التخلف عنها إلا لعذر شرعي وإنابة من تبرؤ به الذمة حال الغياب الضروري فأنت قدوة في قولك وعملك فكيف تريد من الناس المحافظة على الصلاة وأنت لا تحافظ عليها أو تتخلف عن أدائها..

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها *** فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

الوصية الرابعة: احرص بارك الله فيك على تعاهد المسجد وتهيئته للمصلين والمتهجدين والمعتكفين وذلك بتطييبه والعناية بنظافته وتنظيم أثاثه والاهتمام بدورات المياه وصيانتها والحفاظ على محتوياته، والعناية بالصوتيات والاعتدال في ذلك.

الوصية الخامسة: احرص على الاستعداد العلمي لرمضان بمعرفة أحكام الصيام والقيام والاعتكاف وزكاة الفطر وأحكام العيد والست من شوال حيث إنك تحتاج لذلك لتقوم بعبادتك على الوجه المطلوب، والناس سيسألونك ولاشك - عن ذلك، ويستطيع الإمام أن يتفقه في ذلك بقراءة الكتب الفقهية عن الصيام أو قراءة فتاوى العلماء الكبار في ذلك أو الملخصات الفقهية المعتمدة أو سماع الدروس العلمية التي تتحدث عن الصيام وأحكامه ومخالفاته [١]

الوصية السادسة: احرص على القراءة على المصلين في الوقت الذي تراه مناسباً لحال جماعتك، واحرص على الاختصار مع التحضير للدرس والتعليق المفيد إن اقتضى الأمر"[٢]"

الوصية السابعة: احرص على إتباع السنة في صلاة التراويح والاقتصاد في الدعاء وعدم الاعتداء واحذر من السرعة في الصلاة قال أهل العلم: إنه يكره للإمام أن يسرع بالجماعة سرعة تمنعهم من فعل ما يُسن فكيف بفعل ما يجب..

الوصية الثامنة: يكثر سفر بعض الأئمة للعمرة في رمضان فيتركون المسجد أياماً أو يختمون مبكرين في أول العشر الأواخر ويذهبون إلى مكة ويقولون نحن وكلنا من يقوم بالمهمة على أكمل وجه، وهذا خطأ لأن أداء العمرة سنة والقيام بالإمامة واجب فكيف يقدم النفل على الفرض، ثم إن العمرة نفع قاصر والإمامة والصلاة نفع متعد وهو مقدم.

الوصية التاسعة: الدعوة في الحي أثناء رمضان وهناك بعض الأعمال الدعوية التي لها ثمارها المجربة في رمضان ومنها:

* هدية رمضان: فالهدية تفتح القلوب وطريق للدعوة ووسيلة سهلة ميسرة للتواصل مع الناس مع مراعاة أحوال الجماعة فمنهم الصالحون ومنهم دون ذلك وهم يختلفون بحسب حرصهم على الصلاة ومحافظتهم على أسرهم ومَنْ تحت ولايتهم فيراعى في الهدية ذلك..

* طرح المسابقات الهادفة لأهل الحي ومراعاة المراحل العمرية ووضع عليها جوائز رمزية وقيمة.

زيارة المقصرين في بيوقم لمناصحتهم عما هم واقعون فيه من ترك للصلاة أو تفريط في تربية البنين والبنات أو تركيب للدشوش والقنوات الماجنة وغير ذلك من المخالفات.

* استضافة العلماء والدعاة لإلقاء الدروس والكلمات بعد التراويح أو غيرها.

* استغلال حضور المصليات وتوزيع المفيد عليهنَّ من الأشرطة والكتب والمطويات، وإعطائهن نصيباً من التوجيه والاهتمام باستضافة الداعيات وطالبات العلم.

* تعاهد لوحة إعلانات المسجد والإشراف التام عليها مع الحرص على تنوع مادتها وتجديدها بين الحين والآخر.

* إعداد برنامج للعيد وتنسيق اجتماع للجيران بعد صلاة العيد في المسجد لبذل السلام وإشاعة روح التعاون والمودة والتواصل بين الجيران والإصلاح بين المتخاصمين.

الوصية العاشرة: وعلى الإمام أن يكلل هذه الأمور كلها بدعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والرفق وعدم التعنيف والحرص على هداية الناس كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قال - تعالى -: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)) (آل عمران: ١٥٩).

وقال - سبحانه -: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)) (النحل: ١٢٥).

الوصية الحادية عشرة: تفطير الصائمين في هذا الشهر الكريم وتهيئة المكان لذلك وحث الجماعة على المساهمة في ذلك، وإن كان هناك وافدون وهم الأغلب فاجعل مع غذاء البدن غذاء الروح وهذا - بحمد لله - متوفر عند مكاتب دعوة الجاليات فهم يمدونك بالكتيبات والدعاة وبجميع اللغات.

الوصية الثانية عشرة: العناية بفقراء الحي وتفقدهم فهم أولى بالمعروف وذلك إعداد برنامج لجمع الزكاة وتوزيعها على فقراء الحي وإعانة محتاجهم وسد فاقتهم وستر خلتهم أو السعي لدى من يعينهم.

وفي الختام

أخي إمام المسجد: إن أهل الباطل يتسابقون لخطف رمضان وهدم روحانيته وإفساد حلاوته بالمسلسلات الطائشة والأفلام الماجنة والفوازير الهازلة، فلابد أن نسعى للحفاظ على هيبة

رمضان وجلاله وذلك بالحرص على أن نقدم برامج تكون بدائل مزاحمة لهذا الإعلام الملوث وإحياء دور المسجد وتفعيله..

وفقني الله وإياك لما يحب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٩٠-توصيل الخير للغير[١]:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد:

إن من أجمل ما في الحياة أخي الداعية أن تشعر بأنك تقدّم شيئاً للآخرين، وليس هناك أعظم وأكبر من نعمة الهداية التي تقدمها للناس، فالداعية نور يضيء الطريق للآخرين..

من أجل ذلك أحببت أن أجمع بعض الوسائل الدعوية المتناثرة في الكتب الدعوية لممارستها في واقع الناس لتوصيل الخير لهم، ودعوتهم إلى الله.

أخي الحبيب: لم تكن الدعوة إلى الله لتنحصر يوماً مّا في إلقاء كلمة أو درس أو تأليف كتاب، بل هي أوسع من ذلك فهي تشمل قدرتك على الإبداع والابتكار في إيصال الخير للغير مع تنوّع الأساليب والطرق؛ فكل من يسعى ويعمل لدينه ولو بالقليل فهو داعية إلى الله..

---

[١] خالد الدرويش/دار ابن خزيمة

والداعية هو الذي يعين الآخرين على طريق الخير وبجهده المخلص وعمله النشط يتلقّى الناس الهداية والنور والفلاح في الدنيا والآخرة، والله الموفق، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً..

الهدف من هذه الوسائل الفردية:

١- توظيف المسلم لخدمة دينه ومجتمعه.

٢- غرس الحسّ الدعوي لدى الأفراد لتغيير الواقع إلى الأحسن.

٣- وضع برنامج دعوي لشغل أفراد الدعوة بما ينفع الإسلام والمسلمين.

٤- تهيئة الناس للعمل للآخرة، وفعل الطاعة، كي ينتشر الخير بين الناس.

٥- تحريك كوامن الخير في نفوس الناس.

٦- عدم الاعتماد على الجهد الجماعي.

المقصود من الرسالة:

أن ينطلق المسلم بمفرده من خلال هذه الوسائل في ميدان الدعوة إلى الله لنشر الخير لعموم المسلمين ونقلهم من محيط المعصية إلى محيط الطاعة، ومن محيط الغفلة عن الدين إلى محيط العمل به.

التعريف بوسائل الدعوة:

هي ما يستعين به الداعية على تبليغ دين الله لغرض التأثير على الناس وتهيئتهم للعمل للآخرة.

أين يمارس الفرد هذه الوسائل؟

هناك ميادين يمكن للداعية أن يمارس نشاطه الدعوي من خلالها:

١- محيط الأسرة من زوجة وأولاد وأقارب وأرحام.

٢- المسجد وجماعته.

٣- مكان التعليم (المدرسة، الجامعة، المعهد).

٤- تجمعات الناس العابرة وغيرها، ولا سيّما الشباب منها خاصة.

٥- مكان العمل.

٦- الحي الذي يسكنه الفرد والأحياء المجاورة له.

٧- اللقاءات والمناسبات العامّة للأسرة وغيرها.

٨- القرى والهجر.

٩- عند السفر.

١٠- القوافل الدعوية.

فضل توصيل الخير للغير:

قال تعالى: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير.

مما يبين عظيم مكانة توصيل الخير للغير: ما أخبر به الرسول الأمين في الأحاديث التالية:

أ - عن أبي هريرة أن رسول الله قال: ((من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً...)) [رواه مسلم].

وقفة مع هذا الحديث الشريف:

١- في قوله: ((من دعا)) لم يحصر النبي كيفية الدعوة في وسيلة أو أسلوب محدد بل تركها مطلقة.

٢- في قوله: ((إلى هدى)) نكرة مطلقة من جنس ما يقال له: هدى. وهي: أي عمل أو قول مما فيه أجر وثواب. لذا على الداعية ألا يحقر أي عمل خير يدعو إليه الناس. قال: ((لا تحقرنّ من المعروف شيئاً)) ولنا في رسول الله أسوة حسنة فلم يترك صغيرة ولا كبيرة من الأعمال الصالحة إلا وأخبر بها أمته.

٣- في قوله: ((كان له من الأجر مثل أجور من تبعه)) فيه الحث على السعي في الخير والدلالة عليه، لأن المتسبب بالعمل الصالح ينال مثل ما ينال الفاعل من الأجر والثواب. وهذا باب من الأجر لا يغلق، وهو يتنامى يوماً بعد يوم.

ب - عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله: ((من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله)) [رواه مسلم].

وقفة مع هذا الحديث الشريف:

١- سبب الحديث: كما روى مسلم بأن رجلاً قال للنبي: احملني، قال: ((ما عندي)) قال رجل: يا رسول الله، أنا أدلّه على من يحمله، قال رسول الله: ((من دلّ على خير...)).

٢- في قوله: ((من دلّ)) لم يحصر كيفية الدلالة في نوع محدد بل تركها مطلقة، قد تكون الدلالة قولية، أو فعلية، أو كتابية... الخ. وهذه نعمة عظيمة من نعم الله تعالى، تفتح للداعية مجالات الدلالة على مصراعيها.

٣- في قوله: ((على خير)) مطلق شائع في كل ما يقال له: خير، سواء كان قليلاً، أم كثيراً، علماً أم عملاً... الخ.

٤- قال النووي رحمه الله تعالى معلّقاً على هذا الحديث: (وفيه فضيلة الدلالة على الخير، والتنبيه عليه، والمساعدة لفاعله).

ج - قال: ((لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمُر النّعَم..)).

وقفات دعوية مع هذا الحديث الشريف:

عندما يوفق الله تعالى داعية من دعاة الإسلام فيهيئ له من يقبل نصيحته ودعوته فإن نتائج القبول عظيمة كما ورد في هذا الحديث الشريف:

الأولى: إن في ذلك استنقاذاً لهذا المهتدي من النار، فالداعية يقدّم الجنة هدية للناس من حوله ويدلّهم على مقامات السعادة، وأي أجر يكتب للداعية عند ربه إلا الأجر الذي يليق بجلال المعطي سبحانه.

الثانية: إن كل تسبيحة أو تكبيرة ينطقها ذلك المهتدي، وكل ركعة وسجدة يفعلها، وكل عمل صالح يعمله، وكل إحسان يجريه الله على يديه، يكون في ميزان ذلك الداعية الناصح.

هذا إذا اهتدى رجل واحد، فما ظنك بمن يهدى به كل يوم طوائف من الناس؟!

الثالثة: إن من يهديه الله على يديك أيها المسلم إنما هو كَلَبِنَةٍ فُكّت من بناء الذنوب والمعاصي ووضعت في بناء الطاعات وفعل الخيرات - وهو خسارة للشيطان وأعوانه، وكسب للرحمن وأنصاره.

أخي المسلم: قال: ((إن الله وملائكته وأهل السماوات والأراضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلّون على معلّم الناس الخير)) [رواه الترمذي].

هذا فضل من يوصل الخير، ويعلمه الناس، رحمة من الله، واستغفاراً ودعاءً من الملائكة والخلق أجمعين.

ومما يدل على فضل الداعية عند الله تعالى أن ثوابه لا ينقطع بموته، بل يستمر حتى بعد موته ما دام وجد من يعمل بدعوته ونصيحته، قال: ((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)) [رواه مسلم].

فتوصيل الخير للغير أجره وثوابه مضمون في الحياة وبعد الممات إذا أخلص العبد العمل لله تعالى.

٩١-الرسائل الدعوية الفردية:

١- مظهرك هو أول رسالة دعوية تخرج منك وتصل إلى قلوب الآخرين فإذا نجحت الرسالة الأولى كان وصول باقي الرسائل أكثر سهولة.

٢- غالباً ركّز في دعوتك على الشخصية القيادية.. اكسبها، وكن لها أخاً محباً في الله، تقدم لها العون والتوجيه فإن النفع بها عظيم، والبركة منها مرجوّة، فكم لها من علاقات؟ وكم لها من أصدقاء؟ ستصل بركة هدايتها بإذن الله للآخرين.

٣- اصنع علاقات وديّة مع الآخرين؛ فكلما اتسعت دائرة علاقتك كلما اتسعت دائرة دعوتك.

٤- اربط حياة من حولك بالإسلام بذكر فضائله وعظيم شرائعه وقدرته على إسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة.

٥- وثّق الصلة مع الأقارب والأرحام واكسب مودّهم بالكلمة الطيبة والخدمة العامة حتى يشعر كل فرد بأن له علاقة خاصة بك.

٦- اصنع من صديقك وقريبك وزميلك داعية إلى الله من خلال العيش معه عيشاً جماعياً.

٧- حمّل من حولك همّ الدعوة إلى الخير.

٨- اقترح على الآخرين الأفكار التالية:

١/ مذكرة لتخليص الأشرطة العلمية والتربوية.

٢/ مذكرة للمحاضرات.

٣/ جمع الفائض من الكتب والأشرطة وتوزيعها.

٤/ الإعارة للكتب والأشرطة الإسلامية النافعة.

٩- الاستعداد الدعوي للمناسبات الإسلامية بإعداد ورقة عمل لممارستها عملياً مثل: (رمضان - العيد - الحج).

١٠- السيرة الحسنة للداعية وسيلة فاعلة في التأثير على الناس وجذبهم إلى الخير.

١١- الترغيب في الخير: وهو كل ما يشوّق المدعوّ إلى الاستجابة لأمر الله ورسوله. وسيلة لها تأثير في نفوس الناس فمارسها بحكمة واتزان.

١٢- نظّم إن أمكن جولة وقافلة للدعوة لمجموعة من الخيرين في المناطق النائية والقرى.

١٣- الكلمة الهادفة سواء كانت تلك الكلمة:

أ - محاضرة ب - درس يومي أو أسبوعي ج - خطبة د - موعظة هـ - نصيحة شخصية فردية.

١٤- الكتاب أو الكتيّ: فإن الكتاب من أهم وسائل نشر الدعوة والخير فهو يخاطب العقل والعاطفة معاً فيختار الداعية الكتاب المناسب للمدعوّ على حسب مستواه المعرفي والعقلي ليكون تأثيره أقوى في نفسية المدعو.

١٥- الشريط الإسلامي: خاصة مع الناس الذين لا يحبون القراءة، فيختار لكل شخص الموضوع الذي يناسبه.

مثال: إنسان تجد فيه غفلة وتعلّق بالدنيا، تهدي له شريطاً يذكره بالآخرة والموت. أن يركّز الأخ الداعية المتحرّك على عدم خلوّ سيارته من مجموعة مناسبة من الأشرطة والكتيبات لاستخدامها عند الحاجة.

١٦- البحث: إن البحث مفيد فائدة جليلة في نشر الدعوة ولهذا ينبغي أن يهتم الداعية به.

مثال: قد يلاحظ الداعية في المدعو إهمالاً في المحافظة على إقامة الصلوات الخمس في المساجد جماعة، فيطلب الداعية من المدعو كتابة بحث في أهمية الصلاة مع الجماعة في المساجد ومترلتها وثوابها والسلبيات المترتبة على تركها والإهمال لها.

١٧- توزيع ونشر المطويات: وهي عبارة عن بضع صفحات تعالج موضوعاً معيناً وميزتها: إنها من السهل أن يقرأها الإنسان في دقائق معدودة.

١٨- إشاعة كل عمل إسلامي: يراه الداعية أو يسمع به، والدالّ على الخير كفاعله.

١٩- التأليف والتصنيف: وهذه الوسيلة من الوسائل التي يبغي بها ثواباً دائماً لا ينقطع فقد جاء في الحديث: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به، وولد صالح يدعو له، وصدقة جارية)) [رواه مسلم].

٢٠- الرسالة: تعني أن يقوم الداعية بكتابة رسالة إلى المدعو يدعوه إلى فعل الخيرات أو ترك الشرّ ممزوجة بالعاطفة والوجدان القلبي.

فالرسالة أسلوب من أساليب الدعوة والتي يجب على الداعية أن يستخدمها فقد ينجح هذا الأسلوب مع نوعية من الناس، فالرسالة لها تأثير عجيب عندما يقرأها الإنسان في تمعّنٍ وترو ٍّ.

٢١- شكر كل من ساهم في دعم الدعوة والثناء عليه: من خلال: أ - الهاتف ب - الرسالة ج - الفاكس د - الإنترنت (وفي هذا العمل تشجيع له على مواصلة العطاء الدعوي).

٢٢- التفكير فيما ينفع الدعوة والتخطيط لها: إن أول خطوة للعمل الجاد هو التفكير، لذا يلزم على الداعية أن تكون له جلسة تفكير لإيجاد الجديد من الوسائل الدعوية أو تطوير للموجود.

٢٣- ومن أهم الوسائل الدعوية المعنوية التي يمكن أن يباشرها الداعية إلى الله: الدعاء للمدعو بأن يهديه الله، ويشرح صدره، ويفتح عليه.

وهذا أسلوب قرآني، قال تعالى: ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين [الأعراف:٨٩].

وأسلوب نبوي، قال في دعائه شفقة على أمته: ((اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)).

٢٤- تشجيع كافّة أعمال البرّ والخير ولا سيما في مجال الدعوة ونشر العلم وتقديم الخدمات.

٢٥- إظهار المحبة والمودّة في المقابلة والمهاتفة والدعاء للشخص المقابل بأدعية متصلة تؤثّر في نفسه مثل: بلّغك الله أعلى منازل الجنة، فهي وسيلة للتآلف وزيادة المودّة.

٢٦- طرح مشاريع خيرية ودعوية في المجالس العامة أو الخاصة: مثل:

أ - كفالة داعية ب - تفطير صائم ج - كفالة يتيم د - بطانية الشتاء هـــ - وقف خيري.

وفي هذا الطرح فوائد:

١ - دعمها بالدعاء. ٢ - دعمها مادياً. ٣ - معرفة الناس لها وتفاعلهم معها ونشر الحسّ الدعوي لدى المدعوين. ٤ - إشادة بالعاملين وتثبيت لهم.

٢٧- الهدية: وهي هدية تهدى من أجل الدعوة وكسب القلوب.

مثل: ١ - إهداء كتاب أو شريط أو اشتراك في مجلّة أو مصحف مكتوب عليه اسم المهدى له.

٢ - سدّ النقص لدى المهدى إليه فإن كان في حاجة إلى مدفأة مثلاً؛ أهديت له، فهذا أولى لأن في ذلك تلمّساً لحاجة الأخ.

٢٨- تخصيص وقت دعوي ساعة في الأسبوع: مثلاً لزيارة الأرحام والجيران وأن تكون الزيارة هادفة بمعنى أن يضع الداعية هدفاً تربوياً يحققه من خلال تلك الزيارة.

٢٩- الدلالة على كل خير للمسلمين (الكلمة الطيبة): هي التي تؤدي إلى العمل الصالح قال تعالى: إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملاً صالحاً كل وقت.

الدلالة والكلمة الطيبة من الداعية، قد تنشيء دعوة، وقد تبني مؤسسة خيرية، وقد ينقذ الله بها قلوباً أو يعمّر بها نفوساً بل وقد يحيي الله بها أقواماً من السبات. وما على الداعية إلا التبليغ ولا يترك الفرصة تفوته؛ لعلّ الله تعالى يكتب له أجر الكلمة المعطاء التي لا يلقي لها بالاً وترفعه الدرجات.

صور للدلالة على الخير:

فلا يفوت الداعية فرص الكلمة المعطاء: مثل:

١- رفيق السفر في القطار أو الطائرة.

٢- اللقاء العابر على وليمة أو مناسبة.

٣- في السوق وعند الشراء.

٤- في المسجد بعد الصلوات.

٥- عند التعارف مع الغير في السفرات والخلوات.

٦- دعوة الغير لسماع محاضرة أو ندوة.

(إن قول الكلمة الطيبة بهذه النيات ظاهرة من ظواهر التحرك الذاتي والإيجابي في حياة الداعية).

٣٠- استثمار الفرص: وأقصد بذلك: توظيف هذه الفرصة في خدمة الدعوة مثل:

١/ المناسبات: رمضان - الحج - الأعياد... الخ.

٢/ الأفراح، الأتراح - المجالس العائلية العامة والخاصة.

٣/ السفر كالمرور بقرية على الطريق العام لتوزيع الكتيبات والأشرطة... الخ.

والداعية الناجح هو من يمتلك صفة حسن استغلال الفرصة وتوظيفها في خدمة الدعوة بل يصنع الفرصة ويوظفها توظيفاً سليماً في خدمة الدين.

٣١- دعوة فرد بعينه لرفع درجة التزامه"الدعوة الفردية".

٣٢- المشاركة في المجلات الإسلامية وذلك بدعمها: معنوياً بالمراسلة والتشجيع، أو مادياً بالاشتراك فيها.

٣٣- تقوية العلاقة بالمؤسسات الدعوية والإغاثية والمشاركة معها بقدر الإمكان وخاصة في المواسم كرمضان... الخ.

٣٤- التسخير: أقصد ذلك: توظيف الداعية لطاقاته وإمكاناته وما آتاه الله من النعم في خدمة الدعوة.

٣٥- الحوار الهادف: وهو الذي يكون بين اثنين أو أكثر حول قضية من القضايا بهدف إحقاق الحق والدفاع عنه بالحجة والبرهان.

٣٦- ملازمة الإمامة في أحد المساجد: لتفعيل رسالة المسجد ودعوة أهل الحي للهداية قال تعالى: واجعلنا للمتقين إماماً.

٣٧- التعاون الدعوي مع الآخرين لنشر الدعوة الإسلامية بأقصر وقت ممكن وتعاونوا على البرّ والتقوى.

٣٨- المساهمة في دعم نشاطات الدعوة ماديّاَ ومعنوياَ.

٣٩- التخطيط بجدية لبرامج الدعوة: وضع خطة سنوية / شهرية / أسبوعية / يومية / مناسبات.

٤٠- على الأخ الداعية المتحرّك أن يسعى لتصميم منزله دعوياً: وذلك بعمل جملة من الأمور:

١/ أن يكون قريباً من المسجد.

٢/ أن يجعل واحدة من غرف البيت إن أمكن مصلىً لا تستخدم إلا لذلك.

٣/ أن يجعل واحدة من غرف المترل مكتبة عامّة.

٤/ التزام الشخصية الإسلامية.

٥/ نشر الآداب والأعراف الإسلامية في البيت.

٦/ وضع طاقات مترله لخدمة الدعوة.

٧/ تأثير البيت المسلم على من حوله وذلك بنشر الدعوة بينهم.

٤١- استثمار همة الناس في خدمة الدعوة: مثل:

من كان من ذوي غنى ومال وفير يستثمر للمشاركة في أعمال الخير العامة؛ مثل: بناء المساجد، وإقامة المنشآت النافعة، ونحو ذلك.

٤٢- المبادرة الذاتية لفتح أنشطة دعوية: مثل:

١/ دارية الحي. ٢/ نشاط مدرسي. ٣/ تفعيل جماعة المسجد. ٤/ نشاط عائلي هادف.

٩٢-هل أنت حريص على تعلم دينك[(١)]؟

الحمد لله تعالى الذي علم الإنسان. وهدى إلى الفرقان. والصلاة والسلام على النبي المرسل بالقرآن. وعلى آله وأصحابه سادة أهل الإيمان.

أخي المسلم: إن عبادة الله تعالى هي غاية الخلق في الدنيا.. ولأجلها خُلقوا.. والسعيد منهم من اشتغل بوظائفها..

ولا تكون العبادة صحيحة إلا إذا كانت على بصيرة وعلم؛ ولأجل ذلك بعث الله تعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنزل الكتب، كل ذلك لهداية الخلق إلى الصراط المستقيم.. فأتباع الرسل على بصيرة؛ هم أعرف الناس بعبادة ربهم تبارك وتعالى؛ إذ أنهم اقتبسوا من نور الوحي الإلهي، وأما من عمي عن هذا النور؛ فهو الذي تخبط و لم يعبد ربه تعالى على بصيرة..

فهيا بنا أخي المسلم إلى محاسبة أخرى من هذه السلسلة: (سلسلة المحاسبة).

(هل أنت حريص على تعلم دينك؟!)

هو مشوار هذه المحاسبة، وهو سؤال لا بد لكل مسلم أن يسأله نفسه..

ولتكن المحاسبة صادقة؛ ليكون الجواب صادقاً..

---

(١) أزهري أحمد محمود/دار ابن خزيمة...

أخي المسلم: حرصك على تعلم دينك، هو بداية فلاحك.. إذ أنك ستسلك طريقاً يوصلك إلى الجنة..

قال الحسن البصري: (إن الرجل يتعلم الباب من العلم فيعمل به خير من الدنيا وما فيها!).

وقال سفيان الثوري: (ما يراد الله بشيء أفضل من طلب العلم، وما طُلب العلم في زمان أفضل منه اليوم).

وما أحوجك أيها المسلم إلى العلم النافع الذي به تعرف ربك تعالى؛ فتفرده بالعبادة، وتعبده على بصيرة..

وشرف العلم بشرف المعلوم، وإنما شرف العلم الشرعي لشرف الدين الذي يرتبط به.. وهو أغلى بضاعة!

قال رسول الله: ((الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، أو عالماً أو متعلماً)) [رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما:السلسلة الصحيحة:٢٧٩٧].

ولزاماً عليك أيها المسلم أن تعلم أن حاجتك إلى تعلم دينك؛ أشد من حاجتك إلى الطعام والشراب!

وكما أنك تحرص على كسب معاشك لتحيا؛ فلتحرص على تعلم دينك، إذ أنه الحياة الحقيقية، والتي أنت بدونها في عداد الأموات!

قال الإمام أحمد بن حنبل: (الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس!).

وقال ابن القيم: (العلماء بالله وأمره هم حياة الموجود وروحه، ولا يستغنى عنهم طرفة عين، فحاجة القلب إلى العلم ليست كالحاجة إلى التنفس في الهواء، بل أعظم! وبالجملة فالعلم للقلب مثل الماء للسمك، إذا فقده مات، فنسبة العلم إلى القلب كنسبة ضوء العين إليها!).

أخي المسلم: ومن أجل هذه الحوجة كان فرضاً على كل مسلم أن يتعلم من دينه ما يجعله يعبد الله على بصيرة..

قال رسول الله: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)) [رواه ابن ماجه:صحيح ابن ماجه للألباني:١٨٤].

سُئل الإمام مالك عن طلب العلم، أواجب؟ فقال: (أما معرفة شرائعه وسننه وفقهه الظاهر فواجب، وغير ذلك منه، من ضعف عنه فلا شيء عليه).

وقال ابن عبد البر: (قد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصة نفسه، ومنه ما هو فرض على الكفاية، إذا قام به القائم سقط فرضه عن أهل ذلك الموضع، واختلفوا في تخليص ذلك، والذي يلزم الجميع فرضه من ذلك ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه...).

وذكر من ذلك: (معرفة الله تعالى وتوحيده، والصلوات الخمس وما يلزمها من العمل فيها، وصوم رمضان، وما يصح به صومه، وما يفسد، والحج إذا كان ذا قدرة، والزكاة إذا كان ذا مال، وأشياء لا يعذر بجهلها، نحو: تحريم الزنا، والربا، وتحريم الخمر، وأكل لحم الخنزير، وأكل الميتة، والغصب، والرشوة، والشهادة بالزور، وأكل أموال الناس بالباطل، وتحريم الظلم، وغيرها من المحرمات).

أخي المسلم: الأمور السابقة مما ينبغي لكل مسلم أن لا يجهلها فلتحاسب نفسك: ما هو نصيبها من بضاعة العلم الشرعي؟!

فإن الناس درجات في حرصهم على تعلم دينهم، وهي درجات متفاوتة، وفي كل درجة طائفة، وسأذكر لك هذه الدرجات من كلام العلماء الربانيين، فانظر نفسك في أي درجة أنت؟!

قال علي رضي الله عنه: (الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وسائل الناس همج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح!).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (اغدُ عالماً أو ومتعلماً، ولا تغدُ بين ذلك!).

وعن حميد عن الحسن أن أبا الدرداء قال: (كن عالماً أو متعلماً، أو محباً، أو متعباً، ولا تكن الخامس فتهلك!).

قال: قلت للحسن: وما الخامس؟

قال: المبتدع!

أخي المسلم: حاسب نفسك: في أي صنف أنت من تلك الأصناف؟!

وإياك أن تكون من أولئك الذين لا يبالي أحدهم بتعليم دينه والفقه فيه!

فكم من مصلٍّ لا يعرف الصلاة الصحيحة كما صلاّها النبي!

وكم من صائم يقع في الكثير من الأخطاء وهو لا يشعر!

وكم من قاصد بيت الله الحرام لا يعرف كيف يؤدي نسكه!

وكم من مبتدع واقع في الكثير من البدع، وهو يظن أن ذلك من السنة!

وكم من تاجر واقع في كثير من المعاملات المحرمة، وهو يظن أنها حلال!

وكم من آكل لأموال الناس بالباطل، لا يميز بين الحلال والحرام!

كل ذلك تجد الآفة في غالبه الجهل بأحكام الدين، والعجيب في ذلك أن ترى الواقع في تلك المحاذير في سن لا يليق بصاحبها أن يكون جاهلاً بأمور دينه، وخاصة وقد توفرت الأسباب المعينة على تعلم أحكام الدين، فأصبح متيسراً للمسلم معرفة دينه..

قيل لعبدالله بن المبارك: إلى متى يحسن للمرء أن يتعلم؟! قال: (ما دام يقبح عليه الجهل، يحسن له التعلم).

وقال محمد بن الفضل السمرقندي الواعظ: (كم من جاهل أدركه العلم فأنقذه، وكم من ناسك عمل عمل الجاهل فأوبقه، احضر اعلم، وإن لم تحضرك النية، فإنما تطلب بالعلم النية، وإن أول ما يظهر من العبد لسانه، وأول ما يظهر من عقله حلمهُ).

أخي المسلم: احرص على تعلم دينك، وأزل كل حاجز يحجزك عن ذلك، فإن العلم بالتعلم.

وإن من الحواجز التي صدّت البعض عن تعلم العلم الشرعي: الحياء والكبر!

قال مجاهد: (لا يتعلم العلم مستحٍ ولا مستكبر).

أما الحياء: فإن كل حياء صدك عن المكارم؛ فليس هذا بحياء؛ فإن الحياء خلق يحجز عن القبائح، والذي لا يأتي حلقات العلم، ولا يسأل العلماء فيما أشكل عليه؛ فهو على خطر عظيم! إذ أنه سيقدم على كثير من الأفعال بغير علم!

وأما المتكبر: فواقع في كبيرة من كبائر الذنوب، وفي صاحبها قال رسول الله: ((لا يدخل الجنة من في قلبه خردلة من كبر!)) [رواه الحاكم والطبراني:صحيح الترغيب للألباني:٢٩١٠].

أخي المسلم: إن الفقه في الدين دليل خيرك وفلاحك.. فإنك إذا فقهت دينك؛ كنت ممن يعبد الله على علم؛ فتزداد من الله تعالى قرباً..

قال النبي: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين...)) [رواه البخاري ومسلم].

قال الحافظ ابن حجر: (ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين - أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع - فقد حرم الخير... لأن من لم يعرف أمور دينه لا يكون فقيهاً،

ولا طالب فقه، فيصح أن يوصف بأنه ما أريد به الخير، وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس، ولفضل التفقه في الدين على سائل العلوم).

فحاسب نفسك أيها العاقل.. ألا تحب أن تدخل في هذه الخيرية؟!

فإنه لا يستوي عالم بدينه وآخر جاهل!

قُل هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ [الزمر:٩].

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (يرزق الله العلم السعداء، ويحرمه الأشقياء!).

وقال ابن القيم: (السعادة الحقيقية هي سعادة نفسانية روحية قلبية، وهي سعادة العلم النافع ثمرته، فإنها هي الباقية على تقلب الأحوال، والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره، وفي دوره الثلاثة، وبها يترقى معارج الفضل، ودرجات الكمال، كلما طال الأمد ازدادت قوة وعلواً...).

ولكن ما أكثر الغافلين عن هذه السعادة! ترى أحدهم حريصاً على جمع الدينار والدرهم.. حريصاً على معرفة طرق الكسب، وتكثير ماله.. ولكن تجده زاهداً في معرفة دينه.. وتكثير رصيده من العلم النافع!

يجزع أحدهم إذا خسر القليل من ماله.. ولا يجزع إذا خسر الكثير من دينه!

ويفرح إذا استفاد القليل من المال.. ولا يفرح إذا استفاد علماً من دينه!

عن عقبة بن عامر قال: خرج رسول الله ونحن في الصفة، فقال: ((أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان، أو إلى العقيق؛ فيأتي منه بناقتين كوماوين، في غير إثم ولا قطع رحم؟!)) فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: ((أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد؛ فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربعٍ، ومن أعدادهن من الإبل؟!)) [رواه مسلم].

قال أبو غنية الخولاني: (رب كلمة خير من اعطاء المال، لأن المال يطغيك، والكلمة تهديك).

أخي المسلم: إن خير علم تعلمته؛ علماً هداك إلى معرفة الله تعالى، وعبادته على بصيرة.. ولن تجد بضاعة أغلى منه..

وقد قال النبي: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) [رواه البخاري].

وعن علي الأزدي قال: سألت ابن عباس عن الجهاد، فقال: (ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد؟! تبني مسجداً تعلم فيه القرآن، وسنن النبي، والفقه في الدين).

أخي المسلم: إن سؤال أهل العلم، طريق إلى الفقه في الدين.. وقد حضك الله تعالى إلى سؤال العلماء إذا أشكل عليك شيء.. فقال الله تعالى: فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ [الأنبياء:٧].

قيل لابن عباس رضي الله عنهما: أنى أصبت هذا العلم؟!

فقال: (بلسان سؤُول وقلبٍ عقُول).

فسؤال أهل العلم شفاء للجهل.. فإياك أن تقدم على أمر من أمور دينك وأنت لا تعلم حكمه.. فإن عبادة الله على جهل لا يزداد العبد بها من الله إلا بعداً!

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (زيادة العلم الابتغاء، ودرك العلم السؤال، فتعلم ما جهلت، واعمل بما علمت).

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: (العلم بالتعلّم، والحلم بالتحُّلم، ومن يتحرّ الخير يعطهُ، ومن يتوق الشر يوقهُ).

وسئل ابن المبارك: ما الذي لا يسع المؤمن من تعليم العلم إلا أن يطلبه، وما الذي يجب عليه أن يتعلمه؟!

قال: (لا يسعه أن يقدم على شيء إلا بعلم، ولا يسعه حتى يسأل).

ولتعلم أخي المسلم أن من شرف الذي يحرص على العلم النافع، أن النبي أوصى به، وهو شرف لكل من حرص على تعلم دينه..

قال رسول الله: ((سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحباً مرحباً بوصية رسول الله واقنوهم)).

قلت للحكم: ما ((اقنوهم))؟ قال: علموهم. [رواه ابن ماجه:صحيح ابن ماجه للألباني:٢٠٣].

أخي المسلم: إن علماً قليلاً تحرص على طلبه؛ لتتفقه في دينك؛ خير لك من أضعافه من عمل صالح تعمله.. وكيف لا؟! فإن العلم طريق للعبادة الصحيحة، فلا عبادة بغير علم..

قال أبو هريرة رضي الله عنه: (لكل شيء عماد، وعماد هذا الدين الفقه، وما عُبِدَ الله بشيء أفضل من فقه في الدين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد!).

فإنك أيها المسلم؛ بجهد يسير تستطيع أن تتفقه في دينك، وإليك محطات هذه الرحلة..

وأولها: ابدأ بكتاب الله تعالى؛ فحاول أن تتقن تجويده، وقراءته قراءة صحيحة، والوسائل إلى ذلك متعددة، وأفضلها القراءة على شيخ متقن، مع سماع أشرطة التلاوة المجودة، والإكثار من القراءة، ولك أن ترجع إلى كتب التفسير الميسرة؛ لتجمع بين معرفة القراءة الصحيحة وفهم الذي قرأته.

ثانياً: قراءة الكتب الفقهية الميسرة، وخاصة ما تحتاج إليه من أمور تتكرر عليك كثيراً؛ كصفة الصلاة، والضوء، والغسل، والتيمم، وأحكام المسافر، وإذا كنت من أرباب المال؛ احتجت إلى معرفة أحكام الزكاة، والبيوع والمعاملات المالية.

ثالثاً: قراءة الكتب المختصرة في شروح بعض الأحاديث النبوية، وغيرها من المتون المختصرة في العلوم الشرعية، وعلى رأس هذه العلوم؛ علم التوحيد، ويكون ذلك بتأن واستيعاب لما تقرأ، والأصل في ذلك الاستفادة من الشيخ، وإذا لم يتيسر ذلك كما هو حال الكثيرين؛ فإن التقيد بالترتيب المذكور مع الصبر والاجتهاد؛ يؤدي إلى نتيجة مرضية.

رابعاً: الحرص على سؤال أهل العلم في كل ما أشكل، وتنظيم ساعات فراغك، واستغلالها في الاستفادة من سماع الدروس العلمية، والمحاضرات المفيدة.

والرغبة الصادقة هي أصل ذلك كله، فعلى المسلم أن يحرص على تعلم دينه، ويصدق النية في ذلك؛ فلن يعدم من الله معيناً..

أخي المسلم: ليس شرطاً أن تحيط علماً بجميع العلوم الشرعية، ولكن إذا اسعفتك همتك إلى ذلك ففي ذلك خير..

وأما القدر الواجب عليك من العلم الشرعي فقد علمته، وهو الذي بدونه لن تعبد الله تعالى عبادة صحيحة..

فاحرص على تعلم دينك، ولا تضيع ساعات عمرك فيما لا ينفع، وادع الله تعالى أن يعينك على ذلك..

قال رسول الله: ((سلوا الله علماً نافعاً، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع)) [رواه ابن ماجه:صحيح ابن ماجه للألباني:٣١١٤].

والحمد لله تعالى.. والصلاة والسلام على النبي محمد وآله وصحب

٩٣- الدعوة إلى الله في البيوت[١]:

---

[١] عبد الله بن مبارك البوصي

الدعوة إلى الله في البيوت تشغل حيزاً كبيراً من اهتمام الداعية، وتقض مضجعه، وفي الوقت الذي تشغله أعمال الدعوة خارج البيت عن القيام بجهد يُذكر داخل البيت، ولهم العذر في هذا؛ فإن كثرة مآسي الأمة وضخامة العبء الملقى على عاتق الدعاة أكبر من أوقاتهم وجهودهم المبذولة.

ولذا رأيت الكتابة في هذا المجال عوناً لهؤلاء الدعاة، وتوفيراً لهم من عناء التخطيط ووضع الأهداف والوسائل للعمل في البيت، فإليهم نقدم هذا البرنامج المتواضع، علماً بأن الحديث سيكون مركزاً على الجانب النسائي.

وهذا المقال محاولة متواضعة للمشاركة في تطوير الكتابة في حقل الدعوة إلى نقلة نوعية تُعنى بالتخطيط وتحديد الأهداف وتأصيلها، مع بيان الوسائل والطرق على وجه يبتعد عن الخطابية والأساليب الوعظية التي تعودنا عليها من بعض الدعاة.

كما أنني أذكر بأن العمل في هذا المجال ــ أو غيره من مجالات ــ لا تجدي فيه العشوائية والارتجالية.

ولا يؤتي العمل ثماره إلا إذا كان عملاً مدروساً ذا أهداف واضحة، ووسائل وطرق ناجحة، يتلوها تنفيذ جاد ومتابعة جيدة، وللأسف فإن جهود بعض شباب الصحوة في بيته هي عبارة عن جهود عشوائية متناثرة متباعدة لا تؤتي ثمارها المرجوة.

من أهداف الدعوة في البيوت:

أولاً/ التربية الإيمانية:

ولتحقيق هذا الهدف طرق، منها:

١ــ العناية بجانب الوعظ والرقائق والترغيب والترهيب.

٢ــ دراسة أسماء الله وصفاته الحسنى، ومحاولة تعميق أثرها في النفوس.

٣ـ دراسة ومشاهدة آيات الله في الكون، والدعوة للتفكر فيها سواءً من خلال: أشرطة الكاسيت التي تُعنى بالإعجاز العلمي، أو أشرطة الفيديو، أو الكتب التي أُلفت في هذا الباب.

٤ـ دراسة آيات القرآن التي عنيت بتعميق الإيمان وترسيخه.

٥ـ دراسة الأحاديث النبوية التي تعنى بتعميق الإيمان وبناء القاعدة الإيمانية الصلبة.

٦ـ الاستفادة من منهج النبي - صلى الله عليه وسلم - في التربية الإيمانية لأصحابه.

٧ـ ربط المدعوات بقدوات صالحة من الصديقات ذوات الإيمان الراسخ.

٨ـ بيان محاسن الإسلام وعظمته، وجوانب الإعجاز في تشريعاته وأحكامه، من خلال دراسة وتوضيح مقاصد الشرع وأسرار التشريع وحكمه.

٩ـ إعطاء صورة مبسطة عن الأديان الأخرى، وبيان أوجه التحريف والنقص والبطلان فيها.

١٠ـ استغلال الأحداث الكونية وربطها بقدرة الله وعظمته، مثل الكسوف والخسوف والرعد والبرق والزلازل، كما كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يفعل)..وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً([الإسراء: ٥٩].

ثانياً/ التأهيل الدعوي:

ويتحقق هذا الهدف من خلال جوانب عدة:

(أ) تحميل المدعوين همّ الإسلام وهمّ الدعوة إلى الله، ويتحقق ذلك بما يلي:

١ـ التبصر بمدى ما تعانيه الأمة من نكبات ومصائب وابتلاءات، مع المقارنة بما كانت فيه الأمة من عز ومجد ورفعة وعظمة، وشرح أسباب ذلك.

٢ــ توضيح خطط الأعداء وجهودهم ومكرهم وعدائهم للإسلام بما يوقظ الغيرة في نفس المسلم ويدفعه للدعوة إلى الله.

٣ــ الاهتمام بتحميل المدعوين همّ مشاركة المسلمين مصائبهم ومآسيهم، عن طريق وسائل الإعلام المتنوعة التي تبث أخبارهم من أشرطة وصحف وكتب أو عن طريق زيارة البلاد المنكوبة إذا تيسرت الزيارة، علماً بأن الزيارة لها تأثير خاص.

٤ــ استغلال المواقف في تحميل الهمّ الدعوي متى سنحت الفرصة.

٥ــ التعرف على المسلمين من البلاد الأخرى الذين يعيشون في البلد، أو تتاح الفرصة للقاء بهم في المواسم، للإطلاع على همومهم ومشاركتهم مآسيهم.

٦ــ التعرف على قدوات صالحة في مجال الدعوة، والتأثر بمستوى فاعليتهم في الدعوة.

٧ــ ترسيخ مصطلح"الدعوة إلى الله"في أذهان المدعوين في كل مناسبة بأسلوب مباشر أو غير مباشر، مما يشعر بأهمية الدعوة ووجوب إعطائها أولوية خاصة، ووضعها في قائمة الاهتمامات، بل في مقدمة الاهتمامات.

(ب) تكوين الثقافة الدعوية:

١ــ تأصيل مفهوم الدعوة وحكمها وأهميتها.

٢ــ دراسة وسائل الدعوة وأساليبها.

٣ــ دراسة سير الأنبياء ومناهجهم في الدعوة.

٤ــ دراسة سير المصلحين والمجددين، ونماذج من جهودهم.

٥ــ تأمل الآيات والأحاديث الواردة في الدعوة. وأخذ العظات والعبر منها.

٦ــ دراسة الهدي النبوي في الدعوة بين النساء.

٧ــ بناء ثقافة معرفية ذات تأثير عملي في المدعوين؛ مثل: قراءة قصص التائبين والتائبات، وقراءة الكتب التي تعنى بمشاكل المجتمع وحلولها، وتذكر آثار المعاصي وأضرارها، ونحو ذلك.

(جــ) بناء المبادرات الذاتية، والمشاركة الفعالة في الدعوة:

١ــ الارتباط بقدوات صالحة تدفع للدعوة وتعين على ذلك وتفتح آفاقاً في هذا المجال لمن يرغب في العمل.

٢ــ زرع روح المبادرة الفعالة والتنافس في الخير واستغلال الفرص الدعوية.

٣ــ اختيار المجال المناسب من مجالات الدعوة لكل فرد من أفراد الأسرة.

ومن هذه المجالات:

ــ إلقاء دروس أو كلمات أو محاضرات في البيت وخارجه.

ــ جمع التبرعات للجمعيات الخيرية ومجالات الدعوة.

ــ التدريس في حلقات التحفيظ.

ــ العمل الإداري الدعوي؛ مثل: إدارة مدارس التحفيظ الخيرية، أو الجمعيات النسائية الخيرية.

ــ القيام بواجب التربية للأبناء والإخوة الصغار، التربية الصحيحة.

ــ الدعوة إلى الله بين الخادمات ــ إن وجدن ــ، مع الحرص على عدم وجودهن.

ــ كتابة المقالات أو البحوث المفيدة في المجالات النسائية.

ــ تأليف الكتب المناسبة للمجتمع النسائي أو المشاركة في إعداد هذه الكتب.

ــ توزيع فتاوى العلماء التي تهم المجتمع النسائي، وكذا المقاطع المنتقاة من كتب أهل العلم.

ــ طباعة الأعمال الدعوية المكتوبة التي تحتاجها الدعوة بالكمبيوتر.

ــ حضور الدروس النسائية المفيدة وتشجيعها ودعمها بكل أنواع الدعم المادي والمعنوي.

(د) تنمية الملكات التي يُحتاج إليها في الدعوة، ويمكن تحقيق ذلك من خلال:

١ــ التدريب على الثقة بالنفس والجرأة على اتخاذ المواقف التي تحتاجها الدعوة.

٢ــ التدريب على تطوير القدرات في مجال الخطابة وإلقاء الكلمات من خلال مراحل متدرجة ومدروسة.

٣ــ التدريب على فن الكتابة.

ثالثاً/ التأصيل العلمي الشرعي:

١ــ تنمية حب طلب العلم والاهتمام به، وبيان ما ورد في فضله.

٢ــ دراسة هدي السلف في طلب العلم وبيان حرصهم عليه ومقدار ما بذلوا في سبيله.

٣ــ حفظ القرآن، أو ما تيسر منه.

٤ــ تحسين مستوى الأداء في قراءة القرآن.

٥ــ حفظ الأربعين النووية.

٦ــ حفظ أذكار الصباح والمساء والأذكار ذوات الأسباب.

٧ــ العناية بمسائل فروض الأعيان التي يحتاجها كل مسلم.

٨ــ الاهتمام بالأحكام الشرعية الخاصة بالنساء.

ويستعان في تحقيق هذا بوسائل منها:

(أ) الكتب الفقهية ذات الأسلوب العصري المناسب.

(ب) انتقاء الأشرطة العلمية للعلماء المعاصرين التي تحتوي على فتاوى متنوعة أو برامج مطولة في التفسير أو الفقه أو شروح الأحاديث أو العقيدة.

(جـ) حضور الدروس العلمية التي تقيهما بعض طالبات العلم للنساء.

(د) إقامة دروس علمية في البيت من الداعية لأهل بيته.

رابعاً/ التأهيل الفكري:

١ــ بناء حصانة فكرية ضد الشبهات الموجهة للإسلام في حق المرأة.

٢ــ التأصيل لقضية الحجاب شرعاً، والتنظير لها فكرياً.

٣ــ التوعية بالتيارات المنحرفة الموجودة في بعض المجتمعات الإسلامية، مثل: الشيوعية، والعلمانية، والقومية.. إلخ.

٤ــ التوعية بخطط الأعداء في حرب الإسلام، مع ذكر نماذج لذلك في جميع المجالات.

٥ــ بناء حصانة فكرية في عقل المرأة المسلمة لحمايتها من الاستغفال.

٦ــ تصحيح المفاهيم في القضايا الإسلامية التي شوهها الأعداء.

٧ــ طرح مفاهيم غائبة يحتاج إليها المسلم.

خامساً/ التأصيل العقدي:

١ــ تأصيل عقيدة أهل السنة والجماعة في عموم المسائل على وجه الإجمال.

٢ــ بناء الحصانة ضد الفرق الضالة المبتدعة، مثل: الصوفية، والرافضة.

٣ـــ تأصيل القضايا العقدية ذات البعد العملي مثل قضايا الولاء وقضايا الشرك.

٤ـــ تعميق الحصانة العقدية ضد الشبهات.

٥ـــ ذكر ملامح أهل السنة والجماعة التي يُعرفون بها.

سادساً/ تنمية القدرات التربوية:

١ـــ دراسة مفهوم التربية وأنواعها وأساليبها، والاستفادة من المعطيات الحديثة في هذا المجال.

٢ـــ دراسة فن تربية الأطفال، وكيفية التعرف على نفسيات الأطفال والمراهقين، وطرق التعامل معها.

٣ـــ دراسة سير المربين من الأنبياء والصالحين، ومناهجهم في التربية.

٤ـــ الاستفادة من خبرات المعاصرين من الآباء والأمهات والدعاة الذين يحسنون هذا الفن.

٥ـــ استغلال المواقف في تصحيح أخطاء الأهل في التربية.

٦ـــ دراسة فن معالجة الأخطاء.

سابعاً/ تنمية القدرة الاجتماعية في التعامل مع الآخرين:

١ـــ التعريف بحقوق الآخرين من: آباء وأمهات، وأقارب، وجيران... وحق كل مسلم عموماً: كفيل بإعطائهم حقوقهم وعدم غمطهم، وداعٍ قوي لإحسان التعامل معهم.

٢ـــ توضيح آداب الإسلام في التعامل مع الآخرين وحسن الخلق معهم.

٣ـــ ذكر نماذج صادقة في حسن الخلق من التاريخ الماضي والواقع المعاصر.

٤ـــ الاستفادة من النظريات الحديثة في تشخيص نظريات النفوس وطرق التعامل معها.

٥ــ استغلال المواقف في تصحيح الأخطاء عند التعامل مع الآخرين.

٦ــ تربية الداعية أهله في هذا المجال بالقدوة من خلال تعامله الحسن وخلقه الجميل، وربطهم بقدوات صالحة في هذا المجال من النساء الداعيات ذوات الخلق الحسن.

٧ــ بيان كيفية كسب قلوب الآخرين وكسب مودهم.

ثامناً/ بناء الحصانة ضد المنكرات:

١ــ بيان أضرار المعاصي وأخطارها وآثارها من خلال النصوص والنماذج الحية.

٢ــ الحرص على بيان المعاصي التي تكثر في صفوف النساء، مع بيان أحكامها وطرق مكافحتها وعلاجها.

٣ــ الحفاظ على البيت من وسائل الشر التي قد تستخدم في الفساد بسهولة، مثل: التلفزيون، وِأشرطة الفيديو المحرمة، وأجهزة البث المباشر.

٤ــ ذكر أحوال السلف في البعد عن المعاصي، والحذر منها، والخوف منها.

٥ــ عدم إتاحة الفرصة لشبح الفراغ يعبث في قلوب النساء، من خلال:

ــ عدم إحضار خادمة، فوجود الخادمة لا خير فيه، إذ قد يترك عند المرأة فراغاً قاتلاً لا تستطيع أن تملأه.

ــ عدم ترك المرأة وحدها في البيت دون عمل معين تقضي وقتها فيه.

٦ــ الحفاظ على حياء المرأة وتعميقه، وعدم التفريط فيه لأي مبرر سواء أكانت لعادات اجتماعية أو لغيرها، والحذر من أن تكون المرأة بَرزَة في تعاملها واختلاطها بالرجال بالبيع أو الشراء أو غير ذلك.

٧ـــ الحذر من دخول الرجال على النساء سواء أكانوا من الأقارب أو من غيرهم، وعدم إتاحة الفرصة للخلوة المحرمة مع السائق أو غيره، والحذر من سفر المرأة بغير محرم في الطائرة أو غيرها.

٨ـــ عدم الذهاب إلى الأسواق، أو على أقل تقدير الإقلال من ذلك قدر الإمكان، وليس هذا تحريماً لدخوله، ولكن ليقيني بقول عائشة - رضي الله عنها -:"إن خيراً للمرأة ألا ترى الرجال ولا يروها"، وقال علي - رضي الله عنه -:"بلغني أن نساءكم ليزاحمن العلوج في الأسواق، أما تغارون؟! إنه لا خير فيمن لا يغار"[مسند الإمام أحمد: (١/ ١٣٣)]، قال - تعالى -:).. ومن يتق الله يجعل له مخرجاً([الطلاق: ٢]، علماً بأن بعض النساء قد اقتنعن بعدم الدخول للأسواق البتة من خلال تأثير أهاليهن عليهن وقناعتهن بعدم الضرورة له، وإمكان الاستغناء عنه.

٩ـــ الابتعاد عن الأماكن التي تكثر فيها المحرمات من تبرج وسفور، أو يكثر فيها الرجال، مثل: بعض الأسواق المعروفة بكثرة الفسقة فيها، ومثل بعض أماكن التتره التي تقل فيها المحافظة على الأخلاق، كشواطئ البحار أو الحدائق المختلطة أو الأماكن التي يسمع فيها طرب ومجون.

١٠ـــ اختيار الصديقات الصالحات للأهل، والنصح بالبعد عن صديقات السوء.

١١ـــ الحذر من السفر بالأهل للبلاد التي يكثر فيها الفساد.

تاسعا/ ملء وقت الفراغ بالمباح، واستغلاله قدر الإمكان بالمفيد:

١ـــ بيان أهمية الوقت، والحث على استغلاله بالمفيد، وبيان هدي السلف في ذلك.

٢ـــ تنمية حب القراءة، ويمكن تحقيق ذلك من خلال:

(أ) إحضار الكتب المناسبة التي تتفق مع ميول القارئ، وإعطائه فرصة للاختيار في حدود الكتب المباحة، والحذر من الكتب الفاسدة الخبيثة.

(ب) إجراء مسابقات في قراءة الكتب، وإعطاء الجوائز على ذلك.

(جـ) إحضار الكتب ذات المادة المفيدة والجذابة، مثل: كتب الألغاز والمسابقات، والحِكَم والأمثال، والقصص والأخبار.

(د) التأثير من خلال القدوة الصالحة من المربي في الحرص على الوقت واستغلاله بالقراءة المفيدة.

٣ـ التعليم على الكمبيوتر، وتوظيف الأهل في خدمة الدعوة من خلاله.

٤ـ إحضار الألعاب المباحة، والقيام بالرحلات الترفيهية في أجواء محافظة.

٥ـ التعلم على الأعمال المفيدة التي تعني النساء، مثل: الخياطة، والطبخ، وتنسيق الزهور، وترتيب المنازل وتنظيمها على وجه جميل وجذاب.

٦ـ الانشغال بأعمال البيت والحرص على عدم إحضار خادمة.

وسائل وطرق عامة مناسبة لتحقيق كثير من الأهداف السابقة:

١ـ إنشاء مكتبة صغيرة لكل فرد من أفراد الأسرة تخصه، يحوطها بعنايته، ويحرص على قراءتها، وتشعره بأهمية العلم والقراءة والتحصيل.

٢ـ بناء مكتبة صوتية للبيت كله مرتبة ومنظمة، يكلف أحد أفراد البيت بترتيبها وتنظيمها والحفاظ عليها.

٣ـ وضع مكتبة صوتية مصغرة مع جهاز إلقاء في الأماكن التي يكثر فيها الجلوس، مثل: صالة الجلوس، والمطبخ.

٤ــ وضع صندوق تبرعات، يتعود الأهل من خلاله على البذل في سبيل الله من خلال ما يحصلون عليه من النقود.

٥ــ تعويد الأهل على تلخيص المحاضرات التي يسمعونها في دفتر خاص، أو على الأقل كتابة رءوس العناوين المهمة في المحاضرة، وبخاصة المحاضرات القيّمة.

٦ــ وضع برنامج شهري مطبوع يقوم به أحد أفراد الأسرة، يتكون من أربعة أشرطة وكتاب، مع كتابة أسماء المستفيدين منه بحيث يتابع تنفيذ هذا البرنامج بدقة، وبه قد يشعر الداعية أنه يسير بخطى ثابتة ودقيقة نحو تنفيذ برامجه وتحقيق أهدافه.

٧ــ النفقة على الأهل أمر لا بد منه، فلماذا لا توضع هذه النفقة العينية في صورة جوائز عينية؟ وبه تكون قد حققت أكثر من هدف بخطوة واحدة.

٨ــ الحرص على أشرطة الدعاة الذين يحب الأهل الاستماع إليهم ويتأثرون بهم أكثر من غيرهم.

٩ــ توزيع أعمال الدعوة في البيت على أفراد الأسرة، وتطوير كفاءة الأهل في إدارة الأعمال بدون الحاجة إليك، بحيث يمكن إدارتها في أثناء غيابك.

وصايا أخيرة:

١ــ احرصي على تلبية احتياجات الأهل المهمة والضرورية.

٢ــ احرصي على التعامل معهم بخلق حسن.

٣ــ اعملي جاهدةً لإدخال البسمة لكل فرد من أفراد الأسرة، واجعلي البيت يشع حيوية وسروراً وسعادة ومحبة.

٤ــ شاركي كل فرد من أفراد الأسرة مشاكله، وحاولي مشاركته في حلها.

٥ــ عليكِ بالدعاء الصادق في أن يهدي الله كل أقاربكِ وأن يفتح على قلوبهم.

وعموماً: فالموضوع أكبر من أن تحيط به كلمات مقال ينحو نحو الاختصار، وهذه خلاصة مختصرة لمقترحات متواضعة في هذا المجال، نسأل الله أن ينفع بها.

٩٤-عشر همسات للدعاة[1]:

الهمسة الأولى:

أخلص نيتك لله - سبحانه وتعالى -..واجعل قصدك و مبتغاك تبليغ دين الله - جل وعلا - من أجل أن يرضى عنك ربك..واستشعر أنك تقوم بمهمة عظيمة.. وأمانة كبيرة.. فاعرف قدرها..

الهمسة الثانية:

---

[1] عبد الرحمن بن محمد السيد/http://islamselect.com

اعلم أن للدعوة فقه.. لا بد وأن تتعلمه.. فهو من أنفع وسائل الدعوة وأنجحها.. وسبب من أسباب قبولها واستمرارها.. فاطلبه لدى من شابت لحيته في الدعوة من علمائنا ودعاتنا..

الهمسة الثالثة:

اعلم - رعاك الله - أن للدعوة لذة وحلاوة.. لا يعرفها إلا من ذاقها.. ولا يطلبها إلا من جربها.. وهي ليست من الصادقين من ببعيد..

الهمسة الرابعة:

تذكر - وفقك الله - أن طريق الدعوة مليء بالعقبات والأشواك.. وملغَّمٌ بالمصاعب والمتاعب.. ولو طاب لأحد لسلِم منه نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -.. فتزود بسلاح الصبر.. وليكن قدوتك في ذلك الأنبياء والصالحون ومن سار على دربهم من النجباء والعظماء.. والتاريخ مليء بأخبارهم..

الهمسة الخامسة:

أيها الداعية المبارك.. أربأ بك أن تكون ممن يأمر الناس بالخير ولا يأتمر.. وينهاهم عن الشر ولا ينتهي.. فهذه صفة ذميمة وخصلة مقيتة.. بل كن أول العاملين بما تأمر.. وأول المنتهين عما تنهى وتزجر..

الهمسة السادسة:

أخي الداعية.. لتكن علاقتك بالله قوية.. وصِلَتك به متينة.. وليكن لك بينك وبين الله سريرة.. لا يطلع عليها أحد من الناس.. فهذا من أسباب نجاح الدعوة وقبولها.. وإذا أردت أن يكون الله لك في طريق دعوتك كما تحب.. فكن له كما يحب وأكثر مما يحب..

الهمسة السابعة:

أيها الداعية الموفق.. ليكن لك في وقتك نصيب من البحث والاطلاع.. ومزيد من التفقه وطلب العلم.. واحرص على ثني الركب عند العلماء وطلبة العلم.. فإن العلم سلاح الداعية.. يدفع به الجهل.. ويُزيل بنوره الشُّبَه والفتن..

الهمسة الثامنة:

أيها المبارك.. لا بد وأن تعلم أن الداعية إلى الله مبلغٌ عن ربه.. وموقِّعٌ عن خالقه.. فإياك والكلام على الله بغير علم.. وأكثِر من قول: (لا أدري).. ولا تستحي من ذلك.. فجميعنا يشترك في قول الله - سبحانه -: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً).

الهمسة التاسعة:

احرص على حسن مظهرك.. وجودة ملبسك.. فالله جميلُ يحب الجمال.. ولا تسرف في ذلك.. وما أجمل أن يجمع الإنسان بين نظافة القلب ونظافة المظهر..

الهمسة العاشرة:

أوصيك بالرفق والحلم.. والكلمة الطيبة الرقيقة.. والمجادلة الحسنة اللينة.. وتذكر قول الله - جل وعلا -: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن).. ويكفي الداعية أن يتدبر هذه الآية.. وأن يفهم مرادها ومقصودها.. ففيها خير عظيم..

٩٥-الشبكة العالمية"الانترنت[١]"

الدعوة الإسلامية عبر شبكة الانترنت في ظل عصر ما يسمى بالعولمة حيث تطورت وسائل الاتصالات والأنظمة الالكترونية لتصبح الأداة الأكثر أهمية في العصر الحديث، تبرز

---

[١] محمد درويش

ملامح ومتغيرات لهذا التطور العالمي المتسارع تنعكس على جميع مجالات الحياة المختلفة.ومن أهم الوسائل التي ظهرت في عالم الاتصالات والأنظمة الالكترونية، هي ما يسمى بالشبكة العالمية"الانترنت"، الاداة التي أبهرت العالم بإمكانياتها واتساعها وانتشارها ويعتبر ظهور هذه الشبكة تطورا كبيرا وعميقا شمل جميع المجالات ووسّع الأفق لكل المسارات، وذلك لأن الانترنت وفّر ما لم يكن يحلم به أحد، من سرعة اتصال وعرض معلومات وتبادل بيانات ونشر أفكار بل وحضارات ومعتقدات. من هنا تأتي أهمية استخدام هذه الشبكة العالمية في مجال نشر الدعوة الإسلامية، خاصة وأن الخطاب الإسلامي يعتبر خطابا عالميا شاملا لكل الناس وهذه الخصيصة تجعل من شبكة الانترنت أرضية مناسبة وخصبة لنشر الدعوة الإسلامية إلى العالمين. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو كيف السبيل إلى ذلك؟ وللإجابة على هذا السؤال في هذا الوقت، وأعني في هذا الوقت أي بعد أن بدأت بالفعل مجموعة من المواقع تجربتها في هذا المجال رغم تباينها في النجاح وتعدد غاياتها وأهدافها ووسائل عملها، يجب الانطلاق من عدة محاور:أولا: التجارب الحالية: بدأت فعلا عدة جهات في السنوات السابقة بإنشاء مواقع لنشر الدعوة الإسلامية عبر الانترنت، والحمد لله تجاوز عدد لا بأس به منها مرحلة البداية والتأسيس والشهرة لتصبح مواقع منافسة على مستوى جيد في الأداء والتنوع. كما أنها قامت بدور كبير جدا وعلى المستوى العالمي بنشر الدعوة الإسلامية وبالطريقة المرجوة المناسبة وأمثلة تلك المواقع كثيرة يعلمها كثير من الناس. ومع هذا الدور الكبير التي تقوم به وما تزال تلك المواقع في نشر الدعوة الإسلامية، إلا أننا بحاجة إلى المزيد من المواقع لا من حيث العدد فقط بل من حيث التنوع والتخصص والإثراء وبالتالي التكامل والشمول. ثانيا: متطلبات الدعوة الإسلامية: إن الدعوة الإسلامية في هذا العصر المليء بالمغريات والمعتقدات، والذي يتعرض فيه الإسلام والمسلمون إلى غزو ثقافي مكثف على جميع المستويات، تحتاج إلى عمل مؤسسي وجماعي منظم وموجه على المستويين الشعبي والرسمي، لكي يصل إلى درجة التأثير المحلي والعالمي، ومن هذا المنطلق يجب استخدام جميع الوسائل المتاحة عبر الانترنت، والتي ستعطي الفرصة المناسبة مع الوسائل الأخرى لهداية البشر إن شاء الله، ولإثبات أن هذا الدين هو المنقذ الوحيد لها وهو الدين الوحيد الذي يصلح

للتطبيق في كل زمان ومكان. ثالثا: تكثيف الجهود لتتناسب مع حجم المتطلبات: رغم ما ذكرت سابقا عن التجارب المنافسة والقوية التي بدأت فعلا في مجال الدعوة الإسلامية عبر شبكة الانترنت، إلا أن المتطلبات لهذه الدعوة المباركة تحتاج إلى تكثيف الجهود أكثر فأكثر للاستفادة من هذه الوسيلة المهمة على أكمل وجه. ومن الأمور التي تحتاج منا إلى وقفة وتدعونا بإلحاح إلى تكثيف الجهود في هذا المجال:

١. الإبداع والتميز في عرض الدعوة: فهناك حاجة إلى الإبداع في العرض وجذب الناس إلى الدعوة الإسلامية وهذا الأمر يحتاج بالغالب إلى متخصصين لديهم درجة عالية من الإخلاص والإرادة لتحقيق نقلات نوعية فيها إبداع وتميز في العرض.

٢. الأخذ بعين الاعتبار أن الخطاب الدعوي عبر الشبكة يجب أن يكون على مستوى العصر فهناك تطورات مستمرة في الحياة وهذه التطورات يجب أن تأخذ بعين الاعتبار حيث يتحقق الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

٣. رفع مستوى الأداء والتقييم ومن خلال هذا التقييم العملي والعلمي البنَّاء يكون التطوير المستمر وهذا ينعكس مباشرة على الأداء.

٤. المرونة المناسبة التي تزيد من رقعة الانتشار العالمي.

٥. تعدد الوسائل واختلافها لتتناسب مع اكبر شريحة ممكنة من البشر.

٦. وفي هذا السياق ممكن إنشاء رابطة للمواقع الإسلامية يكون الهدف منها التقييم المستمر والعناية بتكامل الجهود وشمولها وتشجيع التنافس ضمن معايير عالية الجودة.

٩٦- حتى يكون المسار سليماً والعمل مثمرا[١]:

---

[١] محمد بن عامر الثوباني/http://www.albayan-magazine.com

أعظم منة من الله - تبارك وتعالى - على العبد هي: أن يهيئ له الأسباب، ليكون من حملة هذا الدين، وممن يبذلون الغالي والنفيس، لإقامة حكم الله في الأرض، وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، تلك المترلة التي هي أشرف المنازل، وأعلى المقامات، مترل المرسلين وسبيلهم، عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولاشك أن الداعية إلى الله - تعالى - هو صفوة الله وخيرته من خلقه، أحب لله فهو أحب أهل الأرض إلى الله، وأجاب دعوة الله ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه، فعمله أفضل الأعمال وأزكاها، وكلامه أعذب الكلام وأطيبه، لأن كلمة الدعوة هي أحسن كلمة تقال في الأرض وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، وقد ذكر ربنا ذلك في أوجز عبارة وأصدق بيان: (ومَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وعَمِلَ صَالِحاً وقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [فصلت: ٣٣].

قال الحسن البصر - يرحمه الله - بعد تلاوة هذه الآية: (هذا حبيب الله، هذا وليّ الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، وقال: (إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [١])

ولأن الأمر بهذه المترلة وبهذا السمو؛ فإنه لابد لأي داعية يريد وجه الله والدار الآخرة أن تتضح عنده أمور، حتى يكون المسار سليماً، والعمل مثمراً، ومن هذه الأمور ما يلي: أولاً - سلامة القصد والغاية: فمقصود الداعية وغايته: إعلاء كلمة الله، وتحكيم شريعة الله في الأرض، وليس لشخصه ولا لقومه، أو جنسه، أو عشيرته، أو قبيلته، حظٌّ في ذلك ولا نصيب، وإنما الأمر لله، والعمل من أجل الله، ولهذا نلحظ في كتاب الله التركيز على هذا الأمر.

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ) [يوسف: ١٠٨]، (ومَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ) [فصلت: ٣٣]، (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ) [النحل: ١٢٥].

إنها دعوة إلى الله وإلى سبيل الله فحسب، دعوة تبيِّن للبشرية غاية خلقهم، وتعرفهم بربهم وخالقهم ورازقهم، وتبين لهم كيف يكون الإنسان شريفاً بعبوديته لله، وكيف يكون ذليلاً عندما يكون عبداً لغير الله، تبين لهم كيف تكون الحرية والسؤدد والرفعة والمجد عندما يتحاكمون إلى شرع الله، وكيف يكون الكبت والذل والصغار عندما يرضون بحكم الجاهلية، وقوانين البشر، وتخرصات أهل الزيغ والضلال، من الفلاسفة والعقلانيين والوضعيين وغيرهم.

ثانياً - سلامة الوصول والطريق الموصل إلى الغاية: وطريق الداعية إلى الله ووسيلته هي طريق المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ووسيلته، فإنه أمر الخلق بكل ما أمر الله به، ونهاهم عن كل ما نهى الله عنه، أمرهم بكل خير ونهاهم عن كل شر، ولم يأمر بشيء من عنده ولا نهى عن شيء من تلقاء نفسه، بل كل دعوته بإذن الله، ولم يشرع ديناً لم يأذن به الله، كما قال - عز وجل -: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذِيراً) [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله -: (فالله أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - بالدعوة إلى الله تارة، وتارة بالدعوة إلى سبيله، كما قال - تعالى -: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ)، وذلك أنه قد علم أن الداعي الذي يدعو غيره إلى أمر، لابد فيما يدعو إليه من أمرين: أحدهما: المقصود المراد.

والثاني: الوسيلة والطريق الموصل إلى المقصود، فلهذا يذكر الدعوة تارة إلى الله، وتارة إلى سبيله، فإنه - سبحانه - هو المعبود المراد المقصود بالدعوة) [٢].

ثالثاً - البصيرة في الدعوة: لكي يحقق الداعية الغاية والمقصود، ويسلم سبيله في الدعوة من الالتواءات والانحرافات، ولكي يسلك سبيل الله ويدع السبل المتفرقة، فلابد من العلم والبصيرة في الدعوة إلى الله - تعالى -: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَنِي وسُبْحَانَ اللَّهِ ومَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

والبصيرة هي العلم، علم بالله وبسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، علم يجعل صاحبه وقافاً عند حدود الله، طالباً للحق مذعناً له متى ظهر وإن خالف هواه، علم يجلو القلوب من أصدائها ويزرع فيها تقوى الله وخشيته وحب الله وحب رسوله، وحب عباده المؤمنين وحب العمل الذي يقرب إلى حب الله ورسوله.

رابعاً - الفقه في الدعوة إلى الله:

١- معرفة أحوال المخاطبين والمدعوين، فإن معرفة أحوالهم مما يعين على اختيار الطريق المناسب، ووضع الأمور في مواضعها، قال - تعالى -: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)؛ قال ابن القيم- رحمه الله تعالى - حول هذه الآية: (ذكر - سبحانه - مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام، بحسب حال المدعو، فإنه إما أن يكون طالباً للحق، محباً له، مؤثراً له على غيره إذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال، وإما أن يكون مشتغلاً بضد الحق، لكن لو عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب، وإما أن يكون معانداً معارضاً فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجلاد إن أمكن) [٣].

فإذن في الناس من تكون الحكمة أبلغ في دعوته من سواها، والحكمة شأنها عظيم، وقد جاءت في الآية السابقة مستقلة واضحة كالشمس لا تحتاج إلى مزيد بيان وتوضيح، بخلاف الموعظة والجدال، فقد جاءا موصوفين، الموعظة بأنها الموعظة الحسنة، والجدال بأنه بالتي هي أحسن، ومن المهم أن نعرف أن الشدة في بعض الأمور ولبعض الناس هي من الحكمة، وفى الحكمة سر عظيم، وخير عميم، (ومَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً).

وبعض الدعاة يبالغ في اصطياد الحكمة، فيذهب الوقت عليه بين مد وجزر، حتى يفلت الأمر من يده قبل أن يبلغ الحكمة أو يقرب منها، وبعضهم يأخذه الحماس والغيرة والاندفاع، فيتجاوز الحكمة بمسافات بعيدة.

وفى الناس من تدخل قلوبهم الموعظة الحسنة، وتأسر مشاعرهم وتتعمق فيها بلطف، ولكن يجب أن تكون حسنة في ألفاظها وفى معانيها، تجعل القلوب تتوق وتتشوق إلى ما عند الله، فتنقاد إلى سبيل المؤمنين لتفوز بالجنة، كما يجب وهى تحذر من عواقب العصيان، وسوء منقلبه، أن تكون حسنة، لا فجاجة فيها ولا غلظة، ولا تقبيح فيها ولا تأنيب في غير موجب، فتعود القلوب الشاردة وتحيا القلوب المريضة بالموعظة الحسنة.

وفيهم من يأسرهم الجدال، عندما يكون الجدال بالتي هي أحسن - بصيغة التفضيل أحسن - لأن الأمر خطير وحساس، يقول سيد قطب - رحمه الله -: (فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تتزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها، والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها في سبيل الله، لا في سبيل ذاته، ونصرة رأيه، وهزيمة الرأي الآخر) [٤].

٢ - أن يكون عنوان الداعية هو: طلب الحق، فإن وفق إليه لزمه وانتصر له، وإن تبين له مجانبة الصواب في أي مسألة من مسائل الشرع، أو أي أسلوب أو منهج، قبِل النصح وعاد إلى الصواب، مرتاح البال مطمئن الضمير، فإن الأمر لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم -، (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ ورَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) [الأحزاب: ١٣٦]، ولاشك أن الأمر عزيز المنال، وأن الإذعان للحق مرتقى لا يرتقيه كل الناس، ولكن أهل التقوى والإخلاص - وهم قلة - يرتقون هذا المرتقى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

٣-أن يعترف الداعية لأهل الفضل بفضلهم، وأن لا يبخس الناس حقوقهم، وأن لا يتعدى بأي هفوة أو زلة حجمها وقدرها الذي يجب أن لا تتعداه، وأن يحذر تتبع العثرات والزلات، عند العلماء والدعاة، ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء نُبلاً أن تعد معايبه.

٤ -أن يكون الداعية على علم بواقعه المعاصر، وعلى دراية بحجم الجاهلية وقوتها وتبجحها واستهتارها، وأن يدرك المكر الذي يمكره أعداء الله ليلاً ونهاراً، لإخماد أي جذوة أو بصيص من نور تظهر في أي بقعة من العالم لإعلاء كلمة الله.

٥-أن يكون صريحاً في كلامه، واضحاً في منهجه وسلوكه، متميزاً عن الجاهلية، معتزاً بدينه، مترفعاً عن أن يساوم بشيء من دينه، مستقلاً تماماً عن أنظمة الجاهلية، معرضاً عن الأنظمة المشبوهة، منتمياً لأولياء الله، موالياً للمسلمين، متبرئاً من المشركين، يقول بملء فيه: (إنني من المسلمين)، ويقول: (سُبْحَانَ اللَّهِ ومَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، وما أحسن كلام سيد - رحمه الله - حول قول الله - تعالى -: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَنِي)، يقول: (وأصحاب الدعوة إلى الله لابد لهم من هذا التميز، لابد لهم أن يعلنوا أنهم أمة وحدهم، يفترقون عمّن لا يعتقد عقيدتهم، ولا يسلك مسلكهم، ولا يدين لقيادتهم، ويتميزون ولا يختلطون! ولا يكفي أن يدعو أصحاب هذا الدين إلى دينهم وهم متميعون في المجتمع الجاهلي، فهذه الدعوة لا تؤدي شيئا ذا قيمة.

ثم يقول: والذين يظنون أنهم يصلون إلى شيء عن طريق التميع في المجتمع الجاهلي، والأوضاع الجاهلية، والتدسس الناعم من خلال تلك المجتمعات، ومن خلال هذه الأوضاع، بالدعوة إلى الإسلام، هؤلاء لا يدركون طبيعة هذه العقيدة، ولا كيف ينبغي أن تطرق القلوب! إن أصحاب المذاهب الإلحادية أنفسهم يكشفون عن عنوانهم وواجهتهم ووجهتهم! أفلا يعلن أصحاب الدعوة إلى الإسلام عن عنوانهم الخاص؟ وطريقهم الخاص؟ وسبيلهم التي تفترق تماماً عن سبيل الجاهلية؟)[٥].

وبعد: أخي الداعية، لعل هذه الأمور لا تخفى عليك، ولكنها الذكرى عسى أن تقابل لحظة قبول، فتنتفع بها القلوب المؤمنة، هذا الذي نرجوه من الله، والحمد لله أولاً وآخراً.

الهوامش:

(١) ابن كثير، المجلد الرابع، ص١٥٢.

(٢) الفتاوى١٥/١٦٢.

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد.

(٤) في ظلال القرآن٤/٢٢٠٢.

(٥) في ظلال القرآن٤/٢٠٣٤.

==============

٩٧- أفكار دعوية مع الزوج[١]:

حركة لطيفة أن تتركي بعض الأشرطة النافعة في سيارة زوجك وتقومي باستبدالها من وقت لآخر وبدون تعليق.

هل تعرفين فكرة البرواز؟

إنه برواز صور متوسط الحجم تضعينه على المنضدة التي بجوار سرير زوجك بعد أن تكوني قد وضعت بداخله بدل الصورة فائدة كتبتها بخطك الجميل أو قصصتها من إحدى المطبوعات، أو كلمة تعبرين بها عن حبك واحترامك لزوجك، ولا تنسي أن تقومي بتغيير العبارات بين وقت وآخر كما يمكنك أيضاً عمل فكرة البرواز في غرفة الضيوف أوصالة المترل مع وضع الفوائد المناسبة التي يستمتع بها جميع من في المترل.

طبق شهي تهديينه لأهل زوجك عند اجتماعهم الأسبوعي لن يكلفك الكثير، بل سيعطيك الكثير.. تحتسبين فيه إدخال السرور على المسلمين- زوجك وأهله- وإرضاء زوجك الذي

---

(١) هناء الصنيع http://www.saaid.net/

سيسعد كثيراً بذلك وسيفتخر بك عند أهله كما تحتسبين إطعام الطعام، فهو سبب لدخول الجنة بسلام... وتهادوا تحابوا كما أمرنا - صلى الله عليه وسلم -..

نادى المؤذن: الله أكبر.. الله أكبر...

زوجك يتحدث معك، يلعب مع أطفاله.....

بطريقة لبقة ولطيفة.. أنهي الجلسة والحديث واجعلي الجميع يشعرون هناك شيئاً مهماً قد حصل...

هو دخول وقت الصلاة وارتفاع النداء...

فكوني أنت أول من يستعد لأداء الصلاة وينقطع عن أمور الدنيا لنداء...

ستعينين زوجك بلا شك على إدراك تكبيرة الإحرام.

اجعلي زوجك يشعر بأنك تتعلمين منه

اسأليه عن بعض أمور الدين وناقشيها معه بتواضع كتلميذة مع أستاذها

لا شك أن ذلك سيحفزه على الاطلاع أكثر حتى يستطيع أن يجيب على أسئلتك خصوصاً إذا شعر بأنك تتعلمين منه

ذلك سيسعده كثيراً وسيعلي همته في البحث والقراءة والسؤال فتكونين قد أعنت زوجك على طلب العلم والاستفادة من وقته

أعينيه على بر والديه وصلة إخوانه وأخواته...

ذكريه إذا نسي، وعظيه إذا قصر أو تهاون

فمن لا خير فيه لأهله، فلن يكون فيه خير لأحد وأولهم أنت

ثم أي حياة تلك التي تعيشينها مع زوج عاق مسخوط عليه قاطع لرحمه، قد قطعه الله والعياذ بالله....

فأول واجبات الداعية أن تجعل زوجها موصولاً بالله عن طريق بر والديه وصلة رحمه حتى تهنئي معه ويهنأ معك

داعية مثلك بالتأكيد لن تنسى أثر الدعاء في التوفيق بين الزوجين...

اللهم استر عنه عيوبي واستر عني عيوبه...

وأظهر له محاسني وأظهر لي محاسنه...

ورضني بما رزقتني وبارك لي فيه... آمين

تعرفي على مواطن الإبداع في زوجك...

فجريها.. نميها، و با ركيها..

اصنعي من زوجك رجلاً ينفع أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

ثم اعرفي مواطن الضعف فيه، عالجيها وانهضي بزوجك...

ولا تعينيه على الكسل وحب الدنيا فينفتح عليكما باب شر عظيم يصعب إغلاقه.

إرفعي همته إلى الأعلى دائماً...

إجعليه سباقاً إلى الخيرات بإذن الله...

و لم لا.. ما دام له زوجة مثلك سيكون ذلك سهلاً بإذن الله...... أيتها الزوجة انتبهي...

لا تكوني أنت مفتاح أبواب الدنيا وملذاتها لزوجك..

فإنها إذا دخلت قلبه فسيكون خروجك منه هيناً،

لأن حب الدنيا قد يكون على حساب حبك أنت في كثير من الأحيان.

===========

٩٨- أسلوب الرسول - صلى اللّه عليه وسلم - في دعوته أهل الكتاب[١]:

مقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأشهد أن لا إله إلا الله خصنا بخير كتاب أنزل، وأكرمنا بخير نبي أرسل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه أجمعين.

كان الرسول يختار في تعليمه من الأساليب أحسنها وأفضلها، وأوقعها في نفس المخاطب وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدها تثبيتاً للعلم في ذهن المخاطب، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يلوِّن الحديث لأصحابه ألواناً كثيرة، فتارة يكون سائلاً وتارة يكون مجيباً، وتارة يجيب السائل بقدر سؤاله، ويزيد على ما سأل، وتارة يضرب المثل لمن يريد تعليمه، وتارة يصحب كلامه القسم بالله - تعالى -ليؤكد ما يقوله، وتارة يلفت السائل عن سؤاله لحكمة بالغة منه، وتارة يعلِّم بطريق الكتابة، وتارة بطريق الرسم، وتارة بطريق التشبيه أو التصريح.

---

[١] د. بشرى محمد أحمد/http://www.meshkat.net

و كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يورد الشبهة ليذكر جوابها، وتارة يسلك سبيل المداعبة والمحاجاة فيما يعلمه، وتارة يمهد لما يشاء تعليمه وبيانه تمهيداً لطيفاً لما يريد بيانه، وتارة يسلك سبيل المقايسة بين الأشياء، وتارة يشير إلى عللها لذكر جوابها، وتارة يسأل أصحابه وهو يعلم ليمتحنهم بذلك، وتارة يسألهم ليرشدهم إلى موضع الجواب، وتارة يلقي إليهم العلم قبل السؤال.

إن دعوة غير المسلمين وخاصة أهل الكتاب يجب أن تكون مؤثرة وبأساليب متعددة، لأن بعض الناس قد لا يستجيب للدعوة إلا أن يرى شيئا عظيماً يجعله يقف مبهوراً معجبا، شيئاً يشده إلى الإسلام شداً ويجعله يعيد حساباته.

إن ملكة سبأ كانت تعبد الشمس هي وقومها عندما دعاها سليمان - عليه السلام - إلى الإسلام، ولكنها أبت إلا أن تنقاد مع اعترافها بضعفها أمام قوة سليمان وجنوده، ولكن عندما دخلت الصرح وحسبته لجة: (قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) (سورة النمل الآية ١٤٤).

لقد عرضت عليها مظاهر القوة الخارقة لتؤثر على قلبها وتقودها إلى الإيمان.

و لكن في الإسلام ليس الأصل هو المعجزات المادية، وإن جاءت عفواً وإكراماً فلا بأس. وكان - صلى الله عليه وسلم - لا يعتمد في دعوته إلى الله على المعجزات المادية، بل على معجزة القرآن فقط.

إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - اتخذ أساليباً متعددة مع أهل الكتاب في دعوتهم للدخول في الإسلام، وقد شملت دعوته، الدعوة باللسان حيث أقام الأدلة القاطعة على إرساله لهم، وأقام عليهم الحجة حين حاولوا غير مرة تعجيزه بأسئلة يوجهونها إليه ويجيبهم فيها وفق أسئلتهم.

و كان - صلى الله عليه وسلم - تارة يرغبهم في الإسلام ويبين لهم محاسنه، وتارة يرهبهم ويحذرهم.و كان من جملة أساليبه - صلى الله عليه وسلم - في دعوته أهل الكتاب أنه - صلى الله عليه وسلم - دعاهم دعوة خاصة، وكان يظهر لهم حلمه وصفحه ويظهر لهم المعجزة، ويعرِّفهم موافقة القرآن لما في التوراة، وموافقة أهل الكتاب فيما ليس فيه نص، وإباحته ذبائح أهل الكتاب ونسائهم، وقبول الهدية من أهل الكتاب، ووصيته - صلى الله عليه وسلم - على أهل الذمة، وإخبار اليهود بما ينتظرهم من عذاب.

أهمية البحث:

أولاً: إظهار سماحة الإسلام وتعايشه مع الأديان الأخرى.

ثانياً: تعريف إخواننا المسلمين كيفية معاملة أهل الكتاب وبخاصة في السودان ونحن نستشرف السلام.

ثالثاً: إظهار أن الإسلام لم يفرض بالقوة على أهل الكتاب.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في مفهوم كثير من المسلمين في محدودية التعامل مع أهل الكتاب والكف عن دعوهم إلى الدخول في الإسلام رغم اختلاطهم في العمل في السكن. وأردت بهذا البحث توضيح المنهج الشرعي في كيفية التعامل مع أهل الكتاب ودعوهم إلى الإسلام أسوة بالرسول - صلى الله عليه وسلم -، وكذلك الرد على أعداء الإسلام في أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أدخل الناس في الإسلام عن طريق القوة.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع.

تمهيد:

(أهل الكتاب) كلمة تطلق على كل من يدين باليهودية أو النصرانية ولو لم يكن من أصل بني إسرائيل الذين أنزلت على رسلهم التوراة والإنجيل. قال - تعالى -: (قل يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون)(سورة آل عمران-١٠٧).

قال سعيد بن جبير - رحمه الله -: عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: (كان محمد - صلى الله عليه وسلم - رحمة لجميع الناس، فمن آمن به وصدق به سعد، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الخسف والغرق)[١]

و قال - تعالى -: (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) (سورة الأعراف- جزء من الآية١٥٨).

و عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلي، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة). [٢]

من هذه النصوص يظهر أن أهل الكتاب من ضمن المدعوين. لذلك دعاهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - دعوة عامة ضمن الناس، وكذلك دعاهم دعوة خاصة كما سيأتي في المباحث القادمة إن شاء الله.

شبهة:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه) [٣]

عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: (من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسياً ذلك بأن الله يقول: فحيوا بأحسن منها أو ردوها). وقال قتادة فحيوا بأحسن منها يعني للمسلمين أو ردوها يعني لأهل الذمة)[٤]

قال إبراهيم النخعي: (إذا كانت لك حاجة فابدأه بالسلام) فبان لهذا أن الحديث (لا تبدءوهم بالسلام) إذا كان لغير سبب مثل جوار أو سفر. وقد روي عن السلف أهم كانوا يسلمون على أهل الكتاب، وفعله ابن مسعود بدهقان صحبه في الطريق، قال علقمة: يا أبا عبد الرحمن أليس يكره أن يبدءوا بالسلام؟ قال نعم ولكن حق الصحبة [٥].

(فاضطروهم إلى أضيقه) (معناه لا تتنحوا لهم عن الطريق الضيق إكراماً لهم واحتراما، وليس المعنى إذا لقيتموهم في طريق واسع فألجئوهم إلى حرفه حتى يضيق عليهم لأن ذلك أذى لهم وقد نهينا عن أذاهم بغير سبب)[٦].

وروي عن ابن مسعود وأبي الدرداء وفضالة ابن مسعود - رضي الله عنهم - أهم كانوا يبدؤون أهل الذمة بالسلام. وعن ابن مسعود أنه كتب إلى رجل من أهل الكتاب السلام عليك، وعنه أيضاً أنه قال: لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه مثله. وروى الوليد بن مسلم عن عروة بن رويم قال: رأيت أبا أمامة الباهلي يسلم على كل من لقي من مسلم وذمي[٧].

و مما ذكر يتضح أن الحديث قيل في ظروف استثنائية في المدينة المنورة، والأصل هي المعاملة الطيبة في قوله - سبحانه وتعالى-: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم)(سورة العنكبوت جزء من الآية٤٦).

و لا خلاف في أن القتال كان محظوراً قبل الهجرة لقوله - تعالى -في السور المكية: (اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين)(سورة الأنعام- آية ١٠٦).

(ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم)(سورة فصلت- آية ٣٤) (و اصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلا)(سورة المزمل- آية ١٠).

كانت الآيات المكية تحث على العفو والصفح. فلما هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة أمر بالقتال فنزلت أول آية في القتال، قاله الربيع بن أنس وغيره[٨] (و قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)(سورة البقرة- آية ١٩٠).

لما نزلت هذه الآية كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقاتل من قاتله ويكف عمن كفَّ عنه حتى نزلت الآية[٩] (و قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)(سورة التوبة-جزء من الآية٣٦).

إن الآية الأولى أوجبت قتال المعتدين فقط وليس غيرهم. أما الثانية فأوجبت قتال المشركين وليس أهل الكتاب.

مما سبق يتضح بأن أهل الكتاب لهم وضع خاص في ظل الإسلام، لذلك كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو أهل الكتاب بوجه عام ليشملهم بتلك الدعوة وتارة يخص بدعوته اليهود، وتارة يخص بها النصارى، ولنشرع الآن في بيان أسلوبه - صلى الله عليه وسلم - في دعوته أهل الكتاب على ضوء الكتاب والسنة. علماً أن الكتاب والسنة يخرجان من مشكاة واحدة، ألا وهو - سبحانه وتعالى-. قال - تعالى -: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)(سورة النجم- آيات ٣، ٤)، فالسنة إما أن تكون مثبتة ومؤكدة ما جاء في القرآن أو مفسرة ومبينة له أو تأتي بحكم سكت عنه القرآن.

المبحث الأول: دعوته - صلى الله عليه وسلم - أهل الكتاب:

كان - صلى الله عليه وسلم - يدعو الناس بمختلف اتجاهاتهم ويبلغهم رسالة ربه، ومن ضمنهم أهل الكتاب. وقد كان - صلى الله عليه وسلم - يدعو أهل الكتاب دعوة خاصة،

وكان تارة يدعوهم بوجه عام اليهود والنصارى، وتارة يخص بدعوته اليهود، وتارة يخص بدعوته النصارى.

المطلب الأول: دعوة أهل الكتاب بوجه عام:

قد امتثل - صلى الله عليه وسلم - أمر ربه حيث أمره بذلك في قوله - تعالى -: (قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباب من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)(سورة آل عمران آية ٦٤).

هذا خطاب موجه إلى أهل الكتاب يأمر فيه الله - سبحانه وتعالى-نبيه الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يقول: (يا معشر اليهود والنصارى هلموا إلى كلمة عادلة مستقيمة فيها إنصاف بعضنا من بعض وأن نفرد الله وحده بالعبادة ولا نجعل له شريكاً، أي لا يعبد بعضنا بعضاً كما عبد آباؤكم من اليهود والنصارى عزيراً وعيسى، وأطاعوا الأحبار والرهبان فيما أحلوا لهم وحرموا)[١٠] هذا خطاب فيه خصوصية لأهل الكتاب لأنهم أهل علم ودراية بدين سابق.

و كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو أهل الكتاب كافة، وكان التأكيد أقوى في مخاطبته الملوك والزعماء، لأن من كان ذا مسئولية ورعاية عظيمتين كان التبعة عليه أعظم، من هذا المنطلق كتب - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل عظيم الروم خطاباً لطيفاً فيه تبشير وتنذير قال فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن أبيت فإن عليك إثم الإريسيين[١١]

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: (الأريسيين هم الأكارون أي الفلاحون والزراعون ومعناها أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك، وهؤلاء على جميع الرعايا لأنهم الأغلب ولأنهم الأسرع انقياداً فإذا أسلم أسلموا وإذا امتنع امتنعوا)[١٢].

و المعنى أنه إذا آمن له أجران أجر لأيمانه بالرسول السابق، وأجر لإيمانه بمحمد، وإذا لم يؤمن أن عليه إثم الضعفاء والأتباع في مملكته إذا لم يسلموا تقليداً له، لأن الأصاغر أتباع الأكابر.

و في دعوته لليهود والنصارى قال: (و الذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)[١٣] وفي هذا الحديث خص النبي - صلى الله عليه وسلم - اليهود والنصارى رغم أن لهم كتباً سماوية أمروا باتباع ما فيها، وفيه كذلك دليل على نسخ الملل كلها برسالة نبيِّنا محمد - صلى الله عليه و سلم -.

و في حديث آخر قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم -، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران)[١٤]. وفي هذا الحديث جعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - أسلوب الترغيب لأهل الكتاب منهجاً في دعوته حيث أخبرهم أن الذي آمن بنبيه وآمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم - له أجران، وكذلك يرى الكتابي أنه له مزية على المشرك حيث كان للمشرك أجر واحد، فيعلم بذلك أن الإسلام يقدر الأديان السابقة ويرفع من شأنها.

المطلب الثاني: دعوة اليهود بوجه خاص:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس[١٥]، فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - فناداهم يا معشر يهود إسلموا تسلموا فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال ذلك أريد، ثم قالها الثانية، فقالوا قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قال الثالثة، فقال: إعلموا أن الأرض لله ورسوله وإني إريد أن أجليكم فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله)[١٦]. والظاهر أن هؤلاء بقايا من اليهود تأخروا بعد

إخراج قبائل اليهود الثلاثة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، لأن القبائل الثلاثة أجليت من المدينة قبل إسلام أبي هريرة - رضي الله عنه -[١٧].

في هذا الحديث تصريح منه - صلى الله عليه وسلم - لليهود بالدعوة وإخباره لهم أن سلامتهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة في إسلامهم واتباعهم لما جاء به من عند الله، أي تسلموا في الدنيا من القتل وفي الآخرة من العذاب [١٨]. وقد أخذ - صلى الله عليه وسلم - الاعتراف من اليهود بأنه بلغهم رسالته، وهذه دلالة على دعوته الخاصة لهم.

المطلب الثالث: دعوة النصارى بوجه خاص:

قال - تعالى -: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)(آل عمران- آية ٦١).

إن أسلوبه - صلى الله عليه وسلم - إما ترغيب أو ترهيب، في هذه الآية يتحدى - صلى الله عليه وسلم - نصارى نجران بأن يتركوا كلامهم عن ألوهية عيسى وذلك بالتضرع إلى الله - تعالى -أن يترل لعنته على الكاذبين، وهذا من حرصه - صلى الله عليه وسلم - أن يدخلوا الإسلام، ولكن النصارى لم يأمنوا عاقبة الملاعنة فتركوها ورضوا بالجزية[١٩]. رغم أنهم اعتقدوا بصدق النبي - صلى الله عليه وسلم -، لذلك لم يباهلوا بل فروا منه و لم يؤمنوا ويدخلوا في الإسلام.

المبحث الثاني: أسلوبه - صلى الله عليه وسلم - في دعوة أهل الكتاب:

المطلب الأول: حلمه وصفحه - صلى الله عليه وسلم -:

إن الحلم عن أهل الكتاب والصفح عن زلاتهم ولين الجانب معهم أسلوب حكيم من أساليبه - صلى الله عليه وسلم - لهم وسبب في دخولهم الإسلام، وقد امتثل - صلى الله عليه وسلم - أمر ربه حيث أمره بذلك في قوله: (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من

الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيرا، وأن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)(سورة آل عمران- آية ١٨٦).

و في الآية خطاب للمؤمنين عند مقدمهم قبل واقعة بدر تسلية لهم عما ينالهم من الأذى من أهل الكتاب والمشركين وأمراً لهم بالصفح والصبر والعفو حتى يأتي فرج الله. قال ابن حاتم إن أسامة بن زيد قال: (كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم)[٢٠]

و في آية قرآنية أخرى يحذر الله - تعالى -عباده المؤمنين من سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم، ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال حتى يأتي أمر الله من النصر أو الفتح[٢١]. قال - تعالى -في المعنى السابق: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره)(سورة البقرة-آية١٠٩).

و من حلمه - صلى الله عليه وسلم - على أهل الكتاب أنه استلف تمراً من يهودي إلى أجل معلوم، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في جنازة، فلما وضع الميت في قبره قام اليهودي فقال: يا محمد ألا تقضيني تمري؟ فو الله ما أعلمكم يا بني عبد المطلب إلا تمطلون الناس بحقوقهم. فهمَّ عمر - رضي الله عنه - بضرب اليهودي، فقال له - صلى الله عليه وسلم -: ياعمر أنت إلى غير هذا أحوج، أن تأمره فيحسن طلبه، وتأمرني فأحسن قضاءه. ثم أمره أن يذهب إلى حائط أحد الإشخاص وأن يكيل له بعد رضائه ثم يزيد كذا صاعاً لتعنيف سيدنا عمر إياه. فقال اليهودي لعمر: إنه لم يكن بقي شيئ مما وجدنا في كتابنا مما وصف لنا موسى - عليه السلام -، إلا قد رأيناه في محمد - صلى الله عليه وسلم -، إلا الحلم فقد رأيناه الآن، فشهد شهادة الحق وآمن، ثم مات اليهودي فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - فحمل سريره على عاتقه الأيسر[٢٢] رغم تجاوز هذا اليهودي في سبه - صلى الله عليه وسلم - ثم سب بني عبد المطلب جميعاً، وطلب دينه في وقت غير مناسب، إلا أنه -

صلى الله عليه وسلم - كان حليماً بهذا اليهودي، لذلك كان رد الفعل إسلامه الفوري. وهذا أسلوب حكيم للرسول - صلى الله عليه وسلم - مع أهل الكتاب لدعوتهم لدخول الإسلام.

المطلب الثاني: إظهار المعجزة لأهل الكتاب طمعاً في إيمانهم:

إن الله - سبحانه وتعالى -قد أعطى بعض أنبيائه من البينات (المعجزات) وذلك لتصديقهم فيما جاءوا به. وقد أيد الله - سبحانه وتعالى -نبيه موسى - عليه السلام - بتسع آيات: العصا واليد والسنين ونقص من الثمرا ت والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم التي فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه وخوارق ودلائل على صدق موسى - عليه السلام -، وكذلك أعطى عيسى بن مريم - عليه السلام - إحياء الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وإبراء الأسقام، وإخباره بالغيوب، وتأييده بروح القدس وهو جبريل - عليه السلام - ما يدل على صدقه فيما جاءهم بهي.

أما النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - كانت معجزته الكبرى القرآن، إلا أنه كان يظهر لأهل الكتاب بعض المعجزات التي كانت تتحقق على يديه علهم يؤمنون به كما آمنوا بأنبيائهم السابقين موسى وعيسى - عليهم السلام -.

روى ابن عباس - رضي الله عنهما -، أنه حضرت عصابة من اليهود إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فسألوه عن أربعة أشياء لا يعلمهن إلا نبي كما ذكروا له ذلك وهي: الطعام الذي حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وماء المرأة وماء الرجل كيف يكون منه الذكر والأنثى، وإخبار هذا النبي الأمي في النوم ووليه من الملائكة، وقد أخذ عليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - المواثيق والعهود إذا أجابهم وفق ما يعلمون أن يدخلوا الإسلام، وكانت الإجابة أن يعقوب - عليه السلام - مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر نذراً لئن شفاه الله - تعالى -من سقمه ليحرمن أحب الشراب وأحب الطعام إليه، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها. والإجابة الثانية أن ماء الرجل أبيض غليظ وأن ماء

المرأة أصفر رقيق فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله. والإجابة الثالثة أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه، فالإجابة الأخيرة أن جبريل هو ولي الرسول - صلى الله عليه وسلم - وجميع الأنبياء.

و في هذا الحديث يبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأهل الكتاب بعض المغيبات التي لم يحضرها و لم يقرأ عنها وإنما هي وحي يوحى إليه، وأخبرهم بما سألوه عنه طبق ما يعلمون في كتبهم السماوية المترلة على أنبيائهم ليؤمنن به وليتبعنه. ولكن اليهود حاولوا التخلص من العهد الذي التزموا به مع النبي - صلى الله عليه وسلم - بحجة بغضهم لجبريل - عليه السلام -[٢٣]، قال - تعالى -فيهم: (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين)(سورة البقرة- آية٩٧).

المطلب الثالث: إثبات موافقة الشريعة الإسلامية لما في التوراة:

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يبين لأهل الكتاب أن كتابه الذي أنزل عليه توافق أحكامه أحكام الكتاب الذي أنزل على موسى - عليه السلام -، فإذا تحقق التوافق حينئذ فإنه رسول من عند الله صدقوا برسالته ودخلوا في دين الإسلام.

قال ابن عمر - رضي الله عنهما -: (إن اليهود جاءوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكروا أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما تجدون في التوراة في الرجم؟) فقالوا: نفضحهم ويجلدون. قال عبد الله بن سلام كذبت إن فيها الرجم)، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها، قال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم. قالوا صدقت يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرجما، فرأيت الرجل ينحني على المرأة يقيها الحجارة)[٢٤]

و في هذا الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقنعهم أن كتاب الله الذي أنزله على نبيهم موسى - عليه السلام - يوافق كتابه الذي أنزله في شأن الرجم على نبينا محمد -

صلى الله عليه وسلم - وهذا أسلوب لدعوته - صلى الله عليه وسلم - أهل الكتاب لدخول الإسلام.

قال الإمام ابن حجر في قوله - صلى الله عليه وسلم -: (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟) قال الباجي: (يحتمل أن يكون علم بالوحي أن الحكم بالرجم فيها ثابت على ما شرع لم يلحقه تبديل، ويحتمل أن يكون علم ذلك بإخبار عبدالله بن سلام وغيره ممن أسلم منهم على وجه حصل له به العلم بصحة نقلهم، ويحتمل أن يكون إنما سألهم عن ذلك ليعلم ما عندهم فيه ثم يتعلم صحة ذلك من قبل الله تعالى)[٢٥]

المطلب الرابع: موافقة أهل الكتاب فيما ليس فيه نص:

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحب موافقتهم في الأمور التي لم يؤمر فيها بشيء، وذلك تألفاً واستعطافاً لهم على هذا الدين الحنيف، ذلك لأنهم إذا رأوه يتعبد بالأحكام التي يعلمون أنها تشريع سماوي أنزله الله على نبي من أنبيائه كتعبده بما يتفق مع ما في التوراة المترلة والإنجيل، عملوا أن مصدر التشريع الذي عندهم والذي عنده واحد هو الله - سبحانه وتعالى-، وعلى ذلك يجب أن يراجعوا أنفسهم فيما هم عليه من التكذيب والعناد والجحود، فيؤمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم -.

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (لما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء، فسئلوا عن ذلك فقالوا: (هذا اليوم الذي أظفر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، ونحن نصومه تعظيماً له)، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (فأنا أحق بموسى منكم) فصامه وأمر بصيامه)[٢٦]

و عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق النبي - صلى الله عليه وسلم - رأسه[٢٧]

و في هذا الحديث اتضح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وافق أهل الكتاب في أفعالهم حتى يخالف أهل الأوثان، فلما أسلم أهل الأوثان الذين معه والذين حوله واستمر أهل الكتاب على كفرهم تمحضت المخالفة لأهل الكتاب ثم فرق - صلى الله عليه وسلم - رأسه.

المطلب الخامس: إباحته ذبائح أهل الكتاب ونكاح نسائهم:

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - امتثالاً لقول الله - سبحانه وتعالى -: (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، وطعامهم حلٌّ لكم، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين)(المائدة: الآية ٥) قد أباح لأمته ذبائح أهل الكتاب دون باقي ملل الكفر، وهذا يعني إذا كان بين المسلمين وأهل الكتاب مبادلة في التجارة، يحصل الاختلاط بينهم، ولا شك أن هذا مدعاة لدخولهم الإسلام. وعن عبد الله بن مغفل - رضي الله عنه - قال: أصبت جراباً من شحم يوم خيبر، قال: فالتزمت فقلت: لا أعطي أحداً اليوم من هذا شيئاً، فقال: فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مبتسم[٢٨].

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث، وفي هذا إباحة أكل طعام الغنيمة في دار الحرب، وقال القاضي: (و أجمع علماء الإسلام على جواز أكل طعام الحربيين ما دام المسلمون في دار الحرب فيأكلون منه قدر حاجتهم، ويجوز بإذن الإمام وبغير إذنه. و لم يشترط أحد من العلماء استئذانه إلا الزهري، وجمهورهم على أنه لا يجوز أن يخرج معه شيئاً إلى عمارة دار الإسلام فإن أخرجه لزمه رده إلى المغنم)[٢٩]

و كذلك أباح الإسلام مصاهرة أهل الكتاب والتزوج من نسائهم مع ما في الزواج من سكن ومودة ورحمة. وهذا يجوز مع الذين لم يقاتلوا المسلمين و لم يخرجوهم من ديارهم و لم يظاهروا على إخراجهم كالنساء والضعفة، أما المعتدين فيجب معاداقم وعدم موالاقم[٣٠]

قال - تعالى -: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم و لم يظاهروا على إخراجكم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون)(سورة الممتحنة: الآيات ٨-٩).

المطلب السادس: قبول الهدية من أهل الكتاب:

لا شك أن قبول الهدية فيه نوع من التقارب، وكلما زاد التقارب بين قوم سهلت دعوتهم. وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقبل الهدية من أهل الكتاب ولا يقبلها من غيرهم من المشركين، وهذه خصوصية لهم ربما تدفعهم إلى الدخول في الإسلام.

و عن عياض بن حمار - رضي الله عنه - قال: أهديت للنبي - صلى الله عليه وسلم - ناقة فقال: أسلمت؟ فقلت: لا، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (إني نهيت عن زبد المشركين)[٣١].

و عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن أكيدر دومة وهو من أهل الكتاب أهدى النبي - صلى الله عليه وسلم - ثوب حرير فأعطاه علياً فقال: (شققه خمراً بين الفواطم)[٣٢].

المطلب السابع: وصيته - صلى الله عليه وسلم - على أهل الذمة:

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أوصى على أهل الذمة والكتاب، وهدد بالوعيد الشديد على من نقض عهدهم، حتى أنه توعد أصحابه بأن من قتل معاهدا في غير وقته الذي يجوز قتله فيه حرّم الله عليه الجنة، وهذا من حرصه - صلى الله عليه وسلم - على دعوة أهل الكتاب.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وأن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً)[٣٣].

و كان - صلى الله عليه وسلم - لا يرضى أن يمس أهل الكتاب ظلم ولو كان من أصحابه، سواء كان هذا الظلم اعتداءاً على أنفسهم أو أموالهم.

عن العرباض بن سارية السلمي - رضي الله عنه - قال: (نزلنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلعة خيبر ومعه من معه من المسلمين، وكان صاحب خيبر رجلاً ماردًا متكبراً، فأقبل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال: يا محمد ألكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا وتضربوا نساءنا؟ فغضب النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال: (يا ابن عوف اركب فرسك ثم ناد إن الجنة لا تحل إلا لمؤمن، وأن اجتمعوا إلى الصلاة) فاجتمعوا، ثم صلى بهم ثم قام فقال: (أيحب أحدكم متكئاً على اريكته قد يظن أن الله - تعالى - لم يحرم شيئاً إلا ما في القرآن، ألا أني والله وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء وإنها لمثل القرآن أو أكثر، وأن الله - تعالى - لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن، ولا ضرب نسائهم، ولا أكل ثمارهم إذا أعطوا الذي عليهم)[٣٤].

المطلب الثامن: إخبار الصحابة بما ينتظر اليهود من عذاب:

لا شك أن الدعوة إلى الله - عز وجل - تشتمل على الإنذار والتبشير، والوعد والوعيد، لذلك أخبر - صلى الله عليه وسلم - أن اليهود تعذب في قبورها، فأنذرها من عذاب القبر، لأن عذاب دلالة على عذاب الآخرة وهي يدل على حرصه لدخولهم الإسلام.

عن أبي أيوب الإنصاري - رضي الله عنه - قال: خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال: (يهود تعذب في قبورها)[٣٥].

الخاتمة:

أختتم بحثي هذا بعرض أهم النتائج وهي كالآتي:

١. إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أرسل إلى الناس جميعاً بما فيهم أهل الكتاب (اليهود والنصارى).

٢. إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - دعا أهل الكتاب دعوة عامة مع جميع الناس ثم دعاهم بعد ذلك دعوة خاصة بجميع أساليب الدعوة لدخولهم الإسلام.

٣. تنوع أساليبه - صلى الله عليه وسلم - مع أهل الكتاب لدخولهم الإسلام يدل على حرصه وصدق النية وصدق العزم معهم.

٤. إظهار أن الإسلام لم يأت لمحاربة الأديان الأخرى بل مكملاً لها.

٥. إظهار أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يدخل الناس في الإسلام عن طريق القوة.

و أخيراً نسأل الله - تعالى -أن يجعل أن يجعل عملى خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني، وأسأله أن يتجاوز عن الخطأ فيه، وأن يرشدني إلى الصواب، واستغفره أتوب إليه إنه غفور رحيم.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. البداية والنهاية.

٣. تفسير ابن كثير (الموسوعة الذهبية).

٤. تفسير القرطبي (الموسوعة الذهبية).

٥. التمهيد لابن عبد البر (المكتبة الألفية).

٦. سنن أبو داوود (الموسوعة الذهبية).

٧. سنن الترمذي (الموسوعة الذهبية).

٨. سيرة ابن اسحق (تحقيق وتعليق محمد حميد الله- تقديم الأستاذ محمد القاسمي).

٩. شرح الكرماني لصحيح البخاري مؤسسة المطبوعات الإسلامية - مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية القاهرة.

١٠. شرح النووي على صحيح مسلم (المكتبة الإلفية).

١١. صحيح البخاري (الموسوعة الذهبية).

١٢. صفوة التفاسير - محمد علي الصابوني.

١٣. فتح الباري الحافظ بن حجر (المكتبة الإلفية).

الحواشي:

[١] - تفسير القرطبي جزء ١١ - ص ٣٥٠.

[٢] - أخرجه البخاري - جزء (١) ص ١٦٧ باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا - الموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف، الإصدار الأول سنة ١٩٧٧ - حديث رقم ١٤٢٧

[٣]- أخرجه مسلم جزء (٤) صفحة ١٧٠٧ باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم - الموسوعة الذهبية - حديث رقم ٢١٦٧.

[٤] -تفسير ابن كثير الجزء (١) ص ٥٣٣.

[٥] - تفسير القرطبي - الجزء ١١ ص١١٢.

[٦] - فتح البارئ - الجزء ١١ ص ٤٠ (المكتبة الألفية للسنة النبوية - الإصدار ٥/١/ ١٩٩٩ - الأردن - عمان.

[٧] - التمهيد ابن عبد البر - الجزء ١٧ المكتبة الألفية - نفس العدد.

[٨] - تفسير القرطبي - الجزء ٢ ص٣٤٧

[٩] - تفسير ابن كثير- الجزء ١ ص ٢٢٧

[١٠] - صفوة التفاسير المجلد الأول دار القرآن الكريم- بيروت ط ٤- ص٢٠٨- محمد علي الصابوني.

[١١] - أخرجه البخاري- جزء ١ ص ٩- كتاب بدأ الوحي- باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (٧)

[١٢] - شرح النووي على صحيح مسلم- الجزء ١٢- ص١٠٩ (المكتبة الألفية).

[١٣] - أخرجه مسلم الجزء الأول ص ١٣٤- باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى جميع الناس (الموسوعة الذهبية) حديث رقم ١٥٣٥

[١٤] - أخرجه البخاري الجزء الأول ص٤٨ باب تعليم الرجل أمته وأهله حديث رقم ٩٧

[١٥] - بيت المدراس بكسر الميم هو البيت الذي يدرس فيه كتابهم، فتح الباري.

[١٦] - صحيح البخاري الجزء ٦- ص ٢٥٤٧- باب بيع المكره (الموسوعة الذهبية)حديث رقم ٦٥٤٥

[١٧] - فتح البارئ الجزء ٦ ص ٢٧١

[١٨] - شرح الكرماني لصحيح البخاري ١٣/٥٤ مؤسسة المطبوعات الإسلامية مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية- القاهرة.

[١٩] - انظر تفسير القرطبي- الجزء ٤- ص١٠٤.

[٢٠] - تفسير ابن كثير- الجزء (١) صفحة ٤٣٦.

[٢١] - تفسير ابن كثير- الجزء (١)- صفحة ١٥٤.

[٢٢] - انظر القسم المطبوع من سيرة ابن اسحق فقرة ٤٥٩ ص ٢٧٢- ٢٧٣ تحقيق وتعليق محمد حميد الله- تقديم الأستاذ محمد القاسمي.

[٢٣] - انظر البداية والنهاية ابن كثير- الجزء ٦ ص ١٧٣.

[٢٤] - أخرجه البخاري باب قوله - تعالى -: (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)- الجزء الثالث ص ١٥٣٠ (الموسوعة الذهبية) حديث رقم ٣٤٣٦.

[٢٥] - فتح البارئ الجزء ١٢ ص ١٦٨ (المكتبة الألفية).

[٢٦] - أخرجه البخاري- الجزء الثالث ص ١٤٣٤ باب إتيان النبي - صلى الله عليه وسلم - حين قدم المدينة- حديث رقم ٣٧٢٧.

[٢٧] - أخرجه البخاري الجزء الثالث ص ١٣٠٥- باب صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم٣٣٦٥.

[٢٨] - انظر فتح البارئ الجزء ١٠- ص ٣٦١- الحافظ بن حجر مكتبة الألفية للسنة النبوية- ١٩٩٩- الأصدار ١/٥.

[٢٩] - شرح النووي على صحيح مسلم الجزء ١٢ ص ١٠٢ (المكتبة الألفية).

[٣٠] - ابن كثير -الجزء الرابع- ص ٣٥٠.

[٣١] - أخرجه الترمذي الجزء الرابع ص ١٤٠- باب كراهية هدايا المشركين(الموسوعة الذهبية) حديث رقم ١٥٧٧.

[٣٢] - أخرجه مسلم- الجزء الثالث- ص ١٦٤٥- باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء- حديث رقم ٢٥٧١١٥٧٧.

[٣٣] - أخرجه البخاري الجزء الثالث ص ١١٥٥- باب أثم من قتل معاهداً من غير جرم- حديث رقم ٢٥٩٥.

[٣٤] - أخرجه أبو داود الجزء الثالث ص ١٧٠- باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات- حديث رقم ٣٠٥٠

[٣٥] - أخرجه البخاري - الجزء الأول ص ٤٦٣- باب التعوذ من عذاب القبر- حديث رقم ١٣٠٩.

٩٩- كيف تدعو الفتاة المسلمة إلى الله [١]؟

ليس هناك فرق في الدعوة إلى الله بين رجل وامرأة أو شاب وكهل فالكل مؤهل للقيام بالمهمة طالما خلصت النوايا...وهذه بعض الأفكار التي يمكن للفتاة المسلمة أن تدعو إلى الله من خلالها.

• إذا كنت طالبة في المدرسة مثلاً أو معهد علمي... يمكنك صنع لافتات دعوية مزخرفة وملونة.... وتكتبين عليها بعض الآيات القرآنية التذكيرية... ثم توزيعها على صديقاتك أو زميلاتك... وإذا كنت في جماعة الصحافة أو مسئولة تحريرية في مدرستك فيمكنك توزيعها مع نشرات و مطويات جماعتك كملحق مجاني.

• في الاجتماعات الأسرية بينك وبين قريباتك... يمكنك أن تعدي سلة.... وتملئينها بالأشرطة الإسلامية أو المطويات الدعوية. وتنسقينها بشكل مؤنق وجميل. وتمررينها على جميع الحاضرات حتى تأخذ كل واحدة منهن هدية ويمكنك لإضفاء مزيد من التشويق لهذه المطويات. أن تغلفيها بأغلفة الهدايا وترفقي معها بحلوى صغيرة مغلفة كذلك.

• أنت الآن من مستخدمات شبكة الإنترنت. فحرصي دوماً على استغلال حد الخير فيها لتضمني بذلك رضا الله وثوابه... وإليك ثلاثة أفكار يمكنك من خلالها استغلال حد الخير ذلك.

---

(١) http://www.saaid.net

* يمكنك مراسلة صديقاتك على بريدهن الإلكتروني وإرسال بطاقات إلكترونية دعوية إليهن، أو موضوعات دينية تمس عقيدهن.

* يمكنك التحدث مع صديقاتك من مستخدمات الإنترنت عن موضوعات دينية تمس عقيدهن عبر برامج المحادثة الإلكترونية كما يمكنك كذلك إعطائهن مجموعة من المواقع الدينية النسوية.

* يمكنك كتابة المواضيع الدينية الهادفة عبر المشاركة في المنتديات العربية وتذكري دوماً أن مبتغاك من ذلك هو وجه الله تعالى فقط وليس كثرة الردود.....

• بإمكانك صناعة صندوق للتبرعات من الكرتون أو الخشب. وتغلفته وكتابة بعض العبارات عليه، ومرريه على صديقاتك في المدرسة أو على أقاربك عند الاجتماعات الأسرية بينكن. وعندما تجمعين المبلغ المطلوب (١٠٠ ريال مثلاً) قومي بإعطائها إلى الجمعيات الخيرية.

• إذا كنت تجيدين الأشغال الفنية واليدوية يمكنك صنع لوحات كبيرة مزخرفة وملونة وتوزيعها على صديقاتك أو قريباتك. ولزيادة جمال تلك اللوحات يمكنك بروزها ضمن إطار مزخرف وجميل.

• يمكنك صنع مطويات أو نشرات ووضعها ضمن لوحة وتعليقها على حائط غرفتك مثلاً وهكذا كلما تأتي صديقاتك لزيارتك يقرأها وينتفعن بما فيها من موضوعات دينية هادفة.

• يمكنك أن تتفقي أنت ومجموعة من زميلاتك في الدراسة أو في العمل أو حتى جاراتك على عمل مجلة دينية بسيطة. وتوزيع العمل فيما بينكن.

• لا تنسى أن سلوكك وخلقك النابع من تعاليم الإسلام السمحاء هو خير دعوة لقريناتك المسلمات وتذكير لهن بتلك السلوكيات الإسلامية السامية.

١٠٠- صور من عداء المشركين للدعوة[١]:

مقدمة:

وقف المشركون من دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موقفاً لا يتغير في جوهره وهدفه، فهو العداء المستحكم، والسعي الحثيث إلى قتل الدعوة في مراحلها المختلفة، إلا أن هذا الهدف قد ظهر في صور متعددة تتخذ مرحليّة جلية في العداء.

وهذا المقال يلقي الضوء على أهم تلك الصور، ويشير إلى المرحلية التي سلكها المشركون في العداء، معرجاً على موقف أهل الحق - متمثلين في رسول الله وصحبه - من هذه الصور المختلفة.

١- مرحلة عدم الاكتراث بالدعوة: بدأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالدعوة منذ أن نزل عليه (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ) وكانت دعوته في بادىء الأمر سرية، ولا يُفهم من ذلك أن المشركين في تلك الفترة لا يعلمون عن محمد ودعوته شيئاً، لكن حيث جاء الرسول بما يخالف ما عليه القوم مخالفة كلية، وحيث علم أنه ليس من السهولة أن يلتف الناس حوله إذا جهر بالدعوة بينهم مجتمعين، فقد كان يتخير من يتوسم فيه القبول فيسرُّ له بآمر الدعوة، وهكذا خفي على المشركين أو الكثير من أتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولكنهم لم يخف عليهم أن للرسول دعوة.

---

[١] معن عبد القادر http://www.albayan-magazine.com/

فهذا أبو ذر وعمرو بن عنبسة وغيرهم يأتون النبي لأنهم قد سمعوا به، وانتشر بينهم أنه يدعو إلى أمر جديد، إلا أن الرسول وهو في بداية أمره لم يواجه قومه بتسفيه ما هم عليه، فلم ينشأ عندهم الشعور القوي بالخطر من دعوته، فكان من أثر ذلك أنهم لم يكترثوا بأمره.

جاء في سيرة ابن هشام: (فلما نادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد عنه قومه و لم يردوا عليه، حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته) [تهذيب سيرة ابن هشام / ٥٥].

وهكذا الأمر دائماً، عندما لا يشعر أهل الباطل بأن في دعوة الحق خطراً عليهم، فإنهم لا يبدون اكتراثاً بأمرهم، وإن كانوا لا يخفون بغضهم وكراهيتهم واستهزاءهم بالحق وأهله، ولكن أنى لدعوة أن تنتشر ويظهر أمرها، وتقوم بالأمانة المنوطة بها، وهي تستر ركناً عظيماً من أركانها وهو الكفر بالطاغوت.

قد يكون هذا ممكنا في حق فرد، ولكنه لا يكون في حق دعوة بأكملها.

٢ - المحاولات غير المباشرة لإسكات الرسول - صلى الله عليه وسلم -: ولما أعلن الرسول كفره بآلهتهم، وتسفيه معتقداتهم، حاول المشركون أن ينهوا الأمر بمحاولة إسكاته عن القيام بدعوته، وذلك عن طريق عمه أبي طالب، فمن ذلك طلبهم منه في المرة الأولى أن يكف ابن أخيه عنهم أو يتركهم ليروا أمرهم فيه فردهم أبو طالب رداً جميلاً. (التهذيب / ٥٥).

ولما لم تثن تلك المحاولة الرسول عن عزمه حاولوا مرة أخرى بلهجة أشد.

(التهذيب / ٥٦) وكان جواب الرسول واضحاً صريحاً وقاطعاً في أنه لا أمل في ثنيه عن دعوته: (والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار) (التعليق على فقه السيرة / ١١٠).

٣ - صياغة الاتهامات لتضليل العامة: ولما أيقنت قريش أنها لا تستطيع ثني الرسول عن الصدع بدعوته، حولت جُلَّ جهودها إلى إنشاء مناعة عند عامة العرب ضد الإيمان به، أو

حتى الاستماع إليه، فاجتمعت قريش قبل موسم الحج بزعامة الوليد بن المغيرة لصياغة الاتهامات المناسبة لصد الوفود عن الاستماع إلى الرسول (فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً) (التهذيب / ٥٧)، فتقلبت أقوالهم بين ساحر وكاهن وشاعر، ثم استقر رأيهم على اتهامه بالسحر، كما تظهر القصة، وإن كانوا في الحقيقة لم يستقروا على اتهام واحد (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ).

ومن ذلك ما لقي به المشركون الطُفَيل بن عمرو الدوسي، وأعشى قيس، وغيرهم ممن كان يقدم مكة للسماع من الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

وكان من مشيئة الله أن جعل من تلك الاتهامات والتحذيرات دعاية للدعوة وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها) (التهذيب / ٥٨).

٤ - مرحلة التعذيب لفتنة المؤمنين: ولما لم تفلح تلك المحاولات في صد الناس عن الإيمان بالدين الجديد، تواصى المشركون فيما بينهم بالتفنن في التعذيب لرد من آمن بمحمد عن دينه، وقد لخص كبيرهم أبو جهل مخططهم في ذلك: (وكان أبو جهل الفاسق..

إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك، ولنفيِّلَنَّ رأيك، ولنضعن شرفك، وإن كان تاجراً قال: والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفاً أغرى به ((التهذيب / ٧١، ٧٢).

وبدأت مرحلة التعذيب الرهيب كفعل أبي جهل بآل ياسر، وأمية بن خلف ببلال، ويكفي في تصوير شدة هذا التعذيب ما يرويه سعيد بن جبير قال: (قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما

يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول نعم، افتداء منهم مما يبلغون من جهده) (التهذيب / ٧٢).

ولقد أصاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تلك المرحلة شيء من الأذى، كالذي فعله به عقبة بن أبي معيط حين وضع سلا جزور على رأسه وهو ساجد، وعندما اجتمع عليه المشركون حول الكعبة ففرقهم أبو بكر عنه.

والحقيقة أن التعذيب لم ينته عند مرحلة معينة، بل استمر طويلاً، إلا أن الهدف منه في المرحلة الأولى والدعوة في طفولتها كان المحاولة في رد الأتباع القلائل عن دينهم، وتخويف غيرهم من الدخول في الدين، لكن بعد أن قويت شوكة الدعوة كان التعذيب لمجرد الانتقام، ولتنفيس الغيظ والحنق الذي في نفوس المشركين، أو للأخذ بشيء من ثاراتهم من المسلمين، ومن ذلك ما فعله المشركون بخبيب حين صلبوه.

ولابد لنا هنا من وقفة عند أثر هذه المرحلة على أتباع الدعوة، وعلى سير الدعوة نفسها: - أخرجت تلك الابتلاءات نماذج عظيمة في الثبات على دين الله، والتضحية في سبيل العقيدة.

- وكان فيها تربية صلبة للأصحاب أعدتهم رجالاً لتلك الدعوة، فوق ما ارتفعت به درجاتهم عند الله.

- وزادت من الترابط بين أتباع الدين الجديد.

- وأدت إلى شيء من تعاطف العامة من المشركين مع هؤلاء المستضعفين.

وهذه وغيرها مكاسب عظيمة للدعوة، كان الابتلاء سبباً مباشراً لها.

ووقفة أخرى مع موقف الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو يرى أتباعه يعذبون: لقد أصاب رسول الله أذى من المشركين، لكنهم لم يكونوا ليبلغوا منه شيئاً كثيراً لمكانة عشيرته

بينهم، ولكن عديداً من أصحابه واجه فتنة لا طاقة لكثير من البشر بها، فماذا كان موقف الرسول من ذلك؟.

لقد أبدى الرسول تعاطفاً شديداً وشفقة حانية على أتباعه من المعذبين، فكان يمر بآل ياسر، ويثبتهم على مصابهم، ويعدهم الجنة، وكذلك كان حال المسلمين ممن لم يصبهم الأذى، فهذا أبو بكر ينفق ماله على إعتاق المعذبين من الرقيق.

و لم ينته دور الرسول عند التعاطف والإشفاق، بل كان يبحث عن كل ما من شأنه أن يخفف المصاب عن أتباعه من حلول عملية.

فكان يأمر من أسلم من الضعفاء أو ممن يخشى عليه الفتنة أن يكتم إسلامه عن أهله، ويأمر بعض من يأتيه من قبائل العرب مسلماً أن يعود إلى قبيلته لأنه لا سند له بمكة.

ولما علم أن في الحبشة ملكاً لا يظلم أمرهم بالهجرة إليه فراراً بدينهم.

إذن: كان الرسول يرفع من معنوياتهم، ويذكرهم بالأجر والثواب، ويؤكد نصر الله إياهم بعد حين، وفي نفس الوقت كان يبحث لهم عن حلول عملية تخفف من وقع الفتنة عليهم.

إن التعاطف والسعي لتخفيف وطأة التعذيب على المسلمين أمر مطلوب، وواجب على القيادة المسلمة تجاه أتباعها، أما التخلي عن شيء من المنهج، ولا أقول الأسلوب والسياسة، تفادياً للمواجهة، واتقاءً لبطش الجاهليين، فأمر لا يرضاه الله، وقد عصم منه رسوله، وللأسف فقد سقط في هذا المزلق بعض المخلصين بدافع إخلاصهم وشفقتهم على إخوانهم.

إن الإسلام وهو دين الرحمة قد جعل للأفراد رُخَصاً يجيز لهم الأخذ بها وقت الشدائد تصل إلى التلفظ بكلمة الكفر، ولكن لا يجوز لأحد مهما بلغت به الفتنة أن يهادن في دين الله أو يحرف في منهجه.

إن بعض المخلصين، وقد أحزهم وشق عليهم ما نزل ببعض إخوانهم، وقد بدءوا يبدون التميع، ويبدون التفاوض مع الجاهلية، بمبادئهم لتخفيف الوطأة على إخوانهم.

وبدأوا ينطلقون من منطلق (كفانا أشلاء ودماء) وبدأ منهجهم يتكيف مع هذا المنطلق في جوهره وليس في أسلوبه فقط.

إن أشلاء إخواننا ودماءهم غالية على كل مسلم غيور، ولكننا أيقنا أنها الثمن الذي أراده الله للنصر...وللجنة.

إن الدعوة التي اشتدت عليها الفتنة، فبدأت تغير من منهجها، ومرة أخرى لا أقول: من أسلوبها؛ قد سقطت في الابتلاء الذي جعله الله سنة في الدعوات: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ).

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم، مَّسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ).

إن التربية التي ترسخ في النفوس أن الابتلاء سنة الله في الدعوات، مهمة جداً، مهمة للقادة حتى لا يسقطوا في الابتلاء، ويحرفوا المنهج تفادياً لهم، فيضلوا ويضلوا.

مهم للأتباع حتى يثبتوا بتثبيت الله لهم عند الابتلاء، وحتى لا يتسبب ابتلاؤهم في صب جام غضبهم ولعنتهم على إخوانهم وعلى منهجهم لأنه بزعمهم السبب فيما وقعوا فيه.

إن أي مسلم غيور، لتذهب نفسه حزناً وهماً على ما يصيب إخوانه في العقيدة، وهو مطالب بأن يبذل وسعه في سبيل التخفيف عنهم، وإن كان ما نقدمه حقيقة قليل جداً، وذلك لتراكم الظلم من كل جهة، ولبخل بعضنا وقعودهم عن بذل كل إمكاناتهم وقدراتهم في سبيل نصرة إخوانهم، ولكن لا يجوز لنا أن يجرفنا الهم والحزن إلى التخلي عن شيء من منهجنا تفادياً للمواجهة، وفي موقف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من خباب - رضي الله عنه -

وهو يأتيه شاكياً عند الكعبة تثبيت لتلك السنة في نفوس أصحابه بضرب المثل بما لاقاه أسلافهم من المؤمنين، ثم ثبته بتأكيد نصر الله لهم ولو بعد حين..

يقول خباب: » أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو مُحْمَرٌ وجهه فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله « (البخاري ٧/١٦٤).

وكذلك خرج بأصحابه مثخناً بالجراحات يوم أُحد، وذهب منهم سبعون شهيداً من خيرة الصحابة، وهو عدد ليس بقليل في ذلك الوقت من عمر الدعوة، لقد كانوا عشر جيش المسلمين، فماذا كان من الرسول بعد هذا البلاء المبين؟ يقول ابن إسحاق: (قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام، فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معهم نفرا من أصحابه) (التهذيب/١٩٤) ثم كان ما كان من هذيل في يوم الرجيع إذ قتل وفد رسول الله جميعهم، وكانوا ستة كما عدهم ابن إسحاق.

ثم ماذا؟ ثم بعث رسول الله أصحاب بئر معونة على رأس أربعة أشهر من أُحد (التهذيب/٢٠٠) وقتل فيه أربعون صحابياً من خيار المسلمين غدراً وخيانة.

بلاء على إثر بلاء، ولكن الدعوة مستمرة، والمنهج محفوظ، يختار الله من يشاء من المخلصين إلى جواره، وتبقى بقية القافلة في سيرها إلى الله كما أمرها الله.

٥ - مطاردة الفارين بدينهم خارج الحدود: (فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه

لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم) (التهذيب /٧٢).

ولكن طغاة قريش لم يطب لهم العيش، وهم يرون أتباع الدعوة وقد أصابوا داراً وقراراً عند ملك الحبشة، فكان ما كان من مؤامرات حتى يخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها.

وكان من رحمة الله بعباده المؤمنين، ومن حمايته لدعوته وحفظه لها أن رد وفد قريش خائباً، وجعل للمسلمين من عدل النجاشي ملجأ، وإن لم يكن على دين الإسلام في بادىء الأمر.

وهذه الصورة بكل جوانبها لا تزال تكرر نفسها.

يضطهد المسلمون في أرضهم، فيفرون بدينهم منها، ويحاول الطغاة أن يتبعوهم بأذاهم حيث ما كانوا، فتدرك المؤمنين رحمة الله فييسر لهم من الأسباب ما يحفظهم من الأذى، ونحن نرى تلك الأسباب في الغالب يهيئها الله على أيدي كفار آخرين يملكون شيئاً من حرية الفكر واحترام الإنسان، فسبحان من ينصر دينه بالرجل الفاسق.

٦- المفاوضات (الإغراءات) المادية:

ولما لم تفلح كل تلك المحاولات مرة أخرى في قتل الدعوة، أو حتى في إيقاف انتشارها الواسع، وعندما قوي أتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - واشتد أمرهم بإسلام حمزة وعمر وغيرهما، لجأ الطغاة إلى محاولات لإغراء الرسول بأمور الدنيا، كي يتنازل عن دعوته.

ومثال تلك المحاولات مفاوضة عتبة بن ربيعة أرسلته قريش مندوباً عنها ليعرض على الرسول الملك والجاه والمال كي يكف عن دعوته.

ولا تزال تلك الوسيلة تستخدم لشلِّ الدعوة وشراء الدعاة، فيتم بذلك احتواءهم وتسييرهم إلى الوجهة التي يراد لهم السير فيها، وكم من داعية لم يسقط بالترهيب والتهذيب سقط بالإغراء والترغيب.

٧ - المفاوضات الدينية والسعي وراء التنازلات: وتمثل تلك المرحلة أخبث وأخطر ما تفتق عنه تخطيط الطغاة ومكرهم.

إن أهل الباطل ليس لهم منهج ثابت محدد يلتزمون به، وإنما يدورون مع مصالحهم حيث دارت، ومصلحتهم العظمى كما يروها في عداء الحق والسعي لإطفاء نور الله، ومن هنا فإن أهل الباطل لا يجدون غضاضة ولا صعوبة في أن يعترفوا بشيء من الحق ويتفاوضوا مع أهله إذا كان في ذلك قضاء على الحق وأهله ولو بعد حين.

أما أهل الحق فموقفهم مختلف تماماً، إهم لا ينطلقون من مصالح معينة، إن لهم منهجاً ثابتاً محدداً أنزله الله إليهم، وأمرهم باتباعه وحذرهم من مخالفته، وقضيتهم في جوهرها إنما هي استمساك بهذا المنهج الثابت ومحافظة عليه، والذب عنه حتى الموت.

ومن هنا فإهم ليس لهم من الأمر شيء، ولا يملكون أن يتنازلوا عن شيء من هذا المنهج لأي هدف كان، إذ أن منهجهم هو قضيتهم، ومصلحتهم في العض عليه بالنواجذ، وتحقيق أي هدف في الحياة الدنيا، ولو بدا سامياً عند البعض لا يجوز أن يتم بالتنازل عن شيء من المنهج.

وتدبروا في موقف أهل الباطل من التنازلات (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) إن لديهم الاستعداد للمداهنة، ولا مانع لديهم من التنازلات عن شيء من باطلهم في مقابل تنازل أهل الحق عن شيء من حقهم.

يقول ابن كثير في تفسير سورة الكافرون: (قيل إهم (أي كفار قريش) من جهلهم دعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى عبادة أوثاهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله

هذه السورة فأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال: لا أعبد ما تعبدون).

إنه لا فرق البتة بين أن يعبد المشركون آلهتهم أبد الدهر، أو يعبدوها سنة ويعبدوا الله سنة بعدها، كله باطل، وما يضير المشركين أن يقدموا مثل هذا التنازل، وهم بذلك يكسبون الاعتراف الصريح من أهل الحق بشرعية ما عليه أهل الباطل.

ولكنه فرق أبعد مما بين السماء والأرض، بين أن يعبد المسلمون الله كل عام، أو يعبدوه عاماً ويعبدون آلهة المشركين عاماً بعده، إن الصورة الأولى هي الحق، والثانية باطل من جملة الباطل وشتان بين الحق والباطل.

وماذا يكسب المسلمون من مثل هذا التنازل؟ اعتراف أهل الباطل بحق أهل الحق في الوجود؟! وماذا يعني لو تم ذلك؟ هل حققنا قضيتنا؟ وكيف نحقق الكفر بالطاغوت وهو قرين الإيمان بالله ونحن نقدم مثل هذه التنازلات؟.

وثبت الله رسوله أمام هذا الكيد الجديد (وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً) وعلمنا الموقف الذي نقفه من هذا الكيد، وحذرنا من المداهنة في دين الله، بل جعل من أصول ديننا معاداة الكافرين وبغضهم والبراءة منهم، حتى يقطع كل سبيل إلى الجلوس معهم لتقريب وجهات النظر! ! ٨- المواجهة المسلحة:

ولما رد الله الذين كفروا بغيظهم في كل مناسبة، ورعى دعوته حتى شبَّت وقوي عودها، وأحس المشركون بخطر الدعوة على وجودهم، كانت المواجهات المسلحة ولابد أن تكون، فكانت بدر ثم أحد والخندق وغيرها من السرايا والغزوات، ثم كان يوم الفتح الأكبر، فتح مكة.

وصدق الله وعده للمؤمنين وهم بمكة يعذبون، أو وهم في الحبشة يطاردون، أنه ناصرهم على الكافرين.

هذه أبرز صور العداء التي واجهتها الدعوة الأولى، ولا يملك المسلم الذي يعيش في هذا العصر وهو يراجع تلك الصور إلا أن يتساءل (أَتَوَاصَوْا بِهِ).

إن المحاولات هي ذاتها، وإن أصبحت في كثير من الأحيان أعنف وأشد خطراً على الدعوة، لازدياد كيد العدو من جهة، ولضعف إيمان المسلمين من جهة أخرى.

تمت المائة الأولى من وصايا للدعاة إلى الله.

نلتقي بإذن الله مع المائة الثانية

أخوكم/الفقير إلى عفو الله ومغفرته

أمير بن محمد المدري

اليمن - عمران

Almadari_1@hotmail.com

جوال/٠٠٩٦٧٧١١٤٢٣٢٣٩

٠٠٩٦٧٧٧٠٣٤٣٤٧٠